

الوجديات

محمد فريد وجدي

الوجديات

هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الادبية الضرورية لها. وقد اخترنا هذا الاسلوب لمواعظنا لانه افعل في النفوس من سواه

الوجديات

الامم لا يستقيم امرها الا بشكائم ادبية تتنزل من عقولها وتتحكم في قواها. وقد اثبت العلم ان الآداب كانت دائما السبب الرئيسي لكل انحلال طرأ على المدنيات القائمة

(الوجدية الاولي)

صدرت في أول نوفمبر سنة ١٩٢٠

(طبعت في مطبعة دائرة معارف القرن العشرين والحياة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على توالي نعمه ، وتواتر مننه ، والصلاة والسلام على رسوله محمد الأمين، واخوانه من الانبياء والمرسلين ، وعلى آلهم وصحابتهم وتابعيهم الى يوم الدين

(أما بعد) فاننا كنا ننشر مقامات أدبية نضمنها مواعظ حكمية ، وأصولا خلقية، وحقائق اجتماعية ، شغف بها القارئون أيما شغف وكان حقاً علينا أن نواليهم بها الا اننا اضطررنا لوقف نشرها بسبب ما لقيناه من عمل جريدة الدستور أولا ثم دائرة معارف القرن العشرين آخراً . وكان القارئون في أثناء اشتغالنا بهذه الاعمال لا ينتأون يرجوننا أن ننشر شيئاً منها ولكن كانت طبيعة العمل الذى كنا نقوم به تمنعنا من ذلك وما زال هذا حالنا وحال القراء حتى تمت دائرة المعارف فلم نر بداً من تلبية نداء الطالبين وها نحن ننشر المقامة الأولي في طور جديد فالله نرجو أن يلهمنا الصواب والبيان ، وان يسدد خطوات قلمنا في مناحي الاحسان ، انه هو المستعان ، وعليه وحده التكلان ،

محمد فريد وجدي

الوجدية الأولى

قال الوجدان : اجتمعنا ثُلّة(١) من الاخوان بدار أحدنا في يوم رق نسيمه ، وراق أديمه، فأخذنا نفتّنُ في ضروب من الكلام، ونتنقل في شجونه(٢) فمن خبر مستغرب، الي بيت مستعذب ، ومن كلمة نابغة ، الى حكمة بالغة ، ومن حقيقة علمية ، الي نادرة فكاهية ، فلما بلغ بنا الجلوس نصابه ملنا الي الحركة وكان مجتمعنا بمصر الجديدة ، فخرجنا الى الصحراء ، نستنشيء نسيم الخلاء ، فسرنا نحو ساعة و بدت لنا سَرْحة موزقة الأفنان فرأينا أن نتفيأ ظلها للاستراحة ساعة أخرى ثم نعود الي دورنا على نحو ما كنا نفعل في بعض الأيام . فما شارفنا السرحة في هذه الدفعة حتي ألفينا تحتها رجلا تدل ملابسه علي انه من أهل البداوة ، فتوسمناه فاذا هو شيخ يناهز الثمانين ، قد شاب كل مافيه حتى حاجباه وأهدابه ، الا أن عينيه كانتا تفيضان فتوة، وأعضاؤه تقطر ضلاعة وقوة ، فلما قربنا منه حييناه فرد علينا ، ولم ينظر الينا ، ثم مازاد وما زدنا ، فجلسنا مستثقلين حضرته ، متمنين قومته ، الا انه تَمدك بمكانه ، واشتغل عنا بشانه ، وظهر من عدم اكتراثه بنا انه من الجفاة الأقدام ، والبداوة الأنعام ، من الذين لايفقهون قولا ، ولا يمتازون عن سائمتهم الا شكلا ، فأخذنا فيما نحن آخذون غير مبالين بوجوده ، ولا برمين بقعوده ، وما زلنا نجول من الكلام في كل مجال ، ونصول بالتحاور في كل مَصال ، حتى أدت بنا فنونه الي ذكر الأخلاق ، وطيب الاعراق ، فقال أخونا (د...) لقد صدق شاعرنا حيث قال :

وليس بعامر بنيان قوم ... اذا أخلاقهم كانت خرابا

فسأله (ك...) : ماذا تقصد بالاخلاق ؟ تلك الكلمة لاكها كل لسان ، في كل مكان وزمان ؟ أهي عنقاء مُغرِب ، أم هي اكسير الكيماويين الذي هلكت أجيالهم ألوفا من السنين في تطلبه فأعياهم

فقال (د...) : عجباً عجباً أتشك في وجود الاخلاق ، أو في انها قِوام الحياة الفاضلة ، و ملاك السعادة الكاملة ؟

---

(١) الثلة الجماعة (٢) أديمه أي جلده . ونفتن من افتن في حديثه أي أخذ في فنون منه . وشجونه أي فنونه جمع شجن وهو الشعبة من كل شيء .

فقال (ك...) : أنا لا أشك في وجودها ، وكيف أشك في شيء أراه حتى في الحيوانات العجم ، ولكني أستنكر زعم من يدعى انها تتكيف على مايوده الوعاظ والمتكلمون ، ويهواه الفلاسفة والخلقيون

فدخل في هذا التحاور (ن...) فقال : أتريد أيها الأخ أن تقول انها فطرية كما هي عند الحيوانات ؟

فأجاب(ك...) : أنا أريد أن أقول انها ثمرة الحالات الاجتماعية ، والمؤثرات الاقتصادية ، وعوامل أخرى نفسية وعالمية ، ليس في يد أحد تحويلها عن مجراها ، تطبع الافراد بطابعها ، وتوجههم الي ما تقتضيه علي درجات تناسبها ، وتتفق واياها ، كما هو الشأن في الحوادث الطبيعية سواء بسواء ، فكما لا يفيض نهر ، ولا يهمى غيث ، ولا ترتفع رطوبة بمحض الارادة البشرية ، كذلك لا تتغير الاحوال النفسية بوعظ الواعظين ، ونصح الناصحين ، والا لبلغت كل أمة أرقي درجات الكمال بدعوة الدعاة ، وإهابة الهداة ، وأنت ترى ان أولئك الدعاة الهداة أبعد عما يدعون اليه من المدعوين أنفسهم

فصاح (ص...): ان أوافق أخانا ك... على مايذهب اليه ، وما يُدلي به هو رأى أصحاب فلسفة التحول فانهم يقولون ان الأخلاق صفات توجبها الحاجة الي الاجتماع وتطبعها الحالات المختلفة للبيئة وشكل المعيشة بطابعها فلا تحول عنه الا بعوامل جديدة لا سلطان لأحد عليها

فقال(ش...) : هذا الكلام من الوجاهة بحيث يعتبر كل معارض فيه سفسطا . وهل بعد الشهود برهان ، أو بعد العيان بيان ؟

فقال(د...) : ان الذي تُدلون به من الرأي يكذبه الواقع الذى تعتمدون عليه . ألا ترون بأعينكم تأثير التربية فى الحيوانات ؟ فهل الجواد المروّض كالحصان المهمل ، وهل الكلب المدرّب علي الصيد والحراسة كالكلب الغُفل الهائم علي وجهه ؟ ومن الذي يقول بأن الطفل الذي تولاه أبواه بالتربية والتهذيب يشب على مايشب عليه الطفل المتروك ونفسه الذي يجول في الطرقات جولان البُهم الهائجة يترسم خطوات الداعرين ، ويأخذ إخذ الفجرة والداقلين ؟

فأجابه(ك...): أريكم السُها وترونني القمر . أنا أكلمكم فى مناشىء الأخلاق ، وأنتم توردون علي آثار التربية

فرد عليه(س...) : أليست التربية ثمرتها الأخلاق ؟

فأجابه(ك...) : نعم ولكن الي الحد الذي أوجدته الفواعل القسرية لمجموع الأمة . فالمربي يربي الطفل على الأخذ بصفات المثل الأعلي من الانسان الكامل ولكن الطفل يعنّى على كل ماسمعه من مربيه ويشب علي الصفات المكونة للانسان العادى في مجتمعه . ومن شاء أن يتحقق من ذلك فليقابل بين مايلقي على الاطفال من الأخلاق في بيوتهم ومدارسهم وبين مايكونون عليه في المجتمع . ولو كان للتربية الأثر الذي تتخيلونه ، وكانت الأخلاق طوع يد المربين والمعلمين لبلغت الأمم في جيلين أو ثلاثة أجيال أرقي مايتصوره العقل من الكمال ولصار كل انسان مثلا أعلى في ذاته ؟

فاستشكل عليه (س...) بقوله : اذن بم تعلل تلك الحوادث الجلّي التى حدثت على يد المرسلين في الأمم وأنت ترى انها تنقلهم طفرة من طور الى طور في سنين معدودة ؟

فاجابه (ك...) : هذا كلام سمعتموه فحفظتموه ، ولكنكم لو تتبعتم ماتتبعه علماء الاجتماع من أحوال الأمم قبل تلك الرسالات وما آلوا اليه بعدها لما وجدتم للطفرة من أثر ، ولرأيتم رأى العين أن ما آلوا اليه ، هو ثمرة ما كانوا عليه ، وانه حدث على مقتضى نواميس ثابتة ، وبتدرج منتظم ، عرفت أدواره ، وتعينت أطواره

فقال (س...) . كنا نسلم بما تقول لو كانت تلك الانقلابات الخلقية حدثت كما تحدث النتائج بدون نزاع بين القديم والحديث . وأنت تعلم أن أولئك المرسلين قد لاقوا من جاهلية شعوبهم مايلقاه الحق من الباطل في كل جيل ، حتى لجأ الدعاة الي القوة فى أكثر الأحوال ، فأين هذا الأثر مما تقول ؟

فرد عليه (ك...) : ان تلك الدعوة الجديدة ذاتها مانشأت الا بعد ماولدتها العوامل الاجتماعية وهيأتها للظهور ، وما شاهدته من الحوائل دونها هي لوازم كل انتقال في عالم الاجتماع . وقد ذكرت ان أولئك الدعاة التجأوا للقوة فسجلت علي نفسك

الدليل على ماقلته أنا . فان اللجأ الي القوة لا يكون الا بأنصار، والانصار لا يوجـدون الا بشيء تتقبله نفوسهم ، ويحبونه حباً يحملهم على بذل نفوسهم في سبيله . وكيف يعقل حصول هذه الحماسة ان لم تكن الدعوة قد وقعت موقعها من هوى النفوس؟

قال (س...) : فهل تريد أن لايدعو داع الى أخلاق أرقى مما عليه الناس ؟

فأجابه (ك...) : لم أقل ذلك ولكني قلت ان محض الدعوة اليها لا تجدي نفعا اذا لم تكن أحوال الاجتماع وفواعل البيئة قد هيأت النفوس للدخول في طور جـديد من الحياة الاجتماعية . واني أعتبر أن دعوة الدعاة للاخلاق تكون من الفواعل الأدبية اذا نشأت في الأمم حركة انتقال

فقال (س...) : لشد مامررت اليك تعاليم الماديين منـذ قرأت كتاب الاخلاق لهربرت سبنسر

فقال (ك...) ان ماتنبزونهم بالماديين قوم يبحثون عن علل الأشياء وهم مجردون عن كل أثر للجمود على قديم، أو للتعصب لشكل موروث، فهم ينقبون عن الحقيقة عارية عن كل خيال كساها به الجهل أو لفها فيه الوهم : وقد ذكرتم الاخلاق فأدليت اليكم بما تراه الفلسفة المادية فيها ولو جريتم معي في هذا المجال لوجدتم عندي لكل غموض بياناً ولكل قضية برهانا

* * *

قال الوجدان : لم ينته (ك...) من كلامه الي هـذا الحد حتي التفت الينا ذلك البـدوى ، وكان الي ذلك الوقت هو والشجرة سواء ، وقال: أتسمحون لي أن اساهمكم البحث في هذه المسألة : وأعينكم علي استجلاء غوامضها المعضلة؟

فنظر بعضنا الي بعض ، وغلب الضحك أكثرنا فطفقوا يضعون مناديلهم على أفواههم تحاشياً من تخجيل الرجـل . وتمالك أخونا (د ...) نفسه فتدارك الأمر بقوله للشيخ : لقد كدنا نستنزل فيها رأيك ، فهات ماعندك

قال الوجدان فأرهفنا آذاننا ، وأشخصنا اليه أبصارنا ، وتوقعنا منه مايتوقع من مثله في مثل هذه المباحث ، وتأهبنا لضحك كثير يحسن أن نختم به هذه الرياضة الجدية فشكرنا الشيخ بكلمتين ، ثم التفت الى (ك...) بعينين نجلاوين ، وقال له أجبني يابني :

أقرأت كتاب (مسائل علم الاخـلاق) للاستاذ ذارو المدرس بجامعة السوربون بفرنسا :

قال الوجدان : ماسمعنا من البدوى هذه الجملة ، وخصوصاً ذكره اسم الكتاب بالفرنسية الفصحى ، حتى أصابنا دهش عظيم من المامه بهذه اللغة ومن اطلاعه على كتاب قد لا تخطيء اذا قلنا انه لم يدخل مصر للآن ، فزدنا تحديقاً بابصارنا اليه

فأجابه (ك...) لم أقرأ هـذا الكتاب

فقال البدوي : ولا قسم الاخلاق في كتاب (الفلسفة الانتقادية) للفيلسوف فاشرو ؟

فأجاب (ك...) ولا هذا

فقال البدوى : ولا كتاب (علم الاخلاق) للفيلسوف رنوفييه

فأجاب (ك...) ولا هذا أيضاً

فقال الرجل : ولا كتاب (أساس الاخلاق)لشوبنهور و (العلل الأولية للطباع) لكانت و (نقد المذاهب الفلسفية) لالفريد فوييه و (علم الاخلاق الانجليزى العصرى) لجيو وما كتبه الفلاسفة جول سيمون وفرنك وبول جانيه ولوين كوزان وادورد هارتمان في مؤلفاتهم عن الاخلاق وهم أئمة هذا العلم في عصرنا هذا ؟

فأجاب (ك...) : لم اقرا غير كتاب هربرت سبنسر .

فقال البدوى ، وهو في هدوءه الأول ، أفيصح يا ابن أخى أن تكون أجنبياً عن علم الاخلاق على ماوصفت، فتنصب نفسك داعية لترويج مذهب من مذاهبه بين الخلق ؟

فأجاب (ك...) وقد علته حمرة الخجل ، وفل من حـده الشعور بالعطل : أنا لم أروجه الا بعد أن ثلج عليه صدري ، واطمأن اليـه قلبي ، وعلمت من قوة حجته ووضوح محجته ، أن ليس وراءه مرمي ، ولا بعده غاية

فقال الأعرابي وقد بدت عليـه بوادر من الغضب : أيبلغ منك ولم تدرس في الفلسفة كتابا واحداً ، ولم تقم في مزدحم المذاهب ، ولم تتورط في متاهاتها ومآزقها أن تجعل ثلج صدرك فاروقا بين الحق والباطل ، وطمأنينة قلبك حكما بين الحالي من الآراء والعاطل ؟ يا لهذه الجرأة

فأجاب (ك...) وقد شعر بالتقصير ، وأدرك انه بحضرة عقل كبير : هل تعدد

الحقيقة ؟ إذ ظهرت لانسان وتجلت تجلياً لايدع للشك محلا ، فما له بعد ذلك وافناء عينيه في تعقب مباحث لا نهاية لها ؟

فقال الأعرابي : الحقيقة لاتتعدد ، ولكن اذا كان ادراكها من السهولة بحيث يدركها مثلك من أول نظرة فما بال هذه الجماهير من الفلاسفة قد اختلفوا فيها قديماً وحديثاً على كل مسألة من المسائل . أيصح أن تتخيل ان الفلاسفة كاروا وفاشرو ورينوفييه ورافيسون وجول سيمون وألوف غيرهم من المعاصرين أقل منك قبولا لادراك الحقيقة ؟ فإن ثاروا على مذهب هربرت سبنسر وتألبوا على دحضه ودحض آراء مشايعيه من الداروينيين ؟ كيف لم يبعثك التفكر في هذا الأمر الى قراءة شيء من أقوالهم ؟

فأجابه (ك...): وهل كان يتسع وقتي لمثل هذا؟

فقال البدوي : وهل يتسع ذرعك للدعوة الى مالم تحط به خبرا ؟

فأجابه (ك...) انى أعتقد أن ماقرأته هو الحقيقة بعينها ، وان كل ما كتب فى دحضه سفسطات لا يقام لها وزن . وعندي ان من وصل الى الغاية فليس عليه أن يورط نفسه فى متاهة التائهين ، ومضال الضالين

فقال البدوى وهو يتبسم : وما أدراك ان ماوصلت اليه هو الغاية ، وما هو العلم الذي استفدت منه تعيين الغايات من البدايات . ان هربرت سبنسر نفسه يبرأ الى الله من أن يدعى انه وصل الى غاية ، ولو قال مثل هذا أو مايشبهه لمحي اسمه من ديوان المفكرين ، وألحق بالمخرقين

فقال (ك...) وقد ثارت فيه عاطفة الانتصار للنفس : انك لم تفعل للآن غير الاستشكال على مسائل عامة ، فناظرنى ان شئت في مسألة الاخلاق خاصة

قال الوجدان : فضحك الأعرابى بملء شدقيه ، ثم أخذ يصفق بيديه ، وأنشد :

فلو انى بليت بفيلسوف بعيد النور في ارض البيان
لهان عليّ ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا عن ابتلائى

ثم أقبل على (ك...) وصوته يتهدج ضحكا وهو يقول : تناظر في الحكمة وَحِلها،

ولم تبلغ أن تكون فصيلها (١) لشدَّ ما لقيت منكم الفلسفة يابنى غبراء ، رجل في الارض وأنف في السماء ، ولكن خذها بنية التعليم والمذاكرة ، لا بنية الجدل والمناظرة.

تقول متابعاً لهربرت سبنسر والداروينيين ، ان أصل الأخلاق عاطفة الاجتماع المجبول عليها الانسان ، فهو كلما اضطرته حاجات الاجتماع الى التخلق بخصلة أخذ بها وعاقب من لم يراعها ، وأورثها بنيه وأحفاده فصارت ملكة فيهم . وهكذا تم بناء الصرح الأخلاقي على مر الدهور وكر العصور ، فالأمر دار بين أحوال ، دفعت للأخذ بخصال ، وجاءت الوراثة فطبعتها في نفوس الأجيال ، ظنها الغفل غرائز روحانية ، ومواهب سماوية ، منحها الانسان ، وحرمها الحيوان ، والحقيقة انهما غصنا دوحة ، وفرعا أرومة ، لا يمتاز أحدهما عن الآخر من المواهب الا في اقدارها دون حقائقها

فقال (ك...) نعم نعم

فقال البدوى انى سائلك يابني فأجبنى : هل الانسان هو الحيوان الاجتماعى الوحيد ؟

فأجابه (ك...) لا فكثير من أنواع الحشرات وذوات الثدى والطيور تعيش أمماً مجتمعة؟

فقال البدوى : هل كانت تبيد هذه الحيوانات الاجتماعية لو لم تعش مجتمعة؟

فأجابه (ك...) لا أظن ذلك

فقال البدوى : فما الذي دفعها للاجتماع ؟

فأجابه (ك...) لابد أن يكون قد نشأت ضرورة أوجبت عليها ذلك والا بادت

فقال البدوي : هل تلك الضرورة القاهرة عمت جميع نوعها في كل بيئة وأنت ترى ان النمل في جميع القارات تعيش مجتمعة

فأجابه (ك...) : يجب أن يكون قد حدثت لها تلك الحاجة قبل أن تتوزع على الأرض

فقال البدوى : حيوانات من أنواع مختلفة تعيش في بيئة واحدة كيف يعقل أن توجب الضرورة على بعضها الاجتماع ولم توجبه على سائرها ؟

(١) القوم الفحل الكريم من الابل . والفصيل الفطيم الصغير منها . وغبراء هي الأرض

فقال (ك...) لا بد أن تكون الضرورة قد أصابت البعض دون البعض الآخر

فقال البدوي : كيف يتفق أن الضرورة لم تصب نوعاً من الانواع العاملة فتوجب عليها الاجتماع في مدى هذه الالوف الكثيرة من السنين من يوم دوّن الانسان العلوم ؟

فقال (ك...) : ان الانسان نشأ بعد أن تمت أطوار الخليقة بملايين من السنين ، وما قيمة بضعة الآلاف من الأعوام في عمر الانواع الحيوانية ؟

فقال البدوي : علي أي أساوب تؤثر الضرورة في الحيوانات فتنقلها من حال التفرق الى حال الاجتماع ؟

فأجابه (ك...) وُجد كل نوع من الحيوانات مفطوراً عـلي حفظ شخصه واستدامة نوعه فاذا ألم به مايهدده في ذاته تيقظت فيه هذه العاطفة ودفعته للجأ الى كل حيلة يدركها عقله للنجاة منها. فان طغى سيل ألهمته توقل الروابي ، وان حدث مطر ساقته للاستذراء بالكهوف أو تحت الاشجار، وان طارده كاسر دفعته للهرب

فقال البدوي : نسيت مثلا أهم من كل ما مر فلم لم تقل كيف فعلت فيه عاطفة حفظ ذاته عند ما أصابه مالا سبيل الي دفعه الا بالاجتماع علي أفراد نوعه . أجتمع أفراد منه فتذاكروا مايصيبهم من التلاشي ان أصروا علي فرقتهم وما ينالهم من اليمن والأمن بالاجتماع فقرروه وجروا عليه ، أم اندفعوا للاجتماع بلا روية ولا تفكير كما هو شأن الجادات بتأثير النواميس الميكانيكية ؟

هنا أحس (ك...) بثقل وطأة السؤال ، فسكت هنيهة ثم رفع رأسه وقال :

ان تفسير هذا الأمر يصعب علي من يُخيل اليه ان الانواع وجدت علي ماهي عليه الآن من الصفات والمحاولات ولذلك تراه يستكبر أمرها ، ويستعظم شأنها ، ويحاول فهمه ، فيتعسف في الفروض ، ويتسكع في الظنون ، كمن ينظر من النوع الانساني في أرقي طوائفه حيث النُظُم الاجتماعية ، والرُبُط الأدبية ، والابداعات الصناعية ، والكنوز العلمية ، فيذهب في أكباره وتفخيمه كل مذهب ويدعي ان ماهو فيه فيض سماوي ، ومدد علوي ، ويَعمي عن طوائفه الدنيا في جهالتها وعمايتها وتجردها حتى من مثل ما للحيوانات العجم من النظام الاجتماعي والمعيشي ، وما اقتضاه ارتقاؤه من

ألوف من السنين صرفها في تنازع البقاء، والتناحر علي أحقر الاشياء، وما هلك منه من ملايين الملايين حتى وصل لدرجة لايغبط عليها من درجات الحياة

فالنحل والنمل وكلاب البحروما ماثلها من الحيوانات التي يراها الانسان فيعجب بنظامها الاجتماعي ورقيها الصناعي لم تصل الي ماهي عليه طفرة بل نشأ علي أحقر حالاته في أصولها الأولي ثم ارتقى درجة درجة في ملايين من السنين بارتقائها هي في أجسادها وأعضائها وبعد أن باد منها عدد لايدخل تحت حصر في مكافحاتها لذواتها وللمؤثرات الطبيعية معا

هذا هو الاسلوب الذي يجب أن ينظر به الي الاحياء الأرضية لاستجلاء اسرارها، لا النظر اليها علي ماهي عليه الآن بعد أن مرت عليها ملايين السنين في تنازع وتناحر وكفاح فيما بينها وبين الطبيعة .

فقال البدوى وهو يهز رأسه : بَخْ بَخْ . ولكنك غفلت في بيانك الباهر أمراً جللا كان يجب عليك أن تلم به في فلسفتك هذه

فقال (ك...): وما هو؟

فقال الأعرابي : انك صعدت بالاحياء الي طور بعيد من وجودها ولكنك وقفت منه الى حد معين، حد كانت فيه أجساداً آلية مركبة . واذ قد رجعت بها القهقرى الي هذا الحد فلم لاتصعد بها الى أصلها الأول

فقال (ك...) أتريد أن أصعد بها الي حيث كانت خلايا ساذجة على أدني درجات الحياة ؟

فقال الأعرابي : أريد أبعد من ذلك . فانك وقد عبت من يقف من نظره عند حد ماعليه الشيء، وادعيت انك ترد الكائنات الي أصولها لتعرف مناشيء صفاتها وطبائعها، وجب عليك أن لاتقف بالاحياء في دورها الذى كانت فيه خلايا حية، لأن هذا الدور يعتبر ترقياً لا حد له عن الحالة الجمادية . ففسر لنا كيف نشأت الخلايا الأولية من المواد المعدنية، وكيف حلت فيها الحياة وليست لشيء من النواميس الطبيعية والمواد الأرضية فان مابين الحى في أدني أحواله وبين الجماد في أرقي أشكاله كما بين الوجود والعدم .

فقال (ك...) أما يكفيك أن أفسر لك سر الارتقاء في عالم الأحياء من لدن ان كان خلية أولية الى أن وصلت الي أرقى درجات الانسانية حتى تطالبني بما قبل ذلك ؟

فقال الأعرابي : مادامت المسألة بحثاً بيننا في أصول الصفات في الاحياء وقد جشمتنا تعب النظر فيما كانت عليه قبل ملايين من السنين فلمَ تبدأ من حيث يسهل الكلام عليك ، ولا تبدأ من حيث يصعب ، لتدرك مكان المسألة من الخطورة ، فيحصل لك أدب عال يزعك عن التسرع في الحكم على الأمور ؟

فقال (ك...) : أنا بدأت الكلام من حيث بدأه داوون نفسه

فقال الأعرابي : ان داروين نفسه قرر أن هذه الخلايا الأولية التي نشأت منها جميع الاحياء قد نفخ فيها الخالق نسمة الحياة ، فأسندها لخالق قدير وذكر أن مذهبه أدل على كمال قدرته ، وشمول علمه من مذهب الدينيين أنفسهم . ومتى أسندت المسألة الي هذا الجانب فقد انحلت ، ولكن تلاميذ داروين لم يتأدبوا بأدب أستاذهم فادعوا انه قصر في استخراج كل ماتقتضيه نظريته من النتائج ، فشطوا شططا بعيداً ومنهم هيكل و بوخنر وشارل فوجت وجيابل وملدر من أئمة الالحاد العصري وهم الذين سرت تعاليمهم بين الخلق وتسربت اليك منهم . فوجب عليك اما أن تقول برأي داروين فتسند الحياة الي مصدرها السماوي ، واما أن تذهب مذهب تلاميذه فتقول كما يقولون ان الحياة نشأت من المادة بفعل النواميس الآلية . وعندي لكل من الموقفين كلام

فقال (ك...) : يجب عليك قبل أن تتخطى هذا الطور من البحث أن تعترف بأن ما قلته قد أصاب شاكلة الصواب

فقال البدوي : عجباً لك . تزعم انك تسند الأمور الى أصولها ، وتصعد بها الي مصادرها ، ولم تعمل من ذلك شيأ وتريدني أن أشهد لك بالاصابة

فقال (ك...) : ماهذا ، ألم أصعد بالاحياء الي اولى مراتبها ، وهي حالتها عندما كانت خلية ، فهل بعد هذا مرمى ؟

فقال البدوي : الله الله ، تريد أن تبدأها من حيث قامت الحياة بما تقتضيه

من اندفاع للنماء ، وقبول للارتقاء ، وبما فيها من القوى التي تحول الجمادات ، وتتحكم في البيئات ، وبما استكن فيها من العوامل التي ترفعها من حضيض النقص الي ذروة الكمال ، أي تريد أن تبدأها من حيث هي كل شيء ليسهل عليك وصف أطوارها في الارتقاء ، وعروجها في سلم الاحياء ، مدعياً أن ذلك نفوذ منك في سرائر الكائنات وما هو الا وصفاً لماحصل من أدوار الانتقالات ، وزاعما انه صعود بالشيء الى أصله الأولي،وما هو الا بدءاً به من طوره النهائي

فقال (ك...) : أتعتبر كلامي عن الاحياء من عهد أن كانت خلايا ساذجة أخذا لمسألتها من طورها النهائي ؟

فقال البدوى : نعم لأن الخلية الأولية مستقر كل سر في أمر الحياة ، ومستودع كل عامل جليل من عواملها ، اهيك بكائن لا يرى الا بالآلات المكبرة ينمو ويتكاثر بذاته ولا يزال يترقى حتي تشرق فيه هذه القوة العقلية العالية . فان بدأت بحثك منه فقد أسندته الي سر الأسرار ، ومعضلة المعاضل ، فلا يكون لك حق في ادعائك فك المعميات وتفسير المجهولات ، وتكون في تتبعك أطوار الاحياء واصفاً لأحوالها ، لا مدركا لعواملها، فان قلت ، طبعت الاحياء على حفظ ذواتها واستدامة نوعها ، سألتك لم طبعت على ذلك ؟ فتجيبني بقولك هكذا كانت . وليس هذا بجواب فلسفي كما لايخفى لأنه اسناد الي مجهول ، وان قلت تعودت بعض الحيوانات أن تعيش مجتمعة ، وبعضها أن تعيش متفرقة ، سألتك كيف تعودت مالم تألفه ولم تبد ؟ فتجيبني بأن في الاحياء قبولا للتحايل علي مقاومة الأفاعيل الطبيعية ، وليس هذا بجواب شاف لأنه لايعلل سبب ذلك القبول فيها ، وان قلت ان هذه الصنائع التي فطرت عليها بعض الحيوانات ، وهذه المحاولات التي تبدو منها لحفظ ذواتها ، وتربية صغارها ، وهذه النظم الاجتماعية التي تسود على جماعاتها ، والربط المعنوية التي تمسك طوائفها ، عادات موروثة ، سألتك كيف ترث الحيوانات العجم عاداتها فتنساق ذراريها الي العمل بها بدون تعليم ، ولا يشبهها في ذلك الانسان نفسه وهو أرقى منها بما لايقدر ، تجيبني هكذا كان الأمر ، وليس هذا بجواب علمي يقبل من رجال يدعون انهم أدركوا أصول الكائنات ، وحلوا معضلة الوجود .

فكل ماعندكم لايخرج عن وصف ما عليه الكائنات وليس هو علما بحقائق العوامل التي تنشئها وتربها من وراء حجاب . فسر المسئلة كلها ينحصر في (الحياة) فاذا حُل لغزها حل لغز كل شيء والا فلا

* * *

هنا زج (ص...) بنفسه في المعمعة وقال لصديقه (ك...) ما المانع لك من الادلاء برأي الماديين في الحياة من انها نشأت من المادة بفعل النواميس الطبيعية ؟

فقال (ك...) يمنعني من ذلك خروج المناظرة عن حدها وبعدنا عن موضوع الاخلاق الذى تصدينا لتجليته ، فان الخوض في مسألة الحياة يتناول مباحث عويصة . فرأيي أن ندعها لفرصة أخرى ونكمل اليوم ماشرعنا فيه من مسألة الاخلاق.

ثم التفت للاعرابي وقال له : لنترك مسألة الحياة ونرجع الى مسألة أصل الأخلاق

فأجابه البدوي : أما أصل الاخلاق فقد انتهينا منها الى مفترق المذاهب فأصبح الكلام فيها عقيما الا اذا حلت مسألة الحياة

فقال (ك...) وما لمسألة الحياة والاخلاق ؟

فقال البدوي : ان العلاقة بينهما من أوكد العلاقات . فان الذي يرى ان الحياة مظهر من مظاهر قوى المادة ، ويعتقد أن كل مافوق التراب تراب ، لايجد من أصل للأخلاق سوى الصفات المتنزلة من تلك المادة ، فيسندها إما الى عاطفة الاجتماع ، وإما الي اللذة ، واما الي طلب المنفعة الخ الخ ولا يصعد بها الي ماوراء ذلك لاعتقاده ان التركيب الانساني خال من كل ماسوى المادة وصفاتها ، فهو مضطر للوقوف بها هذا الموقف ولكن الذي يعتقد أن المادة الظاهرة للحواس مظهر من مظاهر القوة وانها بالتحليل تفنى في تلك القوة فانه يرى ان للعالم أصلا أرقى من المادة وان الانسان قد أخذ من ذلك الأصل حظا أوفر مما أخذه غيره ، وان ما أخذه منه وانحصر فيه يسمى روحا ، وان لتلك الروح من الصفات العلوية مالا يُحد بحد ، وانها لا تزال تزداد فيه اشراقا على تتالي العصور حتي تلحقه بالملأ الأعلي في عالم لاينحصر جماله وجلاله واطلاقه في صورة ذهنية .

فقال (ك...) ان استحالة المادة الي قوة هو مذهب العلم الرسمي اليوم ، ومسألة تحليل

المادة صارت مسألة عملية منذ عشرين سنة ومع هذا لا يزال الماديون مصرين على مذهبهم لايرون ان القوة أرفع من المادة في شيء . فهي في نظرهم قوة مجردة عن العقل والارادة والشعور

فقال البدوي : لا نغتر بتظاهر الماديين بالثبات على أصولهم فمذهبهم قد أصيب بضربة قاضية بعد ثبوت انحلال المادة الي قوة . فإن ما بين الجواهر الفردة الجامدة التي كانوا يقولون بها وبين العقل والارادة والشعور بونا أبعد مما بين هذه الصفات وبين القوة في تجردها وعلوها واطلاقها . فاذا أرغموا اليوم على قبول كونها قوة مجردة فسيقبلون غداً كونها غاية مدبرة موجودة وجوداً مطلقاً وهي أصل لكل شيء تشرق على كل كائن بما فيه قوامه وكماله ، وقد ظهرت في الانسان بمظهر قواه العقلية ومواهبه العلوية

فقال (ك...) اذا كان الفرق بين الروحيين والماديين هو الذي ذكرته فالفرق بينهما عظيم جداً خلافا لما تذهب اليه ، وإقامة الدليل التجريبي على حقية أحدهما رابع المستحيلات

فقال البدوي : أما بيان كون الفرق بينهما حقيراً أو عظيما وأما الدليل الحسي على حقية أحدهما فليس من شأننا اليوم . وربما عدنا اليه في مقابلة أخري . ولكن الذي علينا أن نثبت ان القوة النفسية المستكنة في الانسان التي هي التي تشاهد في الانسان العادي بأن معارفه ومواهبه ليست بقاصرة على ما تحصله له حواسه الخمس ، بل ان فيه قوة أرقي وراء القوة التي تشاهد عليه ولمعارفه ومواهبه مصدر غير الحواس الخمس

فقال (ك...) : وماذا يفيدنا اثبات هذا الأمر في مسئلة الأخلاق

فقال البدوي : يفيدنا الدلالة الحسية على ان للأخلاق مصدراً روحانياً أرقي من المصادر المادية القاصرة على عاطفة الاجتماع وعلى اللذة أو المنفعة الخ

فقال (ك...) وأني لك اثبات هذا الأمر وكل ما استقولهقد قاله الفلاسفة من عهد فيثاغورس فنقضته الفلسفة المادية ورمت به الى عالم الظنون والخيالات؟

فقال الأعرابي : هون عليك فاني سأثبت لك ذلك بالدلائل الحسية قبل أن تقوم من مقامك

***

قال الوجدان : فنشطنا لنرى كيف يثبت ذلك بالحس فيدفع عنا من الشكوك والريب ما جعل حياتنا مرة ، وكفى بالشك جهلا ، وبالجهل حيرة

فنظر الينا الأعرابي وقال : هل فيكم من يتبرع بنفسه ربع ساعة لأرى لاخوانه أسرار النفس بدليل محسوس ؟

فقلنا : على أى حال يتبرع بنفسه؟

فقال الأعرابي : أنيمه نوماً مغناطيسياً

فقال أحدنا (ع ...) لا بأس من ذلك وأنا أقدم نفسي للتجربة

فأمره الأعرابي بأن يجلس حذاءه . ففعل . فنظر اليه ، وقال له بصوت الآمر النافذ الكلمة: (نم)

قال الوجدان : فوالله مامضت ثانيتان حتى غشيه ماغشيه من النوم

فنظر الينا الاعرابي وقال : لقد نام صاحبكم ومعنى ذلك انه قد خرج عن حالته العادية ، فبطلت شخصيته المعروفة لديكم وتعطلت حواسه، فاذا كانت هذه الحواس هي مصدر علمه ومداركه وعواطفه فيلزم من ذلك أن يكون الساعة هو والجماد سواء . فما قولكم اذا كان هو الآن أرقى مما كان عليه وهو صاح درجات لا تحصي؟ لقد كان وهو صاح يسمع بأذنيه ويرى بعينيه ويحس بأعصابه الى حد معين، ولكنه الآن يرى ويسمع ويحس بما لا كان يستطيع أن يراه أو يسمعه أو يحس به

قلنا : أرنا دلائل ذلك

فنظر الأعرابي الى صديقنا (ك...) وقال له : أتدرى عدد مافي جيبك من الأوراق؟

فقال : لا ؟

فنظر الي النائم (ع ...) وقال له : كم في جيب صديقك من الأوراق ؟

فأجابه على الفور : اثنتى عشرة ورقة . فكان كما قال

ونظر الأعرابي الى أخينا (ص...) وقال له كم فى كيسك من الدراهم؟

فأجابه . لا أذكرها بالضبط

فنظر الأعرابي الي (النائم) وقال له: كم معه ؟

فأجابه بلا تريث : جنيهان واثنان وسبعون قرشاً . فلم يخطيء في فلس واحد

ثم نظر الي صاحبنا (ن...) وقال له : أفي جيبك أوراق مكتوبة؟

فقال : نعم ؟

فسأله : أتستطيع أن تقرأ مافيها ؟

فأجابه سلبياً

فقال له الأعرابي : أخرجها من جيبك واجلس خلف هذا النائم وانظر فيها

ففعل

فأمر الاعرابي (النائم) بأن يقرأها واحدة واحدة

ففعل ولم يسقط منها حرفا

فقال الأعرابي : أيعرف أخوكم هذا ، وأشار الي (النائم) ، ما في بيوتكم ؟

فقلنا : لا يعرف منها الا الغرف التي نجلس فيها من أدوارها السفلي

فنظر اليه الاعرابي وأمره بأن يصفها لهم

فقال الوجدان : فأخذ يصف مافي بيوتنا بيتاً بيتاً لم يدع بهواً ولا حجرة ولا أثاثاً الا وصفه وصفاً نعجز نحن عن مثله

ثم نظر الينا الأعرابي وقال : ليقم ثلاثة منكم فيوغلوا في هذه الصحراء حتي يبلغوا هذه الأكمة فيستتروا خلفها وليعملوا ويقولوا ماشاءوا ثم ليقبلوا الينا نخبرهم بما قالوا وما عملوا

قال الوجدان : فانتدب منا ثلاثة ففعلوا ما أشار به الأعرابي وبعد وصولهم الي الأكمة واستتارهم خلفها أمر البدوى أخانا النائم أن يصف لنا مايعملون وما يقولون

قال الوجدان : فأخذ يصف لنا جلستهم واشاراتهم وأقوالهم وما تواطأوا عليه من دفن ورقة كتبوا عليها شيئاً بخط دقيق لايقرأ . فلما أقبلوا علينا أخبرناهم بما فعلوا وما قالوا وما دفنوا وما كتبوا (١)

---

(١) هذه الخوارق لها نظائر في التجارب التي يعملها العلماء في التنويم المغناطيسي

قال الوجدان فنظر الينا الاعـرابي وقال : أمامكم رجـل معطل الحـواس الخمس محروم من الاتصال بالعالم الخارجي ، وفي حالة خدر عميق وها أنتم ترونه أبصر وأسمع وهوفي هذه الحالة وبدون الاستعانة بتلك الحواس ، مما كان عليه وهو صاح متمتع بها علي غاية كمالها ، أفلا تستدلون من ذلك بدليل محسوس علي ان في الانسان وراء حواسه قوة ليست مكتسبة من هذه الحواس بل هي الموجدة لها تعمل فيه من وراء هـذا الحجاب الجسداني فتربّه من حيث لا يعـلم ، وتدبر أعضاءه وهو جاهـل بوجودها وبطبيعتها ، وهي ينبوع قواه المعنوية ، ومستمد ميوله الأدبية ، متصلة بعالم عال يجانسها هو لهذا العالم المـادي كالروح من الجسد ؟

فقال (ك...) أنا لا أستطيع أن ألقي سلاحي بهذه السهولة أمام مشاهدات ، وان كانت خارقة للعادة ، الا بعد أن أستنفد الوسع في تعليلها بالعلل الطبيعية المعروفة . لأن الحـكم بوجود عالم معنوي مطلق وراء هذا العالم المادي المقيد أمر جلل يقلب نظريات العلم رأساً علي عقب لا يصح البت فيه قبل عرضه علي كل الفروض التي يتخيلها العقل واستعصائه عليها

فقال (ص...) : وأنا أوافق أخانا (ك...) علي مذهبه فان تاريخ العـلم قد بين لنا وجوه الضلال التي كان يتردى فيها العقل البشري من جـراء ميله الي اثبات عالم معنوي غير محسوس متسلط علي هذا العالم المادى المحسوس وربط الاسباب الارضية بأسباب علوية . ولم يخلص العلم من هذه الحالة من القصور الا بعد أن أحرق من أفراده ثلاث مئة ألف أو يزيدون في سبيل تحريره . علي انه لم يكد يخلص منها حتي أثبت بما كشفه من المساتير ، وأضاءه من الدياجير ، وما أقامه من الصناعات ، وأوجده من المخترعات انه أهل للاستقلال بنفسه ، فكيف يُراد منا أن نرجعه الي تبعيته الأولي فنعيد للعالم عهد الخرافات والاضاليل اغتراراً بخوارق يمكن تعليلها بعلل معروفة

فقال (ن...) : وان لم يمكن تعليلها بعلل معروفة يجب عدم الاعتداد بها حفظا لاستقلال العلم وحماية له من الوقوع تحت سلطة الأوهام

فقال الأعرابي : ان موقفكم هذا مناقض للعلم الذى تقدسونه ، وفيه من الغلو ما لا

فهي ليست بخيالية بل من الأمور المحققة تحقيقاً علمياً صارما

يصح صدوره من أمثالكم

فأما مناقضته للعلم فلأن العلم كما يدل عليه اسمه المام بالمجاهيل فان اكتفيتم بما عندكم منه وهو قطرة من بحر الحقائق وجعلتموه حجابا لكم دون كل جديد فكأنكم وقفتموه عند حد محدود ، وقضيتم عليه بالجمود

فقال (ن. .) : نحن لم نقف بالعلم عند حد ، وكيف نفعل ذلك ونحن نرحب بكل من يضع في صرحه حجراً جديداً ونقيم له تمثالا يخلد ذكره . ولو عددت لك ماقبلناه من المستكشفات الجديدة في العشرين السنة الماضية من القرن العشرين في الكيمياء والطبيعة والطب والفلك أستغرق سردها ساعات عديدة

فقال البدوي : لمَ تعارض هذا الاستكشاف الجديد إذن وتتحرى أن تجد له علة طبيعية ، فان لم توجد فترى ان الأولي اهماله وعدم الاكتراث له ؟

فقال(ن...): أعارضه لأنه سيعيد لنا دولة الفلسفة الروحانية بما تقتضيه من الخوض في لجج الخيالات ، والخبط في غياهب الأوهام

فقال البدوي : لا تلازم بين الفلسفة الروحانية والخوض في الخيالات بل المدار على الأسلوب الذى يتبع في البحث . ولقد كان العالم الطبيعي والفيلسوف الروحاني سواء فى التعويل على الخيال قبل أن ينبغ (باكون) في القرن السابع عشر ويضع دستوره في تقرير الحقائق العلمية وهو الدستور القائم على المشاهدة والتجربة . فليس من حقك بعد هذا أن تثور على أى اكتشاف قام على هاتين الدعامتين . فان فعلت ذلك كنت صاداً للعلم عن التقدم وجانياً على الحقائق أكبر الجنايات

فقال (ن...) : أتريد أن تقنعنا بوجود قوة مدبرة مستقلة فى الانسان عن جسده المادي ، وبأن تلك القوة متعلقة بعالم عال غير هذا العالم المحسوس ؟ هذا مالا يقول به عالم عصرى يستحق هذا الوصف

فقال البدوى : لست أنا الذى أريد ولكن الدستور العلمى هو الذى يريد ، فان كنت مراعياً لهذا الدستور وجب عليك ، وقد رأيت بعينيك هذه التجربة التي عملتها أمامك ، إما أن تقبلها كما تقبل كل مسألة علمية ، واما أن تردها إلى المقررات المعروفة ، واما أن تعلق حكمك عليها حتى تضيف اليها أمثالها ولا تجد مناصاً

من الاعتراف بها . هذا هو موقف العامل بدستور العلم ، القائم بحقه

أما قولك ان ماقررته لك لايقول به عالم عصرى فحكم يدل على عدم اطلاعك علي الحركة العلمية في العالم ، فان التنويم المغناطيسى أصبح فرعاً من العلم الرسمي وقد أضيف في برامج التعاليم الي العلوم الطبيعية . نعم ان تلك البرامج قد اقتصرت منه على مشاهداته السطحية ، ولكن في العالم اليوم جماهير من العلماء قد بلغوا من تجاربه العالية الدالة علي ما أقول مدى بعيداً وقد نشروا تجاربهم فى مئات من الكتب المطولة وأعلنوا تأييدهم للفلسفة الروحانية على رؤوس الأشهاد فكان لاجتماعهم تأثير كبير في المعاهد العلمية، فان كنت لاتدرى ذلك فالتبعة فيه عليك

فقال (ك...) : أتستطيع أن تسمي بضع مؤلفات لكبار الباحثين في هذا الموضوع

فقال البدوي: نعم . كتاب(علم النفس المجهول)للفيلسوف (اميل بوارك)العضو بالمجمع العلمي الفرنسي ورئيس جامعة بوردو . وكتاب (الشخصية الانسانيه) للاستاذ (ميرس)المدرس بجامعة كمبردج . وكتاب (علم النفس) للاستاذ (وليم جيمس) المدرس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، وكتاب (الحالات العميقة للتنويم المغناطيسي)للعلامة الرياضى (دوروشاس) ناظر مدرسة الهندسة فى باريز الخ الخ من الكتب الشاملة لتجارب حاسمة تسمح لمثل العالم الفلكي الأشهر (كاميل فلاماريون) أن يقول في كتابه الذى سماه (حل مسألة الموت) صفحة ٤٨

« لايمكن أن نمتنع من الاعتراف بأنه يوجد بجانب الظواهر الفزيولوجية فينا بل فوقها أصل عقلي عامل باستقلال بدونه لايمكن تعليل شيء من أمر الحياة وبه نستطيع أن نعلل كل شيء فيها »

وقال فى صفحة ٥٥ من ذلك الكتاب :

« المادية مذهب باطل وناقص يقصر عن أى تعليل تطمئن اليه النفس . فان القول بأن لا شيء فى الوجود غير مادة متمتعة بخواص من الفروض التي لاتقاوم التحليل العلمى . هؤلاء (الحسيون) على خطأ عظيم فانه توجد أدلة (حسية) على أن الفرض الذى مؤداه أن المادة متسلطة على كل شيء ومدبرة بخصائصها لكل شيء بمعزل عن الحقيقة »

وقال في صفحة ٥٦ :

« يوجد في الانسان شيء غير الذرات الكيماوية المتمتعة بخصائص ، يوجد فيه عنصر غير مادي ، هو أصل روحاني سيريناد الامتحان النزيه المشاهدات وسيرينا أيضاً ان ذلك الأصل الروحاني يعمل مستقلا عن الحواس الجسدية »

وقال في صفحة ١٥٥ :

« كل هذه المشاهدات في التنويم المغناطيسي والانتقالات الفكرية الخ مما ألممنا به الماماً لاثبات حقيتها والتي سنعود اليها فيما يلي تثبت بلا أدنى شك تأثير الروح في الجسم المادي وتؤدي الى استنتاج ان الروح موجودة في حالة استقلال عن الجسد »

وقال في صفحة ٢٦٣ بعد سرده عدة مشاهدات:

« ليس في هذه الروايات لا خيال ولا خداع ولا تدليس ، فهي من التحقيق في درجة أي مشاهدة خاصة بالحوادث الجوية أو بالأمور الفلكية » انتهى

فاذا بلغت الحال بأكبر علماء الارض أن لا يتمالك نفسه من مثل هذه الاقوال حيال المشاهدات المحققة للمسائل النفسية في عصرنا الحاضر ، فكيف بك و بأمثالك ممن هم عيال عليهم في العلوم والمعارف ؟ ولو كان الامر قاصراً على كاميل فلامريون لقلنا أصابه نوع من الجنون ولكن هذا النحو الجديد يذيعه في العالم اليوم ألوف من عِلية العلماء وجلة الفلاسفة ، وتنشره في الامم مئات من المجلات وألوف من الكتب وتكونت له مجامع علمية ، وأقيمت له مؤتمرات في أكبر العواصم الاوربية ، فهل أنتم نيام في هذه الزاوية من زوايا الارض ؟

* * *

قال الوجدان فاعترتنا حيرة مما يقول ، وأخذ بعضنا ينظر الى بعض خجلا من انكشاف جهلنا بحقيقة الحركة العلمية التي ندعي اننا من زعمائها في الشرق ، ورأينا اننا من هذا الاعرابي أمام عقل بعيد الغور ، وعلم واسع المدى ، وألقي في روعنا أن أفضل ما يجب أن نعمله هو أن نستفيد من علمه ، ونقتبس من فضله ، فليس الظفر بمثله متيسرا في كل آن ، فأقبلت عليه وقلت له :

إذا كانت الغاية ، أيها الحكيم ، هي الاخلاق فماذا يعنينا أصلها أكان ضرورة الاجتماع أم طلب المنفعة أم روحا علوية ثاوية بهذا الجسد تهيب بصاحبه الى طلب

الكمال ، وتحري الجمال ؟ ومن الدلائل على ان هذا الأصل لامعول عليه ، ان الماديين أنفسهم يعتبرون الاخلاق ضرورية لسعادة الامم ويدعون اليها بمثل الغيرة التي يدعو بها اليها الروحانيون مع أن أصلها عندهم هو ماعلمناه من فلسفتهم

فقال البدوى : يعنينا أصل الاخلاق كما يعني البناء أصل البناء ، فليس من يبني على شفير هار ، كمن يبنى على أساس قار ، (١) فما أبعد الفرق بين أخلاق تقوم على ان المادة العمياء أصل كل حي وغايته ، والحيوانية محتدة ورتبته ، والفناء بعد طول الكفاح نهايته ، وبين أخلاق تؤسس على ان هذا الجسد الانسانى ، يسكنه روح سماوى ، ويعمره أمر إلهى ، وان هذا الروح متصل بالعالم العلوى اتصال الفرع بأصله، والجزء بكله ، وانه وُرِّط فى هذه المادة ليؤدي للنظام العالمى عملا ، وأنه باحتكاكه بالأرضيات يجب عليه أن يحصل كمالا يعرج به الى عالمه الاعلى ، بعد أن يقوم بما عهد اليه في حياته هذه بالتكاليف التى فرضت عليه نحو ذاته ومجتمعه و بني نوعه والوجود بأسره .

نعم ان بين هذين النوعين من الاخلاق لبوناً شاسعاً ، وفرقا بعيداً ، فان الآخذ بالأولى لايرى في الاخلاق الا حوائل دون مراميه المادية ، وصواداً في وجه مطالبه الجسدية ، فهو ان أخذ بها فانما يفعل ذلك مضطراً بحكم اختيار أخف الضررين على انه فى تخلقه بها يعتبرها ثيابا عارية ، ويعدها أحابيل لابد من مدها لتصيد المنافع ، وتطلب المرافق ، لاعناً بقلبه الوجود الذي أوجب عليه التقيد بها ، ساخطا على الضرورة الاجتماعية التى حتمتها عليه ، لذلك تراه نزاعاً الي رفع كابوسها عن صدره متطلعاً الي القاء نيرها عن عاتقه ، فهو يمضي حياته منضما قلباً وقالباً الي الاباحيين والفوضويين ، والدعاة الى الانقلابات الاجتماعية ، فان بدت حركة تطرف ، أو بادرة انقلاب ، وجدته في السابقين الأولين من العاملين عليها ، تارة باسم الحرية ، وأطوراً بعنوان المدنية ، ومرة لانقاذ جنس من سيطرة جنس ، وهكذا تراه يتقلب في الالقاب ، ويتلون في المساعي ، ومرماه الوحيد فك قيود التكاليف عن نفسه ، وحل رُبط العادات عن عنقه ، واطلاق نار المطالب والرغائب البهيمية فى قلبه ، وهو

(١) شفير أي حرف . وهار أي متهايل . وقار أي ثابت

معذور في كل هذه الرعونات لانه يعتبر نفسه حيوانا ، ولم يُمنَ بما مُني به الحيوان من قصر النظر ، وقصور الحيل ، حتي يقف في حده ، ولا يخرج عن قصده

ولكن الآخذ من الاخلاق بالثانية يأنف أن يشاكل البهائم في خستها ، وأن يضارعها في دناءتها ، لأنه يرى نفسه مستودعاً لروح علوى ليس لها ، ومستقراً لنور إلهي لم يتجل عليها ، بل هو يرى الارض وما عليها من متاع مادى لايصح أن يحرك فيه شهوة ، أو يثير منه رغبة ، لمباينته لطبيعة ذلك الجوهر السماوي ، ومنافاته لكيان ذلك النور العالي ، فهو يصيب من الأرضيات مايقيم صلبه ، ويحميه رعونات جسده ، جاعلا روحه معلقة بالملأ الأعلى ، وميوله منصرفة الي تحقيق الغايات القصوى . معتبراً الناس اخوانا له تجب عليه مرافدتهم ، لا مزاحمتهم ، ومياسرتهم ، لا معاسرتهم ، يراهم نهباً لغوائل الشهوات ، وهدفا لسهام الرغبات فيعمل علي حمايتهم منها ، بتقوية الملكات السماوية فيهم ، وايقاظ القوى الروحية عندهم . فما أكبر الفرق يابني بين الأصلين ، وما أبعد البون بين الوجهتين ، فكيف لايعنينا أصل الاخلاق وأنت ترى ان الأصل المادي يخرّج الأبالسة والشياطين ، ويولّد الفوضيين والاباحيين ، والأصل الروحاني ينشيء الصالحين والطيبين ، ويُنبغ الهداة والمصلحين؟

فقال (س...) ألا يكون الآخذون بالأصل الروحاني أشبه بالمتبتلة والزهاد ، وأقرب الي المترهبة والعباد ، وهل بمثل هؤلاء تثبت الأمم في ميادين المكافحات الاجتماعية ، وتبلغ المدنية أقصي ماقدر لها من الابداعات الصناعية ؟ ماذا ينتظر من قوم أعينهم طامحة الي السماء ، وقلوبهم مشتغلة بعالم الصفاء ، ونحن من عالم الاجتماع في معامع ثائرة الرَهَج ، ومن مطامع الاقوياء في تنازع يذيب المهج ؟

فقال البدوى : لعلك يابنيّ تتخيل ان الانسان لايكون قويا في نفسه ، حاميا لسربه ، الا اذا كان وحشاً ضاريا ، وإباحياً غاوياً ، ولو عرضت لذاكرتك ما قرأته في التاريخ لتحققت من تراجم حماة الامم وكماتها ، وواضعة أساس مجدها وعظمتها ، انهم كانوا من شظف العيش والبعد عن المطامع المادية بالمكان الأرفع ، وأن أولئك الوحوش الضُرَاة ، والاباحيين الغُواة (١) الذين يعملون لسد جشعهم ، وترضية شهواتهم

---

(١) الضراة جمع ضارٍ من الضراوة . والغواة جمع غاوٍ من الغي

كانوا في كل جيل شراً على أممهم من أعدائها ، ولولا أولئك النفر الذين هم بالمتبتلة أشبه ، والي المترهبة أقرب لباد العالم الانساني بأسره ، كما بادت أمم برمتها في توفيـة شهوات متسلط بهم ، وتحقيق مطامع طاغيـة زنيم

ثم كأني بك يابني لا ترى المدنية تخفق راياتها ، والصنائع الجميلة تبهر معجزاتها ، والعلوم تُكشف آياتها الا على يد المـاديين .

أما اذا كنت تقصد من المدنية قشورها ومساوئها من النفاق والخداع ، والتصنع والرياء ، ومن الصنائع الجميلة مايعبث النفوس ويحرك الشهوات ، ومن العلوم مايمكن البشرية من أساليب التدمير والتخريب فقد صدقت . ولكن ان فهمت المدنية تهذيب الاخلاق ، وتلطيف الطباع ، وترقية العواطف ، ومشاكلة الظاهر في نقائه ، للباطن في صفائه ، ومن الصنائع ما يفيد الانسانية ، ويسهل عليها الحياة الأرضية ، ومن العلوم ما يكشف لهـا أسرار الكون ويجلي لها وجوه الحقائق ، فان هذا كله لم يتم الا عـلي أيدي البررة الكاملين من أفراد هذا النوع في كل أدوار التاريخ

فمن الذي هذب من الصفات الوحشية ، وزهد في الاخلاق الحيوانية ، وآخى بين النـاس ، وآسى بين الفقراء والاغنياء ، ودعا الي الوداعـة والأخاء ، غير المرسلين والانبياء ، ومن تبعهم من الاتقياء والاولياء ؟

ومن الذي أوجـد الصنائع وقام علي ترقيتها ، وذهب في الابداع فيها كل مذهب ، غير أولئك الافراد الذين كانوا من شظف العيش بحيث نسوا أنفسهم في سبيل أعمالهم ، ومنهم من أنفق كل مايملك في تكميل مخترعاتهم ، ويحفظ التاريخ لنا ان منهم من أحرق خشب بيته ليتخذ منه تنوراً لتتميم اختراعه

ومن الذي أوجد العلوم وسهر علي اقامة صرحها الفخم غير أولئك الأفـذاذ الذين كانوا من خشونة الحياة وجشوبتها بحيث انقطعوا عن الخلق ليتفرغوا للفكر والعمل ، وثبتوا أمام الغلاة من الدينيين حتى أحرقوا منهم أكثر من ثلاث مئة الف عقابا لهم على نقضهم المذاهب المقررة

أما أولئك الناعمون المترفون ، والغواة الاباحيون ، من الذين جعلوا التظرف والتجمل

ستاراً على نفوس عمرت بالقبح والدعارة ، واتخذوا الصنائع ذرائع لسد نهمتهم من الترف والاباحة ، واستعملوا العلوم وسائل للتعالى على العامة فهم في الواقع هدمة المدنية، ومشوهة الصناعات، ومحرفة العلوم ، لايقوم بهم عمل نافع ، ولا تنهض بجهودهم أمـة . فروح العمران ، وقوام العرفان ، هم أولئك المتقشفة الزهاد الذين يعرفون ان الحياة مهلة للجهاد والعمـل ، لا فرصة للترف والكسل ، وان مافوق الحاجـة مضيعة للذات ، مجلبة للهلكات ، لا أن الحياة مرتع للبهيمية ، وملعب الميول الشهوية

فلو ارتد العالم كله الى أمثـال أولئك الذين تسمونهم بالمتبتلة والمتزهدين لخلصت المدنية من سوءاتها ، والفنون من مخزياتها ، والعلوم من طاماتها ، ولبلغت البشرية ، وقد خلصت من رعونات هذه النفوس ، الي أرقى مراتب الكمال ، في بضعة أجيال

قال (ك...) أذكر انى قرأت في كتاب (الالحاد) للعلامة البيولوجى (لوداتتك) المدرس بجامعة السوربون بفرنسا كلاما على استحالة الخوارق وعلى ان الالحاد هو ثمرة العلم والفلسفة ، وانه المطمأن الأخير للعقل بعـد أن لعبت به حيل المشعوذين في مئات القرون الماضية

فضحك الأعـرابى وأطـال ، ثم سكت هنيهة وقال : أهو الكتاب الذى يقول فيه : « آتني بخارقة واحدة أكن من المؤمنين » ؟

قال (ك...) هو ذاك

قال الأعرابي : فما يمنعك من احضاره الساعة والادلاء الي بما فيه ؟

قال (ك...) ان بيتى بالناصرية وأنا الساعة بمصر الجديدة فلو عملت على احضاره استغرق ذلك ساعتين على أقل تقدير

فقال الاعرابى : في وسعى أن أهـدم لك ماقاله في ذلك الكتاب قبل أن يرتد اليـك طرفك

فقال (ك...) وكيف ذلك ؟

فقال الأعرابى : ألم يقل آتنى بخارقة واحدة أكن من المؤمنين . فأنا آتيـك به في طرفة عين .

فقال (ك...) لو فعلت لأمزقنه هنا وذريت رماده فى هذه الصحراء

قال الوجدان فوالله مافعل الاعرابي غير أن مد يده صوب مصر وقال (تعال ياكتاب الالحاد للاستاذ لوداتك) ولم يتم كلمته حتى رأينا الكتاب بين أنامله فناوله لطالبه (١)

فاعترانا دهش عظيم من هذه الفعلة وأخذ صاحبه يقلبه ليستوثق من أنه كتابه بعينه ، ولم يكد يصدق ذلك حتي رأى اسمه عليه ، وملاحظات كان كتبها بخطه على هامشه . ومما زاده ثقة كتاب وجده بين صحفه كان وضعه فيه بنفسه في صفحة معينة منه . وتناولنا نحن الكتاب منه لنتحقق من انه مادى محسوس وقد كنا قرأناه باستعارته من أخينا (ك...) فوجدناه هو بعينه

و بينما نحن دهشون سكوت مما صنع بنا اذا بالاعرابي مثل واقفاً وقال سلام عليكم استودعكم الله

فقلنا الي أين ؟

قال : الي بيتى ؟

فقلنا : أنت ضيفنا في هذه الليلة ؟

فشكرنا وقال ما الي هذا سبيل

قلنا : فأين بيتك ؟

قال بحي الملأ الأعلي ؟

فقلنا : ألملأ الأعلي حي يجمعهم في هذه الارض ؟

فقال : أفتحسبونهم في السماء محبوسين في الحظائر ؟

فقلنا : نحن نعد الملأ الأعلى جماعات الملائكة وأرواح النبيين والصالحين في وجود أعلى من هذا الوجود الأرضى

فقال : ماعدوتم الصواب فيما تعرفون

---

(١) ان مسألة استحضار الاشياء من أماكن بعيدة يقدر بعدها بمئات الأميال من الأمور التي أثبت العلماء حصولها بواسطة المباحث الروحية وقد ذكرنا طرفا من تلك التجارب في بعض مؤلفاتنا . فهي أمور محققة ولئن كان الواقفون مع حواسهم القاصرة لايعرفونها للآن

قلنا : اذن فكيف تجمع بين الوجود معهم والوجود معنا ؟

قال الوجدان : فأمسك الاعرابي عن الجواب هنيهة حدث لنا فيها أمر عظيم ، وذلك ان كلامنا رأى نفسه ، في بيته بين أهله وخدمه يكلمهم ويكلمونه ، وأثبت وجوده بأعمال مادية قام بها ، وبكتابة ماحدث له ، ثم رأينا أنفسنا مجتمعين حوله وهو يقول للسائلين أعيدوا عليّ سؤالكم .

قال الوجدان : فأعادوه

قال الاعرابي : كما جمعتم أنتم الساعة بين الوجود هنا والوجود في دوركم ؟

قلنا : نريد أن نفهم سر هذا الأمر ؟

قال الاعرابي : جمعتم بين الوجودين بالانتقال من حال الي حال

قلنا : مامعنى هذا ؟

قال الاعرابي : عجباً لكم أليس جوابي هذا من جنس الأجوبة التى تسمونها علماً طبيعياً ؟

قلنا : نرجوك أن تشرح لنا ماتقول

قال : بم يستحيل الدقيق والفاكهة فى معداتكم الي دم وعظم وظفر وعصب ولحم؟

قلنا : بالهضم

قال الاعرابي . حسن : وأنا أقول لكم انكم جمعتم بين الوجودين بالانتقال

قلنا : الهضم عمل كيماوي له أدوار متتابعة يحدث بواسطة عصارات تنفرز من غدد مختلفة .

قال الاعرابي : والانتقال عمل روحاني له أدوار متتابعة يحدث بواسطة حالات تطرأ على النفس

قلنا : كل ماقلته معميات لم نفهم منها شيأ

فقال الاعرابي : سبحان الله ، فهل تفهمون من تعليلكم للهضم أكثر من تعليلي لما تسألوني عنه ؟

قلنا : أدوار الهضم أمور معقولة يدركها العقل لأول وهلة بدون توقف

قال الاعرابي : واحسرة على الناس ، لقد عودوا عقولهم أن تدعي فهم مالا يفهم ،

وأن تملل مالا يُملل فأصبح انخداعها للالفاظ ملكة راسخة عميت بها عن ادراك خطورة المسائل وتقدير اقدارها ، وان عقولا هذه حالها خليق بها أن تقف حيث هي قرونا طويلة .

انكم تزعمون ان أدوار الهضم معقولة فتقولون ان أول هذه الادوار يحدث فى الفم بالمضغ و بتأثير اللعاب فى النشا الموجود فى الاطعمة فيستحيل الي جليكوز ، ثم ينزل الغذاء الي المعدة فتتحرك المعدة به حركات مخصوصة وتفرز عليه عصارة مناسبة لهضم المواد الازوتية فيتعجن و يستحيل الي كتلة تسمونها كيموساً ، ثم تقذف به المعدة الى الامعاء الدقاق وهناك تفرز عليه عصارة من الكبد وعصارة من البنكرياس لاتمام هضم مالم ينهضم في المعدة من المواد الازوتية ولهضم المواد الدسمة فيستحيل الى كيلوس وهوسائل لبني يندفع الى القناة الصدرية فتوصله الي الوريد تحت الترقوة وهذا يوصله الي القلب فيدفعه الي الرئتين وهناك يلامس الهواء فيحمر لونه و يصير دما

وتتميز الفضلات فتنقذف بالتبرز

قلنا : نعم نعم

قال الاعرابي : أهذا كله تعدونه معقولا ومفهوماً ؟

قلنا : نعم نعم

قال الاعرابي : وهذا الذى أبكي علي عقولكم منه . وما دمتم على هذه الحال فأنتم محرومون من ادراك أسرار الكون وحاكمون على مداركم بالعقم

ثم نظر الينا نظرة الأسيف وقال : أنا أميز لكم ما يعقل مما لا يعقل من أمر الهضم فأعيروني أسماعكم ؟

متي وصلت اللقمة الي الفم فيعقل أن يتحرك الفك السفلي لتحطيمها لأنه تحت الارادة ويعقل أن يتحرك اللسان لاعانته علي مضغها تحت الاضراس . ولكن لا تعقل سائر حركات اللسان ، تلك الحركات الماهرة التي بها يؤدى عمله بدون أن يقع تحت الاضراس وأنتم لاهون عما يعمل . ولا يعقل أن تتأثر الغدد اللعابية فتفرز مافيها من سائل بدون ارادة مريد وارشاد مرشد . ولا يعقل أن تتحرك المعدة من تلقاء نفسها وأن تفرز على الأغذية عصارتها . ولا يعقل أن تقذف بالكيلوس بعد تمام تكونه الي

الامعاء بحركات تناسب ذلك ، ولا يعقل أن تتأثر الكبد فتصب صفراءها ويتأثر البنكرياس فيصب عصارته من تلقاء نفسيهما ، ولا يعقل أن تحدث تلك الخلاصة اللبفية بمحض انصباب تلك العصارات علي المواد الغذائية ولا أن تنتقل الي الوريد تحت الترقوة بذاتها وتنصب الي الرئتين بدون أن يدير هذا العمل عقل أرقي من العقل البشري، ولا أن يحصل والانسان غافل عنه . فان كنتم أنتم تعقاونه فما ذلك الا لأنكم تعتبرون المعلول الذي يجب البحث عن علته علةً في نفسه . كأن تقولون ينفرز اللعاب لأن الغدة اللعابية تتأثر فتفرزه . وتغفلون عن ان تأثرها معلول لعلة يجب البحث عنها ، لا انه هو نفسه علة يُكتفى بها . وتعللون حركة المعدة وانفراز العصارات وأعمال الامعاء والأوردة والشرايين بتأثرها أيضاً ، مع ان تأثرها هذا معلول لا علة كما سبق . وهكذا تقفون مع المعلولات وتعدونها عللا أولية فجعلتم من هذا الحشو الرث مجموعاً ضخما سميتموه علماً فانقطعتم به عن أسرار الوجود وصار بينكم وبين الحقائق الكبرى حجابا كثيفا أقامه تعويدكم عقولكم القصور ، وأعينكم الهرب من النور

قلنا : هذا هو موقف العلم أمام الحوادث فما حيلتنا في ذلك ؟

فقال الاعرابي : العلم ؟ حاش لله أن يعمي العلم الي هذا الحد . انكم اقتصرتم علي قراءة مايكتبه الماديون الذين يدلسون على الناس بأنهم فهموا كل شيء ، ولكن أئمة العلم الحق يعترفون بأنهم لم يفهموا علة أى شيء . أنظروا الي ما كتبه الاستاذ الكبير شارل ريشيه مدرس الفزيولوجيا في جامعة الطب بباريز وصاحب مجلة العلم والعضو بمجمع علماء فرنسا . قال في مقدمة كتاب (الظواهر النفسية) للدكتور ماكسويل :

« اننا نعيش في وسط ظواهر تتوالي حولنا ولم نفهم سر واحدة منها فهما يليق بدرجتها . حتى ان أكثرها سذاجة لا تزال سراً من الاسرار المحتجبة عنا كل الاحتجاب . فما معني اتحاد الايدروجين بالاوكسوجين ؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معني هذا الاتحاد وهو يفضي الي ابطال خواص كل من الجسمين المتحدين وايجاد جسم ثالث مخالف للأولين كل المخالفة ...

« فالأولي بالعالم الصحيح أن يكون متواضعاً وجريئاً في آن واحد ، متواضعاً لأن علومنا ضئيلة ، وجريئاً لأن مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه

« فالويل للعلماء الذين يظنون بأن كتاب الطبيعة قد أقفل وانه لا يوجد شيء جديد يحسن تفهيمه للانسان الضعيف » انتهى

هذا ولو شئت أن آتيكم بألوف من هذه الأقاويل لاستطعت .

ثم أقبل علينا بوجه الوضاء ، وقال خذوها عني في هذه الصحراء :

ان هذا العقل المادى الذى نهتـدي به في هذا الطور من الحيـاة ليس الا بصيصاً من النور المستكن في قوانا المعنوية اتصل بالعالم الخارجي من كوى هذه الحواس الخمس ووقف عند حدها من القصور مضطراً بحكم الصورة الجسمانية . وليس هذا بمحاكاة لفلسفة افلاطون أو أحد الاقدمين ولكنه نتيجة تجارب عملية عملت في مدى أكثر من مئة سنة وأنتم عنها لاهون بهذه الفضلة من العلم الطبيعي الناقص ، ذاهبين مذهب المفتونين من أهل القرن الثامن عشر الذين كانوا يعتقدون انهم وصلوا الى أقصى غايات العلم وهم لم يجاوزوا قشور بعض مسائله الأولية . فان جمدتم على ما أنتم عليه فليس هذا بحاط من قيمة الحقيقة ولكنه حاطّ من قيمتكم ، وعائد بالشر على من يقع تحت تأثيركم من نابتة بلادكم

فالعلم الطبيعى وما ارتكز عليـه من الآراء والافتراضات ، وما أدي اليه من الاستكشافات والمخترعات ، لم يَعْدُ مجال النسب والعلاقات بين الكائنـات ، ولم يتخط دائرة القشور والسطحيات ، وهذا العلم نفسه يعترف بذلك ويقرره وهو جهـة قوته وسطوته ، وسبب كبير من أسباب دولته ، ولم يقل أهل البصر ان العـلم الطبيعى محكوم عليه بالوقوف عند هذا الحد بل قالوا نتربص به حتى تتهيأ له الوسائل ، وتتوافر الوسائط لاختراق هذه القشور الى اللباب ، ولكن الآخذين عن هؤلاء الأقطاب خيل لهم ان الآراء والافتراضات ، مقررات لا يتطاول اليها التبديل ، ولا يعتريها التحويل ، فخلطوا بينها وبين العلم نفسه ، وأخذوا يحاربون بها كل جـديد وان كان جاءهم قائماً على أصـل العلم من المشاهـدة والتجربة ، ولم يفطنوا الي عملهم المخجل من نصرة الافتراضات التى أدى اليها الاضطرار ، على المستكشفات التى أوصل اليها الحس والاختبار فأصبح موقفهم كموقف متحمسة الاديان الباطلة ينتصرون للخيالات على المحسوسات

الانسان اليوم رغماً عن كل هذه الفتن العقلية والحوائل الفلسفية والمادية

الي أول الالباب ، بعد ما أنكره القاصرون أحقابا بعد أحقاب ، فثبت أن للوجود المادي عقلا يديره من وراء حجاب ، فلا نسيان ولا ترك خلف هذا الاضطراب ، وثبت أيضاً أن هذه الظواهر الحيوية ، والظواهر المادية ، تنتهي بالتحليل الي قوة أولية ، فالعين ترى مرئيات ، والسمع يسمع أصواتاً ، والذوق يذوق مطعومات ، والاحساس يحس ماديات ، والأنف تدرك رائحة ، ثم ترتقي العقل بكل هذا الي معلومات يوسعها شرحا وتفصيلا ، ويتناولها أخيراً تحليلا ، والنتيجة أنها كلها مراتب الوجود مطلق [illegible] تعمل فيه قوى لها آثارها لا تحصى ، فكل من المدارك المختلفة اذا تنازعت وتقابلت الحواس مواقع تجانسها ، فما يدركه الانسان بسوا أصل تتفرع [illegible] في الوجود ، فما يدركه كان أرقى منه مدارك بحواس أكبر صرفا او [illegible]

قال الوجدان : فلما انتهى ذلك الرائي بقلوب واعية ، وأبصار [illegible] شاخصة اليه ، ونحن سكوت كأن على رؤوسنا الطير ، وجد حالته الاولى حتى بلغ [illegible] استأنف الكلام شهدنا منظراً ما كنا نتمنى أن نرى مثله في حياتنا ، ولو كنا أخبرنا به لرمينا قائله بالجنون . ذلك ان الشيخ أخذ جسمه يشف رويداً رويداً حتى استحال الي مايشبه النور وليس به ، ولم يجسر احدنا أن يسأله ولا أن يتحرك الا شيئا يسيراً فكان ماقاله وهو في دور الاستحالة :

فاياكم يا بني والخبط في المدركات ، والخلط في مراتب الموجودات ، واعلموا ان الوجود في حقيقته غير ماتصوره لكم حواسكم ، وقواه أكبر من أن تحيط عقولكم بها ، فأخسر الناس من جعل عقله عقالا يحبس نفسه في عقدة اغلالا ، وقفلا اقفالا ، فتروا النور تبصروه ، وتطلبوا الحق تجدوه . وبعد فأنا الا الباحثين المخلصين ، وعادي الاثمين المستبدين ، سأتولاكم كلما امتنع علي مزلة . والسلام عليكم ورحمة الله

قال الوجدان : فما انتهى الي هذا المقطع حتى تقبض شبحه الا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى استحال الي عقاب أشهب ينقض وطار ونحن ننظر اليه . فجلسنا ساعة نعجب من أحوال الوجود فنعود ؟!


Bibliotheca Alexandrina
03833290



تأليف

محمد فريد وجدي

الوجدانيات

هي مقالات خيالية
الغرض من نشرها تصوير مثل
عليا للحياة الفاضلة وإمداد
النفوس بالقوى الأدبية
الضرورية لها. وقد اخترنا
هذا الأسلوب لمواعظنا لأنه
أفعل في النفوس من سواه

الوجدانيات

الأمم لا يستقيم أمرها إلا
بشكائم أدبية تتنزل من
عقولها وتتحكم في أهوائها.
وقد أثبت العلم أن الأخلاق
كانت دائماً السبب الرئيسي
لكل انحلال طرأ على المدنيات العالية

(طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين)
سنة ١٣٤٦ - الموافقة لسنة ١٩٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

كنا ننشر منذ سنين مقامات ادبية تحت اسم (الوجديات) نضمنها حكما خلقيه، وآدابا اجتماعية، واصولا فلسفية. وكنا نصور فيها مثلا عليا للحياة الفاضلة، ونرسم حدوداً مقررة للمدنية الكاملة، فكانت تصادف من القراء اقبالا عظيما، وكانوا يستحثوننا على ان نزيدهم منها، ولكن اعمالنا العلمية الاخرى كانت كثيراً ما تحول بيننا وبين التفرغ لها. فكانت تمضي فترة بين الطائفة منها والاخرى، او بين الواحدة وتاليتها. ثم طرأ علينا من الاعمال العلمية ماقطعنا عنها. ولما يئس القراء من وشك عودنا اليها كانوا يرجوننا فى طبع ما صدر منها، وجمله بين دفتي كتاب واحد، واشتدوا علينا فى هذا الطلب، وما زالوا بنا حتي وفقنا الله لجمعها وطبعها في هذا الكتاب الذى نقدمه لحضراتهم اليوم

لسنا أول من اخترع هذا النوع من الادب، فقد سبقنا اليه فطاحل كتاب العربية الاقدمين بديع الزمان الهمذاني، وأبي القاسم الحريري، وجارالله الزمخشرى وجلال الدين السيوطي وغيرهم. ثم تلاتلوهم في العصر الحديث الشيخ ناصيف اليازجي اللغوي المشهور بسورية. فرأينا أن نحتذي شاكلتهم، ونترسم خطواتهم، بوضع مقامات أدبية ترمى لاغراض تعليمية، وزدنا عن متقدمينا بأن جعلنا الصبغة الفلسفية فيها متغلبة على سواها، حرصا منا على الغرض الرئيسي الذى حدانا لنشرها. ومع هذا فلم نغفل الناحية الادبية منها، فقد تخيرنا لبسط الآراء الفلسفية، والمنازعات الاعتقادية من التعبير ما كنا لا نتكلفه لودعينا لبسطها فى المعرض العادى لبسط أمثالها، وما ذلك الا لتسهل قراءتها، ويسوغ تكرارها

وقد عنينا بضبط بعض الالفاظ الغريبة وشرحها في أذيال الصحف التي تقع فيها، فلم نعشد بذلك رغبة القارئين، وكنا نود لو توسعنا فى هذا الشرح اللغوي لولا ان ذلك يخرج هذه المجموعة عن حدودها، ويجعلها بالكتب المدرسية اشبه. على ان ما أغفلناه لا يغيب عن علم القارئين في الجملة

وبعد فاننا بنشر هذه المقامات نرمى كما قلنا في الصفحة الاولي من غلافها الى
« تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة ، والى امداد النفوس بالقوى الادبية الضرورية »
« لها . وقد اخترنا هذا الاسلوب لمواعظنا لأنه أفعل في النفوس من سواه . »
« فان الامم لا يستقيم أمرها الا بشكائم أدبية تتنزل من عقولها ، وتتحكم في »
« أهوائها . وقد أثبت العلم ان الاباحة كانت دائما السبب الرئيسي لكل انحلال »
« طرأ علي المدنيات القائمة »

فالله نرجو ان يبلغ عملنا هذا من النفوس المدى الذى نرجوه ، انه ولي الهداية ،
ومنه الكفاية . محمد فريد وجدى

الوجدية الاولى

قال الوجدان :

دعتني الى الاسكندرية حاجة ، لبثت لها فيها أياماً ، ثم أزمعت الاَوبة (١) فتخيرت حُجرة خالية في القطار المسافر منها صبيحة يوم ، فجلست فيها ورجوت ان لا يزاحمني مزاحم ، لأخلو فيها وكتابا يهمني ان آتي عليه في يومي ذلك. مطالب بعيد المنال في القُطُر التي تتراوح بين العاصمتين . فبينما انا مترقب رنة الجرس المؤذن بالمسير (٢) ولم يبق من وقتها الا عشر ثوان، واذا بصوت اقدام فى دهليز المركبة، فمنّيت نفسي ان يكون قصدهم الي حجرة غير التي انا بها، ولكن خاب ظني اذ طُرق عليّ الباب طرقتين خفيفتين، فقلت ادخلوا، فانفرج عن اربعة من اصحاب القُبعات، فأشاروا محيين وجلسوا. فآنست من لهجتهم انهم من الفرنسيين، وما كادوا يستقرون حتي قُرع الجرس وصفر الوابور ، ثم انساب ينهب الارض نهبا ، ويباري الهواء وثبا (٣) فأخذت ارقب حركات الجماعة ، لأتخذ لنفسي حالا يناسب المقام، فرأيت انهم عولوا على مطالعة الصحف ، وساد فى الحجرة السكون، إلا فترات كان بعضهم يلفت بعضا فيها لخبر، او لعبرة من العبر، فأكببت على كتابي اطالعه، منتهزاً هذه الفرصة السانحة، وقد استوعبت طلاوة الموضوع شعوري كله ، فلم ينبهني الي ما حولى الا وقوف القطار علي مدينة دمنهور ، وتصايحُ الحمالين، وفي ايديهم عِياب المسافرين ينقلونها الى المركبات (٤) ونداءُ الباعة بالفاكهة والاطعمة، وما هى الا دقيقة حتي وَغَل علينا رجل (٥) وما كاد يضع حقيبته علي الرف حتي تلاه ثان، وكان الاثنان من الفرنجة (٦) الا ان الاخير كان معروفا لدي الاربعة الاولين ، فأجملوا تحيته ،

---

(١) أزمع الامرَ وأزمع علي الامر أجمع عليه وثبت (٢) الحجرة الغرفة. والقطر بضمتين جمع قطار. والمؤذن المعلم وزنا ومعني (٣) انساب الرجل مشي مسرعا (٤) العيبة ما يجعل فيه الثياب جمعها عِياب (٥) وغل يغِل دخل (٦) الفرنجة الفرنج

وأحسنوا تكرمته، وقام بنا القطار والحجرة على كظتها (١) فقلت في نفسي لا باس من ذلك اذا لزموا الصمت على طريقتهم الاولى ، غير ان الجماعة كانوا اقدأنوا على مافى صحفهم وعولوا على تجاذب اطراف الكلام ، فقال احدهم للصديق الراكب من دمنهور :

الي اى بلد تقصد ايها الصديق ؟

فأجابه : الى القاهرة في هذه الدفعة

فقال له الاول : اشكر لك مالفتني اليه من البحث المنشور في مجلة (المدنيه)، فما اصدق تصويره للحالة الاجتماعية ، وما ادق اسلوبه فى بسط المعلولات والعلل، هذا الي الاستقلال في الرأي ، والبلاغة فى التعبير، والقوة في الادلاء بالحجة (٢)

فقال واحد من الجماعة : اى بحث تعني ؟

فأجابه : هو بحث ممتع تحت عنوان (أزمة الاخلاق فى المدنية الحاضرة) ذهب فيه الي ان التمد الفلسفى بتوسعه فى التقصي عن العلل الاولية، والبسيكولوجيا بتعمقها في تحليل العوامل النفسية (٣)، واصطباغ الاثنين بالصبغة المادية ، قد اضاعا على الانسان الاصل الذى تقوم عليه الاخلاق ، فأصبحت مدنية القرن العشرين، وهي احوج ماتكون الى منظم نفساني لاندفاعاتها الجنونية، أفقر مدنية من الوجهة الخلقية. ثم عرض الباحث ضروبا من العادات المستحدثة، وذهب الي انها مرتكزة على اصل الاباحة ، وأخذ ينقب عن مستقر هذه الاباحة فوجدها قائمة على انقاض الاصول الدينية والفلسفية التي هدمتها البسيكولوجيا الحديثة ولم تفلح في إعاضتها بسواها مما هو ضرورى للوجود الانساني من الوجهة الادبية

فقال له ذلك السائل : لقد ضاق صدري من هؤلاء المتنطعة من رجال الكلام (٤) انهم برعوا في صناعتي الجدل والتحليل ، وبلغوا من التأنق فيهما حداً أخرجهم عن

---

(١) الكظة اصلها التخمة وهنا بمعنى الامتلاء (٢) ادلي بالحجة أتي بها واحتج بها (٣) التقصي بلوغ الغاية فى البحث . والبسيكولوجيا علم النفس (٤) تنطع في الكلام تعمق فيه. والمتنطعة المتعمقون

دائرة الواقع الي عالم الخيال . ان الحياة الانسانية، وما تقتضيه من احوال وانقلابات تابعة للنظام الآلي للطبيعة العامة . فهي تتطور علي مقتضي عوامل لا يحصي لها عدد، وهي في كل طور من اطوارها لا تكون الا مطابقة لاحوال البيئة التي تنشأ فيها، ولكل ما يحيط بها من الشؤون مطابقة النتيجة المقدمة، بل مطابقة الظاهرة الطبيعية للبيئه التي تتولد فيها ، فما معني تطفل الفلسفة علي نقد هذه السلسلة المتصلة الحلقات، من العلل والمعلولات ؟ وما مبلغ تأثير الكلام فى اطوارهذا النشوء الطبيعى الآلي؟ ان الفلسفة تترجم هذه الاطوار بلغتها ، وتسميها بأسماء وضعتها لها، فترتبها ترتيباً منطقياً علي موجب اصول قررتها هي لا الطبيعة نفسها، ثم تأخذ في التحكم فيها مضيعة وقتها فى البحث فيما يجب وما لا يجب، ولا تدرى انها بعملها ذلك تمثل دور من يتحكم بالكلام علي هبوب الرياح ومجيء سرعتها علي مقتضي الاحوال. هذا رأيي يا مسيو (إدوار) . والتفت الي مهدى مجلة المدنية الى احد الاربعة

فأجابه المسيو إدوار : ان رأيي فيما قلته انك وقعت فيما تعيب غيرك عليه يا مسيو (لوجران)

فقال المسيو لوجران : وكيف ذلك ؟

فقال المسيو إدوار : انك تعيب علي الفلسفة ترجمتها اطوار النشوءات الطبيعية بلغاتها ، وتسميتها ادوارها بأسماء وضعتها ، وترتيبها لها علي مقتضي اصول قررتها هى لا الطبيعة نفسها ، ثم أخذها في التحكم فيها الخ، ولم تفعل انت اوالمذهب الذي تترجم عنه هذه الآراء غير ذلك. فذكرت نظاماً آلياً عاماً ونشوءاً أو تطوراً ومطابقة الى غير ذلك ، وهي ألفاظ وضعت لترجمة الحوادث بلغة خاصة كلغة الفلسفة التي تحط من كرامتها

فقال المسيو لوجران : اذن بأي لهجة تريدان ينفصل المتكلم بين الحق والباطل، وبين الخيال والواقع ؟

فأجاب المسيو ادوار : التفرقة تكون بذكر الحقائق المسلمة ، لا بسرد القضايا المتنازع فيها ، حتي لا تكون كمن يطفيء النار بالنار

فقال المسيو لوجران : أو لم أفعل ؟

فقال المسيو ادوار : انك اعتمدت في دحضك للفلسفة علي النظام الآلي للطبيعة، وهو ليس من المسلمات المجمع عليها ، بل هي كلمة وضعتها الفلسفة المادية لاتزال محلا للنزاع بين الباحثين ، بل أصبحت بما أصيبت به من التجريح من الكلمات السقيمة.

جاء في دائرة المعارف الكبري الفرنسية صفحة ٨٤٦ من المجلد السابع والعشرين، وهي أحدث وأرقى دائرة معارف في العالم :

« ان الوجود الذى أوجده الله ليس بآلة ساذجة كما تحاول ان تقنع به الناس تلك المقارنات الطائشة »

فاذا كان هذا مبلغ الحكم على الاصل الذي تدلي به، فكيف تريد أن تعتمد عليه فى اصدار حكم قاطع على الفلسفة ؟

فقال المسيو لوجران : اذا كان كل أمر متنازع فيه لا يصح الاعتماد عليه في الادلاء بحجة ، فلا يكون للانسان طريق يتوصل به الى ادراك الحقيقة

فقال المسيو ادوار : الحقيقة ياسيدي لاتزال بعيدة عن الانسان، وهي من الجلالة بحيث لايدركها عقلنا القاصر بوسائله الحالية. أما طريقها فهو الاعتراف بهذا العجز، وعدم الجمود على مذهب من المذاهب ، أليس كذلك يامسيو (أوسكار)؟ وأشار الي واحد آخر من الاربعة

فقال المسيو أوسكار . انكم كنتم في مجال الناموس الأدبي والاباحة، فما الذي نقلكم الى هذه الميادين الوعر التي احترقت فيها رؤوس الملايين من رجال العلم تفكراً وتاملا ؟

قال الوجران : فتضاحك الجميع ، الا واحداً وهو الذى دخل بعد المسيو ادوار في دمنهور ، وكان شابا في نحو الخامسة والثلاثين حسنَ البِزّة(١) جليلَ المنظر، تشير قبعته الطويلة الي انه إما من الاعيان او من رجال المال. فتقدم للجماعة بوجه باش وأدب عال ، وقال :

أتسمحون لي ان افضي الي المسيو لوجران بكلمة فى هذا الباب ؟

---

(١) البزة بكسر فتشديد الثياب والهيئة

فصاح به الجماعة وهم يتضاحكون ، دونك واياه فقد استمصت علينا ماديته، ولو كنا نقول بالتناسخ لقلنا انه قد تقمصت في جسده روح (جيبيل) او (فوغت) من أراكين المادية في القرن التاسع عشر

فالتفت ذلك الرجل للجماعة وقال لهم : أبدأ بتقديم نفسي اليكم، وناولهم بطاقة، فقرأها المسيو ادوار واذا فيها : الكونت أمبرتوديل سانتا نيللي من لومبارديا بايطاليا

فحني له الحاضرون رؤسهم على عادتهم . ثم التفت الى المسيو (لوجران) وقال له بعبارات جمعت آيات الأناقة ، واستكملت شروط اللَباقة (١)

هنيك أصبت يامسيو (لوجران) في قولك ان الطبيعة مقودة بنظام آلي صارم، الا انك غفلت عن امر جلل ، وهو ان الانسان بما نشأ فيه من القوي العقلية، وبما فتحته له تلك القوى من الباحات المعنوية ، وبما دفعته اليه عاطفة التكمل من المرامى القصية، وجد نفسه مضطراً لان (يثور) على هذا النظام الجامد، وان (يتمرد) على مقتضياته. ولو تأملت فى اطوار عروجه من حالته الساذَجة، الي ماوصل اليه فى مدي الوف من القرون ، لرأيتها سلسلة ثورات متتالية عليه ، حاول بها ان يوجد لنفسه عالماً معنويا مستقلا يسود فيه نظام عقلي مرن ، قابل لان يتماشي معه في ترقيه الي الغايات البعيدة ، التي يصورها له عقله ، وتمثلها عواطفه ، المتولدة من ذلك العقل نفسه

ولوكان الانسان استسلم الى هذا النظام الآلى من يوم وجوده ، وقنع بسد حاجاته المادية المحدودة ، لما ارتقي من الوجهة الادبية عن القردة، ولايخفى ان سد هذه الحاجات ، كان ميسوراً له على أدني الحالات، فليس وجوده الشخصي والنوعي على الحالة الملائمة للطبيعة بمتوقف على ترقيه من الوجهة المعنوية الي الحد الذى هو عليه اليوم ، فان في العالم طوائف انسانية لاتزال من يوم وجودها على حالة من التوحش لاتفترق بها عن القردة الا في اشياء اقتضاها تفوقها عليها في تركيبها الجثماني ، ولم يمنعها وقوفها في تلك الدرجة المنحطة عن البقاء الي هذا اليوم

ولكن الطوائف التي تأثرت بعاطفة (الثورة) على الطبيعة من هذا النوع، لم تقف

(١) الاناقة الحسن . واللباقة بفتح اللام الحذق

عند حد من ترقيها ، وقد بلغت بفضل (تمردها) على هذا النظام الظاهري ما بلغته من الوجهتين الصورية والمعنوية

فالانسان الراقي معارج التكمل (كائن ثائر) على الطبيعة، وهو كلما اشتد في ثورته عليها ، ونال قسطا أكبر من حكومته الذاتية ، قرب من استقلاله التام الخالص من الشوائب ،فاذا بلغه حاول ان يخضع هذا النظام الآلي لارادته، وقد أفلح الى اليوم، ولم يبلغ تلك الدرجة المرجوة له من الاستقلال، فى ان يخضع بعض نواميسه لاختياره

وانا اشرح لكم ادورا من هذه الثورة الانسانية على الطبيعة ، وأبين وجوه استفادة الانسان منها لترقية ذاته ، فاصغوا الي ان شئتم

الطبيعة دفعت الانسان الي التغذى على نظامها الآلي، فكان يجزئه ان يعمد الي الافتراس، ويرتع في أشلاء الحيوانات التي تقع تحت يده ، ويلغ فى دمائها كما فعل فى اول امره (١) ولكنه ثار على ذلك فأوجد النار ، فلطف من هذه الوحشية بستر ظاهرها عن عينه، ثم مازال يترقى فى هذه الثورة، حتى تأدي الى الانفة من الافتراس نفسه ، وأخذ يتجه نحو الاكتفاء بالنباتات، وقد جري فى هذا الميدان شوطاً بعيداً متأثراً بروح الثورة ؟ ففتح عليه من جهتها بأسرار صحية لا تقف قيمتها عند حد

والطبيعة الآلية دفعت الانسان لحفظ نوعه ، وكان يجزئه من ذلك مايجزىء القردة او الزواحف ، او مايجزيء طوائفه الدنيا، من العدوان على كل أنثي تصادفه، والفتك بكل من يزاحمه عليها ، ولكنه ثار علي هذا الدافع الحيواني فأخذ يلطفه، ووضع لذلك قيوداً وشكائم ، حتي ساوي المرأة بنفسه ، وأوجد لميوله من هذه الوجهة آدابا كلفها ذاته، حباً في ان يكون لها وجود أمعنويا مستقلا عن الوجود الساذج المحيط به

والطبيعة الآلية تدفعه لمزاحمة امثاله ، وتحبب اليه الاتيان علي ما في ايديهم ليغني بافقارهم ، ويقوي باضعافهم ، ويَنعَم بالوجود بافنائهم، ولكنه ثار علي هذا الباعث

---

(١) يجزئه يكفيه والاشلاء جمع شلو بفتح الشين وسكون اللام أى عضو . ويلغ من ولغ الكلب في الاناء يلغ بكسر اللام اى شرب منه

الآلي الحيواني فاحدث آدابا عامة اخذ نفسه بها ، فلطف اولا من خشونة هذا التناحر ، ثم ختم تورثه هذه بالثورة علي اصل العدوان نفسه ، وهو يعمل اليوم لوضع نظام عام لاعطاء كل ذي حق حقه من افراده بغير اللجأ الي القوة الغاشمة

والطبيعة الآلية لا تعلق وجوده الشخصي والنوعي علي ادراكه حقيقة الوجود ، ولا علي استكناهه للقوي الخفية المحجوبة عنه ، ولكنه ثار علي هذه الجهالة فأوجد لنفسه الديانات والفلسفات ، واخذ نفسه في سبيلها بآداب عالية ، حرم بها علي ذاته كثيراً مما تدعو اليه طبيعته المادية بقوة عنيفة

يرمي الانسان بثوراته هذه علي النظام الآلي الى تكوين وجود معنوى يكون فيه بمعزل عن هذه الرُبط الفولاذية ، او علي الاقل يخفف من وطأتها علي وجوده ، بحيث لا تصده عن كماله الأعلي الذي يمثله لنفسه ويتهالك علي تحقيقه بكليته . فهل يليق بانسان ، بعد ان يعلم تاريخ ثوراته هذه علي النظام الآلي ، ودركته من الوجود اذا خضع له ، ان يتبجح بسيادته ، وان يدعو اخوانه للدخول في طاعته ؟

ان الانسان لم ينل ما ناله من الغَلَب علي هذا النظام الحديدى ، الا بفضل القيود والرُبط التي حمّلها للم متفرقه ، وتوحيد وجهته ، فماذا يكون شأنه لو حل تلك القيود ، وفصَم عُرَى تلك الرُبط ، ومنّي نفسه بأن يَنعَم بحالة فوضوية تحت سلطان ذلك النظام المقيد ، لاشك في انه يعود الي حالته البهيمية الاولي ، ويقع من أسر الطبيعة في حمأة تفضله فيها الفردة الهامجة فى ودياتها المزعجة (١)

فالفلسفة اليوم حيال ما يبيحه الانسان لنفسه فى عهده الاخير من الملاذ والشهوات والفوضي الخلقية ، تري ان معني ذلك انه يلقي سلاحه ، ويُقلع عن الثورة ضد الطبيعة الآلية ، ويَضعُف عن متابعة جهاده في بناء ذلك الصرح المعنوى الكريم الذي هلكت فى اقامته الي هذا الحد ملايين من افراده لا يحصي لها عدد ، فهي من هذه الوجهة تَنعى عليه اصل (الاباحة) الذي يرمي الى نشره بعضُ أهل العَماية من آحاده (٢) . فلا

---

(١) الهامجة المتروك بعضها يموج فى بعض (٢) نعاه له ينعاه أخبره بموته . ونعي عليه ذنبه عابه عليه . والعماية الغواية واللجاج

تكرَهوا ان تقرأوا مايكتب في تسوى،هذه الاباحة مهما بولغ فيه،ولكن اكرهوا بل تشاءموا من كل مايكتب فى الدعوة اليها علي اى وجه كان

اقول علي اى وجه كان،لان من الاباحيين من يستتر بمظهر من علم الاخلاق، او يتقدم بوجه مستعار من وجوه الاصلاح الاجتماعي لدعوالي مذهبه، فاحذروا هؤلاء الضُلاّل ، وقابلوا كتاباتهم بما تستحقه من الاهمال (١)

قال الوجدان : فاه الكونت بهده الكلمات ببيان يأخذ بالألباب،وخلابة يقل لها الاعجاب(٢)، والسامعون ناظرون اليه باهتين،وبسحر بلاغته مأخوذين،وما كاد يتم ماتصدى له حتي وقف القطار علي طنطا،فنهض مستأذنا في الانصراف، قائلا انه سيرود بعض الارياف ، فشيعناه الي باب المركبة ، وعدنا لنتابع السير الى القاهرة ، وما كدت أجلس حتي أدركتني مثل ندامة الكسعي علي تركي هذا العقلَ الكبير يفلت مني دون ان اري من اى المناهل يمتح،وبأى الآفاق يسبح(٣) فنزلت من المحطة أهرول،فلمحته وسط الزحام يحاول الخروج من المحطة،فاندسست في الجمع ، وطفقت أشق لى طريقاً اليه حتي بلغته ، فأمهلته حتي انتهى الى الشارع، فحاذيته ثم التفت اليه،فرفع قبعته متبسما،فأقبلت عليه مسلما،ثم أخذت أظهر اعجابي بما رد به علي المسيو لوجران،وأهنئه بما أوتيه من البيان،وكان ذلك مني باللغة الفرنسية، وهي اللغة التي أدي بها كلمته الفلسفية

قال الوجدان : فنظر الى نظرة تأنيبية ، وقال ماذا جنت عليكم العربية ؟

فقلت : عفواً ظننت انك لاتدريها

فقال : حيا الله لغة العرب ، وأيد بهـا دولة الادب ، ما أعذَب مواردها ،

---

(١) الضلال بضم فتشديد جمع ضال (٢) الخلابة التأثير باللسان (٣) الكسعى رجل من العرب اتخذ له قوساً فشرع يجربها فرمي خمسة من حمر الوحش فرآها تصيب الحجارة وتقدح فيها النار. فظن أنها لم تصب مراميها، وكان الحال انها اصابت اهدافها واخترقتها وأصابت الصخور بعدها. فكسر قوسه تلك. فلما علم الحقيقة ندم غاية الندم فضرب به المثل . ويمتح من متح الماء نزعه من البئر

أكرّم فرائدها

قلت : لقد رأيت فيك فضلا نادرا ، فاحببت ان ألازمك ولو سحابة هذا النهار ، فهل تسمح بذلك ؟

قال : على الرُحب والسعة

ثم مشي ومشيت معه ، حتي انتهينا الى ُفنْدُق، فتبوأنا منه غرفة تطل على ميدان المحطة

فالتفت اليّ وقال : لقد سئمت الكلام وزخارفه، فليس وراءه طائل، ولو بلغت منه مكانة سحبان وائل ، وانما ُحببت اليّ العلوم الخفية، فهي مشرق الانوار العلوية، ومهبط الاسرار السماوية ، وقد علِقت منها بفرع ليس وراءه غاية

قلت : ألا تتحفني منه بآية ؟

قال : أنا بين يديك ، فأغمض باصرتيك

ففعلت

فقال : افتحها

قال الوجدان : ففتحتها فاذا بي في رواق من اجمل ما وقعت عليه العين، تتصل به أروقة أخري غاصة كلها بالاوربيين ، وهم جالسون كأن على رؤسهم الطير، منصتين الي خطيب على منبر بهو من أوسع وآنق ما رأيت، يحف به عدة مئتين من أمثاله ، جالسين على مقاعد كأنهم فى حلقة درس ، فعرتني خشيَة، كادت تتلوها غشيَة ، ولكني تجلدت ظناً انها ألعوبة سماوية، من صناعة الكونت الايطالي ، صديقي هذ اليوم ، فأخذت أجيل طرفى في ذلك المجمع الفخم ، واتعجب من جمال هذا البناء الضخم ، فعلمت من نقوشه انه مجلس النواب الفرنسي ، وعرفت ان ذلك الخطيب المصقع هو المسيو بريان يفضي الي نواب الامة بثمرة اعماله السياسية في مؤتمر لندن، والسامعون يقاطعونه بالتصفيق الحاد والهتاف المتكرر. كل هذا وانا ظان اني اشهد مشهدا خياليا ، لاوجودا حقيقيا، فحاولت ان ارى صديقي الكونت فأعياني أمره، فانتظرت وانتظرت حتي مضت ساعة، وأتم الخطيب خطبته، وأخذ الجمع يرفَضّ، فنزلت معهم، فاذا انا بباريس، أزحم فيها المارة ويزحموني، وأكلم الناس ويكلموني،

فساء ظني في هذه الحال ، ومضت ساعة اخري تحققت فيها اني بعاصمة فرنسا لا محالة،وان هذه المرائي ليست بألعوبة سماوية،ولكنها حقيقة مادية،فضاق صدري. وكاد ينالني ذهول من شدة وقع ماانا فيه ، ومما تستتبعه غيبتي عن اهلي،وانقطاع خبري عنهم،فلم ار افضل من تعريفهم عن مكاني بالتلغراف،وإخبارهم بأني قادم اليهم بأول باخرة . ولكن هل يصدقون ذلك وقد كنت ارسلت اليهم في اليوم السابق كتابا من الاسكندرية فيه تفصيلات شتي عن مهمتي التي انتقلت من اجلها الي ذلك الثغر ، لم أر وجهاً للتردد ، فهذا اخف عليهم من انقطاع خبرى عنهم، فركبت مركبة اوصلتني الي ادارة التلغرافات،وبينما انا ازاحم من فيها لأصل الي العامل،واذا بيد وضعت على كتفى ، فالتفت فاذا به صديقي الكونت ، فصحت به رحماك فقد اهلكتني

فقال : ماالذى هالك

قلت : اما ترى اين انا ؟

قال : فماذا كنت قائلا لو كنت قذفت بك الى احد الكواكب ؟

قلت: الكواكب؟

فضحك متعجبا من خور عزيمتي ، ثم قال اتبعني ، فتبعته حتي دخلنا الي حديقة عامة ، وهنالك فقدت زميلي فجأة ، وبينما انا التفت يمنة ويسرة،اذا به يناديني بين اغصان دوحة ، فرفعت ببصرى فاذا بصديقي البلبل

فصحت به : هو انت ؟

فقال : متي تكون رجلا ؟

قلت : اما الرجولة على مايفهم الناس ، فانا عند مايظنون ، ولكن هذا ....

فقال : هذا ماذا ؟

فقلت : هذا .... هذا ....

فقاطعني قائلا : أغمض عينيك

ففعلت . فاذا بي في فندق طنطا ، فخرجت منه عائدا الي القاهرة،متعجبا من هذه الآية الباهرة

الوجدية الثانية

قال الوجدان :

خرجت من داري صبيحة يوم قاصداً زيارة صديق لي آب من سفر، فسرت في شارع الدواوين ، حتي اذا حاذيت حارة السقائين ، ملت ذات اليمين، فبينما انا اخترق احد الازقة الموصلة الي داره، واذا بغلام لا يجاوز السابعة ، حافي القدمين، حاسر الرأس، وعليه اهدام انحلها البِلي (١) وهو يحثو التراب بكلتا يديه، ويذروه حواليه ، حتي غص الجو بالغبار، وارَبدَّت منه حوائط الديار (٢) فصحت به وقد غشي بصري القَتام ، كُفَّ ياغلام كفَّ ياغلام (٣). فوالله ما رفع بزجري رأسا، بل مضي في شأنه كأن في اذنيه وقرا . فلما حاذيته نظرت اليه مغضَباً، وقلت له أما تستحي ؟

فنظر اليَّ رابط الجاش ، وقال : ممن ؟

قلت : من المارة ومن ساكني هذه الدور

قال : كيف استحي ممن لا يستحيون مني ؟

قلت : ومِمَّ يستحيون منك ؟

قال : من اهمالي على هذه الحال متروكا وشأني ، محروما من مقومات الحياة العقلية والجسدية

قال الوجدان : فدَهِشت من سرعة جوابه ، واصابته وهو بهذه السن، وفي هذه الحال . فقلت له اين أبواك ؟

قال : هاهما ، واشار ذات اليمين وذات الشمال

---

(١) حاسر الرأس اى مكشوف الرأس. وأهدام جمع هِدْم وهو الثوب البالي. وأنحلها اي جعلها ناحلة. والبلي الخلوقة والقدم (٢) يحثو يغترف. ويذروه ينثره. واربدّ صار أربد اللون اي أغبر (٣) غشي حجب. والقتام التراب

فقلت : لم أر احدا

فقال : انما اشير الي الشارع والحارة

فقلت : أهما أبواك ؟ وضحكت

فقال : لم أر أحني منهما عليّ منذ كنت

قلت : انما اعني اباك الذي تسميت باسمه، وامك التي حملتك في بطنها، وغذتك بلبنها

قال : زعموا ان ابي هو الأوسطي دهشان الحوذي ، وان أمي هي حسنة امرأة عطية الفاعل

قلت : فلم تقول زعموا ألست تعتقد انهما أبواك ؟

قال لااعتقد ذلك لانهما اشد عليّ من كل احد. فأما الذي يقال عنه انه ابي فانه يضربني ضربا مبرّحا لأقل ما تلفقه له امرأته عني، وكانه في معاملتي يحمل عليّ سخيمة موروثة (٢)، فهو لا يحادثني ولا يلاطفني، واذا اتفق ان تلاقى بصره وبصري اسرع الى تقطيب حاجبيه، والتكشير عن نابيه، وكثيرا ما تصيّد سبباً لطردي من بين يديه (٣) هذا فضلا عن انه لا يُعني بأمر مأكلي ولا مبيتي ولا تربيتي، ولولا ان امرأته ترمي اليّ حُثالة ما تأكل لمت جوعا (٤)

اما التي يقال انها أمي فاني اذهب اليها في بيت زوجها كلما آلمني السغب (٥) فتضمني الى صدرها ، وتناولني اطيب ما عندها ، وقد تبكي من رثاثة أطماري (٦) فتأتي للملامة امرأة ابي فتقع بينهما معركة، ويجتمع حواليها الجيران، وقد يأتي الاب فيشترك في المعمعة، وتنتهي بذهاب الام الي بيتها وتركي لذينك الوحشين الضاريين، فلا يدخران وسعاً في إيلامي بحجة اني سبب هذه الفتنة. وانا لااري اية جريرة لي فيها. وكثيرا ما اتفق ان زوج امي يراني لديها فينحي عليها بالضرب الموجع فأهرب قبل ان انال من عطفها ما انا في حاجة اليه، ولو في كل شهر مرة (٧)

---

(١) احني بمعني أحنّ (٢) الضرب المبرح الشديد. والسخيمة هي الحقد (٣) قطب حاجبيه قرّب ما بينهما. والتكشير عن النابين كشفهما (٤) الحثالة فضلة المائدة او رديء الطعام (٥) السغب الجوع (٦) الاطمار جمع طِمر الثوب البالي (٧) فينحي عليها اى فيقبل عليها ويقصدها

فانا مضطر إزاء هذه الحال ان آوي الى ابويّ العطوفين الشارع والحارة، ولكني كلما رأيت انهما آهلان بدور وقصور، فيها اطفال من سني يمرحون مترّفين، ويلعبون ناعمين (١)، ويرسلون الى دور التعليم لتتثقف عقولهم، وتتوسع مداركهم (٢) وأراني شريدا طريداً يدفعني حائط ويتلقاني آخر، لااساوى في نظرهم كلابهم التي تتلاعب مرحة في اطواقها اللامعة بين ايديهم، احس بدبيب الحقد في نفسي عليهم وعلى آبائهم، فأنا احفظ في صدري لهم شرا يحفظه قلب مكلوم، لخصم غشوم (٣) فأقسمت بأن لا آلو جهداً في ازعاجهم، ولا أدّخر وسعاً في اقلاقهم (٤)

فقلت له: لم كل هذا، أتراهم جنوا عليك ما انت فيه؟

فقال الغلام: انا لاادري ذلك، ولكن هذا التفاوت بيني وبين اولادهم، يؤلمني إيلاماً لاأستطيع وصفه، ويحملني على الحقد عليهم، والكراهة لهم، وسيرون مني شر مايري القرن من مناوئه، لاافتر عنهم ماحييت

قلت: وماذا تنوي ان تفعله في ضروب انتقامك منهم؟

قال: سيكون ذلك على قدر وسعي في كل دور من ادوار حياتي، فقد كنت وانا ضعيف آتي فأحدث امام ابوابهم، وألطّخ بالطين جدران دورهم، وارجم بالاحجار نوافذهم (٥). واليوم ازيد على ذلك اثارة الغبار عليهم، والصراخ بأقصي صوتي حواليهم. ومتي كبرت زدت على ذلك ضرب اولادهم، وسرقة كلابهم وقططهم، والتسلل الى افنيتهم، واختطاف ماتصل اليه يدى من اثاثهم وآنيتهم، فاذا ازددت قوة وصلابة ترنمت بأفحش الالفاظ تحت نوافذهم، وتجرّمت على خدامهم متذرعا الي ضربهم، وافترصت الفرص لتسلق حيطانهم لسرقة اموالهم، الى ماالية مما تلهمنيه الحال متي بلغت مبلغ الرجال

قلت: بئس ماتحدث به نفسك ايها الغلام

---

(١) مترفين اى منعمين، وناعمين اى متنعمين (٢) لتتثقف اى لتتعدل (٣) مكلوم اي مجروح. وغشوم اي ظالم (٤) لاآلو اى لااقصر (٥) تجرمت عليهم الجرم ولم يجرموا. ومتذرعا اى متوسلا. وافترص الفرصة انتهزها

فقال ضع نفسك مكاني فكن طفلا حاسر الرأس تحت الشمس، حافى القدمين فوق الرمضاء(١)، ليس لك مما يقي جسدك الا اسمال بالية، لا تمنع من لفح هجير، ولا تحمى من نفح زمهرير، وانت مع ذلك سغبا لا تنال الكسرة الا بشق النفس(٢) وتري بعينيك الحلوى والفاكهة تعرض في الطرقات فيرتع فيها اولاد الاغنياء دونك، قلت كن كذلك ثم خبرني عما يجيش في صدرك من الاحقاد والسخائم على مجتمع لم تجن عليه غير أنك تعد من آحاده؟

قال الوجدان : فوالله لقد ادهشني هذا الغلام بذرابة لسانه، وقوة بيانه(٣) حتي انساني ما خرجت من بيتي من اجله، ولم اشأ ان ادعه حتي اصل معه الي حد ارضى به، فقلت له :

من الذى نفث في روعك هذه الحمم من السخائم، وما الذي يسوغ لك التحفز لارتكاب هذه الجرائم؟ (٤)

قال : نفثتها في رُوعي طبيعة الحال الذي انا فيه، وهى نفسها التي تسوّغ لى ارتكاب كل ما يمكن تخيله من الجنايات والمخازى

قلت : انك تكلمني بلسان رجل عاقل، لا بلسان غلام جاهل، فمن أين لك هذه الألمعية، فى هذه السن الطفلية، والحالة الشقية؟

قال : انا لا افرق بين علم وجهل، ولقد اجبتك علي ما سألت، فان رأيت في اجابتي ما تسميه عقلا، وفي حالتي ما لا يعطيه، وكان ذلك في نظرك يحتاج لتعليل، فتول انت حل هذا الرمز، اما انا فلم اقوَ بعدُ على التفكر في هذه المسائل

قال الوجدان : فصمتّ حائرا في امره برهة، ثم قلت له : ياغلام، يلوح لي ان الله قد منحك عقلا فطريا رفعك عن المستوي المعهود في امثالك، واري انك لو جمعت الي هذا العقل المطبوع، زيادة العلم المسموع، لنشأت احدي العجائب، ولأتيت بالغرائب

---

(١) الرمضاء الارض الحامية من شدة الحر. (٢) الاسمال جمع سَمَل وهو الثوب الخلق. والهجير شدة حر النهار، ولفحه احراق الوجه. والزمهرير شدة البرد. ونفحه اي هبوبه البارد (٣) ذرابة اللسان حدته (٤) روع قلبك. والحمم كل ما احترق من النار

قال : إى والله ياعم ، واني لأخشي ان لا ينفعني هذا العقل المطبوع، ان لم يؤازره العقل المسموع ، كما قال الشاعر الحكيم :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع
كما لا تنفع العين ونور الشمس ممنوع

قال الوجدان : فكدت ألفت في الطريق نظر المارة من الهزة التي اعترتني عند سماع هذا الطفل ينشد هذه الابيات بألفاظ مقوّمة ، وعربية بينة ، فقلت له :

ماهذا الشعر ، اين حفظته ، ومن الذي درّبك على النطق به كأحسن ما ينطق به شاعر معرِق ؟ (١)

قال : سمعت بعضهم يقرأة فى كتاب فحفظته

قلت : أحفظته من سماعه مرة واحدة ؟

قال : اوَيحتاج الانسان في حفظ شيء الي سماعه مرتين ؟

قلت أصغ الىّ، وانشدته سبعة ابيات مما احفظه من شعر أبي الطيب المتنبي وهي :

اجاب دمعى وما الداعي سوي طلل دعا فلباه قبل الركب والابل (٢)
ظللت بين أصيحابي أكفكفه وظل يسفح بين العذر والعذل (٣)
اشكو النوي ولهم من عبرتي عجب كذاك كنت وما اشكو سوي الكلل (٤)
وما صبابة مشتاق على امل من اللقاء كمشتاق بلا امل
متي تزر قوم من تهوي زيارتها لا يتحفوك بغير البيض والاسل (٥)
والهجر اقتل لي مما اراقبه انا الغريق فما خوفي من البلل

وسألته ان يعيدها علىّ، فوالله ما تاتأ ولا تمتم ، بل اندفع ينشدها بلسان طليق،

---

(١) معرق اى اصيل (٢) الطلل أثر الدار (٣) اكفكفه اي امسحه. ويسفح اى ينهمر (٤) النوي البعد. والعَبرة الدمع. والكلل جمع كِلة وهي ستر رقيق اي انه الآن يبكى من بعدهم وقد كان يبكى وليس بينه وبينهم الا ستر رقيق (٥) البيض السيوف . والأسل الرماح

وترنم عذب ، حتي اتي عليها (١) فازددت عجبا من قوة حافظته ، وقلت له يا غلام : إن لك خصائص نادرة ، لا تصح إضاعتها ، فسأتولى انا شأنك فأدخلك الى ملجأ تتربي فيه ، وسأزورك حينا بعد حين ، فأرى ماذا يكون من امرك ، فلا تعود بعدها حاقداً على المجتمع الذى اهملك ، وسأذيع حكايتك هذه حتي يتنبه الناس الى امثالك فلا يضيعوهم سدى ، ولا يربوا بين ظهرانيهم منهم اشدى العدي ، فهلم معى من فورك الى بيتي لأتحفك ببعض الملابس ، ثم اذهب بك الي الملجأ ، فقل لي اين يشتغل ابوك حتي اقفه على ما فعلتُ معك ؟

قال : شكراً لك فخذني اولا الي بيتك حتي اذا كسوتني واطعمتني ، اريتك مكان ابي

قلت : اتبعني ، ثم سرت وسار خلفى مترسما خطواتي ، حتي انتهيت الي داري فدخلتها ، وهمّ الغلام بالدخول معى فزجره البواب ، فأشرت اليه بأن يدعه ، فدخل ، فأجلسته على كرسي بمكتبي ، قائلا له لا تبرح هذا المكان حتي آتيك ببعض الملابس ، وصعدت فجمعت له ما تسني ثم عدت اليه ، لأسره اولا برؤية ما اعددته له ، ثم اوعزت الي بعض الخدم بغسل جسمه وإلباسه ، فألفيته ممسكا بيده كتاب (دورة المادة) للمادي الالماني المشهور (موخلوت) وكان علي مكتب بجانبه

فلما اقبلت اليه ، نظر الي متبسما وقال : ماذا يفعل هذا هنا ، واشار الي الكتاب ،

قلت : مالك ولهذا ؟ ولمَ تشير الي هذا الكتاب دون غيره مما هو علي المكتب ، وصحت ياصالح خذ هذا الغلام فأعنه علي الاغتسال وألبسه هذه الملابس ، واطلب له غذاء ، ودعه عندك حتي اطلبه

فقال الخادم : سمعاً وطاعة ، واقبل الي الغلام فأمسك بيده وقال له هلم معى فجذب الغلام منه يده ، وقال والله لا افعل حتي يخبرني سيدك عن الاثر الذي تركه فى نفسه ذلك الكتاب ، وهل هو يري رأي موخلوت ومن حذا حذوه من ماديي القرن التاسع عشر ، في أبدية المادة وأزليتها ، ام رأى المحدثين في ان الجوهر الفرد مكون من إلكترونات يدور بعضها حول بعض كما تدور الكواكب حول

(١) ا أنا أتردد في التاء فى كلامه . وتمتم تردد في التاء والميم

الشمس وانها ليست بشيء غير كهرباء اسرعت حركتها في الاثير حتي ظهرت ملموسة ، ام رأى من يقول انها روح متجسدة

قال الوجدان : فتبسم الخادم من سماعه كلاماً لا يفهمه، وحرت انا من ذكر هذا الغلام لمسألة من كبريات المسائل، وذهابه في تفصيلها هذا المذهب الدال علي إلمامه بها

فأمرت الخادم بالانصراف، واقبلت عليه تلوح عليّ دلائل الدهش والحيرة، وقلت له من اين علمت ان هذا كتاب موشوت ؟

قال : عجباً أليس اسمه مكتوبا عليه ؟

قلت : هل تقرأ الفرنسية ؟

قال : والانجليزية ، وقد قرأت هذا الكتاب بلغة مؤلفه الالمانية

قال الوجدان : فكدت والله لا اصدق ما اري لولا انه حقيقة محسوسة، ولقد بلغ بي الدهش من هذا الامر حدا لا استطيع وصفه، وكيف لا ادهش من غلام لا يجاوز السابعة ، في خلقان ممزقة ، يعرض عليّ مسألة المادة في معرضها السابغ (١) ويعرف ما يحويه كتاب (موشوت) وهو من الكتب التي لا نغالي ان قلنا انه لم يقرأه في مصر خمسة انفس ، ويكلمني بلسان طلق ، وعربية لم تشبها شائبة

فقلت له : ايها الغلام لقد اعجزني امرك ، ولا أبعد إن قلت انك تعتبر آية من آيات الله في خلقه، ولقد ذكرت لي في الطريق انك ابن دهشان الحوذي، وانك نبتّ في احط المغارس، ولقيت من عثور الجد ما قدّر لكل تاعس (٢) واراك الآن وانت في هذه السن فوق ما نتظره من شيخ حني الدهر صعدته ، في العلم والفلسفة (٣)، فكيف اوفق بين ما رأيته وسمعته منك في الطريق ، وبين ما أراه وأسمعه منك هنا ؟

---

(١) الخلقان جمع خلق بفتح الخاء واللام اى قديم بال والمراد في ثياب خلقان. ومعرضها بكسر الميم اى فى ثوبها واصله الثوب الذى تجلي فيه المرأة ليلة العرس (٢) عثور الجد كناية عن عدم التوفيق . والتاعس هو التعيس (٣) الصعدة الرمح القصير وحني الدهر صعدته كناية عن احناء قامته من الهرم

فقال الغلام : انا في الطريق رسلان بن دهشان وهنا هرمس بن لقمان ، ولى اسماء اخرى فى اماكن اخرى ، ألست حراً فى ان اتسمي من الاسماء بما اشاء ؟

قلت : لندع الاسماء جانبا الآن ، ولكني احب ان اعرف كيف نشأت ، واين تعلمت ، ولمَ لبست الخلقان ، وتعرضت للوجدان ؟

قال : أهذا كل مايدهشك مني ، وتحب ان تأثره عني ؟ (١)

قلت : انك من العجب بحيث لو بلغ امرك العلماء ، لقصدوا اليك من ابعد الانحاء ، ولنقلوا صورتك واحاديثك الى الامم جمعاء

قال : مالي انا ولهذا ، لا تهرُب مما سألتك عنـه آنفا وهو : ما منزلة نظرية موليخوت عندك ؟

قلت : اما ماذكره في تطواف المادة من البسائط الي المركبات ، وتقلبها في المظاهر المختلفات ، على مقتضي النواميس الثابتة ، فما لايختلف فيه عقلان ، ولا يأباه انسان . وأما ماذكره عن أصل المادة ، وعن انها جواهر فردة ، لاتقبل الانقسام . فهو من المرجحاب لان العقل لايري عنه محيدا ، وان اوسعه المتكلمون تفنيدا

قال : كيف لايري العقل عنه محيدا ؟

قلت : مادام الانسان يحس بأن المادة جامدة ، يقلبها بين يديه ، ويطأها برجليه ، فهو مضطر بحكم العقل والحس معاً ان يحكم بأنها لا بد من ان تنتهي فى آخر ادوار التحليل الي ذرات صلبة ، متناهية فى الصغر ، لاتقبل الانقسام ، وهذه الذرات باجتماعها تتألف منها الاجسام

قال : اراك تذكر العقل ، فهل تقبل حكمه ؟

قلت : وهل لى معتمد سواه ؟

قال : فكيف تعقل جسما مهما تناهى فى الصغر ، لايقبل الانقسام ؟

قلت : انا بين امرين . فاما ان اقول انه يقبل الانقسام الى مالا نهاية له ، وهذا محال ، واما ان اقول انه لايقبل الانقسام لتناهيه في الصغر ، وهذا اهون الشرين

---

(١) أثر الحديث من باب ضرب ونصر نقله

قال هذا تحكم لا يسوّغه العقل نفسه، اذ ألك اليه شدة اغترارك بقواك الادراكية، واستخفافك بالحقيقة الخفية

قلت : وهل كنت استطيع غير هذا ؟

قال . نعم . فما دمت لم تعقل ان جسما صلبا مهما تناهي في الصغر يتعاصي على الانقسام، كان يجب عليك ان تعترف بأن عدم قبوله له غير معقول ، وتقف عند هذا الحد منتظرا ان يفتح الله عليك بفهم مالم تفهم ، لاان تصدر حكما مخالفا للعقل . الذى تعتمد عليه، ثم تجعل من ذلك الحكم علما تدعوه طبيعيا محققا، فتبني عليه صروحا من الفلسفات الفارغة والطامات الكُبَر

قلت . اصبت والله ، ولكن اذا كان هذا الرأى لا يعقل، فهل يعقل ان تكون المادة قوة محضة وانما هي تظهر جامدة بسبب سرعة حركتها ؟

قال . وهذا مما لا يعقل ايضا، ولكنه اقرب الى التحقق من الرأي الاول لعدة اسباب كلها من القواعد الاولية ، في الابحاث الطبيعية

(اولها) ان القوة ابسط ما يتصوره العقل، وهي بعد العدم برتبة واحدة ، واذا كان للكائنات بداية ، فلا بد من ان تكون تلك البداية ابسط شيء. والجوهر الفرد ليس بأبسط شيء ، وكيف يكون كذلك وله طول وعرض وسمك وصلابة، وهي اعراض قائمة بجوهر ، وله صفات اخري من جذب ودفع الخ، وقوي لا تنتهي الى غاية، نحلها اياه اصحاب هذه النظرية ، وان كائنا هذا شأنه من التركب لا يعقل ان يكون اول كائن ، بل مجتمع من اوليات سبقته في الوجود كما لا يخفى، لأن محض تركبه يوجب ذلك

(ثانيها) ان القول بأن المادة اصلها الاول جواهر فردة متناهية فى الصغر، حكم ساذج يماشي حس المشاعر الغليظة ، التي ثبت ضلالها في كل مدركاتها، ولا يماشي ما ادركه الشعور العالى من ان هذه الظواهر المرئية قشور لوجود ألطف منها ، وقد اضطر العلم نفسه الي فرض وجود هيولي لطيفة ليست مكونة من ذرات ولا وزن لها ولا مسام، سماها الاثير . وقرر ان المادة متولدة منه لا انها اصل قائم بنفسه

(ثالثها) ان القول بان اصل المادة الجوهر الفرد ينفي القول بأن اصلها الاثير

وكيف يعول على ذلك الآن والاثير اصبح من الضرورات التي لامحيص عنها في العلم الطبيعي ؟

قلت : ان ماقلته يعتبر من البديهيات

قال : وهو قول العلم الرسمي نفسه، وانما يحرص الماديون على القول بالجوهر الفرد، على ما فيه من منافاة العقل والعلم ذاته ، لان تخطي دائرته يفتح عليهم بابا الى ما ينفي مذهبهم ، وهم احرص عليه من كل عزيز عندهم

قال الوجدان : سمعت كل هذه التحقيقات العلمية العويصة، وتلقفتها من ذلك الطفل الناعم ، وهو في هدومه البالية ، وحقارته المتناهية (١)

فقلت له : ايها الصغير الكبير، انك آية من آيات الله في خلقه، وحجة من حججه على عباده ، ولقد حظيت منك بما قد لايحظى به الآحاد، في طوال الآماد، فهل لك ان تكرمني بالافضاء اليّ بجلية امرك ،ودخيلة سرك ؟

فضحك الغلام ضحكة طفلية ، ثم نظر اليّ نظرة جدية وقال اصغ اليّ

قال الوجدان : فما رنّت كلمته في اذني حتى رأيته انقلب شيخا ذا وجه بدريّ، وسمت وضيّ

فصحت به : مرحبا بأستاذى الحكيم بن مرشد، لقد ..... وسطت عليّ مهابته فلم استطع ان ازيد على ذلك كلمة

فقال : اصغ اليّ ياوجدان ، وخذها خفيفة على اللسان ، ثقيلة في الميزان

إن لهذه النابتة الضائعة التي تتعثر بها ارجلكم ودوابكم فى احناء الطرق، وزوايا السبل ، لحقا إن عيّت عن مطالبتكم به اليوم بلسانها، ارهقتكم عليه غداً بأفعالها ، واني لأعجب كيف تشكون من انحطاط اخلاق العامة ، وتتذمرون من تزايد عدد الشطار واللصوص والقتلة، وتتألمون من تفاقم شر المتشردة والعَطَلة (٢) وتتجاهلون انكم السبب الاول في نشر هذه المخازي باهمالكم عواملها ، واغفالكم مناشئها

---

(١) الهدوم جمع هِدْم وهو الثوب البالي (٢) الشطار جمع شاطر وهو الذى يشطر الجيوب لسرقة مافيها .

ولو حسبتم ماينال المجتمع من بوار ، وما يصيبكم فى اموالكم من خسار ، وما يستتبع انحطاط طبقتكم الدنيا من قلة في الجهود،وضعف فيالوجود ، وتقصير في المنافسات الاجتماعية ، وعجز عن الثبات فى الحرب المعاشية،لأدركتم انماتبذلونه من الدريهمات لايواء هذه الكائنات الضائعة،وتعليمها التعليم اللائق بها،وتدريبها الصنائع الضرورية للمجتمع ولها ، لا يساوي عشر معشار ما تفقدونه من ضعف وجودكم العام ، باهمال هؤلاء كالانعام

فان كانت بلجيكا وهي لاتبلغ نصف بلادكم ، تساوي فيميزان الوجود عشرة امثالكم ، فليس لان ارضها اخصب من ارضكم ، ولا لاناجساد اهلها اقوي من اجسادكم ، ولكن لان آحادها ارقى من آحادكم،فليس فيها مثل هذه الطبقة المهملة، ولا تسيغ بنيتها وجود مثلها

فانظروا اليهذهالأغيلمةالهائمة في الطرقات،لاكمااعتدتم ان تنظروا اليهم طائفة قضي عليهم بالعُدْم والجهل،وانهم يجب ان يكونوا على ماهم عليه مدى الدهر، بل انظروا اليهم نظر العارفين بأنهم آساس مجتمعكم،وقواعد بنيانكم،وانتم مخيرون بعد ذلك ان تقيموا وجودكم على قرار ، او على شفير هار (١)

قال الوجدان : ثم نهض قائلا . سلام

فلما مددت يدى اليه ، لاسلم عليه ، انتفض فصار بلبلا،ثم صفر صفرته العادية، وانطلق في الجو انطلاق السهم الي الرميّة (٢)

الوجدية الثالثة

قال الوجدان :

يممت صوب الاهرام ، غدوة يوم من الايام ، ممتطيا صهوة مُطَهم سَبوح،

---

(١) شفير الوادى ناحيته . وهارٍ اي متهايل (٢) الرمية ماىرمى بالسهم من الصيد ذكرا كان او انثي

حديد الطرف طموح(١)، فكنت اداول في سيره بين الخبب والارخاء، وربما وقفت لتأمل بعض الاشياء(٢)، فلما انتهيت الي تلك المباني المخلدة، وسرحت الطرف في سفوحها المشيدة ، وتعجبت ماشئت من المقاصد التي دعت الى انشائها، والجهود التي بذلت في بنائها ، حبب الىّ ان اتوغل في الصحراء راجلا، فعمدت الى فرسي فسلمت مقادته لاحد الاعراب ، وأمرته ان ينتظرني حتي اعود اليه، وسرت انا تداعبني النسمات في يهماء لا ينتهي البصر الي حدودها (٣) ، ولا نأبه فيها النفس لوجودها، فأوغلت فيها ثم أوغلت غير حاسب لشيء حسابا، مدفوعا بعامل الا نس بالمنظر الجديد حتي مضت ساعة ، فلما هممت بالرجعي لاح لي شبح من بعيد فحدثت نفسي بالانتهاء اليه، لعلي اجد غريبة اسجلها على هذا الوجود، وما اكثر غرائبه لمن ينظر بعقله ، ويعترف بمبلغ جهله

انتهيت الى ذلك الشبح فوجدت عجبا ، وجدت رجلا في زى الافندية يناهز الخمسين من عمره، وبجانبه طيارة وهو مكب على إعدادها للطيران، فحييته فرد أحسن رد ، فأطمعتني هشاشته في محادثته ، فقلت لاى جيش هذه الآلة الهوائية ؟

فنظر اليّ متبسما وقال : هى لي أباري بها الطيور في الجواء ، وأرود بها مملكة الهواء (٤)

قلت : لعلك اول من اتخذ طيارة من الافراد ، في هذه البلاد ؟

قال : لعل

قلت : فكيف حصلت عليها ؟

قال : صنعتها بيديّ

قلت : هذا عجيب

قال : اي عجب فيه ، أليست الطيارات من صنع الانسان ؟

---

(١) الصهوة الظهر. والمطهم الحسن الخلق. والسبوح الفرس يركض كأنه يسبح. وطموح اي يرمى الى الغايات البعيدة (٢) الخبب والارخاء من انواع السير (٣) اليهماء الفلاة (٤) الجواء جمع جو

قلت : نعم ولكنها لتعدد آلاتها، ودقة اجزائها، لا يمكن عملها الا فى المعامل الخاصة بها ، حيث توجد الادوات ، وتتوافر المعدات

قال : من الناس من لا يحتاج الي آلات ، لصنع اكبر المصنوعات

قلت : هذا اعجب من الامر الاول ، وانى اراك مازحا

قال : اعتبره ان شئت مزاحا ، اما انا فما قلت لك الا حقا صراحا

قلت : دعنا من هذا فهل أزمعت الطيران الآن ؟

قال : نعم ، ولكن لطية ليست بعيدة ، لا تستغرق غير دقائق معدودة (١)

قلت : أتتفضل علىّ بأخذى معك ؟

قال : لقد آليت على نفسي ان لا اصحب الا اولى العزم ، الذين لا تضطرب اعصابهم عند نزول الشدائد، ولا تجيش نفوسهم اذا دهمتهم المكاره (٢)، فهم من رباطة الجاش، وقوة القلب بحيث تميد الجبال ميدا، وتمور الارض بأهلها مورا (٣) وهم أضبط مايكونون لشعورهم ، واكمل ما يتمتعون بعقولهم. فان كنت بمكان من هذه الصفات فبها ونعمت ، والا فلست لى بصاحب

قلت : أو تقصد ان تغير بها على الحصون والمعاقل، وتستهدفها لنيران القنابل؟

قال : معاذ الله ان ازعج آمنا ، او ان اثير شرا كامنا

قلت : أفنويت ان تقتحم بها الجواء على غير هدى ، فأنت تتوقع ان يصيبها الردى، او ان تذهب حياتك سدي ؟

قال : ان طيارتي في مسابح الهواء، آمن من السيارة على الغبراء ، واهدى الى اغراضها من القطا الى الماء (٤)

قلت : فعلامَ تتقاضاني اذن هده الصفات العليا من البطولة ؟

---

(١) الطية المقصد. والجهة التي يقصد اليها (٢) تجيش تغلي. والجأش اضطراب القلب ، ورباطة الجأش هي سكون القلب عند الفزع (٣) ومادت الجبال مالت. ومارت الارض اضطربت (٤) الغبراء الارض . والقطا نوع من الطير شديد الاهتداء للماء

قال : لعلك تنتهي الي مالم تتوقعه فتهلع ، او تقع فيما لم تألفه فتجزع

قلت : هب اننا انتهينا الى منقطَع الهواء ، او رأينا مردة الشياطين تصعق برجوم السماء ، فلست ممن ترتعد له فريصة لهذه المشاهد ، ولا ينبض فيه عرق من أفدح الشدائد (١)

قال : لعل هنالك ماهو أشد على النفس مما تذكر ، فقد تجزع النفس من أمر صغير ماألفته ولا تخيلته ، مالا تجزع من أمر جلل تعودته وتوقعته

قلت : لا شيء اشدوقعاً على النفس من الموت الزؤام ، فقدوطنت عليه النفس والسلام (٢)

قال : لاتلمني بعدها ، فمن أنذر فقد أعذر ، هلم علي بركة الله (٣)

فامتطيتها متتبعاً خطوانه ، فاذا فيها كل الآلات الضرورية لمعرفة درجات الصعود ومسافات السير ، ورأيت فيها البارومتر على ٧٦ وهي درجة الضغط العادى للهواء ، وما هي الا ثانية حتي اندفعت بنا في الجو فنظرت الي المدينة ، فاذا بها كالاطلال الدوارس ، ثم اخذت آثارها تنمحي بسرعة البرق حتي لم يبق لها أثر ، وصرنا فى جو متجانس الجهات لانسمع فيه الا حفيف الطيارة ، فلما مضت دقيقة ، قلت لصاحبي تري نحن على اى بعد من الارض الآن ؟

فضحك مقهقهاً ، ولم يزد

فمددت ببصرى الي البارومتر فاذا بزئبقه قد سقط حتي وقف على الصفر ، وهي علامة على زوال الضغط الهوائي ، ومعني ذلك اننا فى جو ليس فيه هواء ، فرجعت الى نفسي فوجدتني أتنفس كما لو كنت على الارض . فصحت بصاحبي : رحماك على أي ارتفاع نحن ؟

فضحك كالاول ، ولم يزد ؟

فقلت : نشدتك الله الا اخبرتني

---

(١) الفريصة لحمة بعد الكتف ترتعد عند الفزع . ونبض العرق تحرك . وافدح أي أشد (٢) الموت الزؤام اي السريع (٣) اعذر اي أبدي عذرا

فقال : ألم أسرد عليك الصفات التي يجب ان تجتمع فيمن يصحبني فزعمت انك بالمكان الارفع ، فما بالك تجزع ؟

قلت مابي من جزع ، ولكني أسألك هل ارتفعنا عن طبقة الهواء ؟

قال : ماذا تقول ؟ نحن الآن فوق طبقة الهواء بأكثر من خمس مئة الف ميل

قال الوجدان : فكدت أخر مغشياً عليّ من سماع هذا الكلام، ولم أستطع أن اعود الي حالة من الجلد الكاذب الا بعد عدة دقائق

فقلت له : وكيف يعقل ان تجتاز الطيارة طبقة الهواء، وهو علة امعانها في العلاء؟

قال : سأحدثك عن ذلك متي وصلنا الي حيث نشاء

قلت : وكيف نعيش بغير أوكسيجين، وهو الغاز الذي نتنفسه فى هذا الحين ؟

قال : سأريكه الساعة

وما أتم كلمته حتي أحسست بالاختناق ، فاضطربت ايما اضطراب، ثم عاد الىّ النفس كما كان

فقلت : رحماك ماهذا ؟

قال : لابأس عليك ، لقد تركتك والجوّ الذي انت فيه فحدث لك ما احسست به ، ثم أمددتك بهواء من عندي فعادت اليك الحياة

قلت : أوتمدني بهواء ؟ من أين تأتي به، وكيف تمسكه، وكيف تنشره حولي؟ كل هذا لا يدركه عقلي

قال . أولست فيه ؟

قلت . نعم، ولكني لا أعقل ماتقول

قال . واي شيء عقلت انت او أعلم عالم فى الارض من اسرار الكون؟ ان الذي لديكم من العلم قشور من علائق الاشياء بعضها ببعض، فأنتم تراقبونها وتسجلونها وتحسبونها علماً، فان قصرتم قوي الوجود واسراره علي ما تعلمون، وعلي ما تدركون وتعقلون، فقد حقرتم هذه اللانهاية تحقيرا لا يغفر لعاقل، ولا يسمح به حتي لجاهل. واذا كان من البله ان يصدق الانسان بكل ما يقال، فعلي المتثبت ان لا يعجل بتكذيب ولا تصديق، الا بعد تمحيص وتحقيق، وأنت اليوم من هذه الرحلة فيما لا يطوف بوهم،

وسترى مالا يحوم حوله فهم ، فالجا من الحكم عليه الي اي الاصول اردت

قلت وانا ارتعد دهشاً . اظن أنه تكفيني هذه الدلالة الحسية، في الاعتقاد بأن وراء العقل العادى شؤناً علوية ، وأسراراً خفية

قال . لا ، حتي تري من المشاهد ، مالم يتفق لراصد ، ولا يتسني لمفكر جاهد

قلت . الى اي مدي تقصد ، وقد بعدنا عن الارض الي حيث لا يبلغه منظار الفلكيين ، بل ولا خيال المتخيلين ؟

قال . الي اول كوكب يصادفنا من المجموعة الشمسية، ثم التفت، وقال أبشر فنحن علي سمت الغِطريف ، ذي الجو اللطيف، والروح الخفيف، فتأهب للنزول عليه (١)

وما هما الا ثانيتين حتي استقرت الطيارة علي ارض صلبة، وما كدنا حتي احاطت بنا زُمر من المخلوقات تشبهنا في الجملة ، وتفوقنا فى التفصيل (٢). فهي كائنات انسانية الا انها ارق بشرة ، واجمل محيّا (٣)، واعدل قواما ، تتألق وجوههم نوراً، وتشع اعينهم ذكاء ، وعليهم ألبسة مفصلة علي اجسادهم، لا مضيقة تحصر الدم في اوعيته ، ولا موسعة تعوق الجسم عن حركته، وهي من اقمشة تزرى بأثمن انواع الحرير عندنا، والجميع علي سمت واحد من الشبه ، الا فروقا يسيرة

قال الوجدان . فنظرت الي وجه صاحبي ، وانا اكاد اقع مغمي عليّ من الدهش والذعر، فمسح علي صدري وقال . افهم مايقولون ، وانشره بين الناس لعلهم يعقلون. اما انا فذاهب وحدي لزيارة صديق لي فى المريخ، وآخر في المشترى ، ولن ابطيء عليك فكن من الثابتين ، ولشرطي عليك من الذاكرين. ثم قادني خارج الطيارة ، فى وسط النظّارة ، من اهل تلك السيارة

قال الوجدان. فلم استطع ان انبس بكلمة من شدة الهلع (٤)، واندفع صاحبي في الجو لا اقول كالسهم ولا الوهم ، بل بسرعة لا يدركها خيال ، ولا تخطر ببال . واخذت تلك النظارة تكتظ حولي مع مراعاة ادب لم اعهده في سكان هذه الارض، وما راعني الا اني رأيتني افهم مايقولونه وان كانت لهجتهم غير عربية، ولا مما نعهده

---

(١) السمت الطريق (٢) الزُمر جمع زمرة وهي الجماعة (٣) المحيا الوجه (٤) نبس بوزن ضرب تكلم ، واكثر مايستعمل مع النفي

من اللغات الاعجمية ، واقترب مني واحد وقال لن تُراع لن تُراع،وسمعت بعض النظارة يقول لبعض ، ترى من اي الكواكب هذا؟فأجابه واحد . هذامن سكان الزهرة،فقال آخر . بل هو من اهل نبتون ، وقال ثالث . يخيل اليّ انه من نابتة عطارد ، فقال رابع لا يفصل لنا في هذا الامر الا رئيس المرصد الفلكي فهلم بنا اليه

قال الوجدان . فتقدم اليّ واحد ممن حولي،وقال.أتسمح بالمضي معنا خطوات؟ فاومأت اليهم بالايجاب ، فمشي ومشيت معه،فسرت بين قصور قد أخذت زخرفها وازّينت ، وبلغت من الجمال الى ما بلغت ، فلو أعطيت مثل خيالي الف خيال،لما استطعت ان اصورها بحال،فمنها ما يشبه اليواقيت،ومنها ما يضارع الدرر،ومنها ما يحاكى الماس،ومنها مايخرج عن القياس،ولم يعهده الناس،وقد أحاطت بها حدائق بارت فيها ملكتا التنسيق والاختراع،قوي الطبيعة فى الانتاج والابداع،تمتد على شوارع هى اشبه بِرَدهات القصور،منها بطرقات للمرور(١). فما سرنا غير قليل، حتي انتهينا الي بناء جميل،فيه ساحة تبلغ الميل ، هو مسكن استاذهم الجليل،فاستأذن من معى عليه ، فأتاهم الاذن بالدخول،فدخلوا وكانوا يبلغون عدة مئين،فجلسوا في بهو بلغ من الفخامة حداً لا أجد عبارة تقربه الى الحد المألوف،ومن السعة بحيث لا يضيق عن عدة الوف ، فسمعت ازيز آلات،كأنها تلفونات،وما هي الا برهة حتي غص هذا المكان على سعته ، فرأيتني وانا بلباسي العادي،ولست من المتساهين فيه، بين هؤلاء القوم كأني خادمهم،بل كأني ممثل مضحك ارتدى بأردية اهل القرون الخوالي،من الأزياء البوالي،وما مضت دقيقتان حتي اقبل استاذهم الكبير، في أبهة تحني الرؤس،وهشاشة تستهوى النفوس،فحيا الحاضرين،فأجابوه شاكرين،وما جلس حتي اقبل رجال لا يمتازون في ألبستهم وأبهتهم عن صاحب الدار،فقدموا للحاضرين شرابا في اوان لا استطيع الا ان اقول انها منحوتة من قطع الماس ، فتناولت منها كوبة لا ازال احس بطعم ما فيها الي هذه الساعة،وما مرت غير دقيقة اخرى حتي وضع في وسط الجميع خوان، وأُمرت ان اجلس فوق كرسي عليه ، وقام الاستاذ ووقف بجانبي وقال :

---

(١) الرَدْهة الحجرة الكبري من الدار

هذا من سكان الارض ، لا من المريخ ولا من الزهرة ولا عطارد كما ظن بعضكم ، وهو من الاقاليم المعتدلة من القسم المتمدين من سكان ذلك السيار الصغير، وقد وقفنا في السنوات الاخيرة بعد استخدامنا للاثير واختراعنا المنظار المكبر الي مئة مليون ضعف ، وايجادنا للآلة البديعة التي نتلقي فيها تياراتهم الكهربائية والمغناطيسية التي يستخدمونها في تلغرافاتهم وتلفوناتهم، على تفاصيل ثمينة لحالتهم المدنية ، وشؤنهم الاجتماعية، مما استطيع ان اذكره لكم بوجه الاجمال الساعة

بلغ سكان الارض من العلم والمدنية ، الي مثل ما كنا عليه قبل نحو مئة الف عام فالعلم لايزال قاصراً عندهم على العلائق الموجودة بين الكائنات، فلم يتوصلوا بعد الى ادراك كنه المادة ، ولم يهتدوا الي طريقة تحويلها الي اثير، ولا الي وجه استخدامه، بل تخيلوا وجوده تخيلا . ولا يزال انتفاعهم بالكهربائية والمغناطيسية، قاصراً على استخدامها فى ايجاد الحركة ونقل الاشارات فى دائرة كرتهم الارضية، اما علومهم الفلكية فهي لاتزال قاصرة على رصد الكواكب، ومعرفة اماكنها وابعادها، فالاجرام السماوية لاتزال في نظرهم نقطاً لامعة فى هذه اللانهاية، لقصور منظاراتهم المكبرة، فهم لايعلمون عن امر هذه الاجرام الا تخيلهم انها مأهولة، بل فيهم من لايزال ينكر ذلك (تبسم من الموجودين) انكم تتبسمون وماذا تفعلون لو قلت لكم ان منهم من يجزم الي اليوم بأن كرتهم الارضية هي العالم كله، وأن الكون وما فيه تبع لها ، ولم يخلق الا من اجلها (ضحك عال)

بلغ سكان الارض درجة من الشعور، ولكنها لاتزال قريبة من درجة شعور الانواع العليا من المملكة الحيوانية ، ومن اظهر مظاهر ذلك ان الحق لايزال عندهم للقوة الجسدية

نعم ان بعض طوائفهم سنوا شرائع فيها خيال من روح العدل، ولكنهم قصروها علي المنازعات الفردية ، اما الخلافات التي تقوم بين الامم فلايزال يفصل فيها الحديد والنار (جلبة اشمئزاز من السامعين) . وقد افتن مفكروهم وعلماؤهم في ابتكار الآلات المدمرة، وتباروا فيها، وعمد قادتهم الي حشد الرجال لتدريبهم علي استخدامها الي حد أنهم ينفقون عليها من أموالهم في السنة، ما يربو علي عشرة اضعاف ما ينفقون علي

التهذيب والتربية (آهات من بعض المقاعد)

فتراهم اذا شجر خلاف بين أمتين لا يعمدون الي الخطة الفاصلة، أمام الشريعة العادلة، ولكن الي الآلات الجهنمية، والادوات الشيطانية، فيحتشد من كلتا الطائفتين ملايين الشباب، ثم يتراصون تراص الذئاب، اذا أزمعت الوثاب

فاذا نقر لهم في الناقور، او نفخ لهم في الصور، اشتغلوا بالتناحر (١) فلا يزالون يترامون بالنيران، ويفتنون في ضروب الجولان، وفي اثناء ذلك تسقط منهم الالوف قتلي، وعشرات الالوف جرحى، بين خارجة امعاؤهم، ومحطمة اشلاؤهم (٢) حتي يولي احد الفريقين هربا، فيتبعهم الفريق الآخر دابا، هنالك ينطق السيف بالحكم ويكون للغالب الغنم، وعلي المغلوب الغرم (ضجة استفظاع من السامعين)

اما التهذيب الخلقي فلا يزال علي الارض قاصراً علي الظواهر، لم يمتد الي السرائر، ولم يتناول الضمائر، فقد يقابل احدهم صاحبه هاشاً باشاً وقلبه ينطف عليه حقداً، ويتلظي منه حسداً (٣)، ولقد أتقنوا هذا الضرب من التصنع حتي ان المتحاقدين قد يتزاملان سنين، ويكون بينهما ما يكون بين المتآخين، فاذا لاحت لاحدهما فرصة للايقاع بصاحبه افترصها غير متحرج، فان استدعي ايذاؤه نصب الحبائل، وتدبير الوسائل، عمد الي ذلك غير متأثم (٤)، وهو في أثناء ذلك اذا قابله ضمه الي صدره متظاهراً بالشغف، وقبل وجنته متصنعاً أخدع ضروب الكلف

اما من جهة خضوعهم للمطالب الجسمية، وعبوديتهم للمقتضيات البهيمية، فلا يزالون على حالة توجب الاسف، فهم يشربون السوائل المتخمرة، ويتعاطون المواد المخدرة، ويأكلون فوق حاجتهم، ويتكلفون ماوراء طاقتهم، يتظاهرون بذلك ولا يخجلون، بل يعدونه مما يتنافس فيه المتنافسون، ويتباهي به المتباهون

ومما يوجب الدهش، انهم لفرط استخذائهم، لسلطان اهوائهم (٥) يفقدون

---

(١) الناقور البوق ونقر في الناقور اى نفخ فيه ليصوت. والصور بمعني البوق ايضا (٢) الاشلاء جمع شلو وهو العضو (٣) ينطف اي يقطر (٤) التحرج هو توقى الوقوع فى الحرج. والتأثم تحرى عدم الوقوع في الاثم (٥) استخذائهم اى ذلهم

التصوّن فيما يستنكر من العجاوات ، ويأتونه كأنه منا لهنات الهينات (١)، حتي فرض نساؤهم على انفسهن الحجاب ، وقل ان يسلمن معه من العاب (٢). فتري الواحدة منهن ان اضطرت لمزايلة دارها خطوات، تناولها الكافة بالنظرات الخائنات، وخصها البعض بالكلمات الجارحات ، وتبعها أشدهم كلبا فرادي وجماعات (٣)، فلا تزال تنحاز عنهم ذات اليمين وذات الشمال، وهم يتعقبونها بغير ملال، ويرمونها بسهام من ساقط الاقوال، حتي تتعثر في أذيالها حياء، وتكاد تسقط إعياء، والناس ينظرون الى الفُرسان والفريسة فكِهِين، ويبتسمون لهم مشجعين، لا نثور فيهم حميّة، ولا تتحرك منهم نفس أبية، كأن تلك ليست اختهم فى الانسانية، وكأن نساءهم بمنجاة من هذه الطَغمة الوحشية

ولو كان هذا المنكر قاصراً على جهالهم، ووقفاً على رذَالهم، لهانت البلية، وخفت الرزية، ولكنها تكاد تكون عامة فيهم ، فمن لم يأتها جهاراً على أعين الجماهير، يأتيها سراً في المواخير

وأعجب من هذا وأشد منه هولا على النفوس، مما يدل على اضاعتهم للناموس، ان فتيانا من عاهريهم ، يصحبون نساء من عاهراتهم ، وهن على أشد حالات التهتك والتبرج، فيمرون وسط آهل طرقاتهم بالمارة فيشيعهم الناس بنظراتهم باسمين، مغتبطين بهم وغابطين (٤)، كأنهم لا يرون الا اموراً عادية، بل منهم من يعدها من ضرورات المدنية. (تأفف من السامعين)

ومما يرثي لاهل الارض منه ، انهم لا يزالون يجعلون همهم وقفاً على استخدام القوى الطبيعية، غير حاسبين حسابا لقواهم النفسية، فهم لا يزالون في عماية عما لارواحهم من القُدَر ، ولقواهم المعنوية من الخصائص الكُبَر (٥)، فتراهم مفكرين مكبين

---

(١) الهنات جمع هَنَة وهي الشيء الحقير (٢) العاب وهو العيب (٣) الكَلَب داء يصيب الكلاب والمراد هنا شدة الحرص (٤) المغتبطين المسرورين. والغابطين الذين يتمنون لانفسهم مثل مايرونه لغيرهم (٥) القُدَر على وزن عمر جمع قُدرة اى قوة . والكبر بوزن عمر ايضاً جمع كبيرة

ليل نهار على دراسة الكهرباء ، وفيما يمكن تسخيرها فيه من الاشياء،ولا يفكرون ساعة فى الاستفادة من قواهم الذاتية،التي هي مجتمع القوى الكونية.(تعجب عظيم من الحاضرين)

انكم تعجبون من هذا الاهمال،وما كنتم فاعلين لو قلت لكم ان منهم، بل من كبار علمائهم،من يدعي ان الانسان والحجر سواء،وان الاول لا يمتاز عن الثاني الا بالتغذي والتوالد والنماء،وان الحياة ليست الاصفة للمادة العمياء،وان أعلى رأس فى المفكرين، كأحقر حصاة في الارضين،تنتهي في نهاية تحليلها الي الطين. (ضحك عال متواصل من السامعين)

هذا موجز من حال سكان الارض، قد بسطته لكم فى مناسبة هبوط احدافرادهم علي الغطريف،وسأتوسع في نشر ماوقفنا عليه من احوالهم فى مؤلف خاص، بعد أن أستجمع كل ماهدتنا اليه وسائلنا الفلكية،واني أتوقع أن يكون أخونا الارضي هذا قد برّح به الهلع،وساءت ظنونه بهذا المجتمع،فردوه الي حيث وجدتموه،فقد عاد صاحبه فيما ارجوه

قال الوجدان : فأمرني واحد منهم بالمضي معه،فقمت وقد جللني العرق خجلا، وجمد دمي وجلا،فلم أعد نظراً علي ما مررت به من البدائع في الطريق، دهشاً مما سمعت،وعجباً مما فهمت،وبينما أنا غرق فى لجة هذا الذهول،واذا بيد لطيفة وقائل يقول : هلم لنعد الي الارض

قلت : سلام عليك أأنت صاحب الطيارة ؟

قال : أنا هو فهل تذم جواره ؟

قلت : حاش لله ، ولكن أسرع بي الى الارض فقد بلغ مني الذهول مبلغه ، واخشي أن أفقد عقلي معه

قال : لا بأس عليك ، فهلم باسم الله

فأسرعت الى اخذ مكاني منها وما هو الا كلمح البصر أو هو أقرب حتي اندفعنا في هذه اللانهاية،وما كدت أحاول الرجعى من الذهول الذي عراني حتي صاح بي صاحبي : تهيا للنزول ياوجدان فقد لاح الهرمان وما كدت ارتاب في هذا القول

حتي رأيتني بجانب أبي الهول

فالتفت اليّ وقال : الى اي حد بلغت منك هذه السياحة ؟

قلت : الى حيث لاأدري أهي فى نوم أم يقظة

قال : لو أمكن ذلك لك في النوم ، لكنت واحدا من القوم

قلت : اى قوم ؟

قال : رجال استوت عندهم حالات الحياة ، وسقطت جميع الفواصل بينها . فهم أيقظ مايكونون اذا نامت عيونهم ، ووقفت حواسهم ، قد خلصت ارواحهم من سجن المادة فأصبحت اجسادهم مطايا لهم ، يحملونها كما يحمل احدنا الدابة ، لا انهم استعبدوا ارواحهم لاجسادهم فأصبحوا بهائم ، وان كانوا يلبسون الثياب المفوفة ، ويتفيهقون بالعلم والفلسفة (١)

قلت : من هؤلاء الاكياس ، وكيف أميزهم في الناس (٢) ؟

قال : ايهٍ ، رب أشعث أغبر لايؤبه له ، لو اقسم علي الله لأبر قسمه (٣)

قلت : اني مما فتنتني في حيرة ، وقد التبك عقلي (٤) ، فلم أعد أميز بين الممكن والمستحيل ، فهل لك ان تخلّصني مما ورّطتني فيه ؟

قال الوجدان : فأخذ صاحبي يضحك وهو يقول : الممكن والمستحيل ، لشدّ ما حجبتكم الحجب ، ونالت منكم سفسطات الكتب

ثم التفت اليّ وقال : أتري لو ربيت بواد ، لاتري فيه الحمل والولاد (٥) ، ثم قيل لك انك علي جلالة قدرك ، ورجاحة عقلك ، نشأت من تلاقى نطفتين ، تتقزز ان تتأملها العين (٦) ، ثم قذف بك الي هذا العالم من حيث تقذف الفضلات ، وتسيل المفرزات ، ففى اى القسمين كنت واضعاً هذا الخبر ، فى قسم الممكنات ام المستحيلات ؟

---

(١) الثياب المفوفة المخططة . ويتفيهقون اي يتشدقون (٢) الاكياس جمع كيّس بوزن حيز . ومازه بمعني ميزه (٣) الاشعث المغبر الرأس المتلبد الشعر أو المنتشره لقلة تعهده اياه . والاغبر مالونه الغبرة وهى التراب (٤) التبك ارتبك (٥) الولاد الولادة (٦) تتقزز تأنف

ولو نشئت في قاصية من الارض جدباء،لاتري فيها غير الصخور والسماء ، وأتيت بزهرة من ياسمين،وهي في شكلها الانيق. وقدها الرشيق،وإغريضها الندى وشذاها العطرى(١)، ثم قيل لك هذه اصلها من بزرة لا تكاد تراها العين،دفنت في هذه الارض الجرداء،وأمدت بقليل من الماء،ثم تركت وشأنها، فنبتت بذاتها، فصارت اولا شجرة خضراء،ثم تولدت عليها هذه الانجم الغراء،فبماذا كنت مقابلا مخبرك،أبالتصديق أم بالتكذيب؟وهلم جرا،فاني استطيع ان اعد لك كل ما تقع عليه الآن عينك ، وسائلك عنه على هذا النحو،ومحاكمك الي منطقك الجليل،لااري مكانك من الممكن والمستحيل

قال الوجدان : فوالله لقد شعرت بمثل ما يشعر به الكفيف اذا فوجيء بالابصار، أو بالمغشيّ عليه اذا بوغت بالايقاظ

فقلت له : يرحمك الله من أنت ؟

فوالله ما كدت ان أتم سؤالي حتي تضاءل فانقلب بلبلا بعينين ياقوتيتين،وريش يأخذه زخرفه بالعين

فقلت : وَيْ ، أأنت البلبل المغرد (٢)

فقال : كم اقول لك أنا الحكيم بن مرشد ؟

قلت : ألا تتفضل عليّ بفك هذا المعمّي ، وتخبرني كيف تستبدل بجسم جسما؟

قال : اللبيب تكفيه الاشارة

فالتفتُ فلم أر البلبل ولا الطيارة

الوجدية الرابعة

حدث الوجدان قال :

بينما انا اخترق شارع التوفيقية ، في ضحوة ربيعية،والسكون ضارب رواقه،

---

(١) الانيق المعجب. والرشيق الظريف المعتدل القد. والإغريض بوزن الابريق كل ابيض طري. والشذي الرائحة (٢) وي كلمة تعجب تقول وي لزيد اى اعجب به

والنسيم حالٌ نظاقه (١)، واذا بواحد من بني ساسان ، قد تلفع با لخلقان، واعتضد بكشكول مِبطان، واعتقل هِراوة من ا لمران، وهو يمشي الهوَينا، فعل من يشكو أينا (٢) فلفتني اليه من بعيد رفعه يده الى السماء، كما يفعل عند الدعاء، ثم ازالها بعد الانتهاء، وتكرارُ هذا العمل، بنظام ليس فيه خلل، فاقتربت منه لا عرف طلابَه، وأنـل لهاته بصبابة (٣)، فسمعته يقول:

اللهم يامن لااري سواه، وان تعددت الظواهر، ولا اناجي الااياه، وان تكثرت المظاهر، ولا أبغى الاجدواه، وان تنوعت المصادر، أسألك بحق توحدك في الوجود، وتعددِ تجلياتك في الشهود، وبحرمة ظهورك للبصائر، واحتجابك عن المشاعر، أن تقضي حاجتي اليك ، وان لاتجعل فيها معولى الا عليك

قال الوجدان : فعجبت من صدور مثل هذا الدعاء ، من مثل هذا الرجل، في مثل هذا الطريق ، فقربت منه قائلا ياشيخ ، ماحاجتك ؟

قال : مئة دينار يابني

قلت : أتتخيل ان احداً يعطيك هذا القدر ؟

قال : وهل طلبته من احد ؟

قلت : وما تفعل بهذه المئة ؟

قال : هذا لايعني احداً غيري

ثم اندفع يطلب حاجته بعبارات غير التي سمعتها اولا، فتعقبته من كثب (٤) حتي كرر الدعاء عشر مرات، وهو فى كل مرة يفتنّ في التعبير، افتنانا يدل على انه من

---

(١) الضحوة وقت ارتفاع النهار. والرواق بيت كالفسطاط. والنطاق مايشد به الوسط (٢) بني ساسان من ملوك الفرس وقد صار علما للشحاذين لانه بعد نكبة هذه الاسرة على يد العرب صار كل شحاذ فارسي يدعي انه من بني ساسان ليستعطف الناس اليه. والمبطان الكبير البطن. واعتضده جعله تحت عضده. والهراوة العكازة. والمران نوع من الشجر (٣) طلابه اي طلبه. واللهاة لسان صغير في اقصي الفم. والصبابة البقية من الماء او اللبن (٤) من كثب اي من قرب

القابضين على ناصية البيان،والسارين في سرائر العرفان (١)، فقلت في نفسي بئس المال من عتاد ، اذا لم يبذل في رفع مثل هذا من تحت كلاكل الحاجة ،واجمعت على أن أنفحه بما يطلب ، واتفق اني احمل هذا القدر من المال، كنت ارصدته لامر(٢) فصحت به ايها الشيخ ، فالتفت الي ، فقلت له انا اعطيك هذا المال

فقال : أقبله على شرط ان لا تتقاضاني عليه رِبا

قلت : معاذ الله ، وهل تظنه قرضاً ؟

قال :لا، ولكني أقصد بالربا ، إرهاقي بالاسئلة عن ضئضئي ومنشاي ،وعن أين تعلمت،وعلى من تخرّجت،وعن وجه خصاصتي على فصاحتي،وعن سر تخيري للعبارات العالية ، في وسط هذه الجهالة الفاشية (٣)

قلت : إي والله ،كل هذا اريد ان اعرفه ، لاباعتباره ربا لما اعطيه ، ولكن كفضل أرتجيه

قال : ليس عندي الا ماسمعت

ثم اندفع يفتن في ضروب اخري من العبارات فيدعائه مما صغر في نظري هذا المال واضطرني لبذله على كل حال. فصحت به ياشيخ خذ ما طلبت غير ممنون عليك، فويل لقوم يضيع هذا الفضل بينهم

فأخذها وهو يقول : حيا الله هذه الاريحية (٤)، لقد والله أبنت عن كرم، وكشفت عن شمم، فامض بارك الله فيك، وكافأك بما يرضيك

قال الوجدان : فمضيت وانا أفرح بما فعلت مني لو سيقت الي الدنيا بما فيها. فما كدت أبعد عنه مئتى ذراع حتي سمعته يناديني، فعدت ادراجي (٥)، وسألته عما يريد فوضع يده علي كتفي وقال :

---

(١) يفتن اى يتفنن. والناصية مقدم شعر الرأس (٢) العتاد ما تهيئه للطواريء من العدة . والكلاكل هى جمع الكلكل اى الصدر. وأنفحه أى اعطيه (٣) وإرهاقي إتعابي. وضئضئي اى اصلي . وتخرجت اى تعلمت. والخصاصة الفقر (٤) غير ممنون عليك من المنّ وهو التحدث بالعطية. والاريحية الارتياح للكرم (٥) عدت أدراجي رجعت علي عقبي

والله يابني لاحاجة بي الي مال،وانما سألتكه،وبالغت في مقداره،لا ري الي اى مدي يصل عملك من قولك،فوجدتك بحيث احب ان اراك،ولامحك لتميز الخالص من الزائف فى الرجال،أدل من البذل،فخذ مالك مباركا لك فيه،واقبل مني هدية تذكرني بها ماحييت، فهل تحفظ حرمتها ، وتعرف قيمتها ؟

فقلت له وقد عظم فى عيني من ظلافة نفسه عن الدنانير :

انا عند ظنك بي ان شاء الله (١)

فقال : هى كلمات لقننيها بعض الواصلين،وانا اتحرج عليه،اذا تلوتها انقلبت الي الصورة التي اقصدها،وقد اختزنت هذا السر فلم افض به الى احد (٢)،عملا بوصية استاذي بأن لا اكشفه الالمن يستحقه،وقد بلوت جوهرك بكل محك منذ عشر سنين ، على غير علم منك ، فوجدتك لوديعتي اهلا ، فخذها واتق الله فيها

ثم قال : هات يدك،وقرأ فاتحه القرآن،وعاهدني على الكتمان،وأشهد الله علىّ، ثم لقنني تلك الكلمات ، وأسرع بالسلام ومضي

اما انا فعدت الى بيتي من فورى،ودخلت مكتبي ، واوصدت بابه،وتلوت الكلمات قاصداً ان انقلب الي عصفور،فكنته فى مثل لمح البصر،وماشعرت بحالتي الجديدة من الضؤولة والخفة حتي ذعرت،فأسرعت الى تلاوة الكلمات،فعدت الى ماانا عليه ، فلما هدأ روعي كررت العمل حتي أنست به (٣)، فخرجت من نافذة مكتبي على صورة عصفور،اطير فى الجو مرحا،واضرب في نواحيه فرحا،فلم أترك في القاهرة شجرة الا حططت عليها ، ولا حديقة الا غشيتهـا ، واندسست بين طيورها ، حتي كان وقت الاصيل (٤)،فعمدت الى حديقة قهوة فاقتعدت غارب غصن من دوحاتها (٥)،فاتفق ان تحتها رجلين يتناجيان،فسمعت احدهما يقول لصاحبه:

انك مادمت على ما انت عليه، فلا يكون حظك من الناس الا اوكس حظ ، يستخفون بك ويزدرونك،وانا نصفك منصفوهم فلايجاوزون بك درجة المستضعفين

(١) ظلافة النفس اباؤها (٢) افضي بسره اليه اعلمه به (٣) الروع بضم الراء القلب (٤) وقت الاصيل قبيل غروب الشمس (٥) الغارب اعلى الكاهل

من اهل الضعة والاستكانة (١)

فقال له صديقه : لم اسمع قبل اليوم بان الادب النفسي يوجب لصاحبه الصغار والمهانة

فقال محاوره : انا لا احيلك الا الي العيان، فلقد كنا بدار صاحبك الساعة، وكان بالمجلس جمهور من العلماء والرؤساء، فهل سمعت فيه صوتا اعلي من صوت (فلان)، ورأسا ارفع من رأسه، ينال من هذا بقوارصه، ويحط من ذاك بلوادغه، يتوسع في تقعره، ويتسكع في تفيهقه (٢)، والحاضرون مصغون اليه، هذا يبسم له مداريا، وذاك يعجب بكلماته مرائيا، حتي اذا افرغ ما فى جعبته (٣)، نهض، نخف الكافة لتشييعه وتوديعه، وهو من تعرف في سقوط قيمته، وقلة بضاعته، وانحطاط منزلته

فقال صاحبه : وما قولك فيما افاض فيه الجالسون بعد قيامه من تحقير شأنه، وتسوىء ادبه، والاجماع على الازراء به

فقال محاوره : وماذا يضيره ذلك، اذا كان مهيباً فى محضره، معظما في معشره، يضع لسانه منهم حيث اراد، فلا يستطيع واحد منهم ان ينتصف لنفسه. انك يا ابن اخي على ما ألممت به من الامور النظرية، تجهل الحياة العملية، فتعيش بين الناس على المثال الذي تصوره لك كتب الاخلاق، وشتان بينه وبين ما يجب ان تكون عليه من الصفات، اذا ادرت ان تستفيد من حياتك، وان تستزيد من لذاتك

فسأله صاحبه : وما هي هذه الصفات التي تذكرها ؟

فأجابه محاوره : اولها (الجرأة) فلا تهب احدا كائنا من كان، فاذا اتفق ان قابلت ذا وجاهة فاحذر ان تعامله بأدب الكتب من الانحناء اليه، والصمت بين يديه، والاقبال اذا تحدث عليه، فان ذلك يزيد في تكبره، فيرهقك بتغشمره (٤)، بل قابله كأنك تقابل صديقا لك من عهد التلمذة، فرحّبْ به بصوت عال، وتصنع

---

(١) اوكس اى اخس . والضعة الانحطاط (٢) تقعر في كلامه اخرجه من حلقه . وتسكع فى امره لم يهتد لوجهه . وتفيهق في كلامه توسع فيه وتنطع (٣) الجعبة كنانة النشاب (٤) فيرهقك بتغشمره اي فيغشيك اياه ويلحقه بك . والتغشمر التنمر

الانس به عند الاستقبال، ثم كرر له التحيات، واسرف له في التبسمات والضحكات، فان ظهر عليه انه استثقل منك ذلك، فلا يثنينك تجهمه، بل اثبت على ما انت عليه، فلا يلبث ان تلين شكيمته لك (١)

قال صاحبه : فان تجرأ على زجري فكيف يكون موقفي حياله وحيال الجماعة؟

فضحك محاوره وقال : ما اقل علمك ببني نوعك يا احسان، انهم لا يتجرأون الا علي كل مؤدب ذي حياء، فيراقبون كل حركاته، حتي ليكادون يعتبرون انفاسه و نبضات قلبه تجرأ منه عليهم، فيمهلونه فى زاوية المجلس، لا يتفضلون عليه بنظرة، ولا يتكرمون عليه بلفظة، فاذا اراد الانصراف تغافلوا عنه فلا يرد عليه سلامه الا بعضهم ومن اطراف شفاههم

قال صاحبه : هذه اول الصفات فما الثانية ؟

فقال محاوره : ثانيتها (الثرثرة) ، فأطلق للسانك العنان، وضعه حيث اردت ؟ فاذا اراد ان يقاطعك احد فامض كأنك لا تسمعه، ولا تبال اصبت فيما تقول ام اخطأت

فسأله صاحبه : فان لاحظ ملاحظ علي بعض قلت ؟

فأجابه : اذا فعل فارفع صوتك بالرد عليه ، واظهر الغضب والموجدة (٢)، ولا تمكنه من الكلام علي اي حال من الاحوال. فان تجرأ وتكلم فى اثناء كلامك، فانثر عليه من قوارصك ما يعيده الي صوابه (٣)، ويكره اليه ما فعل معك حتي يرضي من الغنيمة بالاياب

فسأله صاحبه : وما ثالثة الاثافى (٤)؟

فأجابه : الثالثة (التنويه بالسطوة والبطش) كأن تكثر من اختراع وقائع بينك وبين خصوم لك في السياسة او المعاملات، تختمها دائما بذكر سبك اوضربك اياهم.

---

(١) تجهمه اى استقباله اياه بوجه كريه. والشكيمة هي الحديدة التي توضع في فم الحصان لردعه بها (٢) الموجدة بفتح الميم وسكون الواو وكسر الجيم الغضب (٣) القوارص المراد بها العبارات القوارص جمع قارصة (٤) الاثافى جمع اثفية بضم اوله واسكان ثانيه وكسر ثالثه واحدة الاحجار التي يوضع عليها القدر فوق النار وهي في العادة ثلاثة ، وثالثة الاثافي كناية عن الشر كله

فتقول مثلا جادلني فلان فى موضوع كذا،فرددتُ عليه بحدة ، فاعترض بكذا ، فشتمته،فنكص علي عقبيه ، او فكذب ان اضربه لولا ان منعني فلان، او فضربته ثم حيل بيني وبينه ، فأدبر لا يلوى على شيء ، الي غير ذلك من آثار البطولة ، واعمال الفروسية ، فيهابك السامعون ويتجنبون تحدّيك جهد طاقتهم ، فتعيش بينهم مغتصبا اقبالهم واكبارهم

هذه هي الثلاث الخصال التي لامحيص لك عن الاخذ بها ان اردت ان تعيش بين الناس مرفوع الرأس، مَهيب الجانب، موفور الكرامة، والا أنزلوك المنزلة التي توحيها اليهم اهواؤهم ، لااعتباراً لعلم ، ولا اعتدادا بحسب ، ولا غيرة على ادب

فقال له صاحبه : ذكرت شيئا وغابت عنك اشياء . فقد يغشي الانسان مجلسا يكون غاصا بالعلماء والادباء ، فلا تذكر فيه الا نادرة علمية،او شاردة ادبية ، ولا يصغى فيه الا لحكمة بالغة ، او كلمة نابغة ، فماذا تغني الصفات التي تذكرها في مثل هذا المجلس ؟

فقال له محاوره : تغني غَناءها على احسن مايكون ، ان راعيت معها اموراً يقتضيها المقام . فان كانوا يخوضون في الفلسفة فاركن الى المادية الباحتة،فانها لا تكلفك غير الانكار ، والتشكك والاصرار،فهي بضاعة المفلسين،وعَتاد المعدِمين، وان كانوا يتذاكرون العلم ، فاحفظ مما يسردونه من اسماء العلماء اسمين او ثلاثة اسماء وأفِض فى تقريظ اصحابها،واذكر ماسمعته من اسماء كتبهم وبالغ في تقدير قيمتها، فان عارضك معارض فخذه بالقوارص،ولكن في صيغة علمية، لتستر بذلك املاقك مما انت بصدده

وان كانوا يتذاكرون الادب،فأنت تحفظ اسماء عشرات من الشعراء فخذ في المفاضلة بينهم قائلا : ماابلغ هذا في المديح،وما ارق ذاك في النسيب ، وما افحش فلانا في الهجاء،الي غير ذلك.فان لم تجن من وراء هذا الا صرفهم عما هم فيه،هربا من خلطك وخبطك ، لكفاك ربحا

فقال له صاحبه : هذا تسويل شيطان،لا نصح انسان،فان كانت المنزلة عندالناس لاتنال الا بهذه الصفات الذميمة،فاجدر بالمرء ان يعتزلهم من ان يتقمص روح شيطان

لينال اقبالهم . على ان ماتقوله ايها الاح لايصدق الا على الطبقات المنحطة منهم، وان بلغ آحادها من الثراء ما بلغوا، فان المال ليس بمقياس صحيح لتقدير درجات الطبقات الاجتماعية، ولا حكم اهله مما يعتد به في انزال الناس منازلهم، فكل مجلس لايقام فيه للعلم وزن، ولا يرفع فيه بالادب رأس، لايصح ان يعتبر الا بيئة ساقطة، وان لبس اهلها الحرير، ولعبوا بالدنانير

على اني اقول : هب ان الناس كلهم على الشاكلة التي تصورها، فذلك لا يبرر ان نوبق الانسان نفسه لينال حظا من عنايتهم (١)، فأولى بالعاقل ان يعيش مغموط الحق، مبخوس القدر، وهو حاصل على نعمة الفضيلة، من ان يأخذ غير حقه منهم وهو مرتطم في حمأة الرذيلة (٢)

قال الوجدان : فهز مناظره كتفيه وهو يقول : انت وما اردت. وحضر ثالث، فجلس قريبا منهم ثم رابع ثم خامس، فقطعوا هذا الكلام، وغصت حديقة القهوة بالناس، فبينما انا اتأهب للطيران، واذا بعصفور على مقربة مني اخذ يحدق في، فالتفت اليه، فرفرف بجناحيه، وصفر بملء شدقيه، وقال لى بلغة الطيور، اوعيت مادار بين الرجلين ؟

قلت : نعم

قال : بأيهما تريد ان تأتم ؟

قلت : لاوجه للمفاضلة بين خطة شيطان رجيم، وطريقة ملك كريم

قال : دع هذا، وقل لي كيف آثرت صورة الحيوان البهيم، على ما صورت عليه من احسن التقويم؟

قلت . معاذ الله

قال : فما بالك تنفق من عمرك عشر ساعات في هذه الصورة الحيوانية، أكان صاحبك لقنك هذا السر لتنحط به الى اسفل سافلين، ام لتنتفع به فى الاحايين ؟

---

(١) يوبق اى يهلك . ومغموط اي مجحود (٢) مرتطم اى واقع . والحمأة الطين الاسود

قلت . عفواً ، هذا من المرح بالجد

قال . كلا ، لقد استحققت التعزير ، لاستخفافك بهذا السر الكبير (١) ، ثم صاح بي قائلا . عد الي صورتك الآدمية

قال الوجدان . فوالله ما أتمها حتي رأيتني قد تحولت الي صورتي الحقيقية ، وكدت اقع على رؤس المتندين تحت الشجرة ، لولا ان شددت نشوبي بالاغصان (٢) ، واخذت اكرر الكلمات رجاء ان اعود الي ما كنت عليه ، لاخلص من هذه الورطة فلم تجد نفعاً ، وخشيت ان اقع علي عين احد الحاضرين فافتضح ، وينالني كل وقح ، فطفقت استعطفه فلا يعطف ، واستميحه العفو فلا يسعف ، وانا في حال من الوجل تكاد تسلبني قوتي فأقع فيما اخشاه . وما راعني الا ان نظر الي نظرة المتشفي ، وطار كأنه يريد حتفي ، فلا تسل عما اصابني من الاعنات ، عندما يئست من الافلات (٣) ، فأجمعت امري علي ان الزم مكاني حتي ينتصف الليل ، فهو اخفى للويل ، وان اتسلل من تلك الحديقة حتي اصل الى الطريق ، ولكن ماذا يكون من امري ان لحني الخفير ، وقبض علي كما يقبض علي لص شرير ، وبماذا احتج عند التحقيق ، للخروج من هذا المضيق ، وماذا يكون وراء ذلك من سوء القالة ، وشنعاء الاحدوثة (٤)

كل هذا جاش في صدري ، فكدت اقع مغشيا علي ، ولا ان تداركني الله بعود ذلك العصفور ، فنظرت اليه نظرة المسترحم ، فقال : تتوب ؟

قلت . ان صادفتني بعدها في صورة غير صورتي ، فقد حلت لك عقوبتي

قال لا اريد ان تعدل ، ولكن ان تعتدل . ثم قال اتل الكلمات . فتلوتها فصرت الي ما كنت عليه ، فطرت الي جانبه وقلت له من انت رحمك الله ؟

فقال . انا الذي قابلته بالتوفيقية ، ولقنك هذه الكلمات العلوية

فقلت . لقد زدتني لبسا

---

(١) التعزير التأديب (٢) المتندين المجتمعين . و نشوبي بالاغصان اي تعلقي بها (٣) الاعنات المشقة (٤) القالة اسم من القول . وسوء القالة اي سوء قول الناس . والاحدوثة ما يتحدث به الناس

فقال : انا استاذك الحكيم بن مرشد ، ثم اندفع في الهواء، اندفاع القذيفة فى الفضاء

اما انا فزايلت الشجرة من ساعتي ، ثم تلوت الكلمات فعدالي صورتي

الوجدية الخامسة

روى الوجدان قال :

خرجت للتنزه يوما أتحرى مَهابّ الصَّبا، وأتخير التِلاع والرُبا(١)، حتي جزت المدينة وجَلَبَتَها، وشارفت الفلاة وسكينتها، فلاحت لى أيكة عليها طيور تتناغي (٢) فحبب الي ان اشاطر هذه الكائنات مَرَحها ، ولو ساعة من الزمان ، اجلو بها عن صدرى صدأ الحِدْثان، فتلوت الكلمات قاصداً ان استحيل الي وَرَشان(٣)، فكنته في مثل لمح البصر ، فطرت صوب الشجرة واندسست بين سواجعها ، واخذت إخذها في الشدو والتغريد ، هي مرحة بعيشها الرغيد، وانا طرب بشكلي الجديد، حتي لاح شبح رجل من بعيد، فقال واحد من رفاقى هذا ابوالاقبال المجنون، صاحب الفنون، وطريد هذا الجيل المفتون، فالتفت اليه الباقون، وقالوا انه اليوم اهدأ ما يكون. ثم انبرى هدهد من بين الجماعة وقال : من عجيب ما رأيته فيه ، انه لوقابله انسان سأله من انت ، فان اجابه على طريقة العقلاء، ثار عليه، وقصد بالسوء اليه، حتي يفر من بين يديه ، ولكن ان اجابه بقوله : انا مجنون، استقبله باكرام، وافاض معه فى ضروب من الكلام

قال الوجدان : فحدثتني نفسي بملاقاة هذا المجنون، منتهزا فرصة ما هو فيه من

---

(١) مهاب جمع مهب اي مكان هبوب النسيم. والصبا اسم نسيم مهبه مطلع الثريا، والتلاع جمع تلعة وهي الجهات المرتفعة. والربا جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض (٢) الجلبة بفتحتين الصوضاء . وشارفه قرب منه. والايكة الشجرة (٣) حدثان الدهر نوائبه. والورشان نوع من الطيور

السكون ، فطرت من الشجرة حتي صرت وراءرابية (١)،فتلوت الكلمات السرية، قاصداً العود الي صورتي الآدمية،ثم علوت تلك الربوةفرأيت ابا الاقبال قدجلس الى تلك الشجرة،فقصدته، فلما قربت منه بدرته بالسلام . فقال من انت ؟

فقلت : مجنون

فضحك ضحكا عاليا،وصفق تصفيقاً متواليا ، وما زال يقهقه وينظر حواليه ، ويتأملني ويقلب يديه،حتي ساءظني،وكدت ارجع ضنا بنفسي.الا انه اخذ يهدأ يسيرا يسيرا ، فلما تمالك نفسه عاد الى قوله من انت ؟

فقلت : مجنون ؟

فقال . مجنون ؟ وهذه انوار العقل محيطة بك احاطة الدارة بالشمس ،والهالة بالقمر (٢)،وجلاله فائض على كل صغيرة وكبيرة فيك،فماذا شاقك من المجانين،حتي تندس الي زمرتهم ؟

قلت . لقد صدقتك القول ، فأنا مجنون

قال . مجنون ؟ وحلق اليّ بعينيه ، ثم اخذ يغمزني بحاجبيه ،ويهزأ بي بلسانه ويديه (٣)، ثم هدأ وقال . لو كنت مجنونا لكنت مثلي حاسر الرأس،حافى القدمين لا يستر جسمك الا قميص وجلباب.هذا لبوس المجانين،وربما استثقلوها في بعض الاحايين،اما انت فآثار العقل العالي ظاهرة عليك،ونوره الباهر يسعى بين يديك ....

فنى يدك عصا تحملها ولا تحملك ، وتخدمها ولا تخدمك،وعلي راسك غطاء احمر، يحصر الحرارة في يافوخك ، لا يقي جبهتك من هجير ، ولا قفاك من اقل تأثير (٤). وفى عنقك غُل من القماش المنشّي ، محاط برباط من الحرير المغشّي ، يضغط علي اخدعيك ، ويعيق الدم ان يصل الي مخك وعينيك (٥).وعليك ملابس

---

(١) الرابية كالربوة ماارتفع من الارض (٢) الدارة اصلها كل مايحيط بالشيء والمراد هنا مايحيط بالشمس من اشعتها اللامعة.والهالة هي الدائرة المضيئة التي تحيط به (٣) الغمز بالعين والجفن والحاجب الاشارة بها (٤) اليافوخ قمة الرأس.والهجير شدة الحر (٥) الغل طوق من الحديد يجعل فى عنق الاسير او يده .والمنشي اي المقوي بالنشا . والمغشي من غشي الشيء غطاه . والمراد انه محلي بأغطية عليه . والاخدعان عرقان في جانبي العنق

قد ضاقت حتي لتكاد تمنع الهواء ان تتسرب الى مسام جلدك، والاخلاط ان تنفرز لمصلحة جسدك، وفى قدميك حذا آن قد حرّما عليهما التغذي، حتي اصبحا عرضة للصلابات، وانواع التقيحات، وكل هذا يا ابن اخي علامة العقل الرجيح، وامارة الفكر الصحيح، فكيف تريد ان توهمني معه بأنك من اخواننا المجانين، وما الذي يحملك ان تحشر مع الاذلين، وتحسب من المرضي المضحكين؟

ثم نظر ذات الشمال، وقال هاهو ابو الرئبال، عمدة المجانين، وعماد الموسوسين

قال الوجدان: فالتفت فرأيت رجلا اشعث اغبر، ليس عليه من اللباس الا مستتر (١)، مقبلا علينا وهو واضع يده على صدغه، ورافع عقيرته بغناء لم افهم منه حرفا، ولا اجد لتنافر ألحانه وصفا. فلما وصل الي جذع الشجرة جلس ولم يسلم، واستمر فى غنائه المشوّش هنيهة، ثم سكت. فالتفتَ اليه المجنون الاول وقال له: عندى مسائل يا ابا الرئبال

فقال الثاني: هاتها يا ابا الاقبال

فسأله: ما العقل؟

فقال ابو الرئبال: عندنا ام عندهم؟

فقال ابو الاقبال: عندهم

فاجابه: هو مجموع رث من ضلالات المشاعر، وجمهرة مشوّشة من احكام الحواس (٢)

فقال ابو الاقبال: زدني شرحا، زادك الله فتحا

فقال ابو الرئبال: نعم، نظر الانسان في الوجود والموجودات، وهو لم يحمل من آلات هذا النظر الا حواس ليست كليلة محدودة القوى فقط، ولكنها لا تقبل تأثير الاشياء الا على حال يناسب تركيبها، ويوافق طبيعتها. فالعين ترى جسما، ولكن

---

(١) اشعث اي متفرق الشعر. واغبر اى عليه غبرة وهي التراب. والمستتر الثوب الذى يستتر به (٢) الرث سقط المتاع. والمشاعر الحواس. وجمهرة اي مجموع، من جمهر الشيء جمعه

حجراً مثلا، فتدرك له حجما معينا، وشكلا مهيئا، ثم تتنا وله اليد فتحس به صلباً خشناً، وتقرعه بعصا فتدرك له الاذن صوتا ذا تأثير خاص على عصبها

وقس على ذلك جميع المرئيات التي وقعت تحت نظر الانسان من جامدات ومائعات وغازات، والمدركات من اصوات وطعوم ومشمومات ومحسوسات، فأدرك منها بحواسه المختلفة صفات معينة، وحالات مختلفة فكان مجموع تلك الاحكام عقلا مكتسبا له، استخدمه في تحسين حالته المادية والادبية، وهو كما يسخره في استكشاف المجاهيل الصورية، يسخره كذلك لادراك الحقائق الاولية، والشعور بالطائف المعنوية

ويغفل الانسان ان هذا العقل المكتسب ليس بشيء غير مجموع احكام هذه الحواس الجسدية، وان هذه الحواس لاترى الموجودات على ماهي عليه في الواقع، ولكن على حال يناسب تركيب تلك الحواس. فالحجر الذى ضربناه مثلا هنا هو حجر له تلك الصفات المعروفة عنه بالنسبة للحواس التي ادركته. اما هو في الواقع فحركة اثيرية لايفترق عن اي جسم من الاجسام المبثوثة فى الكون، سواء أكانت حية ام ميتة، سائلة ام جامدة ام غازية

ولو اعطينا حواس ادق من حواسنا هذه، واقدر على ضبط الجزئيات، لرأينا الوجود على غير هذه الصورة، ولأدركنا لعلاقات الاشياء بعضها ببعض نظاماً يناسب ذلك الشعور العالي بها، وهلم جرا الى ان تنتهي الحواس في الشعور بها الي حال تتلاشي معه الفروق التي بينها، فلا يكون الا الاثير وحركته او الكائن الاول الذي استمدت منه الاشياء وجودها

فقل لي اذا فهمت ما افضي به اليك الي اي حد تتغير عقولنا تبعاً لتغير شعور الحواس، وتتخالف احكامنا على الاشياء باختلاف ادراكنا للعلاقات الموجودة بينها؟

فاذا نهض الانسان بهذا العقل العادي يجوس خلال الكون، يصدر به عليه الاحكام القاطعة، ويري في قواه الآراء الفاصلة، ويحاول ان يعتصر المحسوسات ليستخرج منها حقيقتها الاولية، كان مستهدفا نفسه لاشد الضلالات عدوانا على كماله، واكثر الاخطاء ابعاداً له عن جلاله، فيعيش مغرورا ويموت مغرورا ولا كرامة

قال ابو الاقبال: افادك الله ايها العميد، ولا حرمنا رأيك السديد، فما العلم؟

فقال ابو الرئبال : عندهم ام عندنا ؟

قال : عندهم

فأجابه : العلم ابن العقل،فهو كأبيه اسير الحواس، وفائدته محصورة في ادراك العلاقات التي بين الموجودات في دائرة محدودة،يقضي بها تحددقوي هذه الحواس، وقد ادي ادراك تلك العلاقات الي استكشاف وسائل افادت الانسان في حياته الحيوانية. فقيمة العلم في الواقع كقيمة العقل نفسه،فهو نسبي مقيد ، ومن العجيب ان كثيرا من «العقلاء» اتخذوا هذا العلم قائداً ليوصلهم الى ادراك الحقائق الكلية، فجروا فى ذلك شوطا اداهم الى نكران كل شيء الا احكام حواسهم القاصرة،فانكروا ارواحهم ، وجردوا الكون من كل معني وكل قصد وكل غاية،وقرروا بانه مادة عمياء صماء،تؤثر فيها قوة هوجاء خرقاء،تعمل فيه على غير هدي،وتتجه به الي غير وجه،ولا ادري بعد ان تأدت هذه المواد المفكرة الي هذه النتيجة،لم لا تقتل نفسها هربا من هذه الوحشة المطلقة،والجهالة المطبقة،الآخذة بمتنفس الكون،والسائدة فيه سيادة السلطان القاهر فوق عباده

قال ابو الاقبال : فما الفلسفة عندهم ؟

قال ابو الرئبال : هي ابنة العقل،وهى كأبيها واخيها مجموع من احكام الحواس القاصرة،ومن العجيب انها قد اغترت بنفسها حتي زعمت انها زعيمة الحقيقة المطلقة، والمتصرفة في عوالم المعاني المجردة،وغفلت عن انها لا مطية لها في هذه الجولة الا هذا العقل ، وهو على ما وصفته لك من قصور القوى ، وتحدّد القُدَر

قال ابو الاقبال : فما الظرف عندهم ؟

قال ابو الرئبال : ان تتقن التصنع ، وتحذق التكلف (١) ، فلا تفوه بالسلام ولا تتحفز للقيام ، ولا تندفع في الكلام،ولا تظهر عاطفة او تبدى عارفة،ولا تأكل ولا تنام ، مدفوعا بالدافع الطبيعى وفى الحد الذى يحده العقل ، بل بدوافع الرياء والخداع والنفاق،والناس يعلمون ذلك ولكنهم يتجاهلونه ويتغابون عنه،فاذا قالوا عن انسان انه لظريف لطيف خفيف ، عَنَوا به انه لمنافق مخادع مُراء،ولا يفهم

---

(١) حذق الرجل فى صناعته اي مهر فيها

السامعون من معني الظرف واللطف والخفة الا هذا ، فتراهم ان مدح غائب بهذه الصفات امامهم هز الجميع رؤسهم بالموافقة،ثم ينظر بعضهم الي بعض ولا يجرأ واحد منهم ان يرد هذه الصفات الي اصلها،ولو فعل لاتهموه بالتعمق والتنطع،وربما رموه بالجنون ، لاعتبارهم ان هذه الامور من الحقائق التي لا يصح كشفها لعدم امكان الحياة علي نظام آخر

قال ابو الاقبال : لا فض فوك، ولله ابوك،فما المدنية ؟

فقال ابو الرئبال : عندهم ام عندنا ؟

فقال : عندهم

فأجابه : الافلات من جميع الرُبط الادبية ،واطلاق العنان للاهواء النفسية، والتمذهب بالاباحة الفوضوية ، فان وقف العلم عقبة فى هذا السبيل، قالوا العلم شيء والحياة شيء آخر،لذلك تراهم في كل امورهم من مأكل ومشرب وملبس وملهي علي نقيض العلم ، بل كأنهم بعثوا لدحضه،والعمل علي نقضه،وهيهات،متاع قليل، ثم تصيبهم المثُلات،وتحل بناديهم القوارع،وتأخذ بمخنقهم النوائل،عقابا علي ما فرّطوا وأفرطوا ، والنظام الوجودي يابي ان تتسرب ذرة من الخلل الي بنائه فلا يعذر جاهلا علي جهله،ولا يطاول مفتوناً فى فتنته،ولو كشف لك عما تحت هذه الحلل المزركشة،والاكسية المطرزة،وما فى باطن هذه الاجساد المردة،والخدود الموردة (١)، من جراثيم الادواء العضالة،واصول العفونات القتالة،لوليت منها فرارا ولمِلئت منها رعبا

قال ابو الاقبال : مرحي مرحى، لقد جئت بالقول الفصل، ونصرت الجنون علي العقل ، فلا زالت دولة المجانين بك مرفوعة الاعلام ، قوية الحجة بين الانام

قال الوجدان : سمعت كل هذه الاجوبة وانا شديد العجب ، عظيم الطرب ، فنسيت اني بحضرة مجنونين ، وظننتني حيال فيلسوفين جليلين

فقلت : ما لنا نري ياابا الاقبال ...

---

(١) المثلات العقوبات جمع مثلة. والقوارع النوازل جمع قارعة. المردة الململسة

فوالله لم اكد أتم هذه الكلمات حتي صاح بي صيحة تصم الآذان وقال: أبلغ من قدر العاقلين، ان يتطاولوا الى محادثة المجانين، ثم هجم هو وصاحبه علىّ، وأدركت اني لو ثبت فقد يلحقني منهما اذى، فلم ار افضل من تلاوة الكلمات، بقصد التحول الى عصفور، ففعلت، وبينما هما يقبضان علىّ اذا بي افلت منهما على صورة طائر، وحططت على غصن من الشجرة

فنظر الي ابو الاقبال، وقال وهو يهز رأسه، فعلها يا وجدان، لتبوأن بإثمها الآن. ثم انطلقا وانا انظر اليهما، حتي غابا عن عيني، وكانت الشمس آذنت بالغروب، فأردت ان اعود الي صورتي الانسانية، وهممت بقراءة الكلمات فرأيتني قد نسيتها، فأخذت اجهد نفسي فى استعادتها، واعتصر مخي لتذكرها، فكاني لم احفظها، بل كأني لم اسمعها، فكدت اتلاشي كمدا وحزنا، وطفقت من حيرتي انتقل من غصن الي غصن، واطير من رابية الي رابية، ثم هجس في نفسي ان اللذين انسيانيها هما ذانك المجنونان، بل الوليان الكريمان، فاندفعت في الاتجاه الذي اتبعاه حتي وصلت الى المدينة، فلم اجد لهما اثرا، وكانت الشمس قد توارت بالحجاب، واخذ ظلام الليل ينساب، فنولاني من الذهول والحيرة، ما كاد يقضي علىّ، وبينا انا اتقلي على جمر هذا الضيق واذا بصفرة عطف من عصفور على قمة الشجرة، فطرت اليه، فقال مابالك يا ابن عم؟ فحكيت له ماجري، فأظهر لى غاية النفور، من كوني آدميا فى صورة عصفور، وقال ما كفاكم يا بني حواء، ما بثثتم فى الارض من الشقاء، فشرعتم تبثونه في الجواء، وتكدرون على الطيور الصفاء؟

قلت: ما لهذا قصدت، وانما انا واحد من الذين يتصيدون الاسرار، ويستخدمونها لاصلاح الاشرار

فقال: ان ابا الاقبال وصاحبه رجلان من الاولياء، يكثران التنقل فى الارجاء، فاذا صادفتهما ساعة في القاهرة، كانا فيما يليها فى بكين او لوندرة، فكيف السبيل اليهما، لاستعطاف قلبيهما؟

قلت: وما وجه العمل، في هذه الحال الجلل؟

قال: ان تصبر على ما انت عليه حتي تصادفهما، وتستميح الصفح منهما، فهما

اللذان سلباك ذكر الكلمات ، وحاملاك بهذا الاعنات

قلت : أأبقى على ما انا عليه عصفورا ، فربما استمر ذلك شهورا ؟

قال : ولعله استمر سنين ، او دام أبد الآبدين

قال الوجدان : فأصابني من الوجوم والكمد، مالم تفق لغيرى احد . فلما رآني العصفور على هذه الحال، قال لا بأس عليك ، اني اعرف وليا يهديك الى الطريق ويخرجك من هذا الضيق

قلت : من هو رعاك الله ، وأتم عليك نعماه

قال : هو الاستاذ المنجد ، الحكيم بن مرشد

قلت : رحماك هو استاذي الاول ، وعمدتي الذى عليه المعول. أين هو لاذهب اليه ، واستندي راحتيه ؟

فرفرف العصفور بجناحيه، وقهقه بملء شدقيه. ثم قال اتل الكلمات وعجل بالافلات

قال الوجدان : فعادت الي ذاكرتي ، وكأني لم أنسها فى ليلتي

فصحت به : هو انت ؟

فقال : انا هو ، فارجع من حيث اتيت ، وانتفع بما عانيت

الوجدية السادسة

أخبر الوجدان قال :

اصبحت ذات يوم برماً بالعمل (١) ، فرأيت انه لا يعيد الىّ نشاطي الا خروجي من دائرة ما ألفته وتعودته الي مايخالفه ، فخرجت من مكتبي في الساعة الثامنة ماشياً ، فما زلت انتقل من طريق غاصة بالغوغاء ، عامرة بالضوضاء ، الي شارع لا يكاد يسمع فيه الانسان ركزا (٢)، وانا اسبح من مختلف الصور الذهنية،

---

(١) برما اي سئما . يقال برم به اي سئم منه (٢) الغوغاء اخلاط الناس . والضوضاء الجلبة . والركز الصوت الخفي

في لجة لا ساحل لها نسيت معها نفسي حتي انتهيت الي شبرا، وكان قد بلغ مني الاعياء، واوشكت الشمس ان تبلغ كبد السماء. فحبب الىّ ان استريح هنيهة ثم اعود دراكا، فتخيرت قهوة وجلست الي ناحية منها ، وكان على مقربة مني جماعة من الشبان يجولون من الحديث في كل مجال، ويتبارون في ضروب من الجدال، فتارة يصطخبون، واخرى يتضاحكون (١)، وبيناهم على هذه الحال واذا بشيخ يناهز السبعين، لابساً لبوس البوابين، له لحية بيضاء، وعمامة حمراء، وسيما ينم عن نفس زكية، وسذاجة طفلية، فتناول كرسيا وجلس غير بعيد منهم، ولم يعتره ما يعترى امثاله حين ينزلون غير منازلهم، ويجالسون سوي اشكالهم ، فنظر اليه اولئك المتنـدون شزراً، وهموا ان يوسعوا صاحب القهوة هجرا (٢)، ثم كأن قد بدا لهم فتحولوا من التبرم به الى الضحك منه. فقال له قائل منهم :

مرحباً بالعم

فأجابهم بوجه طليق، ولسان زلق : حياكم الله وهداكم ، ولا شق عصاكم (٣)

فقال له قائل آخر : من اين اقبلت ؟

فقال : من حيث يقبل الرجال

فسأله : والى اين تذهب ؟

فقال : الي حيث يذهبون

فقال له ثالث : وماذا تعمل ؟

فقال الشيخ : ما يعمله العاملون

فقال رابع : وماذا تأكل ؟

فقال الشيخ : ما يغذوني

فقال : وماذا تشرب ؟

قال الشيخ : ما يرويني

قال الوجدان : فتضاحك اولئك الفتية، وتصايحوا، وضربوا الارض بأرجلهم

---

(١) يصطخبون تختلط اصواتهم (٢) نظر شزراً اي من جانب العين كما يفعل المغضب. والهجر بضم الهاء القبيح من الاقوال (٣) شق العصا كناية عن التفرق

استخفافا بهذه الاجوبة . ثم التفت اليه واحد منهم بعد ان هدأت ثائرتهم وساله :

وعلى اى شيء تمشي ؟

فقال الشيخ على مايوصلني الي الغاية

فسأله : الى اي غاية ؟

فقال الشيخ : الى غاية كل حي

فقال له خامس : ألا تجيبنا على ما نسال ؟

فقال الشيخ : ألم أفعل؟

فقال له : ولكنك تجيب بكلام مبهم

فقال الشيخ : وما حيلتى اذا لم تفهم ؟

قال الوجدان : فضحكوا اكثر مما كان منهم اولا، وهاجوا وماجوا، حتي لفتوا نظر السابلة . ثم سكنت فورتهم وعادوا الى مساءلته (١)

فقال له واحد منهم : ماهذه ؟ واراه عصاه

فقال الشيخ : ماتسمونه عصا

فسأله : وماذا تسميها انت ؟

فقال الشيخ : لاشيء

فسأله : كيف تقول لاشيء وهي توجع ؟

فقال الشيخ : هي توجع من يعتبرها شيئا

فقال الشاب : لاشيء اسهل من اختبار ماتزعم

قال الوجدان . فلم يكد ذلك العاطل يتم كلمته هذه حتي صاح به الشيخ صيحة ارتج منها المكان ، وكسرت من شرة اولئك الشبان ، فقبعوا قبوع الحملان ، اذا رأت السرحان (٢) ، ثم التفت اليهم وقال:

شاهت هذه الوجوه، ورغمت هذه المعاطس، وباءت تلكم النفوس بما كسبت

---

(١) السابلة المارة (٢) الشرة بكسر الشين الحدة. وقبعوا المراد هنا تقبضوا خوفا ، من قولهم قبع القنفذ اى ادخل رأسه فى جلده . والحملان جمع حمل وهو الخروف . والسرحان بكسر السين الذئب

من جرائر، وناءت بما حملت من معاير، وشربت من صاب عملها كؤوسا دهاقا، جزاء وفاقا، لا ادعو بذلك عليها غضبا لنفسي، ولكني ارجوها لتثوب الي الهدي، وتحيد عن طريق الردي (١)، ولو كانت القلوب تبل من ادوائها، والنفوس تطهر من اهوائها، عفواً صفواً (٢)، لرجوت ذلك لكم، ولكن دون الخلاص مما انتم فيه شق المرائر، وإدماء المحاجر، وخوض الهواجر، وهتك السرائر (٣). فان لم تكف، فصنوف الرزايا، وشكول البلايا، من امراض تذيب الاجسام، ومتربة تلحق النواصي بالاقدام، وضيعة ليس معها وجود، وادبار لا يخضر معه عود، ولا يكون لتاراته حدود (٤). فان لم تكف فالاصطهار بالنار، والتردّي في هاوية ليس لها قرار. فان لم يكف فلات حين ندامة، هو الهلاك ولا كرامة (٥)

اراكم تضحكون وتمرحون، واعجب كيف لا تبكون، حتي تتقرح منكم الجفون، وينضب ماء العيون، حياة اهون على الحدثان من قلامة ظفر، ووجود اضعف في معترك العالم من فقع بقفر (٦)، تدور عليكم الادوار فتعركُكم عرك الأديم، وتحطمكم ثم تذروكم كالهشيم (٧). هلا ربأتم بأنفسكم فتساءلتم مع السائلين، عن حكمة هذا البلاء المبين؟ (٨)

عجبت والله منكم، تشوك احدكم الشوكة فيطير لها لبه شعاعا (٩)، وترتعد منها

---

(١) شاهت اى تشوهت. ورغمت المعاطس اى لصقت هذه الانوف بالتراب ذلا. وناءت بالحمل ثقل عليها. والمعاير المعايب. والصاب نبات مر الطعم. ودهاقا اى ملأى. وفاقا اي على وفق الذنب. ولتثوب اي ترجع (٢) تبل اى تشفى من أبلّ من مرضه (٣) المحاجر جمع محجر وهو ما يحيط بالعين. والهواجر جمع هاجرة وهو حر نصف النهار (٤) المتربة الفقر. والتارات المرات (٥) الاصطهار بالنار اى الذوبان بها. والتردي السقوط. فلات اى فليس (٦) الحدثان حوادث الدهر. والفقع نبات حقير بالصحراء تدوسه الارجل (٧) تعرككم اى تفرككم بين اصابعها. والهشيم النبات اليابس (٨) ربأ بنفسه اى ترفع بها (٩) يقال ذهب القوم شعاعا اي متفرقين. ويقال طارت نفسه شعاعا اي تبددت من خوف ونحوه

فرائصه ارتياعا،وتطعنه المثلات في صميم قلبه،وتساوره الاحداث حتي تذهب بلبه (١)،فلا يرفع بذلك رأسا،ولا يقيم له وزنا،إما خنوعا لوساوس إلحاده،وإما خضوعا لأهام اعتقاده (٢)،فهو، ملحداً ومؤمناً،يريد ان يعيش بجثمانه وجثمانه، وان لايتعدي فى البحث دائرة الحاده او ايمانه،على انه لو صدق الملحد في الالحاد، وخلص المؤمن في الاعتقاد،لوصلا الي غاية،وتلاقيا في النهاية،ولكن كليهما يكذب في دعواه ، وينقاد الى هواه ، في الوقوف عند حد لايتعداه

ايها الاغيلمة ما يضحككم مني (٣) ألحيتي البيضاء،ولا بائكم مثلها؟ام مظهرى من الحاجة،ولم أسألكم سدها؟أم زيي الشرقى،وهو زى اسلافكم؟ام ما يوهمه حالى من الجهل ، وليس هذا حظ الجاهلين من العالمين ؟

والله اني ماأغشي هذه الاماكن ،لأقتل — كما تقولون — وقتاً،ولا لأروح نفسا،ولكني أغشاها لارى ساعات الناس كيف تضيع،ونضارهم كيف يتسرب، وكراماتهم كيف تهان،واخلاقهم كيف تنحط ، وقلوبهم على اي حال تموت (٤)

يقول الاحياء الوقت من ذهب،وعندكم الوقت من تراب،وان للتراب لشأنا عند العارفين ، وحقا على العاملين

ساعاتكم هذه فرص من صميم الحياة،ونهز من ايام العمر،ومهل من عوادي الدهر،تنفقونها سرفا في هذه البيئات (٥)، لا لحاجة عارضة،ولا لفائدة متوقعة، ولكن لانكم تعتبرونها جديرة بالانفاق سدي،وخليقة بالضياع على غير هدى،ثم يسأل امثلكم لماذا لا نلحق شأو الامم السائدة،وكيف نحسب في الجماعات البائدة،وربما اضله الكدر ، فأنحي بالعتب على القدر (٦)

أما ومن خلق الانسان،ووضع له الميزان،لا يستوى عامل وعاطل،ولا عالم وجاهل

---

(١) المثلات جمع مثلة بفتح فضم وهى القارعة والعقوبة.وتساوره تهاجمه (٢) خنوعا أى خضوعا (٣) الأغيلمة تصغير غلمان (٤) النضار بضم ففتح الذهب (٥) النهز بضم ففتح جمع نهزة الفرصة وزنا ومعني.ومهل بضم ففتح جمع مهلة.وعوادي الدهر حوادثه . والبيئة المنزل والحالة (٦) فأنحي اي فأقبل

ولا يقظ وغافل، ولا ناقص وفاضل، ولا جادّ وهازل، كما لا يستوي حق وباطل ، ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فاذا هو زاهق، ولكم الويل مما تصفون﴾

قال الوجدان : ثم أنّ الشيخ أهمّتة خلت انها ألهبت المكان، او احرقت اولئك الشبان، وما أتمها حتي رأيتهم تسللوا واحدا إثر واحد، وهم سكوت خاشعون، حتي تساءلت هل هؤلاء هم الذين كانوا قبل برهة يتصاخبون، ويتسكعون في غيهم ولا يرعوون (١)

فلما خلا المكان، الا مني وذلك الانسان، اقبلت اليه مسلما عليه، وهويت الي يده لاقبلها، فرد التحية، بعبارات طلية، ولكنه جذب مني يده، ونظر اليّ متبسما عن مثل الجمان المنضد (٢)، وقال :

أمن زراية الي عبادة ؟ (٣)

قلت : عفواً ، فهؤلاء طغام من حثالة الشيء ليس لهم اصل يرجعون اليه (٤)، ولا غرض يعملون عليه، فهم عالة على آبائهم، وقد جعلوا دأبهم الاختلاف الي القهوات والتردد على المجتمعات، يتصيدون خزية يتجاذبونها، ويترقبون عوراء يتقحمونها (٥) اما انا، ولا ازكى نفسي، فأعرف الفضل واحب اهله. وقد سمعت منك مالم اسمعه من ناطق بالضاد، على غير استعداد، فأردت ان ارد هذا المورد العذب، وان ألتقط من هذا اللؤلؤ الرطب

قال الشيخ : ان ما رأيته مني لا يعدو حد الفصاحة، ان كان ما قلته في شيء من ذلك، ولكن رب فصيح لسانه ، خرب جنانه ، فلم لم تتثبت قبل ان تحكم ؟

قلت : قد اعتمدت على فراستي، ولقد صدقتني في كل موطن

فضحك الشيخ حتي بدت نواجذه (٦)، ثم امسك بيدي وقال: لو كنت مصيبا

---

(١) يتصاخبون يتصايحون . ويتسكعون من تسكع في امره اي لم يهتد لوجهه. ولا يرعوون لا يكفون (٢) زراية اي تحقير (٣) الطغام بفتح اوله اوغاد الناس يستوي فيه المفرد والجمع. والحثالة بضم اوله ما يفضل على المائدة من البقايا وهو هنا كناية عن الساقطين (٤) العوراء كل فعلة او قولة سيئة (٥) ويتقحمونها اى يخوضون فيها (٦) نواجذه اي اقصي اضراسه

في الفراسة عني ، لاصبت انا في الفراسة عنك

قلت : ماترى فيّ ؟

قال الشيخ : أتفرس فيك، قصور الهمة عن غاية بعيدة، وفتور العزيمة في المواقف الشديدة، يتراءى لك الكمال، ويتيمك الجمال (١)، فتندفع اليها بكليتك، ثم ترتد عنها بقصور همتك ، وفتور عزيمتك

قلت : لقد قرطس في الفراسة سهمك، وتمداء جزني امرى فهل عندك دوائي؟ (٢)

فقال الشيخ : كيف يعجزك الدواء وانت تذكره ؟

قلت : ماهو يرحمك الله ؟

فقال : علمك بما انت عليه

قلت أمعرفة الداء ، توجب الشفاء ؟

فقال الشيخ : هي الدواء ، فاسأل الاطباء

قلت : ان الاطباء يصفون العقاقير ، وقد وضعوا في تدبيرها الدساتير (٣)

فقال الشيخ : أولئك أطباء الاجسام ، وهي لا تقوم الا بالشراب والطعام ، ولكني احدثك عن طب النفوس ، وهي تلك المعاني المجردة التي لا تقوم الا بالعلم ولا تصلح الا بالحكمة

قلت : فالكذاب يعرف انه كذاب، ويدرك ان كذبه ذلك سيلحقه بالأذلين، ولكنه لا يملك لعوجه تعديلا ، ولا لعلته تحويلا

فقال الشيخ : أكلمك عن نوع الانسان، وتكلمني عن عالم الحيوان

قلت انا أكلمك عن الانسان ، ودليلي على ماأقول العيان

فقال الشيخ : لعلك تظن ان كل من مشي على رجلين، ولوى لسانه بحرفين، وقهقه بشدقين هريتين (٤) ، يعتبر في عرفك انسانا ؟

قلت . هذا مااصطلح عليه العلماء

---

(١) يتيمك اي يأسرك ويستعبدك (٢) قرطس السهم اصاب الهدف (٣) الدساتير جمع دستور وهو القاعدة . والدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك وضوابطه (٤) هريتين اي واسعين

فقال الشيخ . اولئك علماء الظاهر الذين يعتمدون على المظاهر، اما علماء الباطن فلهم في تعريف الانسان حدود غير ما عطيها الجثمان. فاذا كانت النفوس نفوس قردة اوذئاب، اومما يندرج في هذا الباب، فماذا يجديها ان تكون من ذوات الاربع اومن ذوات الاثنتين، وماذا يفيدك ان تلقاك بدسمتين خداعتين ام بنابين حادّتين ؟ فالعبرة بصفات الارواح لا بهيئات الاشباح. فاذا صح قول القائلين بالنشوء والارتقاء فان امثال هذه النفوس الحيوانية، الكاسية بالجسوم الانسانية، تكون قد ارتقت ظواهرها ولم ترتق بواطنها، فهي لا تزال تعد من ذوات الانياب والمخالب، وان أكلت الاطايب، وتربعت في المراتب

قلت . هذا والله الواجب، فما حد الانسان عند اهل الباطن ؟

فقال الشيخ . الانسان هو الكائن الذى خلص من أسر المادة ورعوناتها، ونجا من افراطاتها وسطواتها، واستوى على عرش الاستقلال العقليّ، وانتبذ لنفسه ناحية عن الوجود الحيوانيّ، الا ما يضطره اليه بدنه، فيصيب منه على قدر ما يقيم صلبه، ولكنه لا يتعداه الي ما يفسد عليه قلبه. فهو يعقل الامور ويتفهمها فيختار ما يناسب كماله منها، لا يجد فى نفسه تزاحا بين ما يهديه اليه النظر، وما تدعوه اليه الشهوة، لتغلب قواه الروحية علي قواه الجسدية تغلبا ليس له حد

والا فما قيمة انسانية يكون فيها صاحبها مستعبداً لأخس قوى مادته؟ تدعوه بطنه للاسراف في التغذى، وينهاه عقله عن التعدي، فيغلّب دعوة البطن علي حكم العقل، ويصيبه من ذلك العصيان ما يصيبه من مغْص وغثيان ودُوار ويرقان (١)، ومع كل هذا فلا يقلع ولا يرعوى، بل يعود اليه كلما وجد الفرصة حتي انه قد يهدد بالموت الزؤام، فلا يجد من نفسه قوة علي الاحجام. فهل تعد هذا من نوع الانسان وان مشي علي اثنتين، في جورْبين وحذائين؟

وفي اى رتبة تضع الذين تفني نفوسهم فى ازيائهم، فيمشي احدهم وعقله موزع

---

(١) المغص بسكون الغين وجع الجوف والعامة تفتح الغين خطأ . والغثيان تحرك النفس للقيء . والدوار هو المسمى اليوم بالدوخة

بين ردائه وحذائه،او الذى تتلاشى مرؤاءتهم فى شهواتهم،فلا يطوف بخيالهم غير نزعة بهيمية،ونزغة شيطانية. وماخور يفقدهم كرامتهم الذاتية(١). اوالذين تضيع طيباتهم فى المخدرات وصنوفها،فيمضون حياتهم في ذهول دائم، وجنون ملازم. هل تضع هؤلاء فى رتبة الانسانية،وان ركبوا الاوتومبيلات،وتكلموا بعدة لغات؟

قلت : صدقت والله ثم ماذا ؟

فقال : ثم أقوم الي البيت ، فقد كفاني اليوم مارأيت

قلت : أنا ضيفك الي وقت المقيل (٢)

فقال : ان شئت فالى الاصيل (٣)

قلت : فأين دارك العامرة ؟

فقال : وراء هذه المزارع الزاهرة

قال الوجدان : فخرجنا نمشي الهوينا بين زروع ناضرة،وقصور فاخرة، وقد شغلت بعباراته الساحرة،وفتنتُ بحكمه الباهرة،حتي ذهلت عن الارض التي نحن عليها ، وما لفتني الا قطار من جمال ، عليها هوادج ورحال ، على الرحال مغاربة بالبرانس ، وفي الهوادج نساء كوانس (٤)، وهو مشهد لم اعتده عندنا،ولا وقع على مثله نظر هنا،وأولئك الركبان يتكلمون بلهجتهم المغربية،مما لا يدع لي شكا في انهم من غير قبائلنا البدوية

ثم رميت ببصري فرأيتنا قادمين على بلدة ذات سور أثرى، تتراءى خلفه مآذن ليست من الطراز المصرى،وما كدت ارى ذلك حتي لاحت لي أراض يفلحها رجال ونساء ، ليسوا من مصر فى شيء من الاشياء

فالتفت الي صاحبي متعجباً وقلت له : أين نحن الآن ؟

فقال : فى ضاحية تلمسان ، وقد اتخذتها مثابة منذ زمان

قلت : تلمسان ؟ أين مصر من الجزائر ، وقد كنا فى شبرا منذ عشر دقائق ؟

---

(١) النزعة الميل. والنزغة التسويل والاغراء (٢) المقيل الاستراحة وقت القيلولة
(٣) الاصيل قبيل غروب الشمس (٤) القطار جماعة من الابل على نسق واحد. وكوانس من كنس الظبي اذا دخل كناسه

فقال : ان لم تصدّقني فسل الزُرّاع ، من اهل هذه البقاع

قال الوجدان : فظننت ان الشيخ يمزح، فسألت بعض السابلة، ثم ركباً في قافلة فاتفقوا في الجواب ، ولم يبق محل للارتياب

فعدت الي صاحبي دهشاً وقلت له : كيف يكون هذا ؟

فقال : طويت لنا الارض ، فماذا ؟

فقلت . أكرامة من كرامات الاولياء ؟

فقال . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

قال الوجدان فأدركت اني اصحب واحدا من أصحاب المقامات، ممن نقرأ عنهم الكرامات، ونعدها في الخرافات، وكان يجب عليّ ان اطمئن معه على الرجعة، بمثل هذه السرعة، الا أن الرعونة البشرية غلبتني فقلت له . وكيف أعود الي الوطن، في مثل هذه البرهة من الزمن ؟

فقال الشيخ . ان ما رأيته من هذه الحال ، يقل في ثمنه ان تشد له الرحال ، وتضرب من أجله آباط الجمال ، وأنت لم تتكلّف له عناء في الذهاب، فادّه حقه في الاياب

قال الوجدان . فغشيني عند سماع هذا الكلام ماغشيني، ولما هممت ان استعطفه لم اجده أمامى ، فوالله لاأدري أغاص في الغبراء ، أم صعد الى السماء ، ووجدتني وحيداً فى وسط الصحراء ، فضاقت عليّ بمارحبت ثم قدرت المسافات، وعددت مامعي من الدريهمات، فرأيت اني أعجز عن الرجعى بوسائلي وحدها، وان لا بد لى من الاستعانة بأولياء الامور في تلك البلاد، واستنكرت ان يطوّح بي رجل من الصالحين الي مثل هذه الهلكة، الا ان الكرب الذي نالني لم يدع لي مجالا للفكر في مثل هذا الامر . فحصرت همي كله فى العمل للعود الى الوطن ، فقصدت رجلا من العملة ينحو نحو المدينة ، فاستوقفته ، وقلت له ان أوصلتني الي حاكم تلمسان ، فلك مني فرنكان

فنظر اليّ الرجل نظرة المستريب (١) وقال . ماتلمسان ياسيدى، اني لم اسمع

---

(١) المستريب من استراب اي وقع في الريبة

هذا اللفظ مذ كنت

قلت . عجيب هذا أتكون في ضاحيتها ولم تسمع بها ؟

قال . ياسيدي انا اعرف ابشان وملوان ووردان أما تلمسان هذه فلم أسمع عنها شيئا ولعلها بالوجه القبلي

قال الوجدان . لما طرق أذني هذا الكلام كدت أضيع عقلي وبدرت اليه بقولي . من اي البلاد انت ؟ (١)

فقال العامل . أما بلدي فالمحله الكبري، ولكني اعمل الآن فى شبرا

قال الوجدان . فنظرت الي ماحولي فوجدت المعالم قد تغيرت فبعدان كنت أري أسوار تلمسان الاثرية، ومبانيها المغربية، صرت ارى مزارع شبرا الشذية وقصورها البهية (٢). فعلمت ان صاحبي الصالح قصد بذلك مداعبتي. وأردت أن أتخلص من حديثي مع ذلك العامل بحيث لايشعر بما كنت فيه فقلت له . شتان ما بين المحلة وتلمسان، فلك العذر في جهل مثل هذه البلدان، ثم تمحته بقرشين فانطلق قرير العين

اما انا فيممت صوب القاهرة وفى نفسي من هذه المداعبة شيء (٣)، لما نالني فيها من العنت (٤). وبينما انا أسير، وقد أخذني التفكير، واذا بصوت رنان يناديني من بين الافنان، فنظرت الي فوق واذا بصديقي البلبل الرفيق، علي غصن وريق، ينظر الىّ بعينيه الياقوتيتين، ويرفرف مرحا بجناحيه الانيقين (٥)، وما وقعت عيني عليه حتي قال .

لك التحية ياوجدان، كيف خلفت تلمسان ؟

فقلت . لك مثلها والكرامة، انك والله لصاحب هذه المقامة

قال . فكيف بك فيها ؟

قلت . لقد رأيت مالا يتفق الا للافراد ولكني أحسست فيها بصدمة لا يزال أثرها في قلبي

---

(١) بدر الي الشيء يبدر بادر اليه اى اسرع (٢) الشذية اي العطرة (٣) يممت قصدت . والصوب الجهة (٤) العنت المشقة (٥) الانيق الجميل

فقال البلبل : أحلاوة بغير نار ؟ كيف يعقل ان تحتك بهذه الخوارق، ولم تدفع في المآزق ، وتفتن بالبوائق ؟ (١)

فقلت : رضيت بذلك مادمت من بالك

قال الوجدان : ثم اردت ان انتهزها فرصة فأخوض معه في بعض المسائل ، فلم أجده امامي، فتفقدته على كل غصن من تلك الشجرة فلم أقف له على أثر، فعدت الي بيتي متعجباً من هذه الاحوال ، ولم تبلغ الساعة واحدة بعد الزوال ؟

الوجدية السابعة

قال الوجدان :

طال عهدي بفقد الاعاجيب، وانا من الذين لاتصدهم الظواهر مهما فَتَنت، عن البواطن مهما خفيت ، وكانت الشواغل المادية قد استوعبت جهودي رَدَحا من الزمن (٢) ، فقطعتني عن الشؤن المعنوية على كره مني. فخرجت كمن نشط من عقال، او خلص من إسار(٣)، أتخير مرتاضا لنفسي، ومرتاداً لخيالاتي(٤)، فلم أر أفضل من غشيان الرياض (٥) لعلي اصادف زهرة تكاشفني سرها، اوساجعة تطارحني شجوها(٦)، فأخذت أتنقل من روضة الي روضة، متوسما وجوه الزَهر، متلفتاً للسواجع فوق الشجر، فما أَبه لى منها آبه، ولا فطَن اليَّ منها نابه(٧). فامضني هذا الاعراض(٨)، وكنت أعهدني اذا دخلت خميلة بسَمت لي ازهارها، وصدحت لى أطيارها، ورحّبت بي غدرانها، وحيتني ضفادعها ونينانها(٩)، فأدركت ان إدماني

---

(١) البوائق المهلكات جمع بائقة (٢) الردح بفتحتين المدة الطويلة (٣) الاسار السير من الجلد يشد به الحيوان (٤) مرتاضاً محلاً للرياضة. ومرتادا من ارتاد الشيء اى طلبه (٥) الغشيان الاتيان (٦) الساجعة من سجع الطائر اى غرد. والشجو الهم والحاجة (٧) أَبه له اى فطن له. والنابه الشريف (٨) أمضني ومضني اي ساءني (٩) الخميلة الروضة. وصدحت غردت. وضفادعها اي ضفادعها. ونينانها اي اسماكها جمع نون

الشغل بالماديات، اضعف من قواي الروحية، وحجب من انوارى النفسية، فجلست أجلو ما صدِيء من مرآتي، واستثير ما كمن من قوّاتي، وبينما انا مشتغل بنفسي على تلك الحال، واذا بزهرة نسرين، تسأل اخرى من ياسمين: ماذا يفعل هذا المسكين؟ فبسمت النسرينة بسمة زهرية، تضوّعت منها نفحة عطرية، وقالت هذا مفلس يراجع ماضيه، لعله يجد له باقية

قال الوجدان: فأسرعت الي تحيتها، وبالغت في تجلتها، فوالله ما زادت، على ان قالت: الصيفَ ضيعتِ اللبن (١)

قال الوجدان فأخذت اقسم لها بالمحرّجات من الايمان بأني على عهدي الاول، لم أتحوّل، واني لم انقطع الى عالم الحس الا بضغط القواهر، لا إخلاداً الي الظواهر، ولا ركونا الي المظاهر. فما اتممت كلامي حتي سمعت قهقهة استهزاء، تلتها صفرة إزراء، فلفتّ بصرى فاذا بهدهد على فنن (٢)، يرمقني عن شزن (٣)، فنفحته بتحية بديعة، وشكوت له ما اجده من القطيعة. فما زاد على ان ضرب الهواء بجناحيه، وطار وانا انظر اليه، ثم اقتعد غارب غصن عال (٤)، وتركني على شر حال. الا اني سمعته يقول لجاره، الذي عن يساره:

ماذا عهدك ببني حواء، من جهة الوفاء، ياامير الهواء ؟

فتنهد الهزار تنهد الدَنِف (٥)، واجابه بلسان الموتور الآنِف

الوفاء كلمة وضعوها للدلالة على نوع من اهوائهم، فيفي الواحد منهم لصاحبه ما دامت بينهما علاقة من هوى، فان زالت قطعه وسمي قطيعته بأسماء يتمدح بها، فسماها عقلا وكياسة وحزما وزهدا وإباء الي غيرها من الصفات الكريمة. فان اتفق ان عاد الي ما نعت

---

(١) الصيف ضيعت اللبن مثل يضرب لمن كان في يده شيء فلم يعرف قيمته وضيعه ثم احتاج اليه فعاد يتفقده . وسببه ان شيخا غنيا تزوج من فتاة، فالتوت عليه وتزوجت من شاب، فاحتاجا الي لبن فجاءت تطلبه من زوجها الاول، فردها بتلك العبارة . وقوله الصيف اي زمن الصيف وهو الفصل الذي طلقها فيه (٢) الشزن البعد والناحية (٣) الغارب اعلي الكاهل (٤) الدنف المريض (٥) والموتور المظلوم

الامتناع عنه بهذه النعوت الفخمة،دعا رجوعه عطفا وربما توسل اليه بما فيه من عقائل النحائز ، وكرائم الغرائز (١)

فقال الهدهد : ان الانسي الذي تراه ماثلا تحت تلك الدوحة ، كان يتردد علينا في الاحايين،ثم بدا له فقاطعنا سنين،فان سألته عما حمله على المقاطعة،وعما ساقه الى المراجعة،لبكى بدموع غزار،وافتن في ضروب الاعتذار (٢)

فقال الهزار : يخيل لى انه يترقب ليصيد ، ويتلطف ليكيد

فقال الهدهد : لالا،انه ليس ممن يمسك الطيور ويؤذيها،ولكنه ممن يسخرها ويداجيها ، فهو على شاكلة غريبة من شواكل اللعب والتلهي (٣)

فسأله صديقه : اي شيء اخذت عليه من ذاك ؟

فأجاب الهدهد : يزعم انه يصيب من الدواجن حكمة شرودا بين نومها ويأخذ عنها علما ينفع به بني نوعه

قال الهزار : هذا أعجب ماسمعنا من ضروب النزق،وشكول الندلي في اتيان ما يعلمه الحيوان ، مما ألم به الانسان،لاشك فى ان هذا ضرب من الهذيان

فقال الهدهد : انه ليس من الهذيان،ولكنه من الاحتيال،وذلك ان الانسان اجفى كائن لسماع ما يصلحه،واعصي مدعو لتفهم ما ينفعه،فهو يترامي على اهوائه ترامي الفراش على النار،ولقد اخذت تلك الاهواء بأكظامه حتى لا يكاد يفلت من إسارها طرفة عين ليخلو فيها الي عقله،فيضطر اهل البصر من افراده لان يأتوه بما يدهشه من الخيالات،ليتصيدوا منه لفتة اليهم طلباً منه للذة العجب،فيدسون اليه في ذلك القالب شيئاً من الحكمة ، وذرواً من النصيحة (٥)

فقال الهزار : هذا اعجب ماسمع عن كائن علق كماله على قواه الذاتية ، ونيط ارتقاؤه بمواهبه الفكرية

قال الهدهد : ان شأنه من هذه الوجهة يوجب الدهش،فهو من كراهة النور

---

(١) النحائز جمع نحيزة وهي الطبيعة (٢) افتن تفنن (٣) الشاكلة الطريقة والمذهب (٤) شكول جمع شكل والندلي الاختطاف (٥) ذروا اي قليلا

بحيث قد تمكث اقوام منه في ظلمة ضلالة ظاهرة يترددون في حمأتها (١) عشرات القرون، ثم لا يتحولون عنها الا ببطء يوجب الاسف، مع ظهور اثرها الموبق (٢) في كل محاولة من محاولاتهم

قال الوجدان : لقد سمعت من تحاور هذين العصفورين ما ملأني خجلا من الاعلان عن نفسي بين كائنات تلك الطبيعة الباسمة، وبينما انا اتقبض واتضاءل حتى لا يراني منها شيء فتكون رؤيتي سبباً في حرماني من هذا الحديث الممتع، واذا بطلقات نارية متوالية ، واسراب من الطيور تتدافع في الجو مترامية. فقال الهزار للهدهد: ماالذي نسمع ؟

فقال الهدهد : هذا ياسيدي شاب من احسن الشبان تقويما ،واصفاهم اديما ، وآنقهم زيا ، واحفلهم تديناً، انتاب بعض هذه الأيكات بأداة نارية يصب منها شواظا من نار (٣) على اخواننا فوق الاشجار، وهي في غفلة عنه فيهوي منها عدد كبير بين مدقوق عنقه، ومهيض جناحه، ومهشوم فخذه، ومثقوب صدره. ومعه كلاب درّبها على جمعها له فتأتيه بها وهي على تلك الحالات المزعجة من الآلام، فيطرب من النظر اليها وهي تقطر دما ، ويتجود بنفسها .

فقال الهزار وقد ذهب التأثر بلبه : هذا وحش ضار ، ولا اخاله الا فذاً في هذه الديار

فضحك الهدهد ثم استعبر ، وقال يرحمك الله ياابا الاخضر ، ان الناس كلهم على هذه السيرة وان هذا المنظر الذى تعده مزعجاً رائعاً ليلذهم الي حد انهم اتخذوا له حظائر متسعة سموها (التيرو)، أعدوا فيها رجالا من مهرة الرماة، فيؤتى بالحمام فيطلق منه سرب في الجو فيتولاه اولئك المترصدون بتمذائف النار، فتسقط مثنى مثنى على أشد حال من التمزق فيصفق لهم النظارة (٤) بأيديهم اعجابا ومرحا

فقال الهزار وقد ملأه الفزع، وبدا عليه الجزع :أويحضر هذه المشاهد نظارة؟

---

(١) يترددون يتنقلون. والحمأة الطين الاسود (٢) الموبق المهلك (٣) الشواظ اللهب (٤) النظارة المتفرجون

فقال الهدهد . ان الناس ليحتشدون في هذه الاماكن احتشاداً يأخذ بالا كظام، لا بالجنان، بل ببذل العقيان (١)، وتجد بينهم الشيب والشبان، والغادات والولدان. فيتساوي الجميع فى الطرب لهذه المشاهد المريمة ، والارتياح لها

فقال الهزار بعد ان سكت هُنَيَّة (٢): اذن ما معني قولهم ان الانسان اكرم الكائنات الارضية ، وانه صاحب الخلافة الالهية ؟ ان كائناً هذا شأنه فهو أخس من أخس الكواسر ، وأحط من أحط الضواري ، وأبعد عن الله من اوحش العجاوات الهامجة (٣)

قال الوجدان . فسدِكت بمكاني (٤) منتظراً نهاية الحديث، وبينا انا علي تلك الحال واذا بحركة عظيمة حدثت بين الطيور، وصفير سرور وارتياح ملأ الجو ، فرفعت بصري مستخفياً فاذا ببلبل جميل الصورة قد اقبل بين سرب من امثاله، وهو يقدمهم كما يقدم الرئيس قومه. فما استقر علي غصن حتي اقبلت جميع الطيور اليه ، ترفرف بأجنحتها حواليه، وتتناغى بين يديه، فدققت فيه النظر فاذا به صديق لي من البلابل، كنت ألاقيه منذ زمان، واطارحه الاشجان، فأردت ان اعرفه بنفسي، ولكني خشيت ان يكون ذلك سبباً فى فض هذه الندوة (٥)، فلزمت الصمت، وارهفت أذني للسمع (٦)، فلم تكد الطيور تنتهي من الترحيب بالبلبل حتي قال لهم. فيم كنتم أيها الاخوان؟

فأجابه الهدهد . كنا نذكر الانسان

فسأله البلبل . والى اى حد انتهيتم من امره ؟

قال الهزار . الى انه اخس الحيوانات ، واحط العجاوات

فضحك البلبل وأغرب (٧)، وقال هذا منكم مستغرب

فسأله الهزار . هل يري الاستاذ غير هذا الرأي ؟

---

(١) العقيان الذهب (٢) هنية اي ساعة يسيرة (٣) الهامجة المتروكة يموج بعضها فى بعض (٤) سدك بالمكان لزمه ولم يفارقه (٥) الندوة الجماعة (٦) ارهفت حددت (٧) اغرب اي بالغ

فاجابه البلبل : نعم وسأدلي به اليكم،فاعيروني آذانكم. اما ان الانسان حيوان بجسده،فهذا مما لا يمترى فيه عاقل،واما انه بالاستنامة لمطالبه الجسدية،ووقف عقله ووسائله لتحصيلها،يصبح أعدي الكواسر،وشر المخاطر،فلامجال فيه لمجادل.ولكن غاب عنكم انه بقبوله للترقى سيصل من الكمال،الي حيث لا يبلغه الخيال ، فيقلب الارض من حال الي حال ، ويؤتيها من البركات بما لا يخطر ببال.فاذا كان هو اليوم يسير في العالم سيرة الجبارين،ولا يفكر الا في زيادة انغماسه في الطين،فسيفطن غداً الى حقيقته،وما أودع من الاسرار في طبيعته،فيأنف من مضارعة الكواسر،ويرقى الي حيث لاتدركه الخواطر(١)، فان كائناً تتلاقى فيه جميع القوي الكونية،يستحيل عليه ان يستمر فى الحالة الحيوانية.فان قلت لكم انه سينتهي من الرقي الي حيث يسيّر الجبال بارادته،ويتحكم في الكواكب بقوته،لما كنت مغالياً في تقدير منزلته.هنالك تتحقق للانسان خلافة الله ، وتصدق ولايته على ماسواه

فقال الهزار : مااعجب ما نسمع من الاستاذ،في هذا الكائن الشاذ،ان الذى نراه منه انه أعبد مخلوق لذاته،وأحرص على توفير لذاته،ان بدت له بادرة شهوة لم يبال ان يهلك العالم في سبيل نيله اياها،وابلاغ نفسه مناها، فحياته من يوم وجوده علي الارض سلسلة من جرائم ، ومدنيته ادوار من مخاز ومآثم . قيل لنا فى عهد من عهوده تربصوا بهذا الانسان فقد نظر في الخليقة،وهام بادراك الحقيقة، فتربصنا به آلافا من السنين،واذا به قد أوجد الفلسفة والدين،فزعم انه بالاولي سيصل الي اللباب ، وبالثاني سيتأدى الي رفع الحجاب،فانتظرناه اجيالا اخري واذا بالفلسفة قد أدته الى الالحاد،وأخلد هو بالدين الي الجمود والعناد،وهاهو اليوم قد اتخذهما اداتين لشهواته،ووسيلتين لتأليه ذاته.أفلا يعدهذا الكائن أيها الاستاذ شر النوائب وأفدح المصائب ؟

فقال البلبل : لقد حفظت علي الانسان سيآته ، وجردته من حسناته ، ان للانسان بجانب ماتذكره عنه لفضلا ينم علي كرم جوهره، ونوراً يدل علي سمو

(١) المضارعة المشابهة

مصدره ، ألا تذكره انه قد قذف به من هذا العالم الى حمأة الحيوانية، وسلط عليه من المقتضيات الجسدية والمطالب المادية، ومن المسولات النفسيه، والشهوات البهيمية مالو سلط بعضه على الحيوانات لناءت تحت آصاره ، وبادت ببعض آثاره (١)؟ ولكن الانسان بعد ان اضطلع بكل هذه الاعباء (٢) وقاوم ماتولده من الارزاء، اخذ يفكر في وجوه التخلص منها، ووسائل التنزه عنها ، شعوراً منه بأنها لا تليق بكماله، ولا تتفق وما يحس به من جلاله ، فأعلن عليها حربا استجمع لها كل قواه ووسائله ، وما زالت الحرب بينهما سجالا الوفا من السنين، فتارة تصرعه وتلحقه بالكائنات السفلي ، وطوراً يصرعها ويلتحق بالملأ الأعلى ، وهو في اثناء هذه المعارك يحصل علماً ، ويزداد بالوجود فهما ، ليعود الى الكفاح اقوي عزما، ويخرج منه اكثر غنما

أفمن الانصاف أن يكره هذا الكائن ويحقر، أم أن يحب ويعذر، ويشجع ويشكر ؟

قال الهزار : لقد حولتني أيها الاستاذ من الازراء بهذا الكائن الى إعظامه ، ومن الحقد عليه الي حبه واحترامه، ولكن مابال افراد ممن يدعون انهم انتهوا من العلم الي غايته، ومن الفهم الي نهايته، يقررون ان المادة هي اول الوجود وآخره، وانها باطن كل شيء وظاهره، وان الانسان لا يمتاز عن الحيوان، الا بأنه أقبل منه للارتقاء، وأصبر في تنازع البقاء، وهم يهزأون بكل من يقرر غير هذه الاصول، ويعدون كلامه من الفضول ؟

فقال البلبل : ان دعوي الوصول الي نهايات العلم، وغايات الفهم، وجدت في كل زمان ومكان، وأوت الى النفوس التي تنخدع بها من افراد الانسان، ممن لا يبصرون الا بأبصارهم، ولا يحسون الا بأعصابهم، ولا يفهمون الا بلغاتهم. وما قيمة بصر لا يرى اكبر قوة في الارض والسماء وهي الكهرباء، ولا يري أشعة رونتجن وهو يرسم بها

---

(١) ناء به الحمل ثقل عليه. والآصار جمع إصر وهو الثقل (٢) اضطلع بالشيء قام به . والاعباء جمع عبء وهو الحمل

الاحشاء، ولا يرى الشموس الا نقطا مضيئة وهي من الضخم بحيث لا تعد أرضنا بجانبها الا كالهباء، ثم ماقيمة اعصاب لا تحس بالأثير، وهو الموجود الكبير، الشامل لكل جليل وحقير، فهل يعجبون بعد ذلك ان لم يروا العالم اللطيف بأبصارهم، ولا يحسون به بأعصابهم ؟

فقال الهزار : ماأغلظ حجاب هؤلاء، ولكن كيف خلق العالم في نظر هؤلاء الفهماء ؟

فقال البلبل : الوجود في نظرهم عالم لا نهاية له، فيه مادة أزلية أبدية، تجري فيه قوى الي غير غاية، فتؤثر في تلك المادة بغير قصد، فنشأت هذه العوالم منها اتفاقا، وبلغت الي هذا الابداع عفوا

فقال الهزار : وكيف نشأت في نظرهم القوة العاقلة، في هذه العناية العامة الشاملة، وهل يعطي الشيء فاقده، ويصلح الامر فاسده

فقال البلبل : ان هؤلاء لا يتكلمون مثل هذا النظر العقلي، ولا يعبأون الا بالأمر الحسي، فهم لا يرون غير المادة فلا يقرون بوجود لسواها، ويرون الشيء ولا يرون موجده، فيقولون بأنه يتولد من المخ، على نحو ما يتولد البول من الكلي والصفراء من الكبد

فقال الهزار : هذا قياس غريب، لا يقول به لبيب، فالبول مادة والكلي مادة، وليس بعجيب ان تتولد احداهما من الاخرى، ولكن كيف يعقل ان تتولد القوة العاقلة في شرفها وجلالتها، من المادة في عمايتها وجهالتها ؟

فقال البلبل انهم يرونها ملازمة للمخ فيقولون بأنها منه، ولا يتكلفون ان ينظروا لما وراء ذلك

فقال الهزار : ولكن علماء التشريح اليوم قد اثبتوا بما جربوه على مجروحي الحرب العامة ان هذا الرأى اصبح لا يعول عليه

فقال البلبل : ان هؤلاء المتعالمين المتفلسفين لا يعتدون بقول عالم الا اذا وافق مذهبهم، فاذا لم يوافقه عدوه ممخرقا

فقال الهزار . ان العلماء القائلون بالروح اصبحوا اليوم يعدون بالالوف، وقد

تطورت الفلسفة بتجاربهم من حال الي حال، والعالم اليوم في تطور رجد ... من هذا الانتقال الذريع ؟

فقال البلبل : كل هذا لا يجديهم نفعاً، فهم يصرون على ماهم عليه ولو انفلتت ... على الارض

ولقد صرح بمثل هذه العبارات احد اهل البصر من العلماء المعاصرين لنا، وهو يدعي (كاميل فلامريون) في مناسبة المباحث الروحية التي اثبت بها الباحثون ... عالم حي مدرك وراء هذا العالم مجرد عن المادة، فقد نشر كتابا بديعاً أسماه (القوى الطبيعية المجهولة) جاء منه ما يأتي :

« ما أقل العقول المستقلة الحرة على سطح كوكبنا هذا، وما أقل الميل للاطلاع مجرداً عن مصلحة ذاتية . كأني بجمهور قرائي يقولون : اى شيء في هذا الموضوع يوجب الاهتمام ، أخونة (اى ترابيزات) ترتفع عن الارض، واثاثات تتحرك، وكراسي تنتقل من مواضعها، وبيانات تقفز، وستائر تضطرب، وطرقات تحدث بلا سبب معروف، وأجوبة تتوجه الي أسئلة عقلية، وعبارات تملي عكساً، وايدي ورؤس وأشباح تظهر، كل هذه من الامور التافهة، والهذيان الذى لا يصح ان يلفت نظر عالم من العلماء. وماذا عسي ان تثبته لنا تلك الامور حتي لو كانت حقيقية، تلك أشياء لا تفيدنا فتيلا

« أجل من الناس من قد تسقط السماء على رؤسهم فلا يتأثرون، اما أنا فأجيبهم: ماذا تقولون ؟ ألا يعد شيئاً في نظركم ان نعلم ونبصر و نعترف بوجود قوي حولنا لا تزال مجهولة ؟ ألا يعد شيئا يؤبه له عندكم ان ندرس طبيعتنا الخاصة وخصائصنا الذاتية ؟ ألا تستحق هذه المسائل ان تكتب في برنامج المباحث، وان تخصص لها ساعات من العناية ؟

« اني كلما فكرت فى هذا الامر دهشت من ان جمهور الناس يجهلون هذه المسائل كل الجهل، بينما قد عرفها ودرسها وقدرها ودونها منذ زمان بعيد جميع الذين تتبعوا حركتها بكل نزاهة في هذه السنين

« ايه ايها السادة مهما بلغ من ضيق احكامكم فان قصر نظركم لا يصح ان يسري

على الكون، فقد علمتم بانه على الرغم منكم ومن كل العقبات التي تضعونها فان مركبة المعارف الانسانية ستتقدم الي ابعد مما هى عليه الآن، وستستمر متقدمة، وهي فائزة لامحالة بادراك قوي جديدة. مثل هذه المسائل كمثل ضفدعة جالفاني . فان الحوادث المضحكة التي تنكرونها تكشف لنا عن وجود قوة مجهولة، فلا أثر بغير مؤثر »

قال الهزار : لاشك فى ان هذا رجل متثبت يعطي المسائل حقها من الروية. ولكن ماهي حكاية ضفدعة جالفاني الذي يتخذها مثلا لهذه الظواهر ؟

قال البلبل : جالفاني هذا عالم ايطالي توفي في سنة (١٧٩٨) حدث له فى بعض سني حياته ان مرضت امرأته فقرر الطبيب من اغذيتها (حساء ضفادع)، وهنالك امر نأكلها ، فأخذت الطاهية تعملها لها وأتت بضفادع فهيأتها وقطعتها وعلقتها على القضب الحديديه لبالكون البيت، فرؤيت تضطرب وتذهب وتجيء، فأُخبر العالم جالفاني بذلك، فشاهدها بنفسه وقرران لذلك علاقة بالكهرباء، واخذ فى درسها و نشر مباحث في ذلك ، فسخر منه كل علماء زمانه، وتعدي الاستهزاء به من الخاصة الى العامة حتى لقب بمرقص الضفادع . فرد عليهم بقوله ان استهزاءكم بي لايمنع من اني أستكشف قوة من اكبر قوى الكون. وكان من اثر دؤوبه واستمراره ان وقف من اسرار القوي الكهربائية على ماابتني عليه اليوم اكثر ما نشاهده من آثارها في هذه المدنية

واليوم يهزأ رجال بما يقف عليه الباحثون في الروح من تحرك الاخونة وارتفاع الكراسي، وحدوث الطرقات، وظهور الاشباح، فى جلسات التجارب بلاسبب طبيعى معروف. ويعدونه من الامور التافهة، التي لاتفيد الانسانية فيساً لهم عن ذلك (كاميل فلامريون) بقوله : (ألا يعد شيئا فى نظركم ان نعلم ونبصُر و نعترف بوجود قوى حولنا لاتزال مجهولة ؟) وهو سؤال بعيد الغور فان ثبوت قوي عاقلة مجهولة وراء هذه القوى الطبيعية يقلب مدركات العلم المادى رأساً على عقب، ويؤسس الفلسفة على أصول جديدة ليست لها الآن، ويفتح للانسان مجالا ليس له حد فى عالم غيب عن مشاعره ألوفا من السنين، ولكنه يحن اليه بفطرته: لانه مآله بعد الاعوام القليلة التي يعيشها في هذه الارض على الحالة الجسدية

قال الهزار : مااحسن هذا [illegible]

قال البلبل : انه افحمهم [illegible]
يتبجحون به، ويعدونه قد بلغ [illegible]
اصغر حادثة من حوادث هذه الحياة [illegible]

« الذي نعلمه من الانسان [illegible]
نقيس بعد الشمس، وان نخترق الابعاد السماوية، ولكننا [illegible]
لانزال نجهل انفسنا. والانسان كائن ثنوي (اي مؤلف من شيئين اثنين) ولا تزال هذه الطبيعة الثنوية سراً من الاسرار في نظره. نرانا نفكر ولكن ماهو الفكر، لا يستطيع احد ان يجيب على هذا السؤال. ونرانا نمشي ولكن ماهو العمل الداخلي؟ لا يعرف احد ذلك. ارى ان ارادتي غير مادية، وان جميع خصائص روحي غير مادية ايضاً، ومع ذلك فمتي اردت ان ارفع ذراعي ارى ان ارادتي تحرك يدي، فكيف تحدث ذلك، وما هو الوسيط الذى يتوسط لقوة الخيال في انتاج نتيجة مادية؟ لا يوجد من يستطيع ان يجيبني عن هذا ايضا. بل قل كيف ينقل العصب البصري الي الفكر صور الاشياء الخارجية، وقل لي كيف يدرك هذا الفكر، واين مستقره، وما هي طبيعة العمل المخي؟ قولوا لي أيها السادة.. ولكن كني فاني استطيع ان أسالكم عشر سنين ولا يستطيع اكبر رأس فيكم ان يجيب عن احقر أسئلتي » انتهى

قال الهزار : ماألطف ما نسمع عن هذا العالم، لقد اجاد أيما اجادة، فهل هو فذ فى العالم الانساني ؟

فقال البلبل : لقد هب الانسان من نومه، واصبح الذين يقولون هذا القول الوفا من اقطاب العلم، بل لم يبق ممن لم يقل الا جماعة من خفاف الاحلام قمشوا مسائل منثورة من العلم اخذوها عن مغروري العلماء من اهل القرن التاسع عشر، فتراهم أحرص عليها من البخيل علي دراهمه، فيوهمون انفسهم والناس انهم من اركان الالمعية وماهم علي شيء غير حشو رث من طامّات القرون الخوالي

قال الوجدان : لما انتهي البلبل الي هذا الحد لم أطق الصمت، لما أصابني من هزة الطرب بما سمعت ، فنهضت رافعاً يدي الي فوق قائلا بصوت عال : سلاماً أيتها

الكائنات الجميلة ، المتدية في هذه الخميلة ، أنا ...

قال الوجدان : فقطعني عن الامام حركة فجائية هي خفق اجنحة الطيور تتدافع هربا، وتتخذ سبيلها في الجو سربا (١) ، وما هي غير ثانيتين حتى لم يبق في الايكة غير صديقي البلبل . فصحت به رحماك أيها الصديق الحميم، فلا تدعني في العذاب الاليم

نصفر البلبل صفرة موتور، وقال من انت ايها المتجسس على الطيور، المتربص لها بالشرور ؟

فقلت : رفقا ، فأنا الوجدان ، صديقك منذ ازمان

فضحك البلبل وقال : اذكر اني كنت قابلتك متفلسفا، فمالى اراك اليوم متعسفا؟

قال الوجدان : فلما هممت بالجواب اذا به قد انقض على كتفي فلما هممت بالقبض عليه، لتقبيله بين عينيه، انتفض فاستوي امامي رجلا ذا سمت مهيب، وشكل رهيب على اكمل ما يكون جمالا ووقارا وان كان قد جلله المشيب، ونالت منه التجاريب، وعليه ثوب فضفاض (٢) خالص البياض، وعلى رأسه قلنسوة فارسية، وفي رجله نعل عربية، تنم بيئة اعجمية ... نظرة فهش الى (٣) ، واشار مسلما علي ، فتمالكت نفسي وسألته : انت الحبر المغربي ، فقال بل انا الحكيم بن رشد

قلت فكيف كنت بلبلا ، ثم انقلبت رجلا ؟

فقال : سل عما تستطيع ان تفهمه ، وما ينفعك ان تعلمه

قلت : هذا هو الذي اخذ بلبي الساعة

قال : فلا تعل حتى يهدأ روعك من روعته (٤)، وانتفض فانقلب بلبلا على أيكته

قلت : رحماك ، لا تدعني في هذه الحيرة

فقال : سأقابلك المرة بعد المرة ، فترقبني كل اصيل وبكرة

قال الوجدان : ثم غاب عن بصري فلا ادرى أستحال الى ضياء، ام حجبه عني الهواء ؟

---

(١) سربا : سربا اي يتتابع الناس فيه . ومعنى الكلام اتخذت الطيور لها مسلكا في الجو (٢) فضفاض واسع (٣) هش ارتاح وتبسم (٤) الروع القلب . والروعة الخشية

الوجدية الثامنة

حدث الوجدان قال :

خرجت في يوم رق نسيمه، وراق اديمه(١)، اسرح الطرف في بعض شوارع القاهرة، وأستجلي معاهدها الفاخرة، ومغانيها العامرة، واذا انا بطغام من الشبان، يتعقبون سربا من الحسان (٢)، وهم على اشد ما يكون من صبوة وخلاعة، وتهتك ورقاعة (٣)، يتمايلون كأنهم سكارى، وما هم بسكارى، ويصطخبون اصطخاب الحمر المستنفرة، فرت من قسورة (٤)، كل ذلك والناس يمرون بهم لا سور لهم ... ولا تأخذهم نخوة الرجولية، لاننا قد ألفنا الخنى فلا نستنكره، وأنسنا بالاختلاط الادبي فلا ننكره (٥)، فما راعني الا رجل كبير الجثمان، قوي الاركان، عليه قلنسوة وطيلسان، كأنه من بلاد الافغان (٦)، اعترض اولئك الطغام الخالعين للعذار (٧)، فاستوقفهم بصيحة جبار، وكنت على مقربة منهم، فوقفت معهم، واذا به يقول :

ألهذا الحد ايها المفتونون، يصل بكم المجون (٨)، والى هذا المدى معشر السفهاء، تطوح بكم الاهواء، لقد ضارعتم الخنازير في خستها، وشاكلتم الحمير في بلادتها، ولا أعُمّ نوع الحيوان، فمنه طوائف تستتر عن العيان، في مثل هذا الشان، اما انتم ايها الانذال فلا تخشون رقيبا، ولا تعتبرون حسيبا، ولا تعرفون حدا، ولا تحترمون عهدا، يملأ احدكم بطنه، ثم يركب رأسه، فيطوف الأزقة كالكلب الضال، يتلمس قمامة

---

(١) الاديم اصله الجلد المدبوغ وأديم اليوم معناه حالته الجوية (٢) الطغام اوغاد الناس الواحد والجمع سواء. والسرب جماعة الظباء (٣) الصبوة جهالة الفتوة. والرقاعة الحماقة (٤) يصطخبون يتصايحون. والمستنفرة الشاردة او المشردة. وقسورة اى اسد (٥) الخنى الفحش في الكلام (٦) القلنسوة من اغطية الرأس. والطيلسان كساء كان يلبسه العلماء والخاصة (٧) العذار الحياء وخلع العذار معناه تهتك (٨) المجون اى الهزل وهو مصدر مجَن يمجُن اي كان لايبالي بما قال وما فعل

ينسمها،او خزية يتقحمها(١)، بئس افرادامة انتم،فليت لها بعددكم ثيرانا تفيدها في زراعها، وتعينها على معيشتها،ولكن هب انكم حيوانات عجم، فما لهؤلاء المارة يرونكم،ولا يصفعونكم،بل ما للاصحاب هذه الدور لايخرجون اليكم بالنعال، يمنعوكم ان تمروا ببيوتهم على هذه الحال؛أليس لان الجميع ساووكم في هذه المخزيات ، على أقدار مختلفات،فلا يزعجهم النظر الى ماهم فيه،ولا تتحرك لهم نخوة لتلافيه. بقيت طائفة بريئة جعلت الحوقلة معاذها،والاسترجاع ملاذها(٢)،واهمة انها متى انكرت المنكر بقلبها، امنت سؤال ربها. فالمقيم بين ظهرانيكم كالمقيم بمهاب السموم ، او النازل بمساقط الرجوم (٣)، ثم صاح بهم تالياً قوله تعالى : «أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور،ام أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير » (٤)

ثم تركهم والخزى يتغشاهم،والدهش يتولاهم،وانصرف والعيون تشيعه،والقلوب تتبعه، والناس بين معجب ببيانه ، ومتعجب من ثبات جنانه ، وقوى ايمانه

قال الوجدان: فلم أشأ ان تفوتني هذه الفرصة السانحة،والنهزة اللائحة، فتبعته حتي اجتاز النيل،وسار صوب الاهرام نحو ميل (٥)،فبلغ مني التعب حده،ولم اجسر ان اخطب وده،وكأنه ادرك ما بي فالتفت الي ، واجال نظره في،ثم تبسم وقال: أتعبت ياوجدان ؟

فأدهشني ان اكون معروفا لديه،بقدر ماسررت من وصولي اليه،فسلمت عليه باجلال،فرد باحسن ما يقال ، ثم هش وبش واظهر من العطف ما يظهره الصديق

---

(١) ركوب الرأس كناية عن الامعان في الضلال.والقامة الزبالة . ويتقحمها اى يخوضها (٢) الحوقلة حكاية قول لاحول ولا قوة الابالله.والاسترجاع حكاية قول انا لله وانا اليه راجعون.والمعاذ الملجأ ومثله الملاذ (٣) المقيم بين ظهرانيكم بصيغة التثنية اى في وسطكم.والسموم الريح الحارة التي تهب نهارا.ومسافط الرجوم محال سقوط الشهب الراجمة (٤) تمور اى تضطرب.وحاصباً اي ريحاً شديدة تحمل التراب والحصباء . وصوب الاهرام اي جهته

القديم ، لصفيه الحميم ، نازددت عجباً على عجب ، وجرأة عليه فقلت ·

يذكرني مولاى ولا اذكره ، فهل ان يعرّفني بنفسه فاشكره ؟ فقال :

لقد جبت معك الاقطار ، وتدارسنا المعالم والآثار، ألا يبقى لديك من كل هذا ذكرى ؟

قال الوجدان : فأخذت أتفرس فيه لعله كان من اصحابي المطربين، فصار من المتناسين، او كان ممن يحلو فصار من الملحين، واخذت اجهد ذاكرتي ، فلم أهتد لاثر له في زاوية منها، فخجلت والله ان اقر له بعجزى عن ذكراه ، فتظاهرت له بسرورى من اتيانه، وشدة شوقي الي اجتلاء محياه، رجاء ان اذكره بعد لامة، فتنقشع عني تلك الغمة (١)

ففطن لها فضحك واطال ، ثم قال لك العذر على كل حال، ومتعرفني في غير هذا المجال ، فهل لك فيما هو خير من ذلك ؟

قلت ماهو ؟

قال : ان تشهد مؤتمر الحيوانات ، فقد تآمرت ان تجتمع فى بعض هذه الفلوات

قلت : هذا من احب الاشياء اليّ

قال : ولكني أخشي ان تراك على صورة آدمية ، فتصيبك ببلية

قلت : لقد لقنني شيخى سر الاستحالة ، فسأنتفع به في هذه الحالة

قال : لا يمكنك ان تنتفع به فى حضرتي، ثم امسك بيدي، وأمرني باغماض عينيّ ثم فتحهما، فوجدتني بعيراً ذا سنام عال، وعنق طوال (٢)، فأخذت أجرب كلماتي لأستحيل الي ما كنت عليه فلم تفد، فضاق صدرى وتطلبت صاحبي لأرجوه أن يحيلني الى سيرتي الاولي فلم أجده، وسئمت من حالتي، وتمنيت لو لاقيت منيتي، وكنت كلما نظرت الي عنقي الطويل، وسنامى الثقيل، وجلدى الجعد، ووبري اللبد، وفكرت اني لا مخلص لى من هذه الحال، ازداد انقباض صدرى، وتحكم اليأس من نفسي

---

(١) اجتلي الشيء نظر فيه . والامة الحين . والغمة الغم (٢) طوال اى كثير الطول

وبينا انا على تلك الحال، واذا بطوائف من الحيوانات اخذت تفد ارسالا ارسالا (١)، ما بين أسود وفيلة، ونمور وثعالب، وخيل وحمير، ودجاج وسلاحف، وخراف وذئاب، وعقارب وثعابين، فربضت ذوات المخالب والانياب في الصدر، ثم تلتها ذوات الحوافر، فذوات الخفاف فسواها وسواها، حتى غصت الفلاة، ولم يبق في سعف نخيلها سعفة ليس عليها عشرات من مختلف الطيور، فلما استقر بها المقام، وانتهى تبادل السلام، ساد السكون، وشخصت العيون

اما انا فحشرت نفسي في زمرة الابل فبركت حيث بركت، وبينا نحن على تلك الحال، واذا بأسد مفتول السواعد، مطرور الانياب، تقدم الى نشز من الارض وسط هذا الجمع، فأنصت اليه كل سمع (٢)، فزأر زأرة ردد صداها التلال، ثم بسمل وحمدل وقال:

يامعشر الكائنات المباركة، لقد علمتم ماحدانا لعقد هذا المؤتمر اليوم (٣)، واني معلنه رسمياً ورافع به صوتي عالياً، هو جور الانسان، وبغيه على الحيوان

لم يكف الانسان، ان يأكل الحيوانات، اذا عدم النبات، رخائف البنات، فتراه يسرف في سفك دمها فينحرها تحية لقادم، او تيمناً بعروس (٤)، او تظاهرا بجود، ولا يبالي مع ذلك بما صنع، كأنه لم يأت عملا يحتمل الكلام، فضلا عن الملام، فان لفته لافت الى السرف، في أكل الجيف، دهش من ان يكون في العالم من يفكر في هذه الصغريات، واعتبر المناقشة فيها من الترّهات (٥)

قال الوجدان: هنا ثارت ثائرة الثيران والاغنام، وتلاها صنوف من ذوات الاجنحة كالاوز والدجاج والحمام، وتقدموا للاسد فقالوا:

أيها الملك علا مجدك، وعمّ رفدك (٦)، لقد رضينا ان يرتع الانسان في اجسادنا

---

(١) ارسالا اي جماعات جمع رَسَل بفتح الراء والسين (٢) مطرور الانياب اي محددها. والنشَز بفتحتين المرتفع من الارض (٣) حدانا ساقنا (٤) التيمن هو طلب اليمن بضم الياء اى البركة (٥) الترهات بضم التاء وفتح الراء مشددة الطرق المتشعبة من الطريق الكبير وتستعار للاباطيل (٦) الرفد العطاء

حتي يحكم الله فى امرنا، ولكنه يذبح بعضنا امام بعض، فيسوقنا شراذم شراذم، فيتسلط على الواحد منا رجل متين، بيده سكين، فيتله للجبين، ثم يقطع منه الوتين (١) ونحن اليه ناظرون، فلا ندرى أيحسب اننا جمادات مجردة من الشعور، ام هو الذي رانت على قلبه الشرور (٢)؟

قال الوجدان: فسمعت ضجة في المؤتمر، ترنح لها الشجر، وماجت منها ذوات الصوف والوبر، ثم حدث سكون، فاندفع رئيس المؤتمر يتمم خطبته فقال:

أحل للانسان صيد البر والبحر دفعاً للحاجة وتداركاً للضرورة، الى حين، ولكن الانسان ظن ان هذه الاباحة تحل له كل محظور، فأخذ يصطاد الحيوانات تلهياً، ويفتك بها تسلياً، فان هجس بقلبه هاجس ازعجه (٣)، او ألم به هم شغله، فأول ما يخطر بباله ان يجوس خلال الغابات، فيورد بعض كائناتها موارد الممات، فيعود وقد سري عنه الهم وزايله الغم. فانظروا يارعاكم الله الي هذه النفوس الجامدة، والقلوب الجاحدة، واعجبوا حين تسمعون ان هذا الانسان يقرر فى فلسفته انه المختص بالرحمة والحنان، دون اصناف الحيوان، ثم هو يسفك الدماء لهواً ولعباً، ويقتل الاحياء سروراً وطرباً...

هنا ثارت ثائرة المهي والغزلان، واضطربت الطيور على الافنان (٤)، وصاح الجميع واغوثاه من قسوة الانسان، يرمى الوالدة منا وهى تزق صغارها (٥)، او تحضن بيضها، فيقتلها ويهلك بقتلها عدة احياء بعد ان يذوقوا الوان الآلام بضعة ايام وقد حظرت عليه صيد اكثرنا الحكومات، وأرته وجه الضرر في هذا الافتئات، ولكن هيهات

ثم اندفع الاسد يتم خطبته فقال:

صرح للانسان ان يستفيد من اصواف البهائم واوبارها فيشاركها في دثارها

---

(١) تله صرعه يقال تله للجبين يريدون صرعه. والوتين عرق يجاور للقلب هو المسمي الآن بالأورطي (٢) رانت غلبت (٣) هجس اي خطر. والهاجس اي الخاطر (٤) المهي جمع مهاة وهي البقرة الوحشية (٥) تزق صغارها اي تطعمهم بوضع منقارها علي مناقيرهم

وشعارها ولكنه شط في هذا الباب فأخذ يوسعها اهلاكا، ليتخذ جلودها أكراكا، زيادة في الترف، لا خوفا من التلف

ثم امعن في هذه البوائق فعدا على الفيلة لأنيابها، وعلى النمور لفرائها (١)، وعلى النعام لريشها، وعلى الايائل لقرونها، وعلى السلاحف لعظامها، وهلم جرا مما لا يحصي كثرة، ولو كان هذا العدوان تداركا لخطر، او اتقاء لضرر، لكان له بعض العذر، ولكنه انما يبيد هذه الاحياء ليجعل من قرونها تحالي لعصيه، ومن عظامها خرزات لحليه، وغير ذلك مما لا يضره ولا ينفعه

ولقد تواعدنا على الاجتماع هنا اليوم بعد ما نفد الصبر، وضاق الذرع، لنبحث عن حيلة تنجينا من شر هذا الكائن الظلوم، العاتي الغشوم، الذى ستر بدعواه المدنية، وجه كل دنية، واخفى تحت ظاهر من الدين، خبث الشياطين، وعدوان المردة والابليسين (٢)

قال الوجدان: فما اتم الاسد خطبته حتى نهض افعوان كأنه سارية سفينة (٣)، تلوح على عينيه آثار الضغينة، وقال ايها الرئيس الرأي عندى ان نتألب على ابادته لتخليص العالم من اساءته (٤)

فنهض قرد قد جرب، وأكل عليه الدهر وشرب وقال:

من تقصد بالابادة ايها الافعوان، أهذا الانسان الذي يحول القطن المندوف، الي نار تحصد الصفوف، ويحبل الماء السلسال، الي بخار يرفع الجبال، فان كنت تستعظم عليه مخالب الاسود الضارية، وانياب الأساود المردية (٥)، فقد استعظمت عليه ما لا يحرك له ساكنا، ولا يزعج منه آمنا، لاتساع مجال احابيله، وبعد مدى افاعيله. اما ترى اخواننا الميكروبات، على دقة اجسادها، بعد ان نجحت فى اجتياح الملايين من افراده،

(١) الدثار الثوب الذى فوق الشعار. والشعار هو الثوب الذي يلي البدن. والبوائق جمع بائقة اى المهلكات. والفراء جمع فرو (٢) المردة بفتحتين جمع مارد (٣) الافعوان ذكر الافعى (٤) نتألب اى نجتمع (٥) الأساود جمع أسود وهو الثعبان العظيم فيه سواد

حتي كنا نعتقد بانها ستكون القاضية على عناده، وقعت الآن تحت [illegible]
عليها أسلحة عرفانه، فابتكر ما يبيدها ويلاشيها، ولم يرف الله فيها، فهل [illegible] منها
في مهابّ غضبه، ومساقط شهبه، نعوذ بالله من هذا الرأي العائل، و[illegible]
من الغوائل (١)

فوقف نسر حيال الاسد، كأنه من ذرية لبَد (٢)، وقال لقد [illegible]
وسطا، وارجو ان لا يكون شططا (٣)، اري ان نهجر المواضع التي يسكنها [illegible]
ونرحل الي ما ليس له عليه سلطان، من مجاهل الاودية، وأغفال الاقطار [illegible]

فصاح به القرد قائلا : مهلا يا أبا المنهال، لقد نصحت بالمحال (٥)، [illegible]
في الارض موطيء قدم لم يَرِده هذا الانسان، ولم يَجُس خلاله [illegible]
فأين المهرب وقد ملك أبعد قعور البحار، وقبض على الهواء السار، وسيطر على
القوى الطبيعية فصار يصرفها على ما يحب ويختار ؟

هنا نهض بعير قَشْعم، كأنه من ذرية شَدْقم (٦) فقال يامعشر الاخوان، لقد
صبرنا علي جور الانسان قرونا، أفلا نصبر عليه قرنا آخر ؟

فصاحت الحيوانات من جميع الجهات، وماذا يكون من بعد ذلك القرن ؟

قال الجمل : سيتم له تسخير الهواء، ويزداد سلطانا علي الماء، ويدين له المغناطيس
والكهرباء، فلا يحتاج للخيول تجر مركباته، ولا للثيران تعمل في زراعاته، ولا للابل
تحمله في صحراواته

هنا صاحت الحيوانات البيتية والحِملان، صيحة ياس وأشجان، نادبة خلودها
تحت ارهاق الانسان (٧)

فقال الجمل : مهلا أيتها الكائنات المستضعفة، فوالله لتنتصرن لكم العلوم والفلسفة

---

(١) الغائل اي غير السديد (٢) لبد بضم ففتح اسم آخر نسور سليمان عليه السلام (٣) الشطط تجاوز الحد. الاغفال من الارض جمع غُفْل وهو ما لا عمران فيه (٤) ابو المنهال كنية القرد (٥) قشعم اي مسن (٦) وشدقم فحل مشهور من ابل العرب ينسبون اليه الابل الكريمة (٧) ارهاق اي ظلم

أبشروا فقد تايدت نظريات النباتيين، وظهر خطر اللحم للعلماء الفزيولوجيين، بما لايدع مجالا للمكابرين، وانتشر مذهبهم بين الكثيرين، ولا يمضي غير جيل، حتى يعم الناس الا القليل

فارتاح المؤتمرون لرأي أبي صفوان، وهنأوه على ما أوتي من البيان (١)

وبينما هم يطهرون اعجابهم بما سمعوا، واذا بجلبة أوتومبيلات أقبلت تهد الارض هدا، فذعر المؤتمرون، وابذعروا وهم يجمحون (٢)

قال الوجدان: مرت الاوتومبيلات الى حيث تقصد وبقيت انا وحدي في تلك الفلاة، لا استطيع الرجوع الى داري على صورة جمل، ولا أجد من يهديني الى وجه العمل. فبينما انا اجيل الطرف في تلك الفلاة اذ لاح لي شخصان، فقلت اقصدهما لعلهما من اهل العرفان، فلما قاربتهما سمعت احدهما يقول. يا بشري هذا جمل، فقال الآخر: سر علي مهل، والا جفل، ثم اخطمه على عجل

قال الوجدان: فلما قربت منهما، قلت سلام عليكما، فوالله ما سمعاها حتى اخذا يركضان، لا يلويان، فلم يسعني الا تركهما

وبينما انا اكاد اتميز من الضيق، واذا بصاحبي في الطريق، فصحت به وأرقلت اليه (٣)، وبسطت له ما لحقني من الضيق مما أنا فيه

فتبسم وقال: أشهدت المؤتمر، ووعيت مادار فيه من العبر

قلت: نعم ولكن أضاع رشدي ما أنا فيه، فمن علي بتلافيه

قال: اغمض كريمتيك ففعلت. فقال: افتحها. فرأيتني بشراً سويا فحمدت الله ملياً (٤)، ثم اقبلت عليه لأقتبس شيئاً من نوره، فما كدت ألقي عليه بصرى حتى رأيته انتفض فصار بلبلا بديع المنظر، جميل المطهر، فتأملته فاذا هو أستاذي الحكيم بن مرشد، فاستشعرت الادب، وقلت أتأذن لي ان أسألك ؟

قال: قد دار الفلك، وهجم الحلك، والرواح خير لي ولك

---

(١) ابو صفوان كنية الجمل عند العرب (٢) ابذعروا تفرقوا. ويجمحون يسرعون (٣) الارقال سير سريع للابل (٤) ملياً أي ساعة من الدهر

قلت : فعدني ان أجدك فى معهد

قال : هيهات ان انقيّد. ولكن التمسني حين تتروح ريح الحكمة، وتحنح حكمة، ثم اختفي عن عيني فلا ادرى اين ذهب ، فعدت وانا فى اشد العجب

الوجدية التاسعة

قال الوجدان :

أجمعت وأصحاب لى في يوم العَروبة (١)، علي اداء رياضة محبوبة، فاخذنا نتشاور في اى الرياضات أجلب للأنس، وأروح للنفس، فانتهي رأينا الي ان نمتطى صهوة النيل (٢)، لنستفيد من نسيمه البليل، فاكترينا زورقا جمع بين جمال المظهر، وكمال المخبر، فلما هممنا بالنزول اليه، لاح لنا علي الشاطيء شيخ ذو سَمت مهيب (٣) قد جلله المشيب ، عليه عباءة يمانية ، وعمامة كردية، فقال احدنا يلوح لي ان هذا الرجل غريب الوطن ، بعيد عن الاهل والسكن ، ولا يخلو ان يكون من أولي الفهم ، والضاربين في العلم بسهم، فهل لكم ان نكرم وفادته علي بلادنا، بدعوته الي مصاحبتنا ؟

فقلنا اصبت شاكلة الكرم (٤) وحققت بانتا اكرم الامم، فتولَّ امر دعوته وتلطف فى تكرمته

فما لبث ان تقدم اليه وسلم عليه ثم قال له : يلوح لنا ايها الشيخ انك غريب ونود

---

(١) العروبه يوم الجمعة. قال سيبويه العروبة يوم الجمعة ومن قال (عروبة) اى بدون أل فقد أخطأ. وبلغ ذلك يونس بن حبيب فقال اصاب سيبويه (٢) الصهوة مقعد الفارس من الفرس اى ظهره استعيرهنا لسطح البحر (٣) السمت اصله الطريق والمحجة ويستعار لهيئة اهل الخير فيقال : ما احسن سمت فلان (٤) الشاكلة الطريقة والمذهب والخاصرة

ان نقف من بلادنا على كل عجيب،فهل لك ان نصاحبنا اليوم في نزهتنا النيلية، لتقف على بعض مالدينا من المواهب الطبيعية ؟

قال الوجدان : فتهلل وجه الشيخ بشرا ، واخذ يوسعنا شكرا، ثم مال نحونا، ونزل الي القارب معنا. فلما استقر بنا الجلوس،وأرخيت للزورق القلوس(١) سمعنا ضيفنا يقول :

باسمك اللهم وعلى بركتك ، وفي حفظك وكلاءتك، نستدبر قراراً أرضياً ، ونستقبل سيالا لجيا (٢) فارعنا بعينك،وراعنا بعونك،واجعل هذه النزهة لنا مقرونة بنفحة من نفحاتك،وآية من آياتك،حتى تجد الروح منها ما يجد الجسد،فنحظي لكل منهما منك بمدد

قال الوجدان : فأدركنا ان الرجل واحد من اهل الكمال ،فتوقينا ان نخرج امامه عن ذلك المجال ، ولبثنا معه كأننا فى مسجد ننتظر التأذين،لا فى رياضة نفتنّ في ضروبها مرحين(٣)، وكأنه شعر بهذه الحال ، فخشي ان نرميه بالاثقال،فنظر الينا وقال :

ياايها الاخوان الاجاود،السباقون الى المحامد(٤) ، لقد وصل الىّ بركم،فوجب علىّ شكركم،وحق علىّ مدى الدهر ذكركم،فأبدأ بتقديم نفسي اليكم،وعرض حالى عليكم.انا الجوّال بن حمدان،من اهل خراسان،حببت اليّ السياحة فلم أدخر لها وسعا،ولم أضق بها ذرعا،لم أدع قطراً الا زرته،وما غادرته حتي رزته (٥)،وقد أداني التطواف الي بلدكم عاصمة العلوم الدينية،وملاذ اللغة العربية،فأسعدني الحظ اليوم بوجودى معكم،فأنا الآن لكم ،فأعطوا الرياضة حقها من اللهو والمرح ، باركم بما سنح (٦)

---

(١) القلوس جمع قلس وهو حبل السفينة (٢) كلاءته اي حفظه. من كلأه الله يكلأه كلأً وكلاءة وكلاء اى حفظه وحرسه. واللجي نسبة للج وهو معظم الماء (٣) نفتن. يقال افتنّ فلان في حديثه وخطبته اخذ فى فنون من القول وجاء بالافانين . مرحين اى شديدي الفرح والنشاط (٤) أجاود اي كرام جمع جواد (٥) رزته اي جربت ماعنده وخبرته (٦) سنح عرض او تيسر

فقال احدنا ان خير اللهو عندنا ان نتذاكر الادب، ونخوض في لغة العرب

فقال ضيفنا واني ماحدا بي اليكم، الا اخذ العربية عنكم(١)، فما احسن ما ترويه الرواة عندكم لشعرائها المقدمين، وأدبائها المتقدمين ؟

فقال واحد منا : من احسن ما نرويه قول ابي الطيب في خلق المرأة :

اذا غدرت حسناءُ وفَّت بعهدها فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشد صبابة وان فرِكت فاذهب فما فركها قصد(٢)
وان حقدت لم يبق في قلبها رضي وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما يضل بها الهادى ويخفى بها الرشد

فصاح صديقنا الجوّال قائلا : ماأعجب هذه الحال، ان لدينا شاعرة تدعي أم الطيب قالت من هذه القافية مايصح ان يُعد في باب توارد الخواطر، كوقوع الحافر على الحافر

قلنا ماذا قالت ؟

قال : قالت في خلق الرجل :

اذا رجل يَغْدِرْ لك وفي بعهده فمن عهده ان لا يدوم له عهد
وان رام عشقا كان اقوي صبابة وان رام هجرانا فما هجره قصد
وان يحتقد لم يبق في قلبه رضي وان هو يرضي لم يصب قلبه حقد(٣)
كذلك اخلاق الرجال وربما يضل بها الهادى ويخفى بها الرشد

قال الوجدان : فعجبنا من تخالف الشاعرين، في الحكم على الجنسين، وأخذ بعضنا ينتصر لأولها، وبعضنا يؤيد ثانيتهما، وجرّنا الجدال الي مطارح شتي من العلوم النفسية، والفلسفة الاجتماعية. ثم بدا لنا ان ننزل الي الشاطيء لترويض الاعضاء، والتمتع برؤية الزروع في الفضاء، فأطللنا من مظلة الزورق فاذا بنا في وسط لجة من البحر ليس لها نهاية، ولا لمداها غاية، واذا بالزورق يشق الامواج بقوة، كأنه مسير

---

(١) حدا بي اى ساقني (٢) فركه يفركه أبغضه. قيل هو خاص ببغضة الزوج لزوجه تقول فركها وفركته (٣) يحتقد اى يحقد

بآلة مخبوءة، فبلغ منا الدهش حده، واصاب منا الهلع جهده، فنظرنا الى صاحبنا الجوّال، فاذا به على مانحن عليه من الحال، فتكاثرنا على الجدافين لنقف الزورق عن الاندفاع، وبذلنا في ذلك المستطاع، فلم يزدد الا سرعه، ولم نحن نحن من ذلك الا روعة على روعة، فأيقنا بشدة الخطر، وجلسنا ننتظر القدر. وبينا نحن كذلك اذ لاحت لنا جزر منثورة، فيها مرافىء معمورة، فحيي فينا الامل، وقلنا عسي ولعل، ولكن مما زاد هلعنا اننا كنا نمر بتلك الجزر مرور البرق الخاطف، او الريح العاصف، فلا نكاد نشارف جزيرة منها، حتي نبتعد عنها، وعلمنا من كثرتها وصغرها انها جزر الارخبيل اليوناني، ثم لاحت جزر كريد فمالطة فسرديذيا فكنناريا ثم اجتزنا مضيق جبل طارق وكان كل ذلك بسرعة تفوق كل تقدير، ولا يبلغ مداها التعبير، فخرجنا الي المحيط ونحن علي أسوأ حال، من الهلع والاجفال، فلاحت لنا القارة الامريكية بشواطئها الجبلية

فقال صاحبنا الجوّال: اسمحوا لي ايها الاخلاء، ان ألقي بنفسي الي الماء، فأحاول ان اصل الي الساحل، وانجو من هذا الخطر الغائل

فقلنا: ان كنت تحسن العَوْم فليس عليك لَوْم

فصاح علي بركة الله، وألقي بنفسه في اليمّ، ومرق من الزورق مروق السهم، وغاب عن اعيننا فلا ندري أبلغ معتَصماً فنشِب، ام خانته قواه فعطِب (١)، وبقينا نحن نمخر في البحار، بسرعة كوكب سيّار، حتي انتهينا الي الاوقيانوسية، وجزنا جزائرها القصية. وما هي الا لحظة حتي رأينا زورقنا قد رسا الي ساحل صخريّ، كأنه سفح جبل ... ّ، فتباشرنا بالنجاة، وعاد الينا الامل في الحياة، ونظرنا في ساعاتنا فاذا نحن لم نقض ... هذه السياحة السحيقة اكثر من عشرين دقيقة، فبلغ منا الدهش حده، وكاد أثبتنا يفقد رشده، فاخترقنا الجبل الي مادونه، فاذا بنا في صحراء جرداء، وفيفاء مرداء (٢)، فسرنا فيها فلاح لنا بناء، حواليه شجر وماء، فقصدناه متلهفين، لعلنا نجد فيه بعض

---

(١) نشب به تعلق به (٢) جرداء اى لا نبات فيها. والفيفاء المكان المستوى من الارض. والمرداء الرملة لا تنبت

الآدميين، فاذا به مسجد من اجمل ما وقعت العين عليه، مما انتهت الفخامة اليه: قد بني من المرمر الناصع، وجصص بالشيد اللامع (١)، ولكنه على فخامته ودقة صناعته، قد خلا من النقوش والتلوين، فكان على ما أمر به الدين. وقرأنا على بابه هذه الجملة «هذا مسجد الغرباء»، فعجبنا من وجود هذا البناء العظيم، في هذا المكان العقيم، وبينما نحن نجول فيه، ونتأمل إحكام مبانيه، واذا برجال قد اقبلوا شتي وجماعات، ووحدانا وزرافات (٢) وهم من اجناس مختلفات، فمنهم هنديون وصينيون وعرب وجركسيون وتتريون وبخاريون، وسودان وسوريون، ومغاربة ومصريون، واقوام آخرون، لم نعرف اجناسهم، ولم نتحقق اصنافهم، فاصطفوا على اتم حالات الوقار، يلهجون بالتوبة والاستغفار، فجلسنا في صف من الصفوف، واخذنا نجيل انظارنا في هذه الألوف، فلم ندرك كيف وصلت الي هذا المكان السحيق، ولا هديت اليه من اي طريق، ثم ما هي الا لحظة حتي أذن المؤذن بالصلاة، فقاموا لتأدية سنتها، ثم جلسوا ينتظرون الخطبة، فلم تمض الا ثوان حتي صعد المنبر رجل وضيء الطلعة، جليل الهيئة، فسلم علي المصلين، ثم جلس ينتظر التأذين، فلما تمت هذه الرسوم، وحان الوقت المعلوم، نهض نهضة سحبانية، وقال بلهجة خالصة عربية :

الحمد لله علي ما اسدي من الآلاء، وافاض من النعماء، حمداً يستوجب لنا المزيد من امداده، ويستدر عليه شآبيب ارفاده (٣)، وأصلي وأسلم علي خاتم انبيائه، وصفوة اصفيائه، محمد الذي ارسله رحمة للعالمين، وهدى للسالكين، ونوراً للمستهدين، وعلي آله وصحبه اجمعين، ما خطب خطيب وأناب الى الله منيب

(أما بعد) فياعباد الله زِنوا أعمالكم بقسطاس مستقيم، وقدّروها تقدير حكيم، فانها غراس تضعون بذورها، وستجنون ثمارها، اما حلوة المذاق جنيّة، وإما مرة الطعم وبية (٤)، فابذروا ما تطيب لكم ثمراته، وتخف عليكم تبعاته، والله ولى الصالحين

(١) الشيد ما طلي به الحائط من جص وغيره (٢) شتي اي متفرقين جمع شتيت. وزرافات جمع زَرافة وهي الجماعة من الناس (٣) شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر. والارفاد العطايا (٤) وبية مخففة عن وبيئة اي مموبوءة

عباد الله : الحياة مضمار تتسابق فيه جياد الهمم الى غاياتها ، فتندفع مقودة بما اكتسبته من حالاتها، فمن سقط دون الغاية فلا يتهمن القدر ، ولا يعمين عن العبر. فانما يصل الي غايته من أعد لها عدتها، واتخذلها أهبتها، من علم يكشف له عن مكانها، وحكمة تبين وجوه امكانها . فمن خبط خبط العشواء أخطأه أقرب المطالب اليه، فما بالك بما يبعد عليه ؟

اذا كان احدكم لا يبلغ امنيته من صحفة طعام، الا اذا سعى لها سعيها، وأعدها من بجيد طهيها، فكيف يتوق الي مرتبة من مراتب الحياة الكاملة، اودرجة من درجات المدنية الفاضلة، بغير علم يقيمه علي طريقها، وأصول تؤديه الى تحقيقها ؟

ألا ان الكمال جنة معجلة، وسعادة مكملة ، ولكن دونها طريقا محفوفا بصنوف القواطع لا يجتازه احدكم الا بدليل من العلوم العالية، ومشكاة من الاخلاق السامية، ودافع من همة لا تعرف الملل، ونهمة لا يقنعها نهل دون علل (١)

اتقوا الله في انفسكم ايها الناس فلا تقصروها علي المطالب الحيوانية، والرغائب البدنية، فتنحطوا عن مستوي العجماوات، وتنزلوا الي اسفل الدركات، واعلموا ان بين جنبي كل واحد منكم مجموعة قوي لو يستخدمها فيما أعدت له عرجت به الي عوالم من الكمال يقصر عنها التعبير، ويرتد عنها الطرف خاسئا وهو حسير

يبحث احدكم عن مال يصيبه، ليحصل على عيش يستطيبه، فيخوض غمرات الخبائث لتحصيله، ويتسكع في متائه الشبهات لتحليله، وربما هلك دون قليله، فضلا عن جليله، وبين احناء ضلوعه كنز لا تفني ذخائره، ولا تنضب موارده، من قوى تسخر له الوجود، وتخضع له كل موجود، فيتحكم في اختيار ما يليق بجلاله، ويلفظ ما يعدو علي كماله، فما اقصر الهمم عن بلوغ هذه الغايات القريبة، وما أعمي البصائر عن هذه المواهب العجيبة

الدين لا يكلفكم لتحصيل هذه القوي ان تخوضوا النيران، او تسكنوا الغيران، او تنقطعوا عن الاهل والخلان، ولكنه يكلفكم ان تعلموا انكم مظهر أسماء الله وصفاته،

---

(١) النهل الشرب الاول والعلل الشرب الثاني

وخلفاؤه في مخلوقاته، وان قلوبكم هذه مهبط اسرارها، ومشرق انوارها، وان روحكم مستمدة منه، ومتنزلة عنه، لتعملوا على مقتضى هذا العلم من الدأب على ما يطهر اسراركم، ويجلي انواركم، بطلب العلم والعمل به، والتعطش للكمال والتعلق بسببه، وترك التفريط والافراط، والهرب من كل ما يؤدى الى الانحطاط سواء في الميول النفسية، او في الخصائص العقلية، وهو بعد ذلك يتولاكم فيأخذ بأيديكم الى مقاوم الكمال الصوري والمعنوي، ومراتب الجلال الجسدي والروحي، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً

يقول قائل قد عرفنا فلاناً وفلاناً، فقد كانا ممتلئين ايماناً، وجاعلين وردهما حديثاً وقرآناً، فعاشا مستضعفين، ثم ماتا ولم يتركا أثراً أو عيناً، فلماذا لم يصلا الى ما نصفه من المراتب العلية، فى حالتيهما الصورية والمعنوية؟ ثم ماذا يكون من أثر أمة يستن افرادها بسنتهما، ويعملوا على شاكلتهما؟

الله اكبر هذه شبهة يدلي بها اعداء الدين، ويقصدون بها تشكيك المؤمنين يقال ان فلاناً وفلاناً عاشا مؤمنين مستضعفين، وماتا ولم يخلفا أثراً ولا عين. نعم لأنهما لم يعملا بما طالبهما به الدين، من دوام طلب العلم والعمل به، والأخذ من كل كمال بسببه، والدأب على استشراق نوريهما، والاجتهاد فى استثارة قوى روحيهما

اقول العلم ولا اقصد به مجرد العلم بالشئون الدينية، فانه يكفى منه ما يصحح تلك الامور العبادية، ولكني اريد بالعلم علم الكونيات واسرارها، والروح ومطالع انوارها، فبالاول يبلغ الانسان من بسطة الحياة الارضية ما يكفيه الحاجات الجسدية، ويمكنه من بلوغ ابعد شأو من المدنية المادية، وبالثاني يطل على حظائر القدس فيستمد من نوره الالهي، وروحه العلي، ما يعرج به الى أوج الكمال النفسي، وذروة الجلال السماوى

ولا اريد بقولي الاخلاق العالية ان يقبع احدكم في كسر داره قبوع القنافذ، وينقبض في زاوية مصلاه انقباض العواجز، لا يقوم لحاجته الا كما يقوم من اثقلته الادواء، وبهظته الارزاء، لا يتكلم الا همسا، ولا ينظر فيما حوله الا خلسا، قد انصرف همه عن كل مطلب يتطلع اليه الاحياء، الا ركعات يرددها، والفاظ يهمهم بها، وسبحة

طويلة يحملها

كلا، ان الاخلاق العالية، ان يكون احدكم على مثل ما يكون عليه الأروع الاريحي في نفسه وبين قومه، على حال يجمع بين ادب النفس وعزتها، ولين العريكة وشدتها، فيصلح ان يكون لغيره في المكارم اسوة، ولسواه في حسن السيرة قدوة

فراقبوا الله أيها الناس في انفسكم، وحاسبوها قبل ان يحاسبكم، وانتهزوا فرصة المهل، قبل ان يحال بينكم وبين العمل، بحلول الاجل، فستسألون عن مواهبكم التي أهملتموها، كما تسألون عن ذنوبكم التي اجترحتموها

قال الوجدان : فنسيت لجلالة هذه الخطبة، ما أنا فيه من الكربة، ثم نزل الخطيب فأم هذا الجمع المحشود، وصلي بنا صلاة ماصليت مثلها في حياتي خلف امام، ولا شعرت بما شعرت به فيها من الالهام، فلما سلم وانتهت رسوم الصلاة نهض القوم كلهم فتصافحوا تصافح الاخوان، وتعانقوا تعانق الخلان، ثم اخذوا ينصرفون، وفاتنا ان ننظر الي اين يذهبون، فبقينا في المسجد نتأمل في بنائه، ونعجب من مهارة بنّائه، وكرم الآمر بانشائه، حتي لم يبق في المسجد غيرنا والخطيب، فتقدمنا اليه، مسلمين عليه، فرد علينا التحية، ونفحنا بالدعوات الزكية، ثم قصصنا عليه قصتنا فاظهر الارتياب، وقال ان هذا لعجب عجاب، فاسمحوا لى ان ارى ذلك الزورق السحرى، الذي قطعتم عليه البحر اللجّي، الي هذا المكان القصي

قال الوجدان : فذهبنا به اليه، فلما عرضناه عليه، أظهر الدهش والحيرة، واطال فى إعمال الفكرة، ثم نزل اليه وتبعناه، وما كدنا نغشاه حتي انساب انسياب الحوت فى الماء، واندفع اندفاع الشهاب فى السماء، فقال لنا الخطيب لقد فعلتم فعلتكم، وموهتم علي حيلتكم. فلنا والله ماعلينا في هذا الامر من لوم، فانج بنفسك ان كنت تحسن العوم، قال معاذ الله ان اتعرض للخطر، فلا نتظر معكم احكام القدر

قال الوجدان : فما هي الا سويعة حتي صرنا فى البحر الابيض المتوسط فتباشرنا بالنجاة، واخذنا نحمد الله، ثم مامضت الادقائق حتي مررنا من مصب رشيد، الي نيلنا السعيد، فلما شارفنا القناطر الخيرية، وقربنا من القاهرة المحمية، التفتنا فلم نر الشيخ الجليل، فتحققنا انه سقط في النيل، فاشتد حنيننا اليه، واخذنا نترحم عليه، وما كدنا

حتي سمعنا صفرة بلبلية و نغمة شجية فالتفت فاذا بصديقي البلبل النجيب، فحييته تحية الحبيب ، وقلت لقد أبدعت هذه المرة فى الاعاجيب. فأنت والله الحكيم بن مرشد، وأنت خطيب مسجد الغرباء ، ولكن ماأسم تلك الخزيرة ، ومن أين أتت تلك الجموع الغفيرة ؟

فصفر صفرة مَرَحٍ وقال : كفاك اليوم مارأيت، فاذا التقينا حدثتك بما اشتهيت، ثم اندفع فى الجو اندفاع الشهاب ، وتركنا دهشين من هذا العجب العجاب

الوجدية العاشرة

قال الوجدان :

قصدت ذات يوم حلوان ، لاُسرّي عن نفسي بعض الاشجان، ومن هنالك امتطيت صهوة كمَيْت يعبوب، وأخذت أجول فيما حولها من السهوب (١). كان هذا في معمعان الشتاء، والبرد في عنفوان الفَتَاء ، فراقني ذلك الهواء المدفأ بأشعة الشمس ، المواتي لاهواء النفس ، فأمعنت السير غير حاسب لتقلبات الجو حسابا ، ولا متخذاً لأفاعيله أسبابا ، وبينما انا اداول في تلك الفيافي بين الخبب والتقريب (٢) وأختبر ما بلغه فرسي من الترويض والتهذيب، واذا بالسماء قد تلبدت بالغيوم، والامطار قد آذنت بالهجوم، فأجمعت الرجوع على الادراج، دافعاً حصاني الي الاهماج (٣)، غير ان تهاطل الغيث حال بيني و بين النظر، فخشيت ان ارتطم في الخَمَر ، او أتردّى في بعض الحفر (٤) فوقفت أرتاد لي ملجأ يعصمني من الماء، فلم

---

(١) الصهوة ظهر الحصان . والكميت الفرس الذي خالطت حمرته سواد واليعبوب السريع الجري. والسهوب الفلوات (٢) الخبب والتقريب نوعان من سير الفرس. الاول ان يستقيم تهاديه في جريه ويراوح بين يديه، والثاني ان يرفع يديه ويضعهما معاً (٣) الاهماج اقصى مايكون من ركض الفرس (٤) الخمر ما يسترك من اكمة او شجر . وأتردّى اي أقع

أجد غير مغارة في تلك الانحاء (١). فقصدتها على عجل، ثم دخلتها على مَهَل، فرأيتها فسيحة الجوانب، طويلة المسارب، فلم أر من الحكمة ان أطمئن دون ان ابلغ طرفيها، تفاديا من ان يكون قد كمن فيها بعض الضواري، من قطان البراري، فسرت مستعيذاً برب الفلق، من شر ما خلق، فكنت كلما سرت لاحت مسارب، وتفرعت مذاهب، فحرت فيما اصنع ولكني امعنت المسير. فلاحت لى عن بعد أشعة شمسية، فقلت قد انجلت البلية، فرجعت أدراجي. لأمتطي هملاجي (٢). فاذا بالحال على ما كانت عليه. واذا بالغار قد تسرب الماء اليه، فعدت لما كنت قصدته، من سبر غور الملجأ الذى دخلته (٣). حتي اذا وصلت الي مكاني الاول، وجدت الاشعة لم تتحول، فعدت الي باب الغار ثانيا. فرأيت المطر لا يزال هامياً (٤)، فعجبت من هذه الحال، التي تمثل المحال، وآليت على نفسي ان انتهي لمساقط تلك الانوار، لاقف على ماوراءها من الاسرار، فأمعنت السير مجداً، وقد ألم بي الدهش جداً، حتي قطعت نحو ميل. في ذلك السَرَب الطويل (٥)، فانتهيت الى فوّهة رأيت منها الشمس فى رائعة النهار، ولم أجد على الارض من أثر للامطار، فراد دَهشي مما رأيت، وكدت ارجع الى حيث اتيت. الا اني تجلدت حباً فى استطلاع الخفيات، وخرجت الي تلك الفلوات. فاذا انا فى موامي يضل فيها الوهم، ويحار في تصويرها الفهم (٦)، وحرت بين ان ارود انحاءها اوأؤوب. فدفعني حب الاستطلاع على الدؤوب (٧)، فما سرت فيها غير قليل، حتي لاح لي ظل ظليل. ونهر يشبه النيل (٨)، فقصدتهما محفوزا بدافع العجب، وان كنت مثقلا بالريب (٩)، فلما قاربتهما تبينت غابات فيحاء. ورياضاً غناء (١٠)، وغدرانا

---

(١) الاحناء جمع حِنو اي الجانب (٢) يقال فرس هِملاج اي سريع العدو (٣) الغور العمق (٤) هامياً اى هاطلا (٥) السرب بفتحتين الحفير تحت الارض (٦) موامي جمع مَوماة او مَوماء الفلاة التي لاماء بها ولا انيس (٧) الدؤوب مصدر دأب على الشيء اى استمر فيه وامعن (٨) الظليل ذو الظل يقال: مكان ظليل وظل ظليل اي دائم وقيل على المبالغة (٩) محفوزاً مدفوعا (١٠) فيحاء واسعة. وغناء الروضة الكثيرة العشب لخفيف الريح فيها

من الماء النمير،وتحف بها انواع الازاهير(١) فراقني هذا المظهر الجميل،ونويت ان أتفيأ ظلالها لأقيل (٢)، الا اني ما كدت اصل اليها،حتي رأيت على دوحاتها من أنواع الاطيار ، ما يحير الانظار،ويبهر الافكار،ما بين بلابل وقماري ، وهداهد وكراكي،وحمائم وغربان،وطواوس وعقبان،وما لا يحصيه الا معاجم الحيوان، وهى ذات الوان تعجز الشاعر،وتعيي المصور الماهر،فقلت يالله ما أجمع هذه الايكات للمكات الهواء،وأين عشاق الطيور من هذه الانحاء.الا اني ما كدت أقرب من مدخلها حتي صمدت لي أسراب من النسور،وأخرى من البزاة والصقور،فراعني منها انها من ضخم الجثمان،بحيث يستصغر بجانبها الانسان،فلزمت مكاني،وهلعت مما دهاني،فأحاطت بي احاطة السوار بالمعصم ، ثم تقدم الي منها نسر قشعم (٣) ، فسألني بلهجة تشف عن الكبرياء،وتشعر بما وراءها من البلاء،قائلا:من أنت أيها الآدمي،ومن هداك الى هذا المكان الخفي،قلت رحماك ياأمير النسور،وحامي هذا المكان المعمور.اني لم أغش مدينتكم لشر نويته،ولا لكيد بيتّه . ثم كشفت عما جري لى لم اكتم منه حرفا،ولا تعمدت لحقيقته صرفا،وختمت ذلك بقولي:هذه قصتي ألقيها اليك،بارك الله فيك وعليك،فدعني اعود الى حيث جيت،ولك ان لا أبوح بهذا السر ما بقيت

فقهقهت النسور مما قلت قهقهة استهزاء ،قائلة متي عهد من بني آدم الوفاء ! ثم مازاد قائدهم على ان قال سر خلفي الي حيث اريد،واياك ان تحيد،فأطعت أمره على الرغم،وسرت يحدوني الوجل والغم،فاخترق بي من الغابات والايكات،ما يعد من عجائب الموجودات،وقد عمرت افنانها بمختلف الطيور،وانواع الوكور(٤) فاتخذ كل جنس منها قسما لا يشاركه فيه سواه،ولا يحله الا اياه،وكنت كلما مررت بطائفة منها صاحت صيحاتها العادية،ورشقتني بألفاظ سخرية،فكنت أسمع بعضها

---

(١) النمير الزاكي من الماء والحسب أى الكثير. و الازاهير جمع أزهار (٢) لأقيل اى لارتاح وقت القيلولة(٣) قشعم اي مسن (٤) الوكور جمع وكر وهو عش الطائر

يقول : « أنعم بك من صياد، لقد هداك للفرائس هاد » وبعضها يقول : « نهنئك بالظفر والاقدام، أيها الفاتح القمقام » (١)، وبعضهم يصفر صفير المرح وهو يقول: «لايغرنكم تواضعه واستخذاؤه الآن، فانه يفكر في ان يجعل مدينتكم خبرا لكان» وبعضها يضرب بأجنحته صافراً. ويقول ساخراً: «احنوا رؤوسكم لهذا الجسور، فقد فتح مدينة الطيور »

قال الوجدان : فلم ازل امشي خلف ذلك النسر الهائل، وانا عرضة لكل هازيء من الطيور وهازل، حتي انتهيت الى ميدان قد أظلته الادواح، وعطرته الازهار بأريجها الفيّاح، وفرشته الاعشاب ببساط اخضر، وزركشته الانوار (٢) بطراز أزهر، فخيل لي فيه اني وسط بهو من أفخم ما شيدته الصناعة، وأحكمت ابداعه (٣)، فالتفت واذا في صدره قد جثم نسر من ضخام النسور، كأنه في مكانه ملك وقور، وعن يمينه ويساره عدة من امثاله، تمثل مجلس الحكم في جلاله، ومن خلفهم جماهير قائمة كالجنود، تزيد في جلال هذا المحفل المشهود، وعلي مايحيط بتلك الباحة من الدوحات من مختلف الطيور عددلايحصيه حاسب، ولا ستقصيه كاتب، كأنها نظارة تشهد المرافعة في قضية (٤) وتترقب صدور حكم في جنية، وقد ساد السكون، وشخصت العيون، فقدمني النسر حتي وقفني حيال القاضي، وعرضني للتقاضي، فلما وقعت عينه عليّ، توجه بكليته اليّ . وقال :

كيف تجرأت علي انتهاك حرمة هذه المدينة، باقتحامك معاقلها الحصينة، واي دافع دفعك لازعاج أمننا، وتكدير صفونا، أما كفاكم معاشر الآدميين ان توغلوا فيمن يساكنكم منا قتلا وتعذيبا، لا تخافون حسيبا، حتي جئتم تزعجوننا في مخابئنا، وتقلقوننا في مآمننا ؟

قال الوجدان : فقلت ادام الله دولة مولاي القاضي، وأنصف بعدالته المتقاضي،

---

(١) القمقام بفتح القاف الاولي وضمها السيد الكثير العطاء (٢) الانوار جمع نور وهو الزهر المسمى بالنوار (٣) البهو هو المسمي الآن بالصالون (٤) النظارة المتفرجون والجنية بوزن عطية الجناية

لقد وصلت الي هذا المكان اتفاقا ، وما قصدت لراحتكم اقلاقا

فتبسم تبسم المرتاب، وقال ياهذا العجب العجاب، لقد عشنا ألوفا من السنين في هذا المكان، لم يزعجنا فيه انسان، فكيف اتفق لك مالم يتفق لسواك، والله لمقين جراء ماجنته عليك قدماك

ثم التفت عن يمينه باهتمام ، وقال ليبسط المدعي العام . وجوه الاتهام

فنهض عند ذلك بازيّ أشهب ، وهو حَنِق مُغضَب ، وأخذ يجلّي التهمة عليّ فقال :

هذا يامولاي القاضي واحد من الذين يزعمون ان الله خلق الارض لهم، وجعل كل مافيها ملكهم، لا ليقوموا فيها بحقوق خلافته، واعباء وكالاته، بما يقتضيه العدل الطبيعيّ، والحق الالهيّ، ولكن بما توحيه اليهم شهواتهم، و توجبه عليهم نزغاتهم ، فتراهم يستثمرون الارض لا لتكفيهم المؤونة، وتمكنهم من المعونة، بل ليبغي بعضهم على بعض، ويستأثر دونه بكل عَرَض(١)، فيشبع القوى حتى يَتّخم ، ويحرم الضعيف حتى يَعْدَم، فترى في كل مدينة من مدائنهم افرادا قد اكتنزوا الملايين، وجمعوا الوف الفدادين، بوسائل شايعة، لا تسوغها شريعة ، فصرفوها في نقع غلة شهواتهم، وبل صدَى رعوناتهم(٢) يعتدون على الاعراض ولا يرعوون، ويتنهكون حرمة الآداب ولا يخجلون (٣)، ولم يكفهم ذلك حتى امتد بغيهم على من يساكنهم الارض من صنوف الحيوانات، وانواع العجماوات. فأوغلوا فيها قتلا ، واذاقوها من انواع التعذيب ويلا ، وكان اشد انواعها بلاء بهم الطيور ، فحبسوا بعضها في الدور، وعرضوا البعض الآخر للذبح والتنور، ولو كان ذلك منهم لدفع متربة او اتقاء مسغبة (٤)، لقلنا الجوع كافر، وكان لهم منا عاذر، ولكنهم يأتون ذلك الى الحد الذى يضر بصحتهم ، ويفضي الي هلكتهم. ومما يزيدنا من قساوتهم عجبا ، انهم

---

(١) العرض المتاع (٢) الغلة العطش ونقع الغلة هو ارواؤها . والصدي العطش (٣) يرعوون اي يرتدعون والرعوى الارتداع (٤) المتربة هي الفقر الذى يلحق صاحبه بالتراب . والمسغبة الجوع

يقتلوننا لهواً ولعباً، ويجعلون إفناءنا لسرورهم سببا

وقد فاق هذا المتهم بني جنسه في الظلم بغشيان مدينتنا، والوقوف على ملاجئنا، ليعود فيخبر قومه بما هدى اليه، وعثر عليه، فلا يمضي يوم او بعض يوم، حتي يتراكض الينا غواة القوم، فيسلبونا العافية، ولا يتركوا منا باقية (١)

لهذا نطلب من المحكمة ان تنزل بهذا الواغل أشد العقاب، لاتقاء ما يستتبعه إفلاته من التباب (٢)

قال الوجدان: فما أتم المدعي خطبته، حتي جاشت الطيور على الاغصان، وصفرت لها صفير استحسان (٣)، وما بقي الا ان يلفظ القاضي بالجزاء، فأتعرض للبلاء

فقلت أيد الله دولة الطيور، وخلد ملكها مدى الدهور، وحاط كيانها بقادة النسور، اني رجل ممن ينتمون للحكمة يكشفون اسرارها، وللاخلاق يرفعون منارها، وللانسانية يبنون آثارها، ويزيلون عارها، ولكم كتبت أستعطف عليكم القلوب، وأرد اليكم حقكم المسلوب، ولن يزيدني الوقوف على مدينتكم، الا مضيا في تأييد قضيتكم، والدفاع عن حقيقتكم، فان شئتم ان ...

قال الوجدان: فقطعتني عن الاتمام جلبة تصم الآذان، احدثها الطيور على الاغصان، علامة على السخط والشنآن (٤). وما لبث ان قام المدعي العام فقال:

ان ما يقوله المتهم يا حضرات القضاة من الخدع التي مرن هذا النوع على استخدامها، بعد ان بلغ الغاية من إحكامها، فهو يقسو ويلين، ويتنمر ويستكين ويعتز ويذل، ويكثر ويقل، على مقتضى الاحوال والشؤون، وبحسب ما يودان يكون فان رأيتموه قد زهد حتي تبلغ بالاعشاب، ونسك حتي لازم المحراب، فلا تأمنوا ان تروه قد طمع حتي لا تشبعه الممالك، وفسق حتي لا تزعه المهالك

وهذا المتهم يريد ان يوهم المحكمة بأنه امام من الائمة، وزعيم من زعماء الحكمة، وولي من اولياء الفضيلة، وعدو من اعداء الرذيلة، لكي تعطفوا عليه، وتستنيموا

---

(١) العافية الصحة التامة (٢) الواغل هو الذى يغشي القوم بغير اذن (٣) التباب الهلاك. وجاشت اضطربت (٤) الشنآن العداوة

اليه ، حتى اذا اقلت عد افلاته ضربا من ضروب المهارة . وعاد فشن علبكم الغارة

قال الوجدان : فسمعت ضجة بين الافنان ، تشعر بالاستحسان . وظهر على القضاة ميل للادانة ، وفاء لحق الامانة . ولكني اظهرت الثبات . ولم أنثن امام هذا الاعنات فقلت :

من الجور ان يعم هذا الوصف الشائن ، نوعا فضله الخالق على كل كائن . و خصه بجميع المحاسن . اجل انا لا انكر ان فينا افرادا بل طوائف الفوا العصيان والدعارة . وعدوا الاحابيل مهارة ، واتخذوا الشرور تجارة . ولكن ذلك لا يقدح في ان منا المصطفين الاخيار ، والصالحين الابرار . والعاملين على احياء معالم العدل . ورفع منار الحق والفضل . فهل تسمحون لانفسكم ، وانتم تنشدون الانصاف وتكرهون الاجحاف ، ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ؟

قال الوجدان : فنهض المدعي العام وقد احمرت عيناه ، وضاع نهاه (١) وقال :

ياحضرات القضاة العدول ، والجهابذة الفحول . انتم أجل من الانخداع لهذا المين المزوّق ، والباطل المنمق ، (٢) ، فان هذا النوع شديد المحال ، كثير الاحتيال ، فلا يكسرن شرتكم بنفثاته ، ولا يسحرنكم بترّهاته . فعجلوا عليه العقاب ، وقدّم للصواب

قال الوجدان : فنظر القاضي لمن حوله من العقبان . وقال : لقد بدا من أمر هذا الآدمي ما يوجب المظنات ، وليس في عدلكم سعة للاخذ بالشبهات ، فهل تقبلون ان انزله على حكمي وأبوء دونكم بأثمي ؟

قالوا : قبلنا ما تقول راضين ، لا زلت فينا من الموفقين

قال الوجدان : فسرعان ما نشر جناحين ، كشراعي سفينتين ، وتقدم اليّ فحملني بمخلبه وطار ، فأيقنت بالبوار ، فصحت به رحماك ، وانا أسبح معه في السكاك (٣) فضحك مغربا ، ثم قال متعجباً ، لشدّ ما أضر بك الجولان ، ياوجدان ؟

قلت : امّا وقد عرّفتني ياأمير العقبان ، فلا أيأس من الامان

---

(١) النهي جمع نُهيَة اي العقل (٢) المين بوزن العين الكذب (٣) السكاك هو الهواء الملاقي السحاب

قال: لابأس عليك الآن، وسأحملك الي ضاحية حلوان

قلت : وما أدراك باسمي أيها الطائر الكريم، بل الحاكم الحكيم ؟

قال : ما أشد ما بلغ منك حب التنقيب،وطوّح بك الي كل امر مريب

قال الوجدان : فسكت خجلا،وان كنت أودان يجيبني عجلا،وما هي الادقيقتان حتي بلغ بي ضاحية حلوان،وقال هذا حصانك فاذهب بأمان

قلت : شكراً لك علي ما مننت،وثناء علي ما تفضلت،فأنشدك الله ما انت ؟

قال : ألست كما تري عقابا من العقبان،قلت أيبلغ العقبان هذا الحجم؟ ويكون لهم مثل مالك من الفهم ؟

قال : ألا يجوز ان تكون فى منام ، وان ما تراه حلم من الاحلام ؟

قلت : كيف يكون ذلك وانا حاصل علي كمال الشعور،ومميز بين الظلام والنور

قال: أتستطيع ان تثبت لي انك يقظان،وان ما رأيته وتراه صحيح ببرهان ؟

قلت:اليقظان يرى الامور جلية،ويحس بترابطها وتسلسلها علي حال طبيعية،ولكن النائم يري مرائي غير مترابطة ؟ فهو كخابط ليل، يمر من غور الي نجد ، ومن نجد الي غور، علي غير نظام،ولا سبق المام (١)

فضحك العقاب مغربا،ثم قال مداعباً:وما دليلك الحسي علي انك لست تقرر ما تقول وانت نائم،وعلي ان لافارق بين مرائي اليقظان وحلم الحالم؟

قال الوجدان : فصحت به رُحماك رُحماك لقد جعلتني في ارتباك، فأي دليل حسي استطيع ان اقدمه،وآمن ان لاتهدمه ؟

فقهقه العقاب ملياً، ثم انتفض فصار بشراً سويا ، فما كدت ان أتعرفه حتي انتفض ثانية فصار بلبلا ياقوتياً،فتأملته فاذا هو والله استاذى الحكيم بن مرشد.فقلت هو أنت، شكراً لك علي ما فعلت،فلولاك لهلكت

ثم قلت : هل لك في مزاملتي بقية نهارى،لأطفىء بحكمتك ناري ، وأخفف آصاري ؟

---

(١) الغور الارض المنخفضة.والنجد الارض المرتفعة

قال : لقد تركت قومي ينتظرون اوبتي، ليقفوا على حكومتي (١)، ثم ودعني متحفزاً للطيران،معولا على الرجعى للاوطان ، فقلت ان كان ولا بد فواحدة ؟

قال ماهيه ؟

قلت : ان تثبت لي اني است بنائم ، وان مارأيته ليس بحلم حالم

قال : انتظر حتي تفيق من نفسك،وترجع الى حسك،ثم مرق مروق السهم ، واندفع يسابق الوهم،فركبت حصاني وقد انضاه السغب،وعدت مزوداً بالعجب

الوجدية الحادية عشرة

قال الوجدان :

قصدت مدينة الفيوم ، وقد ساورتني الهموم(٢)، رجاءان أسري عن نفسي بعض كروبها،برياضة أفتن في ضروبها.وأحمل الجسم على ركوبها (٣) فوصلتها بكرة يوم رق هواؤه،وصفت سماؤه،فأخذت اجول فيما اشتهر عن غياضها،وطاب ثمره من رياضها(٤)، فلم تزدني تلك المناظر الشائقة،والمظاهر الرائقة ،الا انقباضاً على انقباض،وامتعاضاً على امتعاض،فقلت في نفسي ياسبحان الله ، ماذا عسي ان يخلصني من مزعجات الهواجس،آنق من هذه النفائس؟ثم عدت فقلت ان لله في هذا الامر لحكمة،سأحمد معها هذه الغمة،فخرجت اطلب الصحراء، مستعيضاً عن الرياض بالخلاء،فما سرت غير ميلين ،حتي لاح لى شبحا انسانين ، فقصدتهما فاذا بأحدهما اعرابي قد جلله المشيب ، وثانيهما غلام عليه برد قشيب (٥)،فسلمت عليهما ، وجلست قريبا منهما،فبعد ان احسنا ردالسلام،سمعت الشيخ يقول للغلام: « اى بني ان من أصول المدنية،التي نحن أممتها على ظهرالكرةالارضية،وحفظة

---

(١) حكومتي اى حكمي (٢) ساورتني هاجتني (٣) ضروبها انواعها (٤) غياضها جمع غيضة وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء (٥) القشيب الجديد

أسرارها من دون البرية ، ان تنفي سريرتك وعلانيتك، وتجحد معارفك وسيرتك ، فلا يتنازعني فيك ناظر ... ولا يتعاكس منك مجهود وامل، فان حدث لك شيء من هذا الحذر، وخشيت ان تختلط امامك الامور، فحكم العقل فيما شجر من هذا الخرف، وأعط العلم قسطه من الاعتراف، فما حكم به العقل وأقره العلم فامضه ولو خالف هواك، وباين مشتهاك، غير ناظر لما قيل او يقال، ولا آبه بما موهه الخيال، ويغرر به الجهال، فان العقل اهدى هاد للانسان، والعلم اقوم سبيل للاحسان. فان تنكبت هذه الخطة هجم بك الهوى على الضلالات، وخبط بك في متائه العمايات، وهوى بك من مضطرب فتنة الى منزلق محنة، وجذبك من مفازة غي الى هاوية بغي، وما زال بك حتى يفقدك مزية وجودك، فيصبح وبينك وبين احكام عقلك حوائل، ودونك ودون مقتضيات علمك غوائل. فنجدك مضطراً للسير على غير هدى، مدفوعا لما تعتقد انه سدى، او فيه ردى، ولا تزال كذلك حتى ينتهي وجودك وانت لا بعقلك اهتديت، ولا بعلمك اقتديت، احط من الحيوان في غفلته ، وادنى من الجماد في رتبته، آسفاً على حياة امضيتها حائراً، وجهاد طويل خرجت منه خاسرا

« نحن حفظة المدنية الانسانية، والحاملين لامانتها العلية، لا يجدر بنا ان نكون من الأخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً »

قال الوجدان. طرقت سمعي كلمة المدنية، وتأملت في الذي يزعم انه من أمتها دون البرية، فأكبرت هذه المزاعم من احد اعراب البرية ، ليس عليه شيء من دلائلها الصورية، فهو مشتمل برداء، وملتحف بكساء، وعلى رأسه عمامة لطيفة، وبيده مخصرة خفيفة، وفي رجليه نعلان صفيقان، على نحو نعال العربان ، وهذه الهيئة لا تشف عن علم ولا صناعة ، ولا تجارة ولا زراعة ، فأي مدنية يعتبر نفسه من حفظتها ، واية علوم يعدقومه من امتها، فحملني حب الاطلاع على مخاطبته، للوقوف على حقيقته

قلت له : ماذا تقصد ايها الشيخ بقولك المدنية، في صيحتك الابوية ، لعلك تريد بها الاخلاق الملطفة، والآداب المهذبة، تفرقة بينها وبين الخشونة البدوية ،

وجشوبة الحياة الخلوية (١)

فهز رأسه متبسما ، ثم قال منهجما :

« أريد من كلمة المدنية أكمل ما يسعه معناها، وأتم ما يشمله مغزاها »

فقلت له بلهجة تنشف عن الاعتراض ، وتنم عن الامتعاض :

انها تسع العلوم الانسانية، على ما وصلت اليه في الايام الحاضرة ، والصناعات اليدوية، على اكمل احوالها العصرية، وهي ذلك الحدث الفخم، والابداع البديع ، الذى تمثل في اكمل الصور، لاهل القرن التاسع عشر، ثم اهل القرن العشرين، فهل انتم من ذلك على شيء ؟

قال الوجدان : فشعر مخاطبي بأني انكر عليه ذلك لسذاجته وبداوته وعجمة إعرابه ، فنظر الي نظرة استخفاف ، وقال يا لضيعة الانصاف ، أتظن يا هذا ان المدنية وقف على من لبس السراويل المضيقة ، والمعاطف المزررة ، واحاط عنقه بالاقمشة المنشاة، ودلي على صدره الاربطة المغشاة، وحلي اصبعه بخاتم براق، وأحاط خصره بنطاق لا يطاق ؟

ان ظننت هذا فقد ركبت الشطط، ومنيت بالغلط ، ووقفت مع الظواهر فقط

اعلم يا هذا ان الناس من المدنية على حالين، فبعضهم اخذوا بقشورها، وتمسكوا بشرورها، وهؤلاء لا يعنيهم الا ما تنتجه مصانعهم من فرش منضدة، وآنية ممردة (٣) وألبسة مفوفة، واغطية مزخرفة (٤)، ولا يهمهم بعد ذلك حكم لعيهم بضررها ام نفعها، وأمر بالاخذ بها ام دفعها، فالامم لديهم مقصورة على دور العلماء، وبيوت الحكماء ليس لهم منه الا ثمراته المادية، ومموهاته الصناعية، اما ما يأمر به من الاخلاق الفاضلة ، والآداب الكاملة، فهم بمعزل عنه، وبنجوة منه (٥) ، وغاية ما يفقهون به انفسهم ، عبارات مرققة ، وجمل منمقة ، وهيئات في الحركات والغدوات، واشارات تشفي السلام والكلام ، اصطلحوا عليها اصطلاحا ، واتخذوها للتمويه سلاحا، حتى احدهم

---

(١) الجشوبة الخشونة (٢) متجهما اى باسر الوجه عبوس (٣) ممردة اى مملسة (٤) مفوفة اى مخططة (٥) بنجوة منه اى بمعزل عنه

بعد ذلك ان كان تفهمه له و جهله،خارجا علي العلم و حرمته،وغريبا عن الحق وشرعته

والبعض الآخر اخذ من المدنية بحقيقتها،وعول منها علي زبدتها،وائتمر من العلوم باوامرها.وجال منها في سرائرها ، فقام علي السمت الذى رسمته ، وأخذ بالمحصول الذى بلغته (١) ، فبلغ رتبة نقصر عن تصورها الافهام ، ولا تحيط بجلالتها الاحلام

ياهذا ، ماالفائدة من تنوع في التعبيرات،وزخرفة الهيئات ، و تمويه المشروبات والماكولات ، اذا كان كل ذلك مخالفاً لما جرى العلم بنصحه ، ومعاكسا لمقتضاه ومؤيده،أيأمركم العلم ان تمنعوا الهواء الطلق عن اجسادكم الضعيفة، بهذه الالبسة الكثيفة،التي لايسمح ضيقها للرئة بأداء وظيفتها ولا للاحشاء بالجرى علي سننها ، أكانت المدنية في نظركم اصولا مهلكة،وعلومها سموماً موبقة،ام انتم الذين لاتأخذون الا بظواهرها ، ولا تعولون الا علي مظاهرها ؟

ياهذا ، ما قيمة هذه المدن الشاهقة القصور ، والشوارع المتلألئة في النور ، والمركبات الغاديات الروائح،والسيارات السوانح والبوارح (٢) اذا كانت اعراضكم منهتكة،اخلاقكم مبتذلة ، وآدابكم منحطة ، واموالكم ضائعة ، ونفوسكم عمرتها الهواجس،وصدوركم عششت بها الوساوس،ونياتكم فاسدة ، واهواؤكم متغلبة ، وشهواتكم متحكمة،ومجتمعاتكم بؤرات فسوق،وبيوتكم مهابط عقوق،وانتم بين هذه العوامل اشباح تحركها الشهوات،وتتقاذفها المخريات،وتتحكم فيها الغفلات ؟ فأى مدنية بها تفاخرون ، واى علم عليه تعتمدون ؟

قال الوجدان سمعت منه هذا الكلام،فخيل لى اني في المنام، فقلت له:من اي البلاد انت يرحمك الله ؟

قال : من المدينة الفاضلة

قلت : لم اسمع بهذا الاسم من قبل،وقد قرأت علم تخطيط البلدان،وطفت ارقى المدن في العمران

---

(١) السمت الطريق (٢) السوانح من الطيور التى تذهب عن اليمين.والبوارح التي تذهب عن الشمال

قال : ان شئت اوصلتك اليها الساعة ، فوقفت علي ما فيها من البداعة ،

قلت : ان فعلت كان لك الفضل ، وعليَّ الشكر

قال الاعرابي : ان لي ناقة نجيبة اسمها عجيبة تعرف الطريق اليها ، [illegible] عليها ، فارتحلها وخلِّ لها الزمام ، توصلك الي باب المدينة بسلام

ثم نادى بأعلي صوته يا عجيبة ، فحضرت مجيبة ، فاذا بها شمردلة شملال (١) يوثق بها في الترحال ، فأنختها ، ثم امتطيتها ، فقال لي صاحبي علي بركة الله [illegible] . فشكرت له جميل عنايته ، واثنيت علي مروءته ، وسارت الناقة بين الرسيم والذميل ، حتى جاوزت نحو ميل (٢) ، ثم اندفعت تنهب الارض نهبا ، وتخترق الهواء [illegible] علي مصادمة الهواء ، فسترت وجهي بغطاء ، فلم أعد أرى ما حولي من الاشياء ، ثم احسست بأنها عادت الى الهوينا ، فكشفت عيني ، فاذا انا بين رياض زاهرة ، ومياه جارية ، فتأملتها فاذا هي علي نسق لم تقع علي مثله العين من الجمال ، وحسن [illegible] ، في سعة من الارض لا يحيط به الطرف ، تتخللها شوارع قد اكتنفتها الاعشاب المختلفة الالوان (٣) ، وقامت فيها الآلات الكهربائية ، مقام الحيوانات الزراعية ، وقسمت في داخلها الي تقاسيم هندسية غاية في الابداع ، ونهاية في حسن الاختراع ، وقد أثمرت شجراتها ، وتضوعت زهراتها ، وطابت ثمراتها ، حتي خيل لي انني في وسط الجنان لا في مزارع لبني الانسان . فعجبت ان تكون البساتين التي تكتنف المدائن علي هذا الطراز [illegible] . فسرت في احد تلك الشوارع الزاهرة ، فلاحت اسوار المدينة القائمة فتأملتها فاذا هي كأمنع اسوار المعاقل تراصت عليها المدافع ذات الفوهات الواسعة التي [illegible] اسمع بمثله في مخترعاتها الرائعة . فما وسعني الا ان ارجل وعمدت الى ناقتي فعقلتها ثم تركتها وسرت فلاح لي باب لم أر مثله فخامة . قد احتاطت الجنود داخله وامامه . وكلهم علي زي صاحبنا الاعرابي ، فما وقعت انظارهم عليَّ حتي اهتزوا اليَّ مندهشين . وقادوني لضابطهم متعجبين فدخلت عليه من دهليز داخل ذلك الباب الضخم الذي [illegible] فلما

---

(١) الشمردلة الناقة الحسنة الجميلة الخلق . والشملال الناقة الخفيفة [illegible]

(٢) الرسيم والذميل نوعان من سير الابل . (٣) اكتنفتها احاطت [illegible]

مثلت بين يديه قال بصوت يشف عن كمال الادب، يصحبه شيء من الدهش والعجب، من اى البلاد انت . وكيف وصلت ؟

قلت : اقبلت من مدينة الفيوم، علي شمردلة سموم (١)

فنظر الضابط الي من حوله نظرة دهش عظيم، وقلق جسيم ثم قال: في كم قطعت هذه المسافة وكيف نجوت مما صادفك من المخاوف ؟

قلت ياسيدى قطعتها في عدة دقائق، ولم اصادف فى طريقي شيئا من البوائق

قال الوجدان : فبهت الضابط متعجبا. ثم سألني مستغربا

وهل اخبرك احد عن هذه المدينة، وهداك الى طريقها الامينة ؟

فحكيت له ما حدث في يومي واخبرته عن الاعرابي ونصيحته لولده وما دار بيني وبينه وكيف انتهى الامر باعارتي ناقته

فكاد يصعق الضابط مما سمع، وما زاد علي ان قال لي هلم معي. فخرجنا من البهو الي الباب وهناك ركبنا اوتوموبيلا لم ترعيني مثله في جمال الرواء، ومتانة البناء، وسرنا نخترق شوارع ما رأيت في حياتي اوسع ولا انظف ولا اجمل منها. تقوم علي جانبيها قصور في [illegible] تحيط بها حدائق لا اجد في يراعتي قدرة علي وصفها ، أحواضها [illegible] سياجات من المعادن الثمينة، ترصعها الزهور اليانعة. فما شككت اني في جنة الخلد. [illegible] لاحت لنا مبان يعجز خيالي عن تصويرها. وكنت اقرأ علي [illegible] كثيرة منها بخطوط جميلة أمثال هذه العبارات (جامعة العلوم الدينية) (جامعة العلوم الكونية) (جامعة العلوم الطبية) (مجمع علماء التاريخ) (مجمع علماء الاجتماع) (مجمع علماء الادب) (دار الكتب اللغوية) (دار الكتب الطبية) الي غير ذلك مما لا يحصي كثرة، وكلها علي اشكال من البناء تعجز وصف الواصف ، و [illegible] النعت. ولم نزل سائرين حتي وصلنا الي قصر كأنه قطعة واحدة من المرمر ناصع البياض فى وسط حديقة لا أجد فى بياني قدرة علي الاشارة الي صفة من صفاتها . تحيط به فرق من الجنود. فدخلنا منها الي بهو انتهي اليه الابداع الخيالي ولا [illegible] رأينا في صدره شيخ قد جلله المشيب، في شكل مهيب، وعن يمينه

---

(١) سموم [illegible]

ويساره رجال لا يقلون عنه جلالة ومهابة، فسلم الضابط باحترام، فرد الامير السلام، وأمرنا بالجلوس، ثم أخذ صاحبي يقص عليه أمري، فدهش الحاضرون، واخذوا يتهامسون، ثم ادرك الامير بسعة علمه، وثقوب فهمه، بأن وصولي الي مدينتهم لم يكن الا بأمر خارق للعادة، وصرح بذلك لما بين يديه من القادة

ثم قال لا يبعد ان يكون لهذا الغريب تعلق عظيم بالفضائل، وميل شديد للخلاص من أسر الرذائل، فتولاه روح كريم يحب ان يطلعه على مساتير الخليقة، ويتفقه على لباب الحقيقة، ولا بد انه يثق منه على كتمان الاسرار، فقذف به الى هذه الديار، ثم نظر الامير الي احد الجالسين عنده وقال اجعله في دارك يا أبا سليمان، وأوله من عنايتك ما يسعه الامكان، حتي يهيء الله له الرجوع الي الاوطان

فقال ابو سليمان: سمعاً وطاعة، سأتولاه مذ هذه الساعة، ثم اخذني وخرج من الحضرة

فقلت لمضيفي أين موقع هذه المدينة ياسيدى؟ فقال: سل عما تشتهي غير هذا، وكل ما أستطيع ان اقوله لك اننا قوم سئمت نفوسنا الاكاذيب المتفق عليها، وأنفنا أن نعيش حياة تتناقض فيها قلوبنا وعقولنا، وتتعاكس اعمالنا وعلومنا، فاتحدنا ونحن عدة آلاف، من جميع الاصناف، ان نرحل الى بقعة من الارض لا يهتدى اليها خيال، ولا تخطر من احد على بال، وأنشأنا هذه المدينة فسرنا في نظامها على آخر ما سمحت به العلوم من حيث البناء والرواء، وجعلنا لها دستوراً مستمداً من القرآن والسنة السمحاء، فقمنا على طريقة لم تقم عليها أمة الي اليوم، لانه ليس فينا الا من شغفته الحقيقة حبا، وتيمته الكمالات عشقا، فلم نجد مشقة في القيام علي اكمل الخطط الاجتماعية فبلغنا في سنين معدودة من الرقى الصوري والمعنوي، ما يعد بجانبه ارقى ما وصل اليه متمدنوكم انحطاطا مخجلا. فقد بلغت لدينا العلوم الكونية الي حد فعلنا معه ما قررت علومكم استحالته المطلقة، مما لو سردته عليك لاقتضي الوقت الطويل —

قلت: وهل راقت لكم الحياة، وبسم في وجوهكم الوجود، فلم تعد فيه تلك الجهامة التي تزعج من ينظر الى تصاريفه، او يفكر فى تكاليفه؟

قال: اننا بسيرنا علي مقتضي معارفنا، اتفقت سيرتنا مع النواميس التي وضعها

الله لقيام العالم،فزالت المصائب التي كان يجلبها الانسان على نفسه بعصيانه لمقتضيات وجوده.انقطعت لدينا جراثيم الامراض والعلل،وبلغ العمر عندنا حده الطبيعي فترى احدنا يعمر من مئتين الي ثلاثمائة سنة،وقلّت سطوات الخواطر والهواجس علينا،فعمرت صدورنا بالحكمة،فرأينا الحياة كما اراد الله ان تكون باشة باسمة،هنيئة غير متجهمة،اما انتم فلأنكم لا تعملون،وتهيمون في كل واد تتخيلون.انقلبت المدنية عليكم شراً دونه كل شر،أليس من المدهش ان ترقى لديكم العلوم الى حد لا نسبة معه بينكم وبين سكان البوادي،ومع ذلك فهم يتمتعون من لذة الحياة،وصفاء العيش بما أصبحتم منه محرومين،وعنه بعيدين،فزادت فيكم نسبة الوفيات،واحتوشتكم العاهات والآفات (١) ، وعمتكم الاخلاق الموبقة ، وطمت عليكم العوامل المهلكة،حتي يخيل للناظرين انكم كلما خطوتم خطوة في المدنيـة ، جلبتم علي انفسكم رزية ، وتعرضتم لبلية،وحتي قال قائلكم ما أحسن الجهل مع الرفاهية ، واجمل السذاجة مع العافية

قال الوجدان: فقلت لمضيفي والله انه ليخيل لى أيها الهمام ، ان ما أراه وأسمعه في المنام،واني لأود ان ادرس نظامكم الاجتماعي وأقف علي مبلغ رقيكم العلمي ، لأحصل علي ما ينفعني فى معاشي ومعادي،ويمكنني من خدمة قومي وبلادي،واني أستودعك الله اليوم فقد آذنت الشمس بالغروب ، واعداً اياك بأني سأؤوب

قال لى الى اين ومن اي طريق، وبينك وبين بلادك خمسة آلاف من الفراسخ؟ فيها من الجبال الشوامخ،والسهوب الشواسع،والبحار الزواخر،ما لا يمكن قطعه الا فى شهور ؟ هذا ان وجدت من يهديك السبيل ، ويجنبك ما فيه من العراقيل

قال الوجدان : فكدت والله ان اصعق مكاني،من شدة ما دهاني،وما تمالكت ان صحت قائلا : خمسة آلاف من الفراسخ؟اذن انا في اقصي الصين ؟ ثم أدركني طائف من الرجاء،فقلت ان معى ناقتي الوجناء،فانطلقت أهرول الي ظاهر المدينة، أبحث عن ناقتي الامينة،فلم ألفها حيث عقلتها،فسألت عنها من صادفته،فلم أجد

---

(١) احتوشتكم أحاطت بكم

من رآها ، فأيقنت بالانقطاع عن الاهل والوطن، فجمدت متأثراً باليأس والشجن، وبينما انا على تلك الحال واذا بصوت لطيف انبعث من بين الاغصان، وصائح يصيح بي هوّن عليك ياوجدان، فالتفت الي مصدر الصوت، فاذا به صديقي البلبل، فصحت به أدركني أيها الاستاذ الوفيّ ، فأنت نعم المولى

فضحك وهو ينشد :

تريدون ادراك المعالى رخيصة ولا بدون الشهد مين ابر النحل

ثم صاح ياعجيبة، فحضرت النجيبة، فقال لي هلم ياوجدان، فقد تسني مرادك وهان قلت حياك الله وبيّاك، ماأبرك وأوفاك، ثم أنخت راحلتي وامتطيتها، وما هي الا دقائق حتي رأيتني حيث كنت من صحراء الفيوم، فنزلت عن الوجناء، وعدت الي بيتي في المساء (١)، فكانت رحلتي هذه احدي الكبَر، ومارأيته فيها من أجل العبر

الوجدية الثانية عشرة

روي الوجدان قال :

نشأت نشأة اهل الدعوة الي الاصلاح واتسمت بوسمهم، فكنت كلما رأيت في قومي عوجا، وآنست منهم مغمزاً، بذلت لهم النصيحة، وبالغت لهم في الموعظة، وتحريت فيما اقول مواطن الامكان، ومقدور الانسان، حتي لا أغلو فأعد خياليا، وتنبذ مواعظي ظهريا

لبثت علي هذه الحال سنين، ماهنت ولا وهنت، رابط العزيمة ، واثقا بفائدة التذكير لقوله تعالى «فذكر فان الذكري تنفع المؤمنين»

فجلست ذات يوم أحاسب نفسي علي ماأدت من واجب، ومافصرت فى حق،

---

(١) الوجناء الناقة العظيمة الوجنات

فاسنطردت الي معرفه نتيجة مسعاى ومسعى اخواني المصلحين فرأيت ما ملاني مضاضة ، وأوقر فلى عما

رأيت الرذائل شاعت، والنقائص ذاعت، والاعراض هتكت، والدماء سفكت، والربا عم ، والزنا طم ، والبيوتات أخربت . وعروش المجد الأثيل هدمت

انحلت روابط الاخلاق فلم يحتشم الرجل ان يحسو الخمر علنا، ويأتي المنكر جهرة

بطلت الغيرة على العرض فلا يخجل احدهم ان يغازل حريم صاحبه على قارعة الطريق، ويزيد على إجرامه فيتبعها ليعرف دارها . فلا تثور فى الناظرين اليه حمية، ولا تأخذهم على هذا الاثم نخوة الرجولية

فسدت نيات القادة فانقلب دفاعهم عن الوطن تشاتما ، وتناقشهم على خدمته تحاسدا . فانصرفت الاقلام الى تصيد المخازي ، وتقوّل المثالب

كلت بصائر العلماء عن الهدي فصاروا يشاركون العامة في باطلهم، رجاء الاصابة من حطامهم

استحوذ المرابون على الاموال بطرق التدليس فارتهنت عقارات الامة فأصبح جمهورهم خدماً لأولئك الماليين، يصرفونهم تصريف السادة للعبدان ولم تبد منهم بادرة الرجعى عن المضاربة ، او جاهلية المنافسة الكاذبة ، وذهبت نصائح الاقتصاديين والاخلاقيين في هذا السبيل سدى

تأملت فى ما كانت الامة عليه منذ عشرين سنة، ثم ما آلت اليه اليوم فوجدت انها فقدت من مالها واخلاقها وكرامتها وروابطها مالا سبيل الى تعويضه لو وقف الحال عند حده هذا فى خمسين سنة، فما قولك ولم يبد من الامة ميل الي اصلاحه، ولم تنشأ فيها حمية لملافاته ؟

طاف بي هذا الطائف فضاقت بي الارض بما رحبت، فاستعذت بالله من شر اليأس الذي كنت احاربه

فقلت سبحانك اللهم ما أبلغ حكمتك، وأعدل فتنتك، لقد كنت أهزأ باليائسين، وأصغر من شأنهم، فقد أصبحت لهم اماماً، وعليهم نقيباً، وخيرت نفسي بين ان اتبع خطواتهم فأقنع بالعيش كما تعيش الانعام، مكتفياً بما يتسني من الحطام، معطياً نفسي

سؤلها. تاركا الامر لتصاريف القدر، اظراً الي أمتي وهي ستنازعها عوامل التحلل، وتتوزعها فواعل التمزيق . وبين ان اعيش كما يعيش الغيورون

فقلت لا والله، ان كان لا بد من اليأس، فلا اكون يائسا جبانا، وان في الارض لمضطربا عن المقام على الخسف . والصبر على الدون، وقد طالما اختار الاصفياء التسياح، وأنسوا بالقفار والبطاح. فعمدت في الحال الي لبوسي فخلعته، والي زي فغيرته، فتخيرت لبس الاعراب لما فيه من معني السذاجة والمناسبة لسكان البوادى التي عزمت ان اجوس خلالها ، وأتفيأ ظلالها

فلما تمت لي عدة السياحة، تحريت ساعة السحر. فخرجت من داري متسللا تسلل القطا، حتي لا يشتبه بي فأقاد للمخفر، ويفتح معي تحقيق فتسفر حقيقتي، وأقطع عن وجهتي، فما زلت أطوي شوارع المدينة طيا، حتي لحت الضاحية. فاندفعت فيها اندفاع الحوت الي البحر، وجعلت وجهتي جهة الشمال، غير حاسب لقواطع الطريق حسابا، وهو طيش كنت لا اعرفه في نفسي من قبل ، فقد عهدتني وقافا مع الاسباب

اندفعت في تلك الصحراء، فسرت فيها اميالا، حتي أضعت آثار العمران، وصرت في وسط البيداء، كالشعرة البيضاء في الجبهة الجلحاء، فما عهدتني في يوم من ايام حياتي اكثر انقباضاً في الصدر ، واشد استصغاراً لقوى من ذلك اليوم

سرت ساعات، فلما كان وقت الاصيل، تراءت لي دوحة وارفة الظلال ، من اللواتي يدعي علماء النبات انهن في الارض من لدن اقدم امة من امها، فقلت أنتهي اليها فأستريح، او ابيت حتي اذا اصبحت عاودت السير حتي يقضي الله امراً كان مفعولا، فما شارفتها حتي رأيت متفيأً ظلها اعرابي حسن السمت، وضيء المحيا، ناصع اللحية، تدل غضون وجهه على انه يناهز الستين من عمره، قد ألبسه الوقار من حلته برداً يوجب له الاكبار والاعظام، فتهيبته، الا ان الأنس الذي استولي على شعوري برؤية الانسي في هذا القفر الموحش، قد غلبني فاقتربت منه وقلت السلام عليك أيها الاب الصالح

فقال : وعليك السلام ، اهلا بابوجدان ، هزيم كتيبة العاملين ، وشريد زمرة المجاهدين

فقلت في نفسي : يا للعجب، أرجعت الكهانة الى العرب، حتي يعلم اسمي ولقبي ومهنتي من غير تعريف؟ فوالله ما كاد صدري يتردد بهذه الهواجس حتي نظر الي وقال:

اتدرى على من تنزّل الشياطين ؟ على كل أفاك أثيم

فقلت : عفواً ياهولاي فوالله ماقصدت ذلك، وانما اردت ان اعلل علمك بالغيب بعلة افهمها فذهب فكرى هذا المذهب على غير قصد

ثم التفت الي وقال : ماالذى دهاك حتي خرجت يائساً، فوالله لولا اخلاص فيك لهلكت مع الهالكين ، ولحقّت عليك كلمة اليائسين

قلت : والله مايئست من روح الله، ولكني يئست من قيام امتي على سنن سواها ، وكل يوم هي فى فتنة جديدة

قال : لقد اجملت ففصل

قلت : شربت الخمر، وقطعت الارحام، وانتشر الربا، وعم الفساد، وهتكت المحارم وهضمت الحقوق، وطمت البدع

قال : لقد زدت الامر اجمالا واخشي ان تكون قد علقت بك فتنة دالت بك كما دالت بسواك من الذين انقطعوا في الطريق فهلكوا مع الهالكين

فقلت : يامولاي لو كنت معنا لرأيت عجباً

فأدركته حمية سرت حمياها الى عينيه فزادتهما حياة ، واستوى قاعداً وكان متكئاً وقال :

اتمزقت امتكم فصارت شيعاً، واخذت كل شيعة تشن الغارة على جارتها على سنة القبائل المتبدية ؟

قلت : لا

قال : أوأد الرجال بناتهم خشية العار او الاملاق ؟

قلت : لا

قال : أفشت الفوضي ، وعم الاختلال واعتمد كل قبيل على نفسه وناوا العداوة سواه ؟

قلت : لا

قال : أقتل المصلحون،وأهين الهادون الراشدون.وسيموا الصغار والخسف؟

قلت : لا

قال : ومم يئست اذن ياابن اخي ؟

قلت : أوكنت منتظراً بأمتي حتي تبلغ الي هذا الحد ، وهل يرجى لمن وصل اليه حياة ؟

فضرب كفاً بكف،وقال يالضيعة التاريخ،وفقد التأسي والاقتداء،ألا تذكر ان محمد بن عبد الله خاتم المرسلين صلي الله عليه وسلم بعث الى العرب وهم على اكثر مما وصفت لك،فوحد كلمتهم ،وجمع مشتتهم،وهذب اخلاقهم،وأشعرهم بمعني الاجتماع وسر الوحدة،فأسسوا اكبر واعظم امة في الارض ؟

قلت : نعم اعلم ذلك ، ولكن رسول الله أيده الله بملائكته ونصره بفضله

قال : لعلك تريد ان تقول انه انتصر بطريق الاعجاز ، لا من طريق السنن الطبيعية

قلت : نعم

قال : كلا،ولقد اخطأتم النظر في امر النبوات ففاتكم الاستفادة منها،وعددتموها فوق الطبيعة ففصلتم حوادثها عن حياتكم العملية

لعلك ياابن اخي تذكر ان رسول الله لبث في مكة ثلاث عشرة سنة مضطهداً من قومه ، مغلوبا على امره ، مقصوداً بالاذى من عشيرته مأذيا في شيعته

قلت : نعم

قال : ألم يكن الله قادراً على ان يذل له الجباه فتأتيه صاغرة،ويلين له الشكائم فتطيعه منقادة،ويجعله من السلطان بحيث لا يعصي له قول، ولا يؤتي له نهي ،

قلت : بلي

قال : فما الحكمة اذن في هذه الفتنة الطويلة ، ان لم تكن لتعليم المصلحين كيف يرشدون ويجاهدون،وكيف يصبرون ويصابرون،وكيف يتدرجون الى ما يرجون

ثم اخذ في ضرب آخر من القول فقال :

أنسيت ياابن اخي انه لبث في المدينة عشر سنين يجاهد الكافرين،ويجاهدونه،

فينال منهم وينالون منه،قراعا بالسيوف، وطعانا بالرماح، ونضالا بالسهام ؟

قلت: أجل

قال : أولم يكن الله بقادر على ان يسخر معه الصواعق فتصعق مخالفيه فلا تبقي منهم باقية ؟

قلت : بلي

قال : الى هذا يشير الله تعالي بقوله «لقد كان لكم فى رسول اسوة حسنة» فكيف تمكن الاسوة ان كانت الحوادث خرقا للسنن، وتعطيلا للنواميس ؟

قلت : والله لقد بلغ منا الجهاد مبلغه و ....

فقاطعني قائلا : مه ! والله ما سمعت عن مصلحي امم مثل سيرتكم، انكم تلبسون الخز، وتستخشنون الطنافس، وتتكاثرون في الاطعمة ، وتتباهون باقتناء القصور ، وتتحدّون اولي الترف في ترفهم

.تنصحون بالاقتصاد وتسرفون، تهدون للطاعة وتفسقون، ترشدون للاخشيشان وتتنعمون .اتخذتم الارشاد مهنة للكسب،فان اخصب ناديكم منها طالبتم بالحقوق ، وناديتم بالشعور،وانا كدت مجهودا تكم رميتم الامة بالموات،وعددتموها في الرفات

قلت : يامولاي اننا من هذه الوجهة على .....

قال : مه ،والله لقد زرتكم وزرتكم،وأقمت فيكم دهراً فما رأيتكم تشبهون المصلحين الا في النداء بالاصلاح،ولكن فاقد الشيء لا يعطيه ، ولو كان فيكم شيئاً مما تقولون لفاض من قلوبكم على جوارحكم،ولكنتم اعلام رشاد للسالك،ومنار هدى للتائه، ولكنكم بفقدكم روح الاصلاح فى نفوسكم لم تجدوه فى سواكم،كمن يبذر القشور في الارض الخصبة متخيلا انها حنطة ، ثم ينتظر ثمرتها زمناً فلما لم يجد شيئاً رماها بالموات واتهمها بالعقم

قال الوجدان : فرأيتني والله أحق بالاصلاح ، ممن كنت ارميهم بالجمود ، واضطربت نفسي تطلب المخرج من هذه الاقذار،فأكببت على يده أقبلها،ضارعا اليه ان يهديني للطريق الذى لو سلكته تخلصت من الشوائب،وعددت فى زمرة المصلحين حقا

فنظر الىّ نظرة المشفق المواسي، وقال : هوّن عليك يابن اخي، فما كتب لك، فسوف يأتيك

قلت : يامولاى خير البر عاجله، وان من الخسارة على الحر ان يضيع لحظة من حياته فى ضلالة

فقال : لوكان الامر بيدي لدللتك، ولكني لااستطيع اجتياز هذا الحد في المرعشة. فان قدر لك ان ترى امامنا الاكبر، فقد قدرت لك منازل المقربين، ومقاعد منعمي العالمين العاملين

قلت : وما السبيل اليه ؟

قال : تأتي الي هذه الدوحة أصيل كل يوم طائفة من النسور البلق، تحمل من قدر له الوصول اليه على ظهرها، حتي توصله الى مقره، على بعد لا يبعد عن هذا المكان

قلت : أويستطيع الانسان ان يثبت على ظهر النسر كل هذا الطريق ؟

قال : انه لو شاء أوصلك اليه فى لمح البصر، فلا تحكم عقلك الا فيما يقع تحت مشاعرك من عالمك هذا. اما في ذلك العالم، فصدق كل ما تسمع، فهو منزه عن القيود

فما أتم كلامه حتي بصرت بسرب من النسور البلق، كأنها زوارق فاتحة شرعها، وهي على اكمل وابدع شكل، فهوت الينا

فقال الشيخ : هاهي ركائب صاحبنا، فاعل ظهر احدها اذا تأهبت للعودة، ثم أمسك بيدى فبوأني ظهر نسر من تلك النسور

ثم قال : استودعك الله. فما أتممت ردى عليه، حتي ضربت النسور الهواء بأجنحتها فطارت، فنظرت الى الارض، فاذا قصورها كالقبور، ورياضها كالبقع علي سطحها. وما هى الا لحظة حتي فقدت رؤية الارض وبقي لون كلون السماء، فرأيتني معلقا في الجو علي حال ما كنت اتخيلها ولا فى نومي، فاعتراني هلع فقدت معه القوة، فارتخت اعصاب يدي، وكنت متعلقا بريشة من ريش النسر، فأفلتها، فهويت من علي ظهره، فأيقنت بالهلاك علي صورة ماهلك عليها بشر قبلي، فأغمي عليّ ثم أفقت فرأيتني بين اظفار النسر كأني ممسوك بخطاطيف من حديد

فسمعت احد النسور يقول للنسر الذي انا في مخلبه :

ان صاحبك كاد يهلك من شدة الهلع فهل لك ان تروح عنه قليلا؟

قال : كلا،ان هذا من الذين ظنوا بأنفسهم الظنون،وتوهموا فيها مالا يتصور من صفات الكمال ، فخله يذق حقارة قدره، وضؤولة خطره

قال الوجدان : فاستسلمت للقدر،ولبثت في مخلب النسر نحو ساعتين،طالتا عليّ كعامين،ثم شعرت بهويّها الي الارض حتي استقرت عليها،فوجدتني في خميلة لم تر عيني أشرح للصدر منها،واذا تحت سرحة منها شيخ قدجلله المشيب وتألقت حوله الانوار،فوالله ان العين لتحسر عنه كليلة كما تحسر عن الشمس،فلما وقع بصره عليّ قال مرحباً بالولد الصالح،هدّيء روعك يابني،فانما انت بحضرة عبد من عباد الله فلا تجعل للوهم عليك سلطانا

فوالله لقد سرت هذه الكلمات الي ذاتي سريان الكهرباء،فاستويت كما كنت،ثم اقبلت عليه اقبل يده

فقال : كلا ، يكفيني منك مااستكن بقلبك عني

فقلت : ان للظواهر معني آخر

فقال : قد طلقنا الظواهر، ومحقنا المظاهر ، فما شأنك يابني ؟

قلت : ماالمسؤول بأعلم من السائل ، ارجو ان يكون قد كشف الله لك رحلتي، ولقد انتهيت الي شيخ صالح،فاستدرجني في الكلام حتي اوقعني في حيرة لا أجد منها مخلصا،اثبت لي في ذاتي النقص ،وألمسنيه بيدي، فسألته عن العلاج فدلني عليك يامولاي

فتبسم وقال : مرحبا مرحبا،ثم نظر اليّ وقال:أصدقتك عزيمتك في الاهتداء يابني ؟

فقلت : كيف لا،لأنا والله الي الهدى أشوق مني الى الملك الخالد،فلا خير في حياة لاحقيقة لها

فنظر اليّ نظرة متفرس،وقال : هاأنا أعرض عليك الاسلام،لانه شرط أولي في الوصول الى الحق المطلق

فغرني دهشة وقلت أولست مسلما يامولاي،اني من اعرق الناس فيه،انا فلان ابن فلان بن فلان ، وعددت له رجالا من آبائي بين علي وابراهيم واسماعيل الخ

فتبسم وقال : أعلم ذلك ، ولكني اريد منك ان تسلم اسلام الخاصة

قلت : ياسيدى أوهناك اسلامان ؟

قال : ان اسلام العامة هو ان يقنع الرجل من العقائد بما يرده عن الضلال. واما اسلام الخاصة ، فأن يتحقق الرجل معني الاسلام، ليستطيع ان يكون لغيره هاديا، وبحجة الله قائما

قلت : يامولاى وهل للاسلام معني غير ما يفهمه مثلي وقد قرأ ما بين دفتي المصحف ؟

قال : أتستطيع ان تفصح عن كنه ما فهمته منه ؟

قلت : الاسلام هو ان آخذ نفسي، بما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم من عقائل الاخلاق وجلائل الصفات، وان اعتقد ما نص عليه الكتاب من التوحيد والتنزيه والبعث والخلود والكتب والرسل والملائكة، وان أؤدي ما ثبت من العبادات بالتواتر

قال : يا بني هذا اسلام العامة، وكفاهم به نوراء، ولكن عداك اسلام الخاصة وهو الذي ان لم تهتد اليه فلا يليق بك ان تكون هاديا لغيرك

قلت : اهدني اليه زادك الله فضلا

فقال : الاسلام هو أن تسلم وجهك لله لا تلحظ معه شيئا

قلت . قد فعلت

فقال . لو فعلت لاشرق سره علي صدرك، ولما وجهت الي بعده سؤالا، انك ما فعلت الى ان تصورت معني ماقلته لك، ولكنك لم تسلم وجهك بالفعل، وشتان بين تصور القول وتنفيذه

قلت . أليس اسلام الوجه الي الله، ان اقول يارب قد أسلمت وجهي اليك

قال . أواه، لو كفى ذلك لما كلت دونه العزائم، ولا اضمحلت الهمم، ولأصبح الناس كلهم اعلام هدى، وأرا كين فضيلة ، ولما رأيت للشيطان صنما يعبد

قلت . وكيف السبيل اليه رعاك الله ؟

فتنفس الصعداء وقال :

فبادراها بالخيف ان مزارها   قريب ولكن دون ذلك اهوال

ثم نظر الىّ وقال :

ان اردت ان تسلم وتذوق طعم الحياة الانسانية الصحيحة، وتتمتع بالحقيقة المطلقة الناصعة التي لايتطرق الغم الي قلب صاحبها ولو ألقي في النار، او قذف به في اليم، فاخلع من رأسك جميع ماعلمته وقرأته وسمعته واستحسنته واستقبحته، وكن كأنك خلقت من ساعتك، فلا تذكر ماضياً ولا مستقبلا، ولا تشعر نفسك بحاضر

قلت . وما فائدة هذا وأي سر فيه ؟

قال . يابني هذا اول شروط الهداية، وآخر مقامات الولاية

اما كونه اول شروط الهداية، فلأن الرجل اذا شارف امرا فلا يري وجه الحق فيه الا اذا واجهه بهذه النفس الخالصة من الاكدار

أندري لِمَ كذب الكافرون الانبياء، لانهم نظروا اليهم من خلال ماعلموا وما ورثوا وما استحسنوا وما استقبحوا، فخالف ماهم عليه قول الانبياء فكفروا به

أتدري لماذا يختلف الناس فيتشاكسون ويتقاتلون ؟

لان بعضهم ينظر لاعمال بعض من وراء خصوصياتهم وموروثاتهم وعاداتهم فيجدونها ضد ماهم عليه فيختصمون

وهكذا كل امر سواء أكان ماديا ام معنويا ان لم يتجرد الانسان في نظره اليه هذا التجرد فلا يرى وجه الحق فيه، وخليق بمن لايسلم في جميع محاولاته ان يعيش طول حياته ضالا في تيه اوهامه وعاداته، ومحبوساً في قفص ذاته، يغضب ويرضي ويحب ويبغض ويتحرك ويسكن، لا بعوامل الحق، ولكن مدفوعا بدوافع اهوائه

اما كون هذا التجرد نهاية مقامات الولاية، فلأن الحق جل شأنه، وهو قيوم كل شيء لايشرق نوره علي صدر فيه مثقال ذرة من شائبة، ولو حل فيه وفيه شائبة لمحقها كما يمحق ضوء الشمس جميع آثار الظلمة

وما دام الخلق بعيدين عن هذا السر العظيم، والناموس الكريم، فلايفتأون، يختصمون ويتقاتلون، مثلهم كالانعام بل هم اضل سبيلا

قلت . لقد حظيت اليوم بالسر الأقدس

قال : لا ، حتي نعمل به ، فاذا لم تعمل به كان علماً عقلياً لا أثر له على احوالك

قلت : وما الحيلة في اجبار النفس عليه ؟

قال : ان من عرف الخير طلبه، ومن ادرك الجمال سعى اليه. ان في الانسان خلقا سماويا، وهو انه مدفوع للتكمل، وقد دلات على الكمال ستدفعك طبيعتك اليه

فاذا ذقت طعم الكمال ودعوت اليه، كانت انفاسك كأشعة المغناطيس الحيواني تسري في الارواح فتخلع عنها غاشيات الفذر، وتميص عن طريق كمالها عوائق الدنى، قم يابني فأدّ ماوجب عليك نحو امتك ووطنك، واياك ان تخوض مع الخائضين، وان تفتتن بالفاتنين، قل الحق واصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين، «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون»

قال الوجدان : كان الامام يلقي عليّ هذه الدرر وانا مطرق أصغي اليه، فلما أتم كلامه ورفعت رأسي لشكره على ان هداني من ضلال، لم أجد شيئا، ووجدتني في ضاحية بلدتي كساعة خرجت منها. فتحققت ان محدثي كان استاذي الحكيم بن مرشد، دبر لي هذه المقابلة، لانقاذي من تيهور الحيرة، فخررت ساجداً لله شكرا ، ثم عدت الي عملي بعزيمة لا تُفَل، وهمة لا تَكِل، وثقة بالله لا تطاولها ثقة، والحمد لله اولا وآخرا

الوجدية الثالثة عشرة

قال الوجدان :

رانت على صدري الهموم يوماً، وضاق بها ذرعي، فكنت كلما عالجتها بملحة من كتاب، او طُرفة من ديوان، ازدادت شدة على شدة حتي رأيت الدنيا في عيني أضيق من سَم الخِياط. فقلت في نفسي ان لهذه النفوس جمحات يسببها لها البطر، ويجنيها الأشر، وقد ورد في الاثر المشهور، ان زيارة القبور تشرح الصدور، وما كنت الي ذلك الحين أخذت نفسي بهذا العلاج، فخرجت الي محلة الموتي وحدي، فلما انتهيت

اليها،واشرفت عليها،جال فكرى فى الانسان وتكوينه،والجسد ومصيره،والاعمال وعلائقها،والآمال وبوائقها،والروح وعالمها،والفضائل ومعالمها،ولم أدع شيئا مما يتعلق بهذه الامور الا جلت فيه

ثم تقدمت الى سفح الجبل فاذا انا بفجوة تشبه فوهة الكهف ، فمشيت فيها خطوات،فرأيت في احد جوانبها عربيا نائماوهومتمنطق بسيف،ومعتقل رمحا، وبجانبه ترس قد علاه الصدأ،واخذ منه الزمن . فما شككت فى ان الرجل ميت ، فقربت منه لأتحقق من حالته،فآنست فيه حركة الاحياء،ولم تمض برهة حتى رأيته يتهيأ للىقظة،فاستوى قاعداً واخذ ينفض التراب عن رأسه،وحانت منه التفاتة فرآني، فوقف علي قدميه دهشا من رؤيتي،وصاح بي من انت،فقلت سلام عليك انا واحد من قومك،فرأيته ازداد عجبا وسوء ظن،وظل يحدق بنظره الىّ،فعل من رأى امراً غير مألوف له

فقلت: مالك ياهذا فدبرّح بك الهلع،وظننته قدخاف مني،فأقبلت اليه اهدىء روعه فما خطوت اليه خطوة حتي صاح بي ، مكانك يا عدو الله ، وشرع الىّ رمحه فازددت عجباً علي عجب،وتأملت في لهجته وهيئته،فلم أر فيه شبها بالاعراب الذين ألفنا رؤيتهم فى بلادنا ، فما وسعني الا ان قلت له :

لاتعجل يرحمك الله،واني اتوسم من لهجتك وحسن سمتك،انك علي شيء من الفضل والنبل ، فهل لك ان تخبرني عن حقيقة امرك ؟

قال والله لااخبرك عني بشيء حتي تخبرني عن شأنك ، أمن جيش الرومان ام من متطوعة القبط انت ؟

قلت له لست من هؤلاء ولا اولئك ، انا مسلم مصرى عريق في الاسلام

قال : ومتى انتشر فى مصر الاسلام حتي تصبح عريقا فيه؟انك لتهذى ايها الرجل

قال الوجدان . فازداد عجبى منه فقلت له يا ابن اخي لم افهم ما تقول،ماذا تريد بقولك جيش الرومان ومتطوعة القبط ؟

فشرع يضحك قائلا . أظنك كثير الهذر،أتكون ياهذا في مصر ولا تدري من الرومان ومن القبط ؟

قلت : الرومان امة من امم التاريخ القديم .قرأنا تاريخها في المدارس ونحن صغار ، والقبط مصريون مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا

قال : عجباً لك ، لقد والله بليت منك اليوم برجل شديد المحال

قال الوجدان : فزاد دهشي منه وتحققت ان له لشأنا ، وكنت كلما سمعت جزالة الفاظه ، وفصاحة منطقه ، ازددت حبا لاستطلاع امره

فقلت له : أرحمني يرحمك الله ، بتعرفني بأمرك فقد ادهشني والله ما تقول

فقال . والله يااخي انا اشد منك دهشا . اما انا فالمغيرة بن علقمة من بني غطفان جئت محاربا الرومانيين في جيش عمرو بن العاص ، وقد أويت الي هذا الكهف لأقيل فيه فنمت ، وان فرسي بمنعرج في داخل هذا الكهف ، وما ايقظني الا اصطكاك حذائيك بحصي هذه الارض

قال الوجدان : فما سمعت قوله حتي غشيتني حيرة ، فقلت له وانت الآن تنتظر ان تخرج من هذا الكهف فتنضم الى قومك من جيش عمرو ابن العاص ؟

قال نعم ، وانه لبالفسطاط

قلت أرني حصانك ؟

فقمنا اليه فوجدناه عظاما نخرة علي الحال التي تكون عليها الجثة بعد الف وثلاثمائة سنة ، فلمسنا عظامه فاذا بها تستحيل بين اصابعنا رميما

فبهت الرجل وكاد يفقد رشده

فقلت هوّن عليك ، ان لله فيك شأنا عظيما ، أخبرني ما عهدك بالطريق التي مررت بها من الفسطاط الي هنا ؟

قال عهدي بها بيداء خالية ، وصحراء قاحلة

قلت تعال معي الي باب الكهف فانظر هل الامر علي ما تعهد ؟

فنظر فازداد دهشا ، اذ رأي قبورا ومدافن وقبابا ومساكن

والتفت اليّ حائرا لا يدرى ماذا يقول

قلت هوّن عليك فليتني كنت مكانك لاطبق بين الحالين ، فقد شهدتَ الزمانين

فقال يااخي ماهذه الحال ؟ وكيف تبدلت هذه الشؤون بهذه السرعة ؟ واين عمرو

العاص الآن ؟ وكم مضى عليّ وانا نائم ؟

قلت اما عمرو بن العاص فقد مضي لسبيله ، واما المدة التي نمتها فأخشي ان افاجئك بها

قال أذهب عمرو لفتح الاسكندرية ؟

قلت قد تم فتحها ودخلها المسلمون عنوة ، بعد حصار دام اربعة عشر شهرا

قال وهل استتب الامر لعمرو ، ووفى له المقوقس ؟

قلت نعم

قال لعله الآن صار اميرا علي مصر فقد كان يتمني ذلك ؟!

قال الوجدان . فخشيت ان افاجئه بالامر خوفا عليه من نتائج الدهش المفرط

فقلت له نعم تولاها وعزل عنها

قال أنقم عليه عمر بن الخطاب

قلت لا ، وانما عزله عثمان

فصاح متأثرا أمات امير المؤمنين الفاروق ؟

قلت نعم

قال أواه ، لقد كان والله للاسلام عزا ، وللمسلمين ركنا ، وللحق منارا ، وللعدل علما

قال وما شأن عثمان بعده

قلت قتل فى ثورة اهلية

قال أقتل ذو النورين ، ومن قتله ؟

قلت قتله جماعة من جهات شتي

فقال ماافظع هذه الحوادث ، يقتل امير المؤمنين بغير محاكمة ، واين كان طلحة والزبير وعلي وابن عمر وابن عباس ؟

قلت منهم من ألب عليه ومنهم من لزم بيته

قال ومن انتخب للخلافة بعده ؟

قلت علي بن ابي طالب

قال عذيقها المرجّب ، وجذيلها المحكّك ، وهو سيد قريش وفتاها ولعله القائم

بالامر اليوم

قلت قد قتل من يد عبد الرحمن بن ملجم ، وحكيت له القصة

قال يالله ! ومن انتخب للامارة بعده،كأني بالحسن بن علي اليوم وهو امير المؤمنين

قلت تولاها معاوية ومات

قال معاوية ؟

قلت نعم

قال لقد تحولت الامور عن نصابها،واسندت الشؤون لغير اربابها ، وكأني بالعرب اليوم فى امر مريج

قلت قد ذهب لسبيله وتولاها ابنه يزيد

قال لااعرفه

قلت ومات يزيد وتولاها معاوية ابنه،ومات وتولاها مروان بن الحكم

قال مروان ! وضرب كفا بكف

قلت نعم مروان

قال ويح بني امية ! لقد وُطّئت لهما كناف المنابر،وتمهدت لهم سبل المفاخر، ولا اراهم لهذا الامر اهلا،وفي الناس مثل الحسن والحسين والعبادلة ابناء عمر ومسعود والعباس

ثم التفت اليّ وقال وكيف سيرته فيكم ؟

قلت انتقل الي رحمة ربه

قال فهل رجع الحق الى اهله ؟

قلت تولاها ابنه عبد الملك

قال عهدى بمروان شابا،فتي السن فمتي كان له ولد يستحق الخلافة،فما سيرته في الناس ؟

قلت لقد ذهب الى شأنه،وتولي الامر ابناؤه الاربعة وابن عم لهم يدعي عمر ابن عبد العزيز وذهبوا جميعا

فحلق بعينيه اليّ وقال دهشا ، ماذا تقول ؟ فى اي زمان نحن ؟

فقلت : هون عليك وما يمنع ان نكون في القرن الخامس والعشرين ؟

فصاح رحماك رحماك .أنمت الفين وخمسمائة سنة ، اذن قد تبدلت الارض غير الارض ، وتحول الناس غير الناس ، وصرت فى العالم آية

قلت : أتكره ان يجعلك الله لخلقه آية ناطقة، وحجة بينة ، كما فعل بأهل الكهف ؟

قال : ان لله فى خلقه شؤونا فاصدقني في اي قرن نحن ؟

قلت له : انت في القرن الرابع عشر من الهجرة

فصمت دَهِشا ساعة حتي خشيت عليه ، ثم رفع اليّ رأسه وقال : وما حال الاسلام اليوم ؟

قلت : ان المسلمين اليوم يبلغ عددهم اربعمائة الف الف نسمة، واما بلادهم فلا تغرب عنها الشمس

قال الوجدان : فما سمعها مني حتي هوى ساجداً شكراً لله ثم رفع رأسه وقال: أما وقد حقق الله وعده ، ونصر عبده فلا ابالي بما انتهيت اليه

قلت : أتسمح ان تكون في ضيافتي ؟

قال : هلم باسم الله، فخرجنا من الكهف نخترق شوارع المدافن ، وما عليها من مقاصير وعلالي ، فقال انكم تسكنون الجبانات ؟

قلت : لا، وانما يأوى النساء اليها فى المواسم والاعياد فيبتن فيها ذكري لموتاهم

قال : بئست الذكري بعصيان الشارع ، ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لعن الله زائرات القبور . فان كان اللعن لمجرد الزيارة فما بالك بالمبيت ؟

قلت : هو ماترى

قال : أين علماؤكم ، أين خطباؤكم ، أيعصي الله ورسوله وهم ساكتون ؟

قلت : ياسيدى انهم يشاركوننا في هذا العمل

فصاح بي ارجع بي الي الكهف امت فيه خير من مساكنة قوم اجمعوا على مصادمة الله بالمعصية

قلت: ارجوحلمك حتي تصل الي منزلي فأُجالسك لحظة

فنكس رأسه وسار . فلما توسطنا بعض الطرق اذا بجلبة جنازة قادمة من بعيد،

فتصاعدت اصوات القهقهة،وخشيت ان يزداد حنق الغطفاني فينحي عليهم ضربا فأردت ان اضع حداً لهذه الحالة

فاستأذنت الضابط في الكلام فأذن لي .فقلت : ان لهذا العربي قصة تعد من مدهشات العبر، بل تعد من آيات الله الكبر

قال وما هي ؟

قال الوجدان . فما شرعت احدثه بخبره حتي وقف اوتوموبيل على باب القسم فحدثت فيه حركة تؤذن بقدوم قادم خطير،وما هي الا لحظة حتي دخل جندى وهمس فى اذن الضابط بأن حكمدار المدينة قد اقبل

فنظر الضابط الي الشاكين وقال لهم : يظهر ان الذى تشكونه مصاب بقواه العقلية،وانه رجل غريب ، والذى اراه ان صرف هذه القضية اولى ، فاذهبوا لما كنتم فيه

ثم نظر الىّ وقال إن تكفلت بإيوائه سلمناه اليك،والا ارسلناه الى المستشفى فتكفلت له بإيوائه . وخرجنا وانا احمد الله على وصول الامر الي هذه النتيجة

فلما اجتزنا تلك الساحة ، وما اجتازها صاحبي الا واجماً يكاد يتميز من الغيظ والاسف،قلت له رجوتك ان لا تعجل بعدها بعمل لئلا يصيبنا إعنات الحاكمين

قال أليس فيكم علماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؟

قلت عندنا منهم مائة الف او يزيدون

قال فكيف تقوم لهذه البدع قائمة مع وجود هذا العدد العديد من العلماء

قال الوجدان : فخشيت ان ازيده بيانا فيهلك أسفا ،لاني رأيته بعد استعراضه هذه المنكرات على أشد ما يكون عليه من يفاجأ بما يكره،فقلت له بصوت المتلطف : اذا صرنا فى المنزل أفضت لك الشرح،فان جلبة الطريق تحول دون السماع. وسرنا فوقع نظره على سرب من النساء الخالعات للعذار يتهادين بين أترابهن،وتفوح من أردانهن ريح الاعطار

فشخص الىّ باهتمام وقال أمسلمات هؤلاء ؟

ثم نظر يمينا ويسارا ، فوجد الباعة فى الحوانيت قد شخصوا الى تلك النسوة

بأبصار تشع فسقا وخنا، واخذوا يشيعونهن بما اعتادوه من الفحش وسقط الكلام

فنظر اليّ شزراً وقال أتسير بنا فى محلة الفسوق، أما كانت لنا مندوحة في طريق آخر ؟

قال الوجدان : فظن ان الشارع الذي مررنا فيه محلة الفسوق وهو اعظم شوارع القاهرة ، فتأملته فاذا جبينه والله يندّي عرقا ونحن في معمعان الشتاء

فقلت فى نفسي أسفا لقد برّحت هذه المناظر بالرجل، ليتني لم اخرجه من كهفه

وصلنا الي الدار فقلت آتيك ياسيدى بغذاء، قال آتني بوضوء، فأتيته به فتوضأ احسن وضوء وأعجله، ثم طلب اليّ ان ادله على القبلة ففعلت. فاستوي واقفا وشرع يصلى، فكان يقف حتي أخاله لايركع، ويركع حتي أحسبه لايرفع، فأثر فيّ خشوعه واخباته، حتي سدركت بمكاني متأدبا كأني بحضرة قوى روحانية تحيط بي من كل جانب، فلما أتم صلاته وسلم، استدعاني فجلست بين يديه، ثم نظرت اليه فوجدت وجهه يشع نورا، وقد احاطت به هالة من الضياء، ما عهدتها عمرى لغير الشمس والقمر

فلما اطمأن بي الجلوس وجه اليّ بصره وقال :

لقد ألقي في روعي انك على شيء من الخير، وانك اهل لان تأخذ العهد عن رجل شهد المشاهد، وحضر المصادر والموارد، وجالس الغر الاماجد

لقد رأيت من جملة ماوقع عليه بصرى في بلادكم، ان الاسلام اصبح فيكم غريبا، وانكم على مايكون عليه الناس قبل بعثة الرسل اليهم، ولا رسول بعد خاتم النبيين الا عالم يستن بسنته، فيؤدى مااستحفظ عليه من ودائع العلم، واماناته التذكير . فكن ذلك الرجل ان شئت

أري فتنا قد قامت على ساقها، وغفلة قد نشبت بأظفارها، وأري الناس مستسلمين مستنيمين، كأنهم قد أمنوا سوء المنقلب، ووثقوا من سلامة العقبى

اعلم ان الرذيلة وباء الامم، لاتقوم بها جماعة، ولا يلتئم بها شمل طائفة، فهي روح محلل، وعامل مفرق، قد مضت بذلك السنن، وسبقت النذر والحوادث، فلا يغرنك قيام أمة وهى متلبسة بقذرها، فان البناء يقوم على أوهي الاسس حينا، فاذا عصفت به عاصفة سقط على نفسه

الا انه لاخير في الحياة الا ...
خلقت له، والحياة دار هموم واكدار، دار ...
وفناء، ولا يكن هواك مصروفا ...
او هداية طائعة

الناس امامك يتساقطون ...
من اهلك، فهم قبيلك ...
وتذكيرهم، واصبر على مكرهم ومكروههم ...
لا سيئة، وما عند الله خير للصادقين

ثم قال اليك عني، ورفع يديه الي السماء وقال

اللهم انك قد أمتني وأحييتني، وشهدتني ما ...
وقد فقدت اهلي ومعشري ...
الكربة، فردني اللهم الي رحمتك ان كنت تراني ...

قال الوجدان : ثم خر ساجداً وانا انظر اليه فأطال ... فضربت
اليه، فاذا به قد مات، وبينما انا ... وإذا سمعت المكان قد ارتفع وهوت
منه طيور خضر لم تقع عيني على مثلها ...
انظر اليها حتي غابت عن بصري، ثم ...
ثم قمت شاعرا بحياة صالحة فاضت علي كياني، ...
في الامر بالمعروف ...

الوجدان ...

قال الوجدان :

اخذت نفسي عادة صحبة ...
العقلاء، ...

[illegible] وكذني الفكر والقلق ،
[illegible] مصري الي [illegible] واجعله
[illegible] سواحل [illegible] السما [illegible] لركوبه
[illegible] احد [illegible] فتمل مسروراً
[illegible] وأمسك [illegible] الى عرض
البحر [illegible] جرثوم الزورق ، ورأيت
[illegible] وأسرع [illegible] للاستمرار
في [illegible]

[illegible] البحر [illegible] وصار فارغي وسط
[illegible] كلما اعيت
[illegible] حتى ارتدت [illegible] الريح ،
[illegible] فأفلت
[illegible]
[illegible] واكن
[illegible] خطوره
[illegible] أشده
[illegible]

[illegible] في حبائي ،
[illegible] مدعوراً ،
[illegible] الجروه
[illegible] لمه
[illegible]
[illegible] والت
[illegible]
[illegible] الجسم اذا شيء

يهوي اليّ من بلعوم الحوت، فأصغيت فاذا انا برجل يولول، قداوفده الى هذا المرطن مثل الحادث الذي دفعني فيه

فقلت من الرجل ؟

فصاح بي ، وقد زاد ذعراً على ذعره قائلا من انت ؟

قلت انا رجل مثلك دفعني القدر الي مادفعك اليه

قال أوفيك بقية من نفس تسألني بها من انا ؟

فقلت ياهذا نحن في هذا المأزق الخطر احوج ما نكون الي استعمال العقل والروية

فوالله مازاد على ان استرسل في الانين، وما شككت في انه ملاق حتفه هلعا قبل ان يقتله الحوت هضما

فصحت به قائلا :

ان كان ولا بد من الموت ايها الرجل، فلنمت كما يموت الكرام بنفوس هادئة ، وقلوب رابطة ، ولكني أربأ بنفسي ان اموت قبل أن استنفد كل حيلة

قال لعلك قد أصبت بجنون من عظم المصيبة. فأى حيلة تنفعك ايها الرجل ، وانت فى جوف حوت يمخر في قاع البحر ؟

فقلت والله لاأيأس من روح الله مادام فيّ رمق، أمعك سلاح ؟

قال معي سيفي ولكني لااستطيع ان أناولكه من شدة الدوار الذى لحقني

قال الوجدان : فتحاملت نحوه وامسكت بمنطقته بعد جهد جهيد واستللت سيفه. وقلت باسم الله واخذت امزق ما تصل اليه يدى من احشاء الحوت

فما هي الا لحظة سرى فيها الالم اليه حتي اعتراه اضطراب كدنا نتحطم منه في جوفه من شدة ما اصابنا من مخضه

ثم عدا واسرع في سيره، ثم شعرنا انه وقف وتراءى لنا من خلال جلده نور، فما شككت انه رسي على ارض، وانه مات، فأسرعت بتمزيق احشائه لنخرج ، وسرى الامل الي رفيقي، فأخذ يعاوننى وسوائل الحوت تسيل على رؤوسنا . وما زلنا نجاهد حتي خرجنا من جنبه. وعجبت كيف لم نختنق فى بطنه من عدم الهواء

قال جزاك الله عني خير ما يجزي به اهله. وأكب على يدي يقبلها ثم شخص الي

بيصره وقال: بم حصلت هذا التبصر عند الشدة، فانه خير ما يقتني المرء من العدد في هذه الحياة المملوءة بالمعاطب ؟

قلت بالعقل

قال الناس كلهم عقلاء ، فلماذا يتفاوتون فى هذه الخاصة ؟

قلت ان من عقل انه لامحالة ميت، وانه ان لم يمت طوعا مات كرهاً، تدبر ذلك وعقله وردده في نفسه كلما عرض له ذكر الموت، هانت عليه الشدائد وزايله هلع الاطفال، وذعر الحمر الوحشية ، وملك قياد نفسه عند نزول المصيبة ، واتسعت له وجوه الحيل، وانبسطت له وسائل النجاة الممكنة . فان قدرت له نجاة وفقه الله لاستخدام احدى تلك الوسائل، والا اسلم وديعته لبارئها وعليه سكينة الصالحين، ورزانة الصديقين

قال صدقت وكأني بك بدلا من ابدال الله فى الارض، او قطباً من أقطاب الحكمة فيها

ثم التفت الىّ وقال :

اننا نتهادى نحيات السلامة، ولكننا نسينا اننا قد وقعنا في خطر قد لا يقل عما كان فى بطن الحوت

قلت وما ذاك ؟

قال اننا الساعة على جزيرة جرداء ، لاعشب فيها ولا ماء ، وكأني بها خالية من السكان

قلت سر معى نضرب فى هذه الصحراء فلعلنا نصادف ما يكون سببا فى نجاتنا

قال الوجدان : فسرنا اميالا فلاحت لنا شارة حياة، زروع وضروع، وخيام وآطام ، وطيور محومة في الجو . فقلت أبشر بالفرج

ثم سرنا حتي قربنا من خيام مضروبة لا يحصي لها عدد، وفي ساحاتها رجال ونساء وولدان، وقد اجتمع كل فريق مع مشاكله سنا وجنسا، وقد افترشوا من الاعشاب ابسطة سندسية، قد حلاها نثار الزهور بمثل النقوش الحريرية المختلفة الالوان ، وفي خلال تلك الطنافس غدران لولا جريان مياهها لخلتها أعمدة بلورية

وضمت بين تلك ... [illegible] وجوه ... [illegible]

ورد به الاهاب ... [illegible]

فلما وقعت اعينهم ... [illegible]

بعيد فبادروا ... [illegible]

الخيام وثيابا ... [illegible]

جسمنا ... [illegible]

تلك الخيام ... [illegible]

وحليب الابقار ... [illegible]

وقال من اين الضيفان ... [illegible]

فقصصنا عليهم اخبار ... [illegible]

الماء وكنا كلما ... [illegible]

واقبلوا علينا بآذانهم

فلما فرغنا من ذكر قصتنا نظر اكبرهم الينا وقال: مرحبا بكم ... [illegible]

في البداوة ولستم من اهلها ؟

فقلنا ... [illegible]

وأجملتم المواساة ... [illegible]

المنعزله عن العمران

قال نعم : ... [illegible] بن عامر من ... [illegible]

ابن ذي يزن ... [illegible]

معتقدا ان الانسان ... [illegible] فاستخدم

الكذب والخداع والسعاية ... [illegible] اعراض ... [illegible]

وجريه وراء البذخ ... [illegible]

سنين ... [illegible]

ورأى انها لا تزال ... [illegible]

و ... على انقاضها امة سواها

فقادته هذه التأملات الي وجوب اعتزال بني نوعه، والاكتفاء بأهله ليجعل منهم امة يأخذها بالادب الذى تخيله أليق بحياة الانسان. فاصطنع له سفينة واخذ فيها اهله ومن كل حيوان نافع زوجين، ثم زج بنفسه في البحر تحت رحمة الامواج فقذفته الرياح واهله بعد مئة يوم الى هذه الجزيرة، فرآها جرداء مرداء، لاسكن بها ولا انيس، فنزل اليها حامداً مولاه على ان هداه الى ما يريد من العزلة، واخذ يعمل بما يعلم من ضروب الزرع والاستعمار ليعيش هو واهله بسلام

وقد بذل وسعه مذ حل فى هذه الارض في ان يربي اهله وبنيه على الفضيلة الصحيحة، معتقداً انها هي السعادة التي ينشدها النوع البشري، وما عداها من زخارف الصنائع، ومموهات الاشياء، فأباطيل اصطلح عليها لا نزيد الآخذ بها الا بعداً عن لذاته الحقيقية التي مقرها روحه لا جسده

قلت وهل انتم سعداء بالمعني الذي كان يريده جدكم الاول ؟

قال ان كانت السعادة صحة الجسم والعقل، وراحة البال وطول العمر، ومشارفة عجائب الروح وجلائلها، والعيش مع امثالنا اخوانا متراحمين، بلاظلم ولا انظلام، فنحن سعداء بالمعني الذي كان يتخيله جدنا الاول

واما ان كان فوق هذا سعادة، فذلك مما تعلمونه انتم وفى وسعكم ان تهدونا اليه

قلت يؤخذ من قولكم انكم لا تمرضون . ولا تحزنون، ولا تتزاحمون فتعتدون

قال كان جدنا يقول ان الجسد آلة حية وهبها الله لصاحبها فان احسن استعمالها فلم يدفعها فوق طاقتها، ولم يقصر بها عن حقها، بقيت له ما قدر لها ان تبقي دون ان يصيبها اقل عارض . وان عوملت بالطيش . وعولجت بالعنف، وردت الموارد ، وتعرضت للموبقات، وربما بادت قبل بلوغ حدها. فنقش في اذهاننا هذا الادب حتي جعله فينا طبيعة، ولذلك ترانا لا نأكل حتي نجوع، وان أكلنا لا نشبع، وقد علمنا ان الله لم يوجد فى حواسنا الشعور بالمحاب والمكاره عبثا . بل بمنزلة الادلة لنا على الافراط او التفريط. وعلى الفعل او الترك، فنصبنا حواسنا حراساً علينا . فان شممنا ما نكره أزلناه حتي لا نشم الا ما نحب، وان أحسسنا بما نستنكر، تحولنا عنه الى ما نستلطف ، وان شعرنا ببرد تدثرنا ، أو بحر خففنا ، وان طلبنا النوم نمنا ، أو

المشي مشينا ، لا نحمل أعضاءنا على ماتكره . فكانت نتيجة اعطاء كل عضو حقه في جسدنا ان فاضت على مجموعها صحة لامرض معها، وفاض علي قلبنا منها ارتياح لاضجر فيه

قلت أليس فيكم من يعبث بالامن ، ويخل بنظام الجماعة ؟

فقال لقد عشت من العمر مائة وخمسين عاما فما اعتدي في قرانا رجل علي رجل بما قل او كثر

قلت أولا يغضب احدكم علي اخيه فيشتمه . فيؤدى التشاتم الى تلاكم ؟

قال ياابن اخي الغضب بلا سبب عرض من اعراض فساد المزاج، وفساد المزاج عرض من اعراض اختلال المعيشة، وقد ذكرت لك ان معيشتنا علي اكمل مايكون من نظام فكيف يتطرق الفساد الي المزاج، ومتي كان المزاج سليما فكيف يعتري صاحبه الغضب ؟

اما ان كان هناك سبب يحمل الشخص علي المدافعة عن نفسه، أفلا تسمي هذه المدافعة غضبا ، اما العدوان فقد قلت لك انه اسم لا نعرف مسماه

قلت ألا يحدث ان احدكم يحسد اخاه علي ماعنده ، فيحدّث نفسه بسلبه او باغتياله ؟

قال انا قطعنا ذرائع هذه الشرور بأن جعلنا مال الله مشتركا بين عباد الله . فترانا جميعاً نعمل في مزارعنا فما حصلناه من خيرات الارض اودعناه فى خزائن عامة، لكل عامل الحرية التامة في ان يأخذ منها مايريد فى اى وقت يريد، وبذلك بطل فينا الميل للادخار، وبطل مايتبعه من الغني والفقر وعلو البعض علي البعض، وما يجر اليه ذلك من التعادى والتزاحم والتسافك

قلت والى اى مدي بلغت قوتكم الروحية ؟

قال الي حيث يكفى احدنا ان يغمض عينيه ويقطع خواطره ليسري مع الارواح المجردة فى عالمها

فنظرت الي وجه صاحبي فى الحوت فقلت له ألا تسمع ؟

فقال يخيل لي انهم في الجنة

قلت ألا تمر بكم السفائن ولو فى كل عام مرة ؟
قالوا مارأينا السفن عمرنا
فقال صاحبي في بطن الحوت: لقد ضعنا ياوجدان، فما الحيلة ؟
قلت هون عليك سيجعل الله بعد عسر يسرا

فأشرت علي رجال من تلك الامة ان يقطعوا جذع شجرة غليظة. ففعلوا. فأخذت منهم الاداة وظلت احولها الى شكل زورق. واستعنت بهم علي حفر باطنها فما مضي أسبوع حتي اصبح لدينا قارب يبلغ طوله بضعة أمتار ويؤمن علينا فيه من الغرق

ثم اخذنا من القوم ذخيرة من الثمار الجافة تكفينا عاما كاملا وودعناهم وداع الاصفياء

نزلنا الي الزورق وما كدنا نستقر به حتي اندفع كأنه مسير بالبخار، ومضت علينا ايام فيه، ثم تراءت لنا سفينة فما زلنا نصيح بها حتي التقطتنا باعتبار اننا غرقى وعلمنا انها تقصد سيسيليا

فسارت السفينة اسابيع حتي وصلنا الجزيرة، ونزلنا مع النازلين، فوجدنا عالما غير الذي كنا فيه، عالم حركة ونشاط ولكنه مشوب بأقذار التزاحم الحيواني، والتنافس الجنوني، حتي ليكاد الاب ينكر ابنته هنالك

رأينا معالم المدنية باهرة، وأعلام الزخارف ظاهرة، ولكننا لم نتنسم فيها نسمة ارتياح وطمأنينة، كأن تلك المعالم قامت علي دماء الناس ومهجاتهم

نتلفت يمينا ويسارا فنري الناس علي أجمل زي، وأبهى مظهر، ولكننا نقرأ في وجوههم آية الحزن والكمد. كأنهم قد أشعروا بأن ما هم فيه حال كاذبة، وخيال باطل

نرى المادة الصماء قد أخذت حياتها وازينت، حتي لتكاد تنطق للناظر، ولكنها حياة تميت الفضيلة، وتطفيء جذوة الشعور العالى، ولا تبعث الا للحيوانية الباحتة

سرنا فى باحات الميناء قليلا فلم نصادف من القوم رجلا يدعونا الي قرى، او يعطف علينا بكلمة تؤاسي الغريب، وتزيل عنه الوحشة، بل كنا نرى القوم يسيرون سكوتا لكل امرىء منهم شأن يغنيه عن غيره، ولقد رأيت شيخا مادا يده يستعطف الناس ويستجديهم فما امتدت اليه يد ببرة، حتي خيل لي انه مائت من ليلته، لشدة

ما اخذ الحرمان من صحته

فقلت لصاحبي ماترى ؟

قال أرى حياة حيوانية ، تخدمها عقول انسانية

قلت له ماأقسي حكمك، أتحتقر كل هذه المظاهر الباهرة ،

قال ما احتقرتها ولكني وددت لوكان بجانبها للروح مظهر، أما وهي علي ما ترى فكالشبح بلا حياة

قلت لا تسرع في الحكم حتى تخبر القوم

فما انتهيت من قولى حتي شارفنا باب الميناء. فطلب الينا العامل جواز السفر، فحكينا له قصتنا، فما كاد يرفع يده باشارة حتي انقض علينا جنديان وساقانا الي الضابطة. وهنالك شرع محقق فى استطلاع احوالنا فلم يدع صغيرة ولا كبيرة الا سألنا عنها

وما راعنا الا قوله انه اشتبه فى امرنا، ولا بد من استيفاء التحقيق معنا. فأمر بنا فأدخلنا الي السجن فظللنا فيه اياما

ثم ظهرت له نزاهتنا فأمر باخلاء سبيلنا، فخرجنا حامدى الله علي السلامة. فمضى اليوم وشطر من الليل، فقال لى صاحبي قد أمضني الجوع فما الحيلة الى الغذاء ؟

قلت هلم بنا نبيت الليلة تحت ظلة المحطة فاذا اصبح الصباح بحثنا لنا عن عمل يحصل منه القوت

فبينما نحن جلوس واذا برجل جاء علي بعد منا فوضع رأسه علي القضيب الذي يمر عليه القطار، فظننته سقط مغشياً عليه، وخشيت ان يداهمه القطار فيميته، فأسرعت اليه فرفعته ، فأخذ يجاذبني نفسه ، ويدافعني عنها

فقلت له : ألا تدري ان القطار يوشك ان يمر علي رأسك فيحطمها ؟

فقال ياهذا انصرف عني بسلام، وهل غير هذا قصدت ؟

فأخذتني عليه عاطفة الاشفاق ، فقلت له وما دهاك حتي اعيناك عليه ؟

قال مضي علي اسبوع لم أذق فيه طعاما ؟

فقلت له ولم لا تعمل فتكفى نفسك المسغبة ؟

قال اني أعرض نفسي علي المعامل منذ شهر فلا أجد موضعا خاليا

فلما آنس اقتراب القطار سعى في التخلص مني واشتد في ذلك وانا انازعه حتى نشبت بيني وبينه شبه مصارعة وشاركني صاحبي فما راعني الا شرطى على رأسنا يجاذبنا خناقنا، فأراد الرجل التخلص من الشرطي حتى لا يفوته القطار الآتي، فظنه الشرطي يحاول ضربه، فصفر مستغيثا وما هى الا كغمضة من العين، حتى احتاط بنا شرذمة من الجند فقادونا لدار الشرطة

فقضينا ليلتنا فى سؤال وجواب، حتى كدنا نهلك جوعا واعياء. وتبين لمدير الشرطة اننا غرباء بلا عمل. فأمر بترحيلنا الى مصر وأنزل معنا في هذه المرة نحو الخمسين متشرداً، من أمم مختلفة، وفيهم الشاب الضالع، والشيخ الظليع وما بينهما

فلما شارفنا مدينة الاسكندرية قال صاحبي وكان من المغرب، ترى بماذا تقابل فى مصر هذه الطغمة المفسدة ؟

قلت بالترحيب والحفاوة .... فدعاك من هذا وقل لى ما رأيك في جملة ما وقع لنا ؟

قال خذها في كلمتين

قلت لا والله الا شعرا، فاندفع ينشد :

جبت المخاوف والمخاطر	فرويت مالم يرو شاعر
وجمعت ما بين البدا	وة والحضارة والمظاهر
وشهدت ما لو قلته	عدوه من عبث الخواطر
وخرجت من ذا كله	بحقيقة تغني المكاثر
هى ان هذا الناس قد	سحرتهم فتن سواحر
ظنوا السعادة في التأ	نق والتظرف والتفاخر
واقامة الدور الشوا	هق والعلالي والمقاصر
والجري اعقاب اللذا	ئذ والتورط في الكبائر
وهو افتتان بالقشو	ر ووقفة حول الظواهر
اما السعادة فهي في	ان تفتق الحجب السواتر
وتحصل السر الذي	شقت لمطلبه المرائر
وتنال من معناك ما	حرمته هامات قواصر

ان ترتقي بالروح حيـ ث الحق عالي القدر سافر
حيث الفضائل تزدهى بثيابها القشب البواهر
فهناك فانشد قول من علم الحقيقة علم خابر
هذي السعادة فارجها واظفر بها ان كنت ظافر

فقلت أجدت فعلام عولت ان رجعك الله الي وطنك سالما ؟

قال محاربة المدنية جهدي ، فخير للامة ان تعيش سعيدة محرومة من زخارف الصناعات ، من ان تعيش شقية مغمورة في المموهات

قلت هب انك استطعت بقوة البيان،ان تصد امتك عن سبيل المدنية ، فبأى وسيلة تحميها شر الغازات الاجنبية ؟ ألا ترى انه لو هاجمت افسق امة جزيرة بني حكيم لتغلبت على اهلها ، ولم تغن عنهم فضائلهم شيئا ؟

قال صدقت

قلت فعلام عولت ؟

قال على لزوم بيتي،والاكتفاء بنفسي،حتي ألقي الله خالصاً مخلصاولا أشارك امة تتورط في مخازى هذه المدنية الحيوانية

قلت تعيش بين ظهرانيها،وتزعم انك لست منها؟الاولي بك بطون الكهوف، او قلل الجبال،ثم لاتكون اتيت بفضيلة غير حبك لذاتك،حباًقطعك عن بني جنسك

قال فما العمل ياابا البحث ؟

قلت خذها في كلمة

قال لا والله الا شعراً كما شرطت على"

فأخذت انشده :

ضل اهل الالمعيـة فى علاج المدنيـة
هي من اقدم عهد عضلة العلم القوية
هى للجثمان غنم وهي للروح بليـة
والذي قر عليه الر أي من أهل الروية
انها شر ضرو ري لخـير البشرية

فقال أصبت والله ، وكم في الحياة من شر ضروري

قال الوجدان : ثم مكث في ضيافتي اياماً حتي تهيأ له السفر الي وطنه،فودعني ورحل ، واصبح من رجال الفكر والعمل

الوجدية الخامسة عشرة

قال الوجدان :

خرجت من داري أصيل يوم صح جوه،واعتل نسيمه، رجاء صديق اقابله فازامله،أو عمل يبدو لي فازاوله،فأرخيت لرجليّ العنان تحملاني الي حيث اتفق، حتي انتهيت الي خارج المدينة،وهنالك استقبلني النسيم بما حمل من اريج يفعم الانف، وحياة تنبه الشعور،فاندفعت أسير،وكانت الشمس على بعد مترين من سطح البحر، وقد أرخت ذوائبها الذهبية تتألق على مرآة ذلك الخضمّ الساكن،والاشجار عن يساري وبين يدي تتراوح افنانها مندفعة بأنفاس ذلك النسيم الرطب،فحلالي السير وأمعنت فيه،وبينما انا اتهادى بين تلك الربى والادواح،واذا برجل قد التحف رداءه، وتوسد ذراعه، تحت دوحة من تلك الدُوح وقد أخذته عينه فنام ، وقريب منه أفعوان فاحم اللون،يلوح على عينه الشر،وقد رفع رأسه يطل على وجه النائم إطلال الشؤم على وجه اليائس،فقلت في نفسي لقد ضاع الرجل،اذلا يبعد ان يرفع يده،او ينقلب على جنبه فيخاله ذلك الارقم قاصداً اياه بشر فيلسعه فيرديه،ونازعتني نفسي بين ان ادع الرجل تحت رحمة القدر،وبين ان ارد عنه عادية ذلك الثعبان،فأما لي طبع غذته النجدة،ونمته المروءة والنخوة،الى الامر الثاني،ولم يك في يدي الا عصي اتخذتها ألهية في السير لاتدفع عن حاملها عادية ، فعمدت في الحال الى شجرة فعلوتها اسرع مااستطعت.واقتضبت منها غصنا يصلح ان اتخذه سلاحا اخيف به ذلك الصل المميت.ثم تقصدته،فلما وقعت عينه عليّ حتي رفع من جثمانه مايقارب متراً. وفتح حنكا أوسع من فوهة القربة ، أحاطت به أسنان كاطراف الاسنة،

قد علاها نابان أشبه بلهزمي الرحين الحادين ، يخيل لرائيهما انهما يقطران موتا زؤاماً

فكدت والله ان ارجع ادراجي، وما كنت قبل ذلك مازلت وحشيا، ولا قارعت كاسراً، ولكن تداركتني نجدة انسانية، وهمة عربية، فعز على ان اولي الدبر وحيوانا يريد ان يفترس رجلا قد يكون ابا عيلة، او صاحب شان، فامعنت في الاقدام. فما أدرك والله ثيات جناني حتي وقف علي ذنبه فكان أشبه بسارية السفينة، وصفر صفيراً دل علي مبلغ الحقد الذى يدفعه لمقابلتي، كل هذا وانا ممعن في التقدم اليه، فلما آنس مني الاصرار جمع قوته واندفع علي فناولته ضربة راغ منها والتوي اسرع من البرق الخاطف فصار خلفي، فناولته ضربة اخرى ماشككت في انها قد اصابته، فاذا هو قد أحاط بي احاطة السوار بالمعصم، وكنت اعرف من قبل ان الثعبان اذا التوي بانسان وضغط عليه قصمه، فما جالت هذه الفكرة السوداء في خاطري، حتي سمعت قائلا يصيح دعه يا (جلجل)، فوالله ما كاد يصل اليه الصوت حتي ارتخت اعصابه وسقط كأنه تخدر، فالتفت الي الصائت، فاذا به ذلك النائم وقد استيقظ مذعوراً ، فأقبل عليّ وقال ما أصابك ؟ فحكيت له الخبر ، فضحك وهدأ خاطرى ، والتفت الي ذلك الافعوان وقال له انطلق، فانطلق كأنه قد تكهرب لا يلوى علي شيء. ثم أمسك بيدي وأجلسني بجانبه، وضرب بيده علي ظهرى وقال الي هذا الحد تبلغ النجدة بأهلها ؟

قلت : والله مادفعني الى ماترى الا ان خفت ان يخونك ذلك الكاسر وانت نائم، اما وقد رأيت من طاعته لك مارأيت، فقد صار عجبي منك اكثر من عجبي من نجاتي، ولقد أنسيتني بهذه السلطة الروحانية، ماعلق بنفسي من آثار الذعر والدهش

فتبسم وتلا قوله تعالي « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »

ثم التفت الى وقال والله ياابن اخي اني معجب بنجدتك كل الاعجاب، ولقد كان يخيل الى ان الناس قد شملهم داء الاثرة فلم يبق فيهم من يعطف علي سواه، فجئت انت بما فعلت شاهداً علي ان لله فى خلقه لشأنا، وان المصلحة لا تزال قائمة بأهلها حتي تقوم الساعة

قال الوجدان فتركته يمادى في اطرائي رجاء ان اصيب منه علما ببعض ما عنده من اسرار الروح ، فلما فرغ شكرته ثم قلت له بلسان المتخاضع الطالب :

والله لقد دافعت عنك ولم اعلم انك من القوة الروحية بحيث رأيت، وما فعلت ذلك الا مضطرا بدافع من طبيعتي لا استحق عليه شكورا، ولقد رأيت منك ما كنت انكره اذا قرأته. فالحمد لله الذي جعلك سبب خلاص فكري من السجن الحسي الذى كان فيه، فان رأيت ان تعلمني مما آتاك الله شيئا اذكر به هذه الساعة المباركة، كان ذلك من فضلك ان شاء الله

فضرب على كتفي وضحك حتي بدت نواجذه، ثم استوى وقال لقد برّحت بكم العلوم المادية يانشء المدارس، اما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، وركب أمشاج هذا الجسد الناطق، ان وراء هذا العالم المحسوس لعالما سبحت الارواح في جماله سبحا، واستنامت قلوب الكاملين الي بدائعه استنامة، والله ما بين الاحياء وبينه الا حجاب من هذا الجسد الكثيف الفاني، فالله الله في انفسكم فلا تسجنوا عقولكم فى اقفاص هذه المادة الطينية ، فتقطعوا عليها طريق الحياة الراقية وتكونوا من المحرومين

ثم قال ان كان ولا بد ، فسأُلقنك كلمات يسهل عليك حفظها فى هذه اللحظة، تمكنك ان تنقلب نسرا متي شئت، فاني أراك مغرما بالرياضات، واستنشاق النسمات

قلت ذلك اليك ، وكل ماجدت به ففضل منك

قال أعلى وضوء انت ؟

قلت نعم

قال هات يدك، فناولته اياها، فعاهدني على تقوى الله وطاعته، وان لا أبغى بما سآخذه عنه محرما ، ثم لقنني كلمات فحفظتها، ثم تركني. وقال اتلها . فتلوتها فانقلبت نسرا في حجم النسور الضخمة. فنظر اليّ وضحك، ثم حرك شفتيه بكلمات فانقلب ليثا ، فأشار الى برأسه علامة السلام، وتركني ومضي، وبقيت انا أتأمل فى نفسي وأعجب ، حتي خفت ان افقد عقلي من كثرة الدهش المشوب بالفرح

فتلوت الدعوة فعدت انسانا، ثم تلوتها فانقلبت نسرا، فآنست بها لتي بعض الانس، فحاولت ان اطير وكنت لا اصدق ذلك. فوالله ما حركت جناحي حتي رأيتني على بعد

عظم من الارض، فعرتني خشية واضطرب قلبي، وتوهمت اني هالك ولكني بسطت اجنحتي فنزلت على اهدأ مايكون، فعلمت ان لا خطر علي، فطرت ثم عدت، ففعلت ذلك مرارا حتي وثقت بذاتي، ثم طرت وامعنت في الطيران حتي انتهيت الي ضاحية مدينة عظيمة، وهنالك وجدت دوحة وارفة الظلال، طويلة الافنان فنزلت عليها، وما استقر بي المكان حتي وجدت تحتها اربعة شبان يدل مظهرهم على انهم من ارقى افراد النشء الحي، وقد اخذوا في موضوع هام يتجادلون فيه، فقلت لاصغين اليهم، فلعل من وراء مايقولون حكمة التقطها، فسمعت احدهم يقول :

والله يامعشر الاخوان ان حالة النساء لدينا قد اصبحت شر حال، لا يؤجر الصابر عليها، ويأثم المدافع عنها

فقال الثاني اصبت وماذا تنتظر من مخلوق لم ينل من العناية ماتناله بعض الحيوانات المنزلية في اوروبا وامريكا؟

فقال الثالث نحن الشبيبة المتعلمة التي يلقى على عاتقها وظيفة كل انقلاب اجتماعي، فما يطلب دون سوانا احداث الانقلاب الذي توده في حالة المرأة

فقال الرابع المرأة المصرية لاينقصها شيء الا التربية فهي بما احيطت به من شريعتها الحكيمة، وتقاليد قومها، في مأمن من جميع ادواء المرأة، تلك الادواء الاجتماعية التي صارت في اوروبا وامريكا الآن خطرا يخشي من نتائجه على بناء جامعتهم

فقال الاول وقد عرته دهشة : ماذا تقول ياحضرة الاخ كأني بك من اهل العصر الماضي، ان المرأة المصرية ينقصها كل شيء اقلها رفع الحجاب ومساواة الرجال في الاعمال

فقال له صديقه وهو يحاوره : ماذا اضر المرأة حجابها حتي تطلب رفعه، وماذا آنست من خير حل بأوروبا وامريكا من تعاطي النساء لاعمال الرجال، وقد سلختهن المعامل عن البيوت، وقوضت دعائم الاسر، واقلت اجر العمال كما ينادى بذلك علماؤهم ومشترعوهم

فصاح به الصاحب الثاني محتدا : قائلا اما الحجاب فيمنع المرأة عن التعلم، ويحجبها عن الاختلاط بالرجال في المجالس، والحضور مع زوجها في المنتديات. واما ماتذكره

من ان عمل المرأة خارج بيتها يسلخها من اسرتها الى آخر ماذهبت اليه، فيظهر لي انك سحرت بمباحث كتاب المرأة المسلمة وغرك ما قل مؤلفه من اقوال المؤلفين والفلاسفة

قال صاحبه وهو هادي، الضمير ساكن الي الحقيقة: نعم قرأت كتاب المرأة المسلمة ، واقتنعت بما ورد فيه من الحجج الحسية ، فهل تقوى على دحضه بنفس اسلحته ؟

قال الصديق الثالث : وقد ظهر بمظهر من يريد حسم النزاع، هونوا عليكم ايها الاخوان، فلا تذهب بكم المناقشة مذاهب الحدة، فتضيع ثمرة الرياضة. وانت ايها الصديق المعارض آخر ما نقوله لك ان المدنية تقتضي كثيرا من الشرور وهذا من الشر الضروري الذي لابد منه لتكميل بنائها، وزخرفة روائها

فقال له محاوره : هذا خطأ عظيم لا يقع فيه الا من يجهل عوامل الحياة الاجتماعية فما الذي عزمتم عليه بعد اليوم ؟

قال امثلهم عزمنا على ان لا نترك الجهاد لانالة المرأة حريتها المسلوبة، واخراجها من سجنها المظلم الي عالم الظهور ومجال الاعمال

فقال اصغرهم: هذا امر قد تحالفنا عليه ولكن ما الرأي . قد أوشكنا على الزواج؟

قال اكبرهم: اما انا فيستحيل على ان ازوج بمصرية لا تناسب معلوماتي ، ولا أجد فيها الشريك الراقي لحياتي ، وقد آليت ، من عظم ما استحوذ على فؤادي من هوي المدنية وحريتها المطلقة، ان ازوج بامرأة حقوقية ممن يتعاطين المحاماة، فواها واهاً لمن يظفر بواحدة من اولئك الكاملات، انها لاشك تملأ العين والقلب معا

فقال الثاني: اما انا فميلي كله ان ازوج بطبيبة فاني اميل للمباحث الحسية، فتكون لى خير شريك في حياتي العلمية

فقال الثالث: اما انا فسأبذل قصاري جهدي للتزوج بامرأة سياسية فعساي ان اجد فيها المثال الجميل الذي اتخيله طول حياتي عن المرأة الراقية

ثم نظروا الي الرابع وقالوا وانت علام عولت ؟ وضحكوا طويلا

فقال لهم اما انا فوالله لا ازوج الا واحدة من بنات قومي وغاية ما اتحراه فيها ان

تكون متعلمة مهذبة،لااشترط فيها كما يشترط اهل البطالةمالا ولاحطاما ويكفيني منها اصل كريم ومنبت طاهر، تلك ارجو ان اعيش معها على اهنأ ما يرمي اليه خيالي فى هذه الحياة وادعو الله لكم التوفيق

فقال له احدهم: هيهات هيهات ما تطلبه من الهناء مع من لم تعرف معني الوجود، ولا تخرج من بيتها الا فى مثل لفائف الطفل القاصر

ثم نظر بعضهم الي بعض وقالوا: هلم نتعاهد على هذا العمل ونجتمع هنا بعد اربع سنين ليصف كل منا ماعسي ان يكون صادفه فى عيشه من هناء وصفاء،وهذه المدة كافية للتجربة وللاوبة من رحلتنا

ثم قالوا قضي الامر،وبطل الجدال،فنستودع الله انفسنا على نية الاجتماع تحت هذه السرحة بعد اربع سنوات كاملة تمضي من هذا اليوم،ثم انطلقوا وهم يتضاحكون

قال الوجدان : فعجبت مما سمعت وكتبت في الحال يوم الموعد وساعته بمذكرتي لاحضر مجلسهم بعد عودتهم من تجاربهم،وكانت الشمس قد غابت،فطرت حتي قربت من المساكن فتلوت الدعوة فعدت بشرا سويا،وقصدت بيتي فرحا بما اوتيت من هذه الخاصية العجيبة،وظللت استطيل الايام شوقا الي ذلك الموعد حتي كان يوم الجمعة الماضي فخرجت الى الخلاء،فلما توسطت البيداء،تلوت الدعاء،فانقلبت نسرا فطرت حتي وصلت الي السرحة المعهودة فحططت عليها، فوالله ماجاءت الساعة المعينة حتي جاء الاول ولاح الثاني والثالث من بعيد،فما تلاحقا حتي ظهر الرابع،فما وقعت الاعين على الاعين حتي اخذوا يتهادون التحايا،ويتبادلون التسليمات، وتخلل ذلك قولهم متي سافرت ومتي جئت ، وبماذا كنت تشتغل الخ

ثم بدأ صاحب الزوجة الوطنية الكلام فقال: باسم الله افتتح الجلسة الموعودة ، فليؤد كل منا امانته التي عاهد الله عليها تحت هذه الشجرة ، ثم تضاحكوا ونظر بعضهم الي بعض نظرات تنم عن معان كثيرة،فقال احدهم ليتكلم اكبرنا سنا ثم من يليه ثم من يليه علي الترتيب

فشخصت الابصار للاكبر واحدق به رفاقه،وبدت علي وجوههم آثار الشوق لاستطلاع ماعنده فاندفع يقول :

والله ايها الاخوان الاوفياء لقد دفعتني فيما اندفعت اليه عاطفة ليست من الهوى ولا من التقليد، ولئن كنت لم اصب فلم يعدمني الاجر على اى حال، ولعلي بما فعلت اصبح حجة على سواي ممن يودون انتهاج نفس الطريق الذى انتهجته

فقال صاحب الزوجة الوطنية : انما يعرف الكتاب من عنوانه ، اللهم طارقا يطرق بخير

فعلا صوتهم بالضحك حتي كادوا يستلقون على الارض، ثم قال واحد منهم يظهر لي من اجماعكم على الضحك ان البلوى عامة، ومتي عم المصاب هان، فلنتكلم علي اطمئنان.

فأخذ الاول يتم حديثه فقال :

علمتم اني اجمعت منذ عزمت علي الزواج ان اقترن بنابغة من نوابغ الحقوق لتخيلي ان المرأة اذا درست كل ما تقتضيه تلك المهنة الشريفة تصبح من اكمل النساء عقلا، وادعاهن لاسعاد نفسها وزوجها واولادها، وكنت كلما تخيلت علو مداركها وسعة اطلاعها ، احسبني سأنتقل بمجالستها الي عالم يغبطني عليه سواي ممن لم ينل مثل هذه الحظوة

فما وطئت باريس حتي اخذت اعرض علي نفسي نساء المحاماة، فكنت كأني اعرض عليها كتيبة من اهل الدمامة والطعون في السن. فلم اصادف بينهن واحدة عمرها اقل من الخمسة والثلاثين ، فما زلت ابحث حتي عثرت بواحدة تناسب سنها سني ، فأخذت ابذل قصارى جهدي فى امالتها للاقتران بي، وهي تأبي محتجة بأن ذلك لا يكون الا اذا حصلت علي مركز يليق بمعلوماتها في الهيئة الاجتماعية، وقدرت له امدا يبلغ عشر سنين

فما زلت اتوسل اليها بالوسائل المختلفة حتي قبلت، ولكنها اشترطت ان يكون العقد مدنيا لا دينيا، ليكون لها القدرة علي حل عقدة الزواج متي لاح لها وجوب ذلك، واخذت عليّ من الشروط مالا يرضاه الا صاحب هوي ، فلم اعارض في كل ذلك

تم العقد وحصل الاقتران فهيأت نفسي للرتوع في حقائق خيالاتي السابقة، فرأيتني ابعد خلق الله عنها ، بل ابعد خلق الله عن معني الحياة البيتية

مضت الثلاثة الايام الاولي في هدوء وسكون وكان مدار احاديثنا بل احاديثها

علي القضاء والحقوق،والقوانين والشرائع، ومن من المحامين بزّ مناظره في المرافعة، ومن منهم شهد لخصمه بالسبق،وانا لا اشعر بثقل هذه المواضيع لانها جديدة ولكل جديد لذة،وما مضت الايام الثلاث وسالنا انفسنا من حجرة العشاء،حتي ناولتني كتابا وقالت تَـلّهْ بهذا ودعني في حجرة الاعمال فان وراتي غدا قضية قتل دعيت للمرافعة فيها وعليّ ان استجمع اسانيدها بامعان

فدهشت اولا لهذه المفاجأة،ولكني لم استثقلها كما يجب ان يكون،لانها كانت اول الوقائع من قبيلها،فجلست والكتاب حتي اتيت علي آخره،فأطلات علي صاحبتي من الباب،فاذا بها بين اسفار دالوزوكار بنتييه فى شغل شاغل،فما لاح لها شبحي حتي صاحت بي راجية مني الابتعاد، زاعمة ان الامر الذى يشغلها لايحتمل المقاطعة فانثنيت وفى قلبي شيء

دقت الساعة احدعشر ثم اثني عشر وناهزت الواحدة فاذا بصاحبتي مقبلة تتصبب عرقا،فاستلقت علي المنضدة لاتبدي حراكا، ثم عمدت الي قليل من ماء الكولونيا فأصابت منه نشقة ، ثم آذنت بالنوم فنمنا

فما راعني الا حركة في الحجرة قبيل الساعة السابعة،واذا بها تبحث عن بعض ملابسها،فقلت ماذا تبغين؟فقالت أتراني أزعجتك؟قلت لابأس،قالت لاتؤاخذني فان الامر يقتضي الاسراع،وسيكون لى اليوم في المحكمة شأن عظيم،وقد أوصيت الخادمة بأن تصنع لك ماتريد

قلت لاضير،وفى القلب أثر سيء،وسرعان ماانفتلت بمحفظتها وخرجت. فقمت واصلحت شأني وخرجت الي عملي حتي كانت الساعة الثانية عشرة، فأبت الى داري لاتغدى ولم تعدهي،فأسرعت الي التليفون وسألت عنها،فأجابتني بأن المرافعة ستمتد الى مابعد الظهر وانها مضطرة للغداء مع بعض الزملاء . . . . للمناقشة فى موضوع القضية ...

فكدت افقد صوابي،وادركتني الغيرة الشرقية،ولكن هواى أوهمني بأن هذه الغيرة بقية من بقايا اسر المرأة ، علق فى نفوسنا ولا محل له في عصر المدنية

امضيت بالمنزل ساعتين وحدي ثم انصرفت الي عملي وابت بعد الساعة الثامنة

فوجدت صاحبتي واجمة لا تبدي حراكا. وقد اخذ الاكتئاب منها ما أخذه، فتلطفت في السؤال منها، فأخبرتني بأنها خسرت القضية ولم تتمكن من تجليتها للمحكمة كما كان يجب ، فقلت لا بأس عليك ، امامك الاستئناف

قالت نعم، ولكن خسارة القضية تؤثر على سمعتي، وقد كان في وسعي ان ابدد كل المغالطات لو كنت احسنت تحضير القضية ليلا، وما اخرني عن الاحفاء في درسها الا اني راعيت انك ضجرت من انتظاري

قلت في نفسي والله حسن، اليوم تعرّض بأني سبب فشلها تعريضا، وغدا تصرح به تصريحا، فوجمت، وحضر العشاء ونحن صامتان، هي تفكر في شأنها، وانا افكر في مصيبتي بها، وبينما نحن نتناول الغذاء، واذا بالجرس يرن ودخل الخادم يقول: المسيو شارل المحامي يريد مقابلة السيدة، فبدرته بقولها أدخله الي قاعة الاستقبال، ونظرت الي بتلطف وقالت هذا زميلي في مرافعة اليوم وهو من اكبر المحامين شأنا

فأجبتها بما يناسب المقام وقلبي يكاد يتمزق غيظا، وأسرعت في الطعام ثم قامت تهرول له، وبعد هنيهة دعتني لتقدمني اليه، فتبعتها اسحب رجلي سحبا من شدة ما اخذ مني التأثر، وبعد تناول القهوة اخذا في المناقشة واسترافيها حتي رأيتني مهملا بينهما، ولولا الغيرة لتركتهما وشأنهما، وارحت نفسي من تصاخبهما، وكنت كلما مرت ساعة، امني نفسي بانقضاء المجلس في تاليتها، وما زلت كذلك حتي دقت الساعة الواحدة، فقطنا لما ألم بي من التبرم فخف المسيو شارل للقيام مواعدا السيدة على مقابلتها غدا في نادي المحامين .....

مضت تلك الليلة على ماوصفت، فما لاح الصباح حتي اسرعت صاحبتي لا يقاظي متحامية ان تعيد مافعلته بالامس من الانسلال من البيت قبلي، واسرعت في تهيئة كل شيء ناظرة الى الساعة بين كل لحظة واخري، وما كدنا نفرغ من الافطار، حتي دفعتني دفعا للنزول، وما توسطنا شارع البيت، حتي انطلقت هي ذات اليمين وانطلقت انا ذات الشمال، فأتبعتها بصري ، فلم تسر عشرات قليلة من الامتار، حتي صادفها زميل من زملائها فسارا معا جنبا لجنب

مضت على هذه الحال ايام، وما راعني الا قولها لي ذات يوم انها مضطرة للسفر

الى بوردو للمرافعة في قضية هنالك،فلم املك منعها،فذهبت وعادت بعد ثلاث ، وصار يتكرر سفرها كل شهر ثلاث او اربع مرات

مضت سنتنا الاولي وهلت الثانية،فكانت الشهرة التي نالتها صاحبتي زيادة في تنغيص حياتي المنزلية،حيث صار البيت قطعة من المحكمة،ومثابة لزملائها في الصناعة، فكنت أحرّق الأُرّم ولا املك لردها عن ذلك حولا ولا حيلة

في هذه الاثناء احست السيدة بوحام فلا تسل عما قاسته في عملها من المشاق، فكم جاءت من المرافعة وهي على شفا الاجهاض،فأمضت من نتائج هذا الاضطراب اياما وليالى فى مرض يكاد يودي بها ، ولا تسل فى اثناء انقطاعها ، عن تردد اصحاب الدعاوي على البيت ، واظهارهم التأثر من مرضها تأثرا مشوبا بالتبرم من فوت مصالحهم

فلما اثقلت كانت وظيفتها عليها عبئا ثقيلا،وكانت تلفت انظار الناس في الجلسة، وكثيرا ما كان ينقطع صوتها في اثناء المرافعة فيأذن لها القضاة بالاستراحة

جاء دور الوضع واضطرت لتمضية مدة النفاس بالبيت،فكانت تلك المدة اثقل عليها من ايام السجن على المظلوم،فما مضت ايامها حتي اسرعت باستحضار مرضع لطفلها، واخذت في شأنها علي ما وصفت لك،ولا تسل عما لقي الولد من اهمال المرضع وسوء اسلوبها في التغذية والتربية،فأصيب الطفل بنزلة معدية معوية اسهرتنا من جرائها ليالي، فكانت تضطر بحكم وظيفتها ان تترك الولد بين يدى مربيته ويدي وتذهب الي غرفة عملها تمضي ساعات والطفل يصيح ولا مغيث له

فكنت اتأمل في وجهها فى تلك الاثناء فأراه فاقدا حنان الامومة،واراها كلما أمعنت في عمل الخارج اكتسبت شكلا رجليا ينفر الطبيعة بتأثير خاص

مضت على ذلك ثلاث سنين مات في اثنائها الولد بعد ان كابد آلاما لاتطاق، وجاء شهر مايو فأخبرتها عن عزمي على السفر الى مصر لارى اهلي وخلاني،فوالله مارأيت في وجهها حنان الزوجات ولا عطفهن،وجاءت لتوديعى علي الميناء كأني ضيف مسافر ، لاأليف مفارق

هذه قصتي ايها الاخوان ، ووالله لقد أصبحت أفضل العزوبة علي ما انا فيه،

وقد عاهدت الله ان لا يجمعني واياها بعد اليوم جامعة،وكفاني ما كابدته في الثلاث السنين معها

فنظر زوج المصرية الي الثاني وقال: هلم ياحضرة الاخ شنف اسماعنا بخبرك السار، خيراً اللهم خيراً

فقال والله يااخواني مامصابي بأخف من مصاب صاحبي،ولقد علمتم اني ملت للزوج بطبيبة،فبعد ان وقعت فيما وقع فيه من فقد المثل في السن والصورة،عثرت على واحدة قيل انها متخرجة في الفنون الجراحية،فعمدت لامالتها الي الاقتران بي وبذلت في ذلك السبيل مالا جما،فكان حديثها الطب والعقاقير،وذكر الجاريح والمكاسير، وهذا ليس بشيء في جانب قولهم ان السيدة مدعوة الي قونسولتو فتذهب مع عدة زملاء الي حيث لا أعلم

وقد رضيت بهذا كله وما راعني بعد ان امضيت معها اياما الا بدقات متوالية على الباب في ساعة متأخرة جدا في ليلة ليلاء،من ليالي الشتاء،فقمت من الفراش يكاد جسمي يجمد من شدة البرد،واذا بالطارق رجل يدعو الطبيبة لاسعاف محروق حالته تستدعي الاغاثة،فاضطرت ان تقوم في وسط الليل الدامس لتلبي دعوة الداعي واضطررت ان أنزل معها فأمضينا فى بيت المصاب ساعة كانت اشد من جميع تكاليف حياتي،ثم عدنا،وما مضت ليلتان حتي طرق الباب طارق على نحو الليلة السابقة واشتهرت صاحبتي بالاسعاف فصار لا يدعي لمهم ليلي سواها،حتي اتفق انها دعيت فى شهر فبراير الماضي احدي عشرة مرة بعد الساعة الثانية من الليل

وكانت كلما اشتهرت بالحذق كثر عليها الطلب،وملئت اوقاتها بالزيارات والعيادات فصار البيت أشبه بمستشفى،واكثر من هذه الصفة تأثيرا علي ان السيدة من شدة شغفها بالطب،او حذقها في التشريح،جعلت بدل التحف التي يحرص عليها النساء فوق الموائد والرفارف قحوفا بالية واضلاعا متآكلة،وجماجم نخرة،ويزيد علي ذلك رائحة حمض الفنيك التي كانت تهب من ثيابها بدل الاعطار الزكية،فكان هولي بها أشد هول وناهيكم بمن يرى نفسه فى مستشفى ابدى

اما اللذة البيتية وما كنا نتخيله من الحنان والانعطاف بين الزوج وزوجه،فكان

خيالا عفت الحقيقة المرة علي اثره من ذهني،وصرت اغبط حياة الجاهلين لاعتقادى الراسخ انها اقرب الي جمال الفطرة من هذه الحال المتكلفة

قال الوجدان : كل هذا والثالث ساكت واجم يتم وجهه علي ان مصابه أشد من مصاب صاحبيه،وما انتهي الثاني من حكايته حتي ابتدر الثالث وقال :

ان مصابي ايها الاخوان اشد مصاب.وهو العجب العجاب،والحديث الذي يتناقل ولا يستطاب

ذهبت الى الغرب شغفا بالمرأة السياسية،فلم اجد المشتغلات بها شغلا جديا الا كل عجوز شمطاء،ودرديس درداء،ولم أجد فيهن غير اثنتين ممن لا يجاوز سن الواحدة منهما الاربعين،فعرضت نفسى علي اولاهما فأبت هازئة بالزواج والمتزوجين،عادّة تلك الرابطة بقية من عادات الاولين

رضيت بي الثانية بعد ان تحققت من عظم ثروتي، فأخذتها فرحا قرير العين، وكنت كلما أراها معتلية منبر الخطابة فى مجلس النواب، أكاد أطير فرحا،وكانت دارى مثابة للسياسيين ورجال الاقلام، فمكثت علي ذلك اياماً تخيل لي اني في نعيم مقيم

حتي اذا قرب يناير وحان عرض الميزانية علي المجلس،قالت زوجتي هيىء نفسك لمنظر مدهش، فقد أعددت حملة منكرة ضد الاشتراكيين،فظللت انتظر اليوم الموعود بصبر نافد، حتي اذا جاء اليوم بكرنا الي المجلس،فدارت رحى المناقشة، فلما آن لصاحبتي ان تتكلم،ارهفت اذني للسماع، فرأيتها تحمل علي الاشتراكيين والاشتراكية حملات شعواء،وما كادت تجلس حتي استأذن زعيم الاشتراكيين في الكلام،واخذ ينقض حججها حجة حجة،ويدحض أدلتها دليلا دليلا،وحشا كل ذلك من ضروب التهزيء والتضحيك بما كدت ان انزل اليه فأدعوه للبراز

وما كاد يجلس حتي وقفت صاحبتي وقد بلغ الاضطراب منها مبلغه وظهر أثره علي أعضائها، فحملت علي خصمها من جنس حملته،فصفر لها حزب الشمال،وساعدهم حلفاؤهم وعلا ضحكهم عليها وتهزيئهم بها،وانتصر لها عدد من المجلس وبح صوت الرئيس لاعادة النظام، وما هي الا ثوان حتي حمي الوطيس واستحال الجدال الى

ملاكمة، وعلا صياح النساء، فما شككت في ان زوجتي قتلت، فنزلت كالمجنون ابحث عنها، فأخذ بيدي رجلان من بوليس المجلس، فكنت اسمع الملاكمة والتصايح داخل المكان واكاد اذوب كمدا، ولم ازل واقفا حتي خرج الاعضاء، وخرجت معهم، فبادرت الي يدها فوجدتها بحمد الله لم تصب بضرر، ولكنها لم تستقر فى البيت هنيهة حتي اجهضت وكانت حاملا فى سبعة اشهر

ولا تسل عما اصابني في تمريضها مدة عشرة اشهر من السهر والقلق حتي شفيت، فحمدت الله على ما حصل، ولكني ادركت من ذلك اليوم سوء اختياري وعلمت اني كنت في ضلال مبين حينما تمنيت ان اتزوج من غير قومى

قال الوجدان : فلم يبق في المجلس واحد الا وأظهر له الاسف وشاركه في التأثر فنظر اليهم وقال مهلا ايها الاخوان فان الذي سأحدثكم به أدهي وأمر

ذلك ان الحكومة أصدرت قراراً ماساً بحقوق بعض الطوائف، فاضطرت الاحزاب الى اظهار استيائها بواسطة مظاهرة عامة، ودعيت امرأتي لتخطب القوم لتحمسهم

فقلت لها : ياسيدتي كفى ما لقيته من يوم الملاكمة والزمي بيتك، لان النساء لم يخلقن لامثال هذه الحركات العنيفة، فأرتني صعوبة التخلف واحتجت بكل حجة، فلم يسعني الا متابعتها، فما وافي يوم التظاهر حتي رأيتها محمولة على باب فوق الرؤس، وهي تخطب الناس تحمسهم والبوليس محتشد فى كل مكان يدعو الناس لعدم التطرف، ولكن الحماسة كانت بلغت حدها، فضرب بعضهم البوليس، فاضطر الجنود للحملة عليهم، فتبودل الرصاص وحدثت موقعة ذات شأن فقدت فيها كل من اعرفه، واختلط الحابل بالنابل، وأخذ الشرطة يمسكون الناس ويزجونهم الى السجن، فهرولت الى البيت، فلما هدأت الفتنة وعاد النظام اخذت ابحث عن صاحبتي فعلمت انها اصيبت برصاصة في فخذها، فذهبت لاراها . فرأيتها في حالة يرثي لها قد تمزقت ثيابها، وهدل شعرها، وظهرت عليها علامات الضعف والذهول، فهدأت بالها من خلال باب السجن وذهبت على أسوأ ما يكون

ثم أمر بها فسيقت الي المستشفي وحكم عليها بثلاثة اشهر سجنا بسيطا، أمضيت

نصفها بالمستشفى والنصف في غرفة السجن، فانتظرتها حتي خرجت ومكثت معها شهراً على أسوأ حال فاقداً كل لذة بينية، وما هل مايو حتي استأذنتها فى السفر الى اهلي، وجئت اقص عليكم ما رأيت

فما انتهي من حديثه حتي نظر الثلاثة الى رابعهم نظر استطلاع وتلهف وسألوه ان يسرد عليهم حالته الزوجية فاندفع يقول :

لما هممت بالزواج عرضت على نفسي جميع الاصول، وحشرت الي عقلي كل ما قيل في هذا الموضوع، وجلت فيه بنظرة انتقادية فما رأيت اجمع لشروط الزوجية ، ولا اضمن لكمال الحياة البيتية ، الا ما عليه قومي

تحققت ان في المرأة المصرية نقصاً فى التربية، نقصاً في العلم، نقصاً في ادراك حقيقة الحياة، ولكني رأيت ان جميع هذه العلل ممكنة العلاج بقليل من المجهودات اذا اتفق ووقع احدنا مع من لم تستكمل شروط الكمال النسوى

قرأت كل ما كتبه الكاتبون عن المرأة، فطفت من الاقاصيص الخيالية الي المقررات العلمية، فأدركت حقيقة كلية ، هى ان المرأة خلقت للحياة الداخلية ، لا للمكافحات الخارجية، وجعلت شريكا له الغنم وليس عليه الغرم، وعلمت ان الرجل في خشونته وصلابته وبما اكتسبه في المزاحمات من الخلق الوعر، والقياد الصعب، فى حاجة تامة لمخلوق على ضده يأوى اليه ، يكون جامعا لكل ما يتصور من صفات اللين والرقة والعطف، ولا يمكن ان يحرز هذه الصفات الا مخلوق رقيق القلب رقيق الجسم رقيق الشعور، وهي خلال لا تتوافر الا لكائن يحجب عن قساوات العالم الخارجي وضراوات الحياة العملية

رأيتني بعد كفاح الابطال ومناظرة الاقران، ومقارعة الخصوم فى السياسة او في العلم او الاعمال، في حاجة الى مخلوق خيالى بالغ اقصي درجات اللطف والدعة ليلطف من شرتي ويهديء من جيشاني، ويجتذبني بما اودع فيه من الجواذب من عالم المخاصمات والمقارعات ، الى عالم الهدوء والسكينة، لافرغ الى ذاتي ولو سواد ليلتي، وأعود الي اعمالي في اليوم التالي بأكثر قوة واكبر نشاط

تحققت ذلك من نفسي ومن العلم، فأدركت فساد مذاهب الذين يدفعون المرأة

لتخرج من خدرها وتلقي بنفسها بين احضان المزاحمات الدنيوية، ووالله ما الحوت يقذف الى البيداء بأشد ذهولا عن وجوده، وأبعد مكانا عن عالمه من مخلوق لطيف الجسم والشعور، هي المرأة، يقذف بها الي مزدحم التنانير، ومضطرب العدد والمراجل

تحققت من هذا كله فعمدت الي اسرة تناسب اسرتي مكانة وأدبا، فخطبت اليها عقيلة من عقائلها، فما مضت شهور حتي انتقلت الي نفس العالم الذي يحمله احدنا فى خياله، فما رأيتني مخدوعا بأوهامي، ولا مغرورا بأحلامي

نعم آنست مخلوقا لم يبلغ اقصي درجات الكمال الانساني ولكنه قابل للتكمل، اذ لم يتعد سن التعلم

فان سألتموني اليوم عن مبلغ سعادتي، قلت يكفيكم مني اني لا أريد المزيد والحمد لله على ما منح، حمدا يبلغ مداه، ويوجب رضاه

قال الوجدان : فوالله لقد غبطه اخوانه حتي كادوا يحسدونه، وماز الوا ينثرون عليه من درر التهاني حتي استعفاهم، ثم قال لهم :

اخواني لقد وضح الصبح لذى عينين، واصبحتم بحمد الله جامعين من هذا الامر بين العلم والتجربة، وليس بعد هذه المرتبة درجة في الايقان، وها هي البلاد على باب فتنة عمياء من هذه الوجهة، فهل لكم ان تقدعوا بتجاربكم هذه انوف المكابرين الذين يتجرون بهذه السفسطة الشنيعة، مستخفين تحت ستار المدنية الكاذبة والفلسفة الباطلة ؟

قال اكبرهم : والله يا ابن اخي الفتنة غالبة، والابصار كليلة، والحقيقة اضيع ما تكون بين الهوى والتقليد

وقال الاوسط : أراني والله الآن وقد رفعت عني غشاوة الفتنة بهذه المحنة الصارمة، كأني كنت مسحورا بمؤثر يغلب الارادة ويفوق الطبيعة، والا فكيف كان يغيب عني حقيقة ماستنتهي اليه حالنا مما ألقينا بانفسنا فيه بارادتنا ؟

وقال الثالث : لعل الله بما حكم علينا بهذا الابتلاء الشديد، قد هيأنا لان نكون حججاً دامغة تؤيد الحقيقة بحالنا وقالنا، وان لم يكن لنا الا هذه الدرجة العليا لكفانا بها مغنيا بعد جهاد اربع سنين

الوجدية السادسة عشرة

قال الوجدان :

فُطرت على حب الغريب من كل شيء ، فكنت أتحرى الغرائب فيما أقرأ وفيما أبصر مغتبطا بهذا الميل في نفسي لانه دفعني الي الوقوف على ما سُتر عن الاكثرين، وحجب عن غير الافراد الممتازين، فطالبتني نفسي برؤية شيء مما أتوق اليه، ولكن أنّى لى ذلك وانما الاعاجيب لاتجيء الا اتفاقا، فلما لم أجد لغلتي منقعا، ولا لاهوائي مرتعا (١)، ضاقت نفسي وجاشت (٢)، فاندفعت الي الشارع رجاء ان تلهيني ضوضاء السُوقة ، وجلبة الباعة والمارة، وتوقى خطر المركبات المتنوعة ، عن تلك الرغيبة التي تنازع نفسي . فاستدرجني السير من طريق الي طريق ، حتي انتهيت الي زقاق ليس به احد غير شيخ عليه عباء ، وكأنه من الغرباء ، فلم يلفت لي نظراً ظنا مني انه قروي جاء الي القاهرة لبعض شؤونه ، فوالله ما حاذيته وأنا غافل عنه حتي بدرني بقوله :

أأقل من السلام ، يا كاتب الاسلام ؟

فالتفت دهشا وقلت سلام الله عليك ورحمته وبركاته

قال: وعليك مثل ذلك ياوجدان

قلت : لا تؤاخذني بما اهملت، كأنك تعرفني وما اذكرك، فهل لك، ان تذكرني بسابق العهد أيدك الله؟

قال: كنت جارك في عالم الروح قبل ان نسجن في هذه الاجساد

قلت: أو تذكر ذلك العهد؟

قال: ان قشطت من ذهنك ركام الاهواء والرغبات، وخلصت جوهرك من ادران

---

(١) منقعا من نقع ظمأه اي بله

(٢) جاشت اضطربت

الهموم والرعونات ، تذكرت ماوراء ذلك (١)

قلت:اهدني لطريقه ، اكرم الله وجودك ، وادام تأييدك

قال لست من اهله الآن ، فامض لما انت بصـدده من تطَلب الغرائب ، وتلمس العجائب

قلت:والله كأني بك مطلوبي اليوم

قال:لا،ولكن ان شئت ان تشهد مشهدا من اغرب مايروى لاهل هذا الجيل، فانطلق حتى تنتهي الي آخر الشارع،ثم مل جهة اليمين تجد عطفة،فقف هنالك هنيهة فسيمر بك شيخ طويل اللحية ، قويم المشية، ممسك بيده هراوه ، ومعلق فى جنبه إدواة (٢)،فسر خلفه من بعد ولا تكلمه ، ثم انظر مايكون بعد ذلك

قال الوجدان : ففعلت كما قال،ووقفت حيث اشار،فما هي الا هنيهة حتي اقبل ذلك الشيخ الطويل اللحية يمشي لايلوي على شيء،كأن له غرضا يسعى اليه،فتبعته من بعيد حتي شارفنا الخلاء ، وانعزلنا عن الدهماء ، فالتفت وراءه فرآني

فقال: ايه ياوجدان؟

فأقبلت اليه مسلما،فرد علي متبسما،ومددت اليه يدي فصافحته ، ثم أملت رأسي لاقبل يده ، فجذبها بشيء من الشدة واخذ يضحك ثم قال :

ماالذي دفعك لتقبيل يدي ياهذا؟أطول لحيتي امضخامة هراوتي؟ألا تمكن ان تكون يد محتال ، او مدنس دجال ؟

قلت: بل لعرفانك اسمي ولم تخبر عني

قال : عجبا لك ! ألا يحتمل اني رأيتك في المدينة قبل اليوم،فسألت عنك من يعرفك ؟

قلت: يجوز ذلك ، ولكن سيماك تدل على نفس زكية، وحال مرضية

قال: لشَدَّ ما بلغت منكم سرعة التصديق يابني مصر،فكم حسن المظهر،قبيح المخبر

---

(١) الركام الشيء المركوم بعضه فوق بعض.والادران هي الاقذار جمع دَرَن

(٢) الهراوة العكازة . والاداواة اناء صغير من جلد

قلت وان الذى تقوله لأدل دليل على صدق فراستي

فضحك مقهقها ثم قال: ما اكثر مايكون التواضع حبالة لصيد، ومقدمة لكيد

قلت لقد انشرح صدرى لك والسلام

فصاح قائلا : أواه أواه، ما أبعد شمائل الاسلام عنكم يا بني مصر، ألا يقول دستوركم «وعسي ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم»

قلت الخلاصة اني اريد ان اصاحبك اليوم

قال لا والله حتي تقر بالخطيئة ، وتعزم ان لا تعود الي هذه السذاجة

قلت قد اقررت وعزمت

قال اذن طابت الصحبة ، فأغمض عينيك

فما كدت افعل حتي شعرت بهزة فجائية، كأن تيارا كهربائياً انساب فى جسمي، ثم قال افتح عينيك

ففعلت فرأيتني في ارض غير ارض مصر، بين جبال شامخة، وسهوب مترامية (١) ووديان وعيون لم اعهدها ، فقلت لصاحبي أين نحن ؟

قال فى جزيرة الغرائب

قلت اين موقعها من الكرة ؟

قال كرتنا ام كرتكم ؟

قلت اوهنالك كرتان ؟

قال سبحان الله ياوجدان

قلت من كرتنا ؟

قال فى محيط العجائب

قلت ماسمعت به قبل اليوم

قال معذور، فانك لم تقرأ الجغرافيا

قلت والله لقد نلت فيها أرقى الشهادات في مصر

---

(١) السهوب جمع سهب وهو المستوي البعيد من الارض

قال: ولكنك لم تقرأ سطرا من جغرافية القوم

قلت ومن هم أولئك القوم ؟

قال: هؤلاء، واشار ذات اليمين

فالتفت فاذا برجال كامثال الكواكب، يقبلون جماعات ومثنى، في أبهة الملوك وفخامة الاقيال(١)، عليهم أردية بيضاء، ومطارف زهراء، فتداخلتني منهم خشية، فقلت لصاحبي : أملوك هؤلاء ؟

فضحك صاحبي وقال : بل عبيد، وأنشد :

عبيد ولكن الملوك عبيدهم   وعبدهم اضحي له الكون خادما

قلت: لعلهم الابدال ؟ قال انتظر فسوف تعرفهم

قال الوجدان : فمروا بنا مسلمين، واقبلوا على صاحبي محيين، فشممت لهم أريجا ماعهدت مثله طيبا، ولا آنست له ضريبا

فالتفت بعضهم الى صاحبي وقالوا: من الذي معك، وكيف سمحت له ان يتبعك؟

فقال لهم متبسما : هذا فتي من فتيان المعاني، يوشك ان يدرج من عش حكمتكم فيلتحق بكم

قالوا: ماشاء الله، واقبلوا اليّ، يدعون لي ويباركون عليّ

ثم قال قائل: هلموا فقد جاء الموعد، فمشينا الهوينا حتي وصلنا الى سهل فسيح من الارض، قد احدقت به ربوات معشبة مزهرة، قامت حواليه كأنها أرائك سندسية اعدت مقاعد للمتفرجين. فصعد القوم عليها واخذ كل منهم مكانا يشرف على البسيط الذى بينها. ثم التفتنا فاذا في وسط هذا المجال رجلان كانهما يتاهبان للبراز، احدهما شيخ قد حني الدهر صعدته، وبيض لحيته، والآخر شاب يفيض قوة، ويتيه فتوة

فكانت اسلحة الشيخ رمح طويل، وسيف صقيل، وقوس موتورة، ومجن عريض، وقد لبس درعا سابغة، وتقلنس بخوذة من حديد، وعلي يمينه مجانيق كبار، وركام من احجار

(١) الافيال جمع قيل وهو الملك. وقيل لا يطلق الا علي الملك من ملوك حمير خاصة

اما الشاب فكانت آلاته عضب جراز، ومسدس من آخر طراز، وعلى يمينه مدفع مكسيم، وبين يديه آلات الكهرباء، وعدد مختلفة الاشكال

فما هي الاهنيّة، حتى صاح الشيخ بقرنه صيحة شموخ وجبرية (١) قائلا: هلم الى البراز أيها المغرور بنفسه، المفتون بباطله، المدل بغوائله(٢)، تفاخرني بالظواهر المزوقة، والقشور المنمقة، وتساميني بالاكاذيب المزخرفة، والاباطيل المفوقة(٣)، وتمني نفسك بزعامة الانسانية دوني، وقيادة الارواح بمدى، فكنت كمن يحاول ان يقود الجوزاء، بحبال من هواء (٤)

اغرك ياهذا ماجللني من المشيب، وقوس ظهري من التجاريب (٥)، فحدثتك نفسك بنزالي، والخفوف لقتالي، ولم تدر ان بين جوانحي قلبا لا تزعزعه الاهوال، وفي ذراعيّ حولا يستنزل العصم من الجبال (٦)، ألا انك مني على حد ما قيل:

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضِرْها واوهي قرنه الوعل(٧)

فقال الشاب:

ايها الشيخ الفاني، والهرم العاني (٨)، لست والله مغرورا بنفسي، ولا مفتونا بباطلي، ولا مدلا بغوائلي، وانما هو الحق الصراح، والرأي الرجاح. فلقد أديت ما عهد اليك، وقمت بما وجب عليك، فى زمان كنت به اولي، وباهله اشبه، فسعدوا بلك السعادة التي قدّرت لهم، ثم انقضي دورك ودورهم. وهذا زمان جديد، له شؤون

---

(١) الهنية اصلها الهن، وهو اسم جنس معناه شيء، يقال هذا هنك اى شيئك. والانثي هنة وتصغر على هنيهة ومنه يقال (امكث هنيهة او هنية) اي ساعة يسيرة. والجبرية الكبر

(٢) المدل اي المتدلل

(٣) المفوفة اى المخططة يقال (ثوب مفوف). والاباطيل المفوفة هي المزخرفة

(٤) الجوزاء برج في السماء (٥) جللني غطاني (٦) العصم جمع اعصم وهو من الظباء والوعول ما في احدى يديه او كلتيهما بياض وسائره احمر او اسود

(٧) الوعل تيس الجبل (٨) العاني الاسير

ومقتضيات،وامور وحاجات،لست منها في مَراح ولا مغدَى،فاترك لي سلطان الارواح،وقيادة الاشباح،عن طيب نفس وسماحة قلب،والا أصليتك نار القتال ، وأذقتك منه شر نكال

فقال الشيخ وقد بدت عليه دلائل الأنف،ولوائح الصلف،تزعم ان زماني قد ولى ، وان ترك الزعامة لك اولي ، وغفلت عن اني الروح الخالد ، والاثر التالد

فتزيدني مر الليالى جدة وتقادم الايام حسن شباب

لقد توليت الانسانية منذ نشأتها،فربيتها في طفولتها،وهيمنت عليها في شبيبتها، فأنا روحها المحرك لها،وحياتها التي تحيا بها،فما انت ومن اين نشأت،وما هذه الحقوق التي اليها طمحت ، وفيها طمعت،فخفض من غلوائك،واعرف حقيقة دائك، والا جعلتك مثلا للآخرين،وعبرة للمعتبرين

فقال الشاب،تخف ايها الشيخ لقتالي،ويغرك قلة احمالى،ولو كنت تدري ان اقل ما لدى فيه القضاء المبرم،والبلاء المحتم،لاشفقت على نفسك،ولنجوت برأسك، فتنازلْ عن هذه المزاعم ، وخل لي القيادة العامة وانت راغم

هنا هاج الشيخ وثار،وعمد الى سيفه البتار،وتقدم الي الفتي بقلب يتقد حقدا، وعين تُشع وقدا

فلما آنس الفتي منه هذه العزيمة،امسك بيده مكسيمه،قال الوجدان فتحققت ان الشيخ هالك،وكدت اصيح على من هنالك،ان يتداركوا امره قبل الفوت،وينقذوه من مخالب الموت،وما كاد هذا الهاجس يطوف برأسي حتي رأيت شابا قد كللته الاريحية، ووسمته النجدة الاسلامية،اسرع من بين الجماعة الي الميدان ، وهو يصيح مهلا أيها الرجلان،فأمسك كل منهما عن الاسترسال،ووقفا على طرفي المجال،وجاء هو فوقف بينهما،ثم نظر الي الشاب بامعان،والي الشيخ بعطف وحنان،ثم اشدو والدموع تذرف من عينيه ، والجموع تنصت اليه وقال :

رجلان يقتتلان فى ميدان شيخ الشيوخ وصفوة الفتيان
وكلاهما يبغي لصاحبه الردي يخطو له بمثقف ويماني

يرنو اليه بمقلة تنبي عن الـ حقدالورَي وجاحم الاضغان(١)
ويريد ان يقضي عليه ولو دري من قرنه لقضي من الاشجان

ثم نظر الي الشيخ وقال : أيها الشيخ ألست التليد بن عتيق ؟

قال : نعم

ثم نظر الي الشاب وقال : ايها الشاب ألست الطريف بن تليد ؟

قال : نعم

فقال الحكم بينهما: ياسبحان الله فعلام تتنازعان، وكيف تختلفان فتقتتلان؟ ثم نظر الى الشيخ وقال :

ايها الشيخ ان هذا ولدك بضعة منك، انفصلت عنك فهي انت ، فان رأيت لها استقلالا ذاتيا، وتميزا شخصيا، فما ذلك الا لتبقي في شخصه الي امد، ولتحيا بعدحياتك به الى حين

فاحتفاظك به هو احتفاظك بوجودك، والاقرار له بخلافتك هو اقرارك بخلودك، ولوكان الخالق مخيرا احدا في وسائل البقاء بعد الموت في هذا العالم ، لما اختار غير ولد يحيا به، فاعرفه معرفة الابوة، وافرح بما رزقه الله من قوة، واعلم ان ما بين يديه من هذه العدد المهلكة ، والآلات المدمرة، وان دقت عن الفهم، وعلت عن المدارك، الا انها ثمرة ماالديك، ونتيجة لعمل يديك

قال الوجدان : فرأينا والله وجه الشيخ قد تهلل سرورا، وتألق حبورا، وكاد يلقي بنفسه على ولده، لولا ان ذلك الحكم التفت الي الشاب وقال :

ايها الشاب علام تقاتل اباك، وترصد له الهلاك، وانما انت للآن ثمرة لم تنضج، وزهرة لم تتفتح، أغرك ماالديك من عدد وآلات . واجهزة ومعدات، فقمت تنازعه القيادة، وتجاذبه السيادة، وانما الملك لاينال غصبا، ولا يستقر لصاحبه نهبا. لقد كنت تستطيع ان تقتل قرنك في مثل لمح البصر، وقبل ان يتحرك ليصل اليك ، فيموت

---

(١) الورَى اى المتقد. والجاحم الجمر الشديد الاشتعال من جحم النار بجحمها أوقدها

بما حمل في صدره من اسرار الانسانية، وتاريخ ادوارها في المدنية، ولو علمت ان المستقبل مرتبط بالماضي، بل هو نتيجة مقدماته، وثمرة مغروساته، لتحققت انك بقتل والدك، كنت قاتلا نفسك، لان الارواح لا تنقاد الا لممثل حياتها، ومشخص تاريخها، الجامع بين يومها وأمسها، فمن اين لك هذه المكانة ان لم تجمع الى ماعندك ماعنده من تليد المعارف، وعتيق التقاليد، وقديم العادات حتى تصل بين حلقات الاحوال الانسانية، وتربط بين اطرافها برباط الوحدة التاريخية

الآن وقد تحققت ان قِرنك اباك، وتحقق هو ايضا ذلك، فيجب عليك ان تتقدم اليه مستغفرا، وبجهلك اياه معتذرا، ثم تقبل يديه، وتنضوي اليه، لا تنازعه في حكم، ولا تزاحمه في غاية، وهو متى آنس انك اقدر على الاداء، وأجلد على العناء، قدمك واستعانك ووكلك في شؤونه وأنابك، وأمدك من حكمته وتجاربه بما يعودك على السير في المناهج، ويرشدك في المخالج

قال الوجدان: فوالله لقد خر الولد صعقا حين علم انه يقاتل اباه، واخذ الشيخ ينشج في بكاء، ثم افاق الفتى من غشيته وتقدم لصاحب ابوته، وانحنى امامه متواضعا، ثم اخذ يقبل يديه خاضعا، فضمه الشيخ الى حضنيه، وقبله بين عينيه، ثم انطلقا مثنيين على ذلك الانسان، داعيين له باحسان

قال الوجدان: فوقف ذلك الوجيه وسط الميدان، وقال اسمعوا ايها الاخوان: ان للقديم فضلا لا ينكر، وللحديث شأنا يؤثر، وخطراً يجب ان يذكر

في القديم اصولنا وتقاليدنا وعقائدنا ولغاتنا وخيالاتنا، فهو مهد الانسانية، وعش الحقائق الاولية، منه درجت شخصيتنا، وبه تمثلت انسانيتنا، ففي نسيانه نسيان الاصول وهجر العقائد، واماتة اللغة، وفقد لصورة الماضي التي لا مسرح لنفس انسانية الا فيها ولا مرتاض لعواطفها الا بها، فنكون كأننا خلقنا الساعة كهولا بغير طفولة، او شيوخا بغير كهولة، لا يرتبط الحاضر بالماضي في اذهاننا رابط، ولا يجمع بين آثار انفسنا جامع، فنكون كأننا سقطنا من السماء فجأة، ونبتنا من الارض بغتة، والانسانية لا تحيا الا بأولها، ولا ترقى الا بتاريخها، ولقد حدث ان تناكر القديم والحديث، وهما ولد ووالد وطريف وتالد، وكاد تناكرهما يفضي الى ازهاق احدهما لروح صاحبه، فان بقي

القديم وحده رجعت الانسانية القهقرى، وان تفرد الجديد بالسلطان اركبها مراكب الهوى، فكان الحق ان يتعارفا فيصطلحا ليستقيم الحال، ويحسن المآل. وقد تم ذلك والحمد لله

قال الوجدان : فآنست من تلك الجماهير هزة ارتياح، ونشوة انشراح، ثم اخذوا يعودون الى حيث أتوا، فأردت ان اتعقبهم، لاعلم مستقرهم، فقال لي صاحبي الي اين؟ قلت الى حيث يذهب الناس

قال مهلا مهلا ، اغمض عينيك

ففعلت ممتثلا، ثم فتحتهما فرأيتني وحدي على اول العطفة التي وجدت بها صاحبي وليس معي احد ، فعدت الى البيت، متعجبا مما رأيت

الوجدية السابعة عشرة

قال الوجدان :

دخلت يوما الي عالم الخيال استعرض مجاليه، واستشرف مراميه فبينما انا اسير في موامیه، واسلك في معاميه، اذ ظهر لي بيت رفيع البناء، حسن الرواء، يشف ظاهره عن ثروة بانيه، وتنم حاله على شرف ساكنيه. وكان التعب قد بلغ مني فملت الي جداره لأتفيأ من ظلاله، فلحظني صديق لى كان سامرا مع رفقة له في حضرة صاحب تلك الدار، فخرج الي مسرعا وسألني عن سبب الوقوف فأخبرته ، فرجاني ان ادخل معه فأجبته، فحياني صاحب الدار وبياني، وبذل من البشر ما استوجب شكراني. وبينما نحن جلوس نتهادي درر الكلام، اذ دخل علينا احد الخدام بابتسام، وقال بالباب رجل ذو اطمار يقول انه عابر سبيل ويستأذن على مولاي في الدخول. فقال له صاحب الدار: ليدخل. فدخل رجل يناهز الستين، عليه سيما الصالحين، وبيده هراوة السائحين، فقال بصوت جهير (السلام عليكم !) فرد عليه صاحب المنزل من طرفي شفتيه، وتنحنح بعض من فى المجلس غيرة عليه ، ولم يأمره احد بالجلوس، فجلس حيث انتهي به المجلس

ثابت الجأش حاضر الحواس. فتركه الحاضرون وشأنه فما منهم احد حياه بتحية، او نفحه بعبارة مرضية، وكان هذا المجلس حاويا من وجوه الناس من يشار اليهم بالبنان، ويعدون من سروات الاعيان، عرفني بهم ذلك الصديق واحدا بعد واحد، وذكر لي نبذة من تاريخ كل منهم وسيرته، وكشف لي عن مجمل ثروته. وكنت ادركت ذلك مما كان يلوح عليهم من كبر وجبرية، حتي كانوا وهم من طبقة واحدة لا يتكلمون الا تصنعا، ولا يتحركون الا تكلفا. تزاحموا على صدر المكان حتي تراصوا فيه تراص الاحجار في البناء، وحرص كل منهم على مركزه حرص البخيل على درهمه، وهما منهم ان من عداه هذا المحل فقد عدته الابهة، وفاتته العظمة

قال الوجدان: فبينما نحن جلوس وقد دار بيننا الكلام دوره، اذ تراكض الخدم وتراصوا متأهبين لاستقبال عظيم من العظماء، واسرع مقدمهم الينا يخبر بتشريف السرى فلان، فخف صاحب الدار لاستقباله، واخذ كل من فى المجلس يستعد لاقباله، بتعديل سرباله، وتسريح سباله. فما كانت الا لحظة حتي اقبل يتبختر عن يمين صاحب الدار، فنهض كل من فى المجلس وتسارعوا لمصافحته، وأحلوه من بينهم محل الواسطة من العقد، وهو من التعاظم بحيث ما كان يتنفس الا تصنعاً من شدة ما أخذ حب الابهة باكظامه

قال الوجدان: كل ذلك حاصل وذلك الغريب يلحظنا من طرف خفى، ويسارقنا النظر بقلب شجي، ولكنه في جميع حركاته وسكناته لم يتعد حد الادب، ولم يأت بما يلام عليه الفقير امام اصحاب الرتب، ثم جاءت القهوة فتناول كل من بالمجلس فنجانته، الا ذلك الغريب فلم يلتفت اليه بالكرامة احد . فلما مضي دور القهوة، التفت ذلك السرى الى صاحب الدار وسأله عن شأن ذلك الغريب ، فأجابه بأنه عابر سبيل استأذن فأدخل، فأعرض ذلك السري بجانبه اشارة عدم الرضي بما سمع، ولحظ ذلك منه صاحبه فتطلب مراضيه باغضاب الفضيلة، فالتفت لذلك الفقير وقال له: ايها الرجل اخرج فاجلس مع الخدم فان لك معهم مجالا ليس لك هنا، ولعلك قد ضاق صدرك من ادمانك الصمت. فقال الرجل: اما الصمت فليس عن حصَر، وان شئت أتهمت فى البيان وأعرقت، وسلكت من مهايعه ما سلكت، ولكني اصغى لاتعلم، واصمت لأسلم

ولو حدث لي معكم موجب للكلام لتكلمت من غيرا بلاس،وهل انتم الا من بعض الناس؟اما الخروج عن حضرتكم . . . . فقاطعه صاحب الدار بشدة وقد آلمته جرأته : ايها الرجل ان محض حصولك على البيان،لايسمو بك لمجالسة الاعيان. فان لكل رتبة رجالا، ولكل فريق اشكالا،فلا تكثر الكلام،واخرج بسلام. فصاح الجميع اخرج اخرج فقد خرجت عن حدود الادب ، وترفعت امام اصحاب الرتب.

فالتفت اليهم وقد تبيغ دمه ، وظهرت عليه سمات الحمية وقال : بئس القوم انتم ، أتجعلون الاموال ، موازين الرجال ؟ فيقول الله : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وتقولون انتم ان اكرمكم عندنا اغناكم ؟ أحكم الجاهلية تبغون،ام طريق الجبابرة تسلكون؟أف لكم ! قد اصطلح الاحياء على جعل التفاضل بالاعمال،والتمايز بالجد في تحقيق الآمال،وجعلتم انتم التمايز بالحطام الفاني،والعرض الزائل. فلقد ارحتم انفسكم من حيث تعب الكرام

ايه! أبالاكل تفتخرون يااساري البطون،واحلاس المطلب الدون،انظروا وتدبروا في احوال الحياة لتدركوا ما يجب على الاعلين امام اممهم،واي شيء من كبريات الاعمال يناط بهم.أتحسبون أنكم تدعون كبارا ولم تفعلوا فعل الاكابر،وتعظمون في نظر الناس وانتم اقل نفعا لهم من الاصاغر؟ماذا يعود على الامة منكم ان اكلتم من الالوان عشرين،او لبستم من الحرير الثمين،اوركبتم من الخيول الجياد،أوسكنتم في السبع الشداد، مادمتم ابعد الناس عن برها ، واقصرهم باعا في نفعها ؟

ارى الكبر قد سقاكم من شرابه كأسا رمت اعناقكم بالصعر،وخدودكم بالصعر، وانفسكم بالبطر،فأثقلت اجفانكم،وعقدت ألسنتكم،واضعفت حركتكم،حتي صرتم بالاشباح اشبه،والي التماثيل اقرب.فرحماكم انفسكم ايها الاسري ففكوها من هذه القيود الوهمية،واخلعوا عن اعناقكم هذه الانيار الشيطانية،وخلصوا عقولكم من هذه الغواشي الجاهلية،ولينظر كل منكم لنفسه،وليقس غده على امسه،وليلق بنفسه بين يدي العارفين بدائه،الواقفين على سر بلائه،بتواضع المريض لاطبائه،والقاصر لاوليائه،وليستشعر الرفق بنفسه،والرحمة بذاته،فلقد لقيت منكم بالجهل مالم تلق من أعدائها ، وشقيت بكم مالم تشق بأهوائها

ايها الكثيرون فى السفاسف ، القليلون في الموارف، الشجعاء امام الحرمات ، الجبناء حيال المكرمات، السراع الى الدنيات، البطاء في الكمالات، الثقال عن الاعمال، الخفاف في القيل والقال، هم احدكم بيت يزخرفه، ومال يتلفه، وعرض ينتهك حماه، وخزية يعصي بها مولاه، حتي شقيت بكم بلادا نتم من سادتها، وذلت امم انتم من قادتها، فاصبحتم جراثيم الداء الدفين، وحقت عليكم آية المترفين «واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا»

قال الوجدان : فرأيت الحاضرين قد حاروا في امر هذا الرجل الجريء، واخذ بعضهم ينظر الي بعض، فأردت ان احمسه ليزيد، واهيجه لنستفيد، فقلت: ايها الرجل لقد غلوت فى الانتصار لنفسك، واغرقت في الحط من مقام هؤلاء السريين. فقال بصوت جهوري، ولسان جرى: انما السري من عقل، لامن اكل، ومن نفع لا من جمع، ومن تكرم لامن تجرم، ومن لانت خلائقه، لامن توالت بوائقه، فمن ادعي انه مسك فليتضوع، ومن زعم انه نور فليتألق، ومن ظن فى نفسه مزية فلينفح، فكل اناء بالذي فيه ينضح، اما التطاول الي مقامات السراة بمحض جمع الدنانير، وتجهم الفقير، وتصعير الخد تكبرا، وامالة العنق تجبرا، وجعل المشية تبخترا، وعدم الاختلاط الا بأهل الثروة، وصرف العمر بين الملهي والقهوة، فليس من صفات السريين، ولا من سمات الاعلين، ولو كان سراة الامم على هذه الشاكلة لهلك الفقراء ، وعمت الجاهلية الجهلاء، وذهبت ثروة الامة في شهوات الاغنياء. ثم التفت لاهل المجلس ورفع عقيرته بينهم منشدا :

ياايها النفر الغالون في السرف	رفقا بأنفسكم من هوة التلف
قوموا انظروا لسراة العالمين وما	يأتونه من خصال المجد والشرف
لم يجعلوا همهم حشو البطون ولا	حسو الكؤس ولا الاغراق في الصلف
بل هاجهم لبناء المجد افئدة	عطشي الي المجد لم تفسد من الترف
نمتم فهنتم فما أغنت مطابخكم	عنكم ولا عاليات الدور والنجف
ورب ساحب وشي لو تخاطبه	وجدته من ظلام الجهل في سدف
ليس السري الذي للبطن حيلته	بل السري اخو الهمات والشظف

كانت اوائلكم اعلام اعصرهم علما وفضلا وكانوا اكرم السلف
فلم نكصتم على الاعقاب بعدهم وختمتوهم فكنتم أسوأ الخلف

قال الوجدان : فالتفت للقوم فاذا بهم صموت بهوت لايحيرون جوابا ، ولا يستطيعون خطابا.قد عرتهم غشية الحيرة،وعلتهم خشية الحسرة.فجرأت نفسي وقلت له : ايها الرجل من انت،ومن اين اقبلت،والى اى جهة قصدت،اعطنا مجملا من امرك، واطلعنا على حقيقة سرك،واتخذنا تلاميذ نسترشد بهديك،ونستضيء برأيك.فقال: اما انا فانسان، قد اقبلت من عالم لا اعرفه،الي وجود ليس المسئول عنه باعلم من السائل. اما اتخاذي اياكم تلاميذ تسترشدون بهديي،فهل كنت اهدى لكم من القرآن،واوعظ من طوارق الحدثان،قلت:انما نريد ان تعرفنا نفسك على حسب العرف فتذكر اسمك، واسم ابيك وبلدك وعشيرتك،وتبين لنا كنه حقيقتك.فقال:هبوا ان اسمي هيان بن بيان،من اذربيجان،من بني ساسان،او افرضوا اني فلان بن فلان من بني فلان.ثم سلم وخرج. فعزعلى ان تفوتني معرفته،فهممت ان امسكه لامنعه الخروج،فما كدت احتضنه بين ذراعي حتى انقلب عصفورا،وطار فوقف على النافذة،وهز رأسه الى بالتحية، وصفر صفرة بلبلية.ثم رفرف بجناحيه،وتركني اتحرق عليه.فتحققت عند ذاك انه صديقي مليك البلابل،وخطيب الخمائل، فضاع رشدي من كثرة العجب ! فاستأذنت رفقتي فى الانصراف وقد عراهم من الدهش ما عراني ، ويممت ايكتي المعهودة فوصلتها فوجدت صديقي البلبل فى انتظارى.فقلت ما أعجب ما أريتني منذ اليوم.قال وما ذاك؟قلت ما كنت اخال ان اراك رجلا وقد كنت عصفورا .قال وما يمنعك ان تصير عصفورا وقد كنت رجلا؟قلت: لا استطيع ذلك — قال : متي تمكنت في مرتبة الانسانية،وقشرت عن نفسك هذه الغلف الطينية،نلت هذه الدرجة السنية — قلت: لم افهم ما قلت — قال:لله درك ما احسن اقرارك بالحق — قلت:اشرح لي ما قلت وقاك الله الضير ـ قال:هذا كلام يذاق ولا يشرح، فان لم تجد شرحه في نفسك فلا تطمع ان تفهمه من احد بعدك ـ قلت: لقد بالغت للقوم في النصيحة ،فهل رأيت ابلغ منك؟ ـ قال: نعم ـ قلت ومن هو؟ ـ قال: الحوادث ـ قلت: اوللحوادث لسان ؟ ـ قال: نعم يسمعه من له قلب ـ قلت:أوتنفع النصائح لمن قضي الله عليهم

بالانحلال ؟ ـ قال ومن اين لنا العلم بهذا القضاء ؟ ـ قلت ظواهر الاحوال ـ قال وهل الظواهر تورث اليقين، وقد شوهد تخلفها في كثير من الاحايين؟ ـ قلت ما قولك في البائسين؟ ـ قال قد حكم عليهم رب العالمين، في كتابه المبين. ثم قال ياوجدان ان في كتاب الله آية يجب ان يحتج بها المصلحون، ان هزىء بهم القانطون وهي قوله تعالى: «وقالت طائفة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا، قالوا معذرة الي ربهم ولعلهم يرجعون». فيجب على المصلحين ان يدعوا الى الخير ما استطاعوا فان أجدى جدهم، كانت لهم المثوبة في الآخرة، وان اكدي كدهم كانت لهم عند الله المعذرة ـ قلت عظني ـ قال كفاك ماسمعت فان للقلوب سآمة فاحذروها، وان آنست منها نشاطا في أمر فلا تستنفده كله فتوشك ان تطلبه بعد ذلك فلا تجده ـ فقلت أتأذن لى في الانصراف؟ ـ قال لاحتي افاكهك بقدر ماوعظتك فاني اكره ان يثقل عليك الوعظ، فلا تجد في نفسك ما يخف بك الينا، فان الانسان شديد النفور من الحقائق وان ادعي انه يحبها ـ قلت الرأي ماتراه ـ قال صفني شعرا ففكرت قليلا ثم أنشدته :

وبلبـل من مـلوك الجو لذت به   فلم ترق بعده لي صحبـة الناس

كأنه بحر علم لا قرار له   مع انه لم يزد في الحجم عن كاس

فضحك وقال شكرا لك، ولكن أراك قد قارنتني بالكاس، وشتان بين جامد وحي. فما هذا الضرب من المفارقات ؟

قلت لما ذكرت انك بحر علم لاقرار له، اردت ان استنزل عجب الناس من انك كذلك مع ان جسمك صغير لايزيد عن القدح الصغير، فكيف وسع البحر الكبير. فضحك حتي اغرق، ثم قال لقد اردت التشبيه فعداك الانسجام، وفاتتك الطلاوة، وفوق هذا فقد جانبت الصراحة فقلت مالايجيش في صدرك عني. فهلا قلت :

وبلبـل من مـلوك الجو همت به   ياحبذا لو بدت في صيده فرص

فانه وان استعلت مواهبـه   طير واولي به من ايكة قفص

ثم قهقه قهقهة بلبلية، وقال أليس كذلك ياأخا البشرية ؟

فقلت كلا ! يعز على ان اجعلك اسيرا، وقد اتخذتك سميرا، ولكنك لو اتخذت

داري عشا، ومغناى وكرا، لوجدت مني ما تعرف به قدر وفائي، وحقيقة اخائي — فقال: الحق، لا امان للانسان، مادام متقلب الجنان، ومعرضا لدواعي الجثمان، فخلنا احبابا من بعيد، لنستديم بالوفاء ودنا الاكيد

الوجدية الثامنة عشرة

قال الوجدان:

اجتمعنا ثُلة (١) من الاخوان بدار احدنا في يوم رق نسيمه، وراق أديمه، فأخذنا نفتنّ في ضروب من الكلام، ونتنقل في شجونه (٢)، فمن خبر مستغرب، الي بيت مستعذب، ومن كلمة نابعة، الى حكمة بالغة، ومن حقيقة علمية، الى نادرة فكاهية، فلما بلغ بنا الجلوس نصابه ملنا الي الحركة، وكان مجتمعنا بمصر الجديدة، فخرجنا الي الصحراء، نستنشيء نسيم الخلاء، فسرنا نحو ساعة وبدت لنا سرحة مورقة الأفنان، فرأينا ان نتفيأ ظلها للاستراحة ساعة اخرى، ثم نعود الي دُورنا على نحو ما كنا نفعل في بعض الايام. فما شارفنا السرحة فى هذه الدفعة حتي ألفينا تحتها رجلا تدل ملابسه على انه من اهل البداوة، فتوسمناه، فاذا هو شيخ يناهز الثمانين، قد شاب كل ما فيه حتي حاجباه وأهدابه، الا ان عينيه كانتا تفيضان فتوة، واعضاءه تقطر ضلاعة وقوة، فلما قربنا منه حييناه، فرد علينا، ولم ينظر الينا، ثم ما زاد وما زدنا، فجلسنا مستثقلين حضرته، متمنين قومته، الا انه سدك بمكانه، واشتغل عنا بشانه، وظهر من عدم اكتراثه بنا انه من الجفاة الأقدام، والبداة الانعام، من الذين لا يفقهون قولا، ولا يمتازون عن سائمتهم الا شكلا، فأخذنا فيما نحن آخذون فيه غير مبالين بوجوده، ولا برمين بقعوده، وما زلنا نجول من الكلام فى كل مجال، ونصول بالتحاور في كل مصال، حتي أدت

(١) الثلة الجماعة (٢) أديمه اي جلده. ونفتن من افتن في حديثه اى اخذ في فنون منه. وشجونه اى فنونه جمع شَجَن وهو الشعبة من كل شيء

بنا فنونه الي ذكر الاخلاق، وطيب الاعراق، فقال اخونا (د...) لقد صدق شاعرنا حيث قال :

وليس بعامر بنيان قوم اذا اخلاقهم كانت خرابا

فسأله (ك...) ماذا تقصد بالاخلاق؟ تلك الكلمة التي لا كها كل لسان، في كل مكان وزمان؟ أهي عنقاء مُغرب، ام هي اكسير الكيماويين الذي هلكت اجيالهم الوفا من السنين في تطلبه فأعياهم ؟

فقال (د...) عجباً عجباً أتشك في وجود الاخلاق، أو في انها قِوام الحياة الفاضلة، و مِلاك السعادة الكاملة ؟

فقال (ك...) انا لا اشك في وجودها، وكيف اشك في شيء اراه حتي في الحيوانات العجم، ولكني استنكر زعم من يدعي انها تتكيف على ما يوده الوعاظ والمتكلمون، ويهواه الفلاسفة والخلقيون

فدخل في هذا التحاور (ن...) فقال : أتريد ايها الاخ ان تقول انها فطرية كما هي عند الحيوانات ؟

فأجاب (ك...) انا اريد ان اقول انها ثمرة الحالات الاجتماعية، والمؤثرات الاقتصادية، وعوامل اخري نفسية وطالية، ليس في يد احد تحويلها عن مجراها، تطبع الافراد بطابعها، وتوجههم الي ما تقتضيه على درجات تناسبها، وتتفق واياها، كما هو الشأن في الحوادث الطبيعية سواء بسواء، فكما لا يفيض نهر، ولا يهمي غيث، ولا ترتفع رطوبة بمحض الارادة البشرية، كذلك لا تتغير الاحوال النفسية بوعظ الواعظين ونصح الناصحين، والا لبلغت كل امة ارقى درجات الكمال بدعوة الدعاة، وإهابة الهداة . وانت ترى ان اولئك الدعاة والهداة أبعد عما يدعون اليه من المدعوين انفسهم

فصاح (ص...) اني اوافق اخانا ك... على ما يذهب اليه، وما يدلي به هو رأي اصحاب فلسفة التحول، فانهم يقولون ان الاخلاق صفات توجبها الحاجة الي الاجتماع، وتطبعها الحالات المختلفة للبيئة وشكل المعيشة بطابعها فلا تحول عنه الا بعوامل جديدة لا سلطان لاحد عليها

فقال (ش...) : هذا الكلام من الوجاهة بحيث يعتبر كل معارض فيه مسفسطاً

وهل بعد الشهود برهان ، او بعد العيان بيان؟

فقال (د...) : ان الذى تدلون به من الرأي يكذبه الواقع الذي تعتمدون عليه. ألا ترون بأعينكم تأثير التربية في الحيوانات؟ فهل الجواد المروّض كالحصان المهمل، وهل الكلب المدرّب على الصيد والحراسة كالكلب الغفل الهائم على وجهه؟ ومن الذي يقول بأن الطفل الذي تولاه أبواه بالتربية والتهذيب يشب على ما يشب عليه الطفل المتروك ونفسه الذي يجول في الطرقات جولان البهم الهامجة يترسم خطوات الداعرين، ويأخذ إخذ الفجرة والساقطين ؟

فأجابه (ك...): أريكم السها وتورونني القمر. انا اكلمكم في مناشيء الاخلاق، وانتم توردون عليّ آثار التربية

فرد عليه (س...) : أليست التربية ثمرتها الاخلاق ؟

فأجابه (ك...) : نعم، ولكن الي الحد الذي اوجدته الفواعل القسرية لمجموع الامة. فالمربي يربي الطفل على الاخذ بصفات المثل الاعلى من الانسان الكامل ، ولكن الطفل يعفي على كل ما سمعه من مربيه، ويشب على الصفات المكونة للانسان العادى فى مجتمعه. ومن شاء ان يتحقق من ذلك فليقابل بين ما يلقي علي الاطفال من الاخلاق في بيوتهم ومدارسهم، وبين ما يكونون عليه في المجتمع . ولو كان للتربية الاثر الذى تتخيلونه ، وكانت الاخلاق طوع يد المربين والمعلمين، لبلغت الامم في جيلين او ثلاثة اجيال، ارقى ما يتصوره العقل من الكمال، ولصار كل انسان مثلاً أعلي في ذاته

فاستشكل عليه (س...) بقوله : اذن بم تعلل تلك الحوادث الجلّي التي حدثت علي يد المرسلين فى الامم ، وانت ترى انها نقلتهم طفرة من طور الي طور في سنين معدودة؟

فأجابه (ك...) هذا كلام سمعتموه فحفظتموه، ولكنكم لو تتبعتم ما تتبعه علماء الاجتماع من احوال الامم قبل تلك الرسالات، وما آلوا اليه بعدها، لما وجدتم للطفرة من أثر، ولرأيتم رأي العين ان ما آلوا اليه، هو ثمرة ما كانوا عليه، وانه حدث علي مقتضي نواميس ثابتة ، وبتدرج منتظم . عرفت ادواره ، وتعينت اطواره

فقال (س...) : كنا نسلم بما تقول لو كانت تلك الانقلابات الخلقية حدثت كما تحدث النتائج بدون نزاع بين القديم والحديث، وانت تعلم ان اولئك المرسلين قد لاقوا

من جاهلية شعوبهم ما يلقاه الحق من الباطل في كل جيل، حتي لجأ الدعاة الي القوة في اكثر الاحوال ، فأين هذا الاثر مما تقول ؟

فرد عليه (ك...) : ان تلك الدعوة الجديدة ذاتها ما نشأت الا بعد ما ولدتها العوامل الاجتماعية وهيأتها للظهور، وما شاهدته من الحوائل دونها هي لوازم كل انتقال فى عالم الاجتماع. وقد ذكرت ان اولئك الدعاة التجأوا للقوة، فسجلت على نفسك الدليل على ما قلته انا. فان اللجأ الي القوة لايكون الا بأنصار، والانصار لايوجدون الا بشيء تتقبله نفوسهم، ويحبونه حبا يحملهم على بذل نفوسهم فى سبيله. وكيف يعقل حصول هذه الحماسة ان لم تكن الدعوة قد وقعت موقعها من هوي النفوس ؟

قال (س...) : فهل تريد ان لا يدعو داع الى اخلاق ارقى مما عليه الناس ؟

فأجابه (ك...) : لم أقل ذلك، ولكني قلت ان محض الدعوة اليها لا تجدي نفعا اذا لم تكن احوال الاجتماع وفواعل البيئة قد هيأت النفوس للدخول فى طور جديد من الحياة الاجتماعية. واني اعتبر أن دعوة الدعاة للاخلاق تكون من الفواعل الادبية اذا نشأت في الامم حركة انتقال

فقال (س...) : لشد ما سرت اليك تعاليم الماديين منذ قرأت كتاب الاخلاق لهربرت سبنسر

فقال (ك...) : ان ما تنبزونهم بالماديين قوم يبحثون عن علل الاشياء وهم مجردون عن كل اثر للجمود على قديم، او للتعصب لشكل موروث، فهم ينقبون عن الحقيقة عارية عن كل خيال كساها به الجهل، او لفها فيه الوهم. وقد ذكرتم الاخلاق فأدليت اليكم بما تراه الفلسفة المادية فيها، ولو جريتم معى في هذا المجال لوجدتم عندي لكل غموض بيانا، ولكل قضية برهانا

***

قال الوجدان : لم ينته ك... من كلامه الي هذا الحد حتي التفت الينا ذلك البدوى، وكان الى ذلك الحين هو والشجرة سواء، وقال: أتسمحون لي ان اساهمكم البحث في هذه المسألة ، وأعينكم على استجلاء غوامضها المعضلة ؟

فنظر بعضنا الى بعض، وغلب الضحك اكثرنا ، فطفقوا يضعون مناديلهم على

افواههم تحاشيا من تخجيل الرجل. وتمالك اخونا د... نفسه فتدارك الامر بقوله للشيخ : لقد كدنا ستنزل فيها رأيك ، فهات ماعندك

قال الوجدان : فأرهفنا آذاننا، واشخصنا اليه ابصارنا، وتوقعنا منه مايتوقع من مثله في مثل هذه المباحث ، وتأهبنا لضحك كثير يحسن ان تختم به هذه الرياضة الجدية

فشكرنا الشيخ بكلمتين، ثم التفت الى ك... بعينين نجلاوين، وقال له: أجبني يا بني أقرأت كتاب (مسائل علم الاخلاق) للاستاذ كارو المدرس بجامعة السوربون بفرنسا ؟

قال الوجدان: ما سمعنا من البدوي هذه الجملة، وخصوصا ما ذكره اسم الكتاب بالفرنسية الفصحي، حتي اصابنا دهش عظم من الماهه بهذه اللغة، ومن اطلاعه علي كتاب قد لا نخطيء اذا قلنا انه لم يدخل منه مصرا كثر من نسختين، فزدنا تحديقا بابصارنا اليه

فاجابه (ك...) لم أقرأ هذا الكتاب،

فقال البدوي : ولا قسم الاخلاق في كتاب (الفلسفة الانتقادية) للفيلسوف فاشرو ؟

فأجاب (ك...) ولا هذا

فقال البدوى : ولا كتاب (علم الاخلاق) للفيلسوف رينوفييه

فأجاب (ك...) ولا هذا ايضا

فقال الرجل : ولا كتاب (آساس الاخلاق) لشوبنهور ، و(العلل الاولية للطباع) لكانت، و(نقد المذاهب الفلسفية) لألفريد فوييه، و(علم الاخلاق الانجليزى العصري) لجيو، وما كتبه الفلاسفة جول سيمون وفرنك وبول جانيه ولويز كوزان وادورد هارتمان في مؤلفاتهم عن الاخلاق وهم أئمة هذا العلم في عصرنا هذا ؟

فأجاب (ك...): لم أقرأ غير كتاب هربرت سبنسر

فقال البدوى وهو في هدوئه الاول : أفيصح يا ابن اخي ان تكون اجنبيا من علم الاخلاق علي ما وصفت، فتنصب نفسك داعيه لترويج مذهب من مذاهبه بين الخلق ؟

فأجاب (ك...) وقد علته حمرة الخجل، وفل من حده الشعور بالعطل : أما لم

أروجه الا بعد ان ثلج عليه صدري ، واطمأن اليه قلبي ،وعلمت من قوة حجته ، ووضوح محجته ، ان ليس وراءه مرمى ، ولا بعده غاية

فقال الاعرابي وقد بدت عليه بوادر من الغضب: أيبلغ منك ولم تدرس في الفلسفة كتابا واحدا،ولم تقم في مزدحم المذاهب،ولم تتورط في متاهاتها وما زقها،ان تجعل ثلج صدرك فاروقا بين الحق والباطل،وطمأنينة قلبك حكما بين الحالي من الآراء والعاطل ؟ يالهذه الجرأة

فأجاب (ك..) وقد شعر بالتقصير،وادرك انه بحضرة عقل كبير: هل تتعدد الحقيقة؟ فاذا ظهرت لانسان وتجلت تجليا لا يدع للشك محلا، فما له بعد ذلك وافناء عينيه في تعقب مباحث لانهاية لها ؟

فقال الاعرابي : الحقيقة لاتتعدد ، ولكن اذا كان ادراكها من السهولة بحيث يدركها مثلك من اول نظرة ، فمابال هذه الجماهير من الفلاسفة قد اختلفوا فيها قديما وحديثا على كل مسألة من المسائل ،أيصح ان تتخيل ان الفلاسفة كارو وفاشرو ورينوفييه ورافيسون وجول سيمون وألوف غيرهم من المعاصرين اقل منك قبولا لادراك الحقيقة؟ فلمَ ثاروا على مذهب هربرت سبنسر وتألبوا على دحضه ودحض آراء مشايعيه من الداروينيين؟ كيف لم يبعثك التفكر في هذا الامر الى قراءة شيء من اقوالهم ؟

فأجابه (ك...) : وهل كان يتسع وقتي لمثل هذا؟

فقال البدوي: وهل يتسع ذرعك للدعوة الي مالم تحط به خبرا ؟

فأجابه (ك...): اني اعتقد ان ماقرأته هو الحقيقة بعينها،وان كل ما كتب في دحضه سفسطات لا يقام لها وزن. وعندي ان من وصل الي الغاية فليس عليه ان يورط نفسه في متاهات التائهين ، ومضالّ الضالين

فقال البدوي وهو يتبسم: وما أدراك ان ماوصلت اليه هو الغاية، وما هو العلم الذى استفدت منه تمييز الغايات من البدايات. ان هربرت سبنسر نفسه يبرأ الي الله من ان يدعي انه وصل الى غاية، ولو قال مثل هذا او ما يشبهه لمحي اسمه من ديوان المفكرين وأُلحق بالمخرفين

فقال (ك...) وقد ثارت فيه عاطفة الانتصار للنفس . انك لم تفعل للآن غير الاستشكال عليّ بمسائل عامة ، فناظرني ان شئت في مسألة الاخلاق خاصة قال الوجدان . فضحك الاعرابي بملء شدقيه ، ثم اخذ يصفق بيديه ، وانشد:

فلو اني بليت بفيلسوف   بعيد الغور فياض البيان
(لهان عليّ ما ألقى ولكن   تعالوا فانظروا بمن ابتلاني)

ثم اقبل علي (ك...) وصوته يتهدج ضحكا وهو يقول : تناظر قَرْم الحكمة وفحلها، ولم تبلغ ان تكون فصيلها(١) لشدّ ما لقيت منكم الفلسفة يابني غَبْراء، رجل في الارض وأنف في السماء، ولكن خذها بنية التعلم والمذاكرة، لا بنية الجدل والمناظرة تقول متابعا لهربرت سبنسر والداروني ، ان اصل الاخلاق عاطفة الاجتماع المجبول عليها الانسان، فهو كلما اضطرته حاجات الاجتماع الي التخلق بخصلة أخذ بها وعاقب من لم يراعها، وأورثها بنيه وأحفاده، فصارت ملكة فيهم. وهكذا تم بناء الصرح الاخلاقي على مر الدهور وكر العصور، فالامر دار بين احوال، دفعت للاخذ بخصال، وجاءت الوراثة فطبعتها في نفوس الاجيال، فظنها الغفل غرائز روحانية، ومواهب سماوية، منحها الانسان، وحرمها الحيوان، والحقيقة انهما غصنا دوحة، وفرعا أرومة لا يمتاز احدهما عن الآخر من المواهب الا في اقدارها دون حقائقها

فقال (ك...): نعم نعم

فقال البدوى اني سائلك يابني فأجبني: هل الانسان هو الحيوان الاجتماعي الوحيد؟

فأجابه (ك...) لا، فكثير من أنواع الحشرات وذوات الثدى والطيور تعيش أمماً مجتمعة ؟

فقال البدوى : هل كانت تبيد هذه الحيوانات الاجتماعية لو لم تعش مجتمعة؟

فأجابه (ك...) : لا أظن ذلك

فقال البدوى : فما الذى دفعها للاجتماع ؟

فأجابه (ك...): لا بد ان يكون قد نشأت ضرورة اوجبت عليها ذلك والا بادت

(١) القرم الفحل الكريم من الابل. والفصيل الفطيم الصغير منها . وغبراء هي الارض

فقال البدوي : هل تلك الضرورة القاهرة، عمت جميع نوعها في كل بيئة، إ انت ترى ان النمل في جميع القارات تعيش مجتمعة؟

فأجابه (ك...) : يجب ان يكون قد حدثت لها تلك الحاجة قبل ان تتوزع على الارض

فقال البدوي : حيوانات من أنواع مختلفة تعيش في بيئة واحدة كيف يعقل ان توجب الضرورة على بعضها الاجتماع ولا توجبه على سائرها ؟

فقال (ك...) : لا بد ان تكون الضرورة قد اصابت البعض دون البعض الآخر

فقال البدوى : كيف يتفق ان الضرورة لم تصب نوعا من الانواع العاملة فتوجب عليه الاجتماع في مدى هذه الالوف الكثيرة من السنين من يوم دوّن الانسان العلوم ؟

فقال (ك...): ان الانسان نشأ بعد ان تمت اطوار الخليقة بملايين من السنين ، فما قيمة بضعة الآلاف من الاعوام في عمر الانواع الحيوانية ؟

فقال البدوى : على اى اسلوب تؤثر الضرورة في الحيوانات فتنقلها من حال التفرق الى حال الاجتماع ؟

فأجابه (ك...): وُجد كل نوع من الحيوانات مفطوراً على حفظ شخصه واستدامة نوعه فاذا ألم به ما يهدده في ذاته، تيقظت فيه هذه العاطفة، ودفعته للجاْ الى كل حيلة يدركها عقله للنجاة منها، فان طغى سيل ألهمته توَقل الروابي، وان حدث مطر ساقته للاستذراء بالكهوف او تحت الاشجار ، وان طارده كاسر دفعته للهرب

فقال البدوي : نسيت مثلا اهم من كل ما مر فلم تقل كيف فعلت فيه عاطفة حفظ ذاته عند ما أصابه مالا سبيل الي دفعه الا بالاجتماع على افراد نوعه؟ أجتمع افراده منه فتذاكروا ما يصيبهم من التلاشي ان اصروا على فرقتهم وما ينالهم من اليمن والأمن بالاجتماع، فقرروه وجروا عليه ،أم اندفعوا للاجتماع بلا روية ولا تفكير كما هو شأن الجمادات بتأثير النواميس الميكانيكية ؟

هنا أحس (ك...) بثقل وطأة السؤال ، فسكت هنيهة ثم رفع رأسه وقال:

ان تفسير هذا الامر يصعب على من يخيل اليه ان الانواع وجدت على ما هي عليه الآن من الصفات والمحاولات، ولذلك تراه يستكبر امرها، ويستعظم شأنها، ويحاول

فهمها، فيتعسف في الفروض، ويتسكع في الظنون، كمن ينظر من النوع الانساني الى ارقى طوائفه حيث النُظم الاجماعية، والرُبط الادبية، والابداعات الصناعية، والكنوز العلمية، فيذهب في اكباره وتفخيمه كل مذهب ويدعي ان ماهو فيه فيض سماوي، ومدد علوي، ويعمي عن طوائفه الدنيا في جهالتها وعمايتها وتجردها حتى عن مثل ماللحيوانات العجم من النظام الاجتماعي والمعيشي، وما اقتضاه ارتقاؤه من ألوف من السنين صرفها في تنازع البقاء، والتناحر على احقر الاشياء، وما هلك منه من ملايين الملايين حتى ، وصل لدرجة لايغبط عليها من درجات الحياة

فالنحل والنمل وكلاب البحر وما ماثلها من الحيوانات التي يراها الانسان فيعجب بنظامها الاجتماعي ورقيها الصناعي، لم تصل الى ماهي عليه طفرة بل نشأ على احقر حالاته في اصولها الاولى، ثم ارتقى درجة درجة في ملايين من السنين، بارتقائها هي في اجسادها واعضائها، وبعد ان باد منها عدد لايدخل تحت حصر في مكافحاتها لذواتها وللمؤثرات الطبيعية معا

هذا هو الاسلوب الذي يجب ان ينظر به الى الاحياء الارضية لاستجلاء اسرارها، لا النظر اليها على ماهى عليه الآن بعد ان مرت عليها ملايين السنين في تنازع وتناحر وكفاح فيما بينها وبين الطبيعة

فقال البدوي وهو يهز رأسه : بَخْ بَخْ . ولكنك أغفلت في بيانك الباهر أمراً جللا كان يجب عليك ان تلم به في فلسفتك هذه

فقال (ك...) : وما هو ؟

فقال الاعرابي : انك صعدت بالاحياء الي طور بعيد من وجودها ، ولكنك وقفت منه الى حد معين، حد كانت فيه اجسادا آلية مركبة، واذ قد رجعت بها القهقري الي هذا الحد ، فلم لاتصعد بها الى اصلها الاول

فقال (ك...) : أتريد ان اصعد بها الي حيث كانت خلايا ساذجة على أدنى درجات الحياة ؟

فقال الاعرابي : أريد أبعد من ذلك، فانك وقد عبت من قف من نظره عند حد ماعليه الشيء، وادعيت انك ترد الكائنات الي اصولها لتعرف مناشيء صفاتها وطبائعها،

وجب عليك ان لا تقف بالاحياء في دورها الذى كانت فيه خلايا حية، لان هذا الدور يعتبر ترقيا لاحد له عن الحالة الجمادية. ففسر لنا كيف نشأت الخلايا الاولية من المواد المعدنية، وكيف حلت فيها الحياة وليست لشيء من النواميس الطبيعية والموادالارضية. فان ما بين الحى على ادنى احواله، وبين الجماد في ارقى اشكاله، كما بين الوجود والعدم

فقال (ك...) اما يكفيك ان افسر لك سر الارتقاء في عالم الاحياء من لدن ان كان خلية اولية، الى ان وصلت الي ارقى درجات الانسانية، حتي تطالبني بما قبل ذلك؟

فقال الاعرابي : مادامت المسألة بحثا بيننا في اصول الصفات في الاحياء وقد جشمتنا تعب النظر فيما كانت عليه قبل ملايين من السنين، فلمَ تبدأ من حيث يسهل الكلام عليك، ولا تبدأ من حيث يصعب، لتدرك مكان المسألة من الخطورة، فيحصل لك أدب عال يزعك عن التسرع فى الحكم علي الامور ؟

فقال (ك...) : أنا بدأت الكلام من حيث بدأه دارون نفسه

فقال الاعرابي : ان دارون نفسه قرر ان هذه الخلايا الاولية التي نشأت منها جميع الاحياء، قد نفخ فيها الخالق نسمة الحياة، فأسندها الخالق قادر، وذكر أن مذهبه أدل علي كمال قدرته، وشمول علمه من مذهب الدينيين انفسهم. ومتي أسندت المسئلة الي هذا الجانب فقد انحلت، ولكن تلاميذ دارون لم يتأدبوا بادب استاذهم، فادعوا انه قصر فى استخراج كل ما تقتضيه نظريته من النتائج. فشطوا شططا بعيدا، ومنهم هيكل وشارل فوجت وجيبيل وملدروبوخنر أئمة الالحاد العصري، وهم الذين سرت تعاليمهم بين الخلق، وتسربت اليك منهم. فوجب عليك اما ان تقول برأى دارون فتسند الحياة الي مصدرها العلوى، واما ان تذهب مذهب تلاميذه فتقول كما يقولون ، ان الحياة نشات من المادة بفعل النواميس الآلية . وعندى لكل من الموقفين كلام

فقال (ك...) : يجب عليك قبل ان نتخطي هذا الطور من البحث ان تعترف بان ما قلته قد اصاب شاكلة الصواب

فقال البدوى : عجباً لك. تزعم انك تسند الامور الي اصولها، وتصعد بها الي مصادرها ، ولم تعمل من ذلك شيئا وتريد ان اشهد لك بالاصابة

فقال (ك...) : وما هذا، ألم أصعد بالاحياء الي اول مبادئها، وهي حالتها عندما

كانت خلية ، فهل بعد هذا مرمى ؟

فقال البدوي : الله الله ، تريد ان تبدأها من حيث قامت الحياة بما تقتضيه من اندفاع للنماء،وقبول للارتقاء،وبما كمن فيهامن القوى التي تحول الجمادات،وتتحكم في البيئات،وبما استكن فيها من العوامل التي ترفعها من حضيض النقص الى ذروة الكمال،اى تريد ان تبدأها من حيث هي كل شيء ليسهل عليك وصف اطوارها فى الارتقاء،وعروجها فى سلم الاحياء،مدعياً ان ذلك نفوذ منك في سرائر الكائنات ، وما هو الا وصفاً لما حصل من ادوار الانتقالات،وزاعماً انه صعود بالشيء الي اصله الاولي ، وما هو الا بدء به من طوره النهائي

فقال (ك...) : أتعتبر كلامي عن الاحياء من عهدان كانت خلايا ساذجة أخذاً لمسألتها من طورها النهائي ؟

فقال البدوى : نعم لان الخلية الاولية مستقر كل سر فى امر الحياة،ومستودع كل عامل جليل من عواملها، ناهيك بكائن لا يرى الا بالآلات المكبرة ينمو ويتكاثر بذاته،ولا يزال يترقى حتي تشرق فيه هذه القوة العقلية العالية.فان بدأت بحثك منه فقد استدته الي سر الاسرار،ومعضلة المعاضل،فلا يكون لك حق فى ادعائك فك المعميات ، وتفسير المجهولات،وتكون فى تتبعك اطوار الاحياء،واصفاً لاحوالها،لا شارحا لعواملها.فان قلت،طبعت الاحياء علي حفظ ذواتها واستدامة أنواعها،سألتك لمَ طبعت علي ذلك؟فتجيبني بقولك:هكذا كانت.وليس هذا بجواب فلسفي كما لا يخفى،لانه إسناد الى مجهول.وان قلتَ تعودت بعض الحيوانات ان تعيش مجتمعة، وبعضها ان تعيش متفرقة،سألتك كيف تعودت مالم تألفه ولم تبد؟فتجيبني بان فى الاحياء قبولاً للتحايل علي مقاومة الافاعيل الطبيعية،وليس هذا بجواب شاف لانه لا يعلل سبب ذلك القبول فيها.وان قلتَ ان هذه الصنائع التي فطرت عليها بعض الحيوانات،وهذه المحاولات التي تبدو منها لحفظ ذواتها ، وتربية صغارها ، وهذه النُظُم الاجتماعية التي تسود علي جماعاتها ، والرُبُط المعنوية التي تمسك طوائفها ، عادات موروثة،سألتك كيف ترث الحيوانات العجم عاداتها فتنساق ذراريها الى العمل بها بدون تعليم،ولا يشبهها فى ذلك الانسان نفسه وهو ارقى منها بما لا يقدر،فتجيبني

هكذا كان الامر، و ليس هذا بجواب علمي يقبل من رجال يدعون انهم ادركوا اصول الكائنات ، وحلوا معضلة الوجود

فكل ما عندكم لا يخرج عن وصف ما عليه الكائنات، وليس هو علما بحقائق العوامل التي تنشئها وتربها من وراء حجاب. فسر المسئلة كلها ينحصر في (الحياة) فاذا حل لغزها حل لغز كل شيء والا فلا

***

هنا زج (ص...) بنفسه في المعمعة وقال لصديقه (ك...) ما المانع لك من الادلاء برأى الماديين في الحياة من انها نشأت من المادة بفعل النواميس الطبيعية ؟

فقال (ك...) : يمنعني من ذلك خروج المناظرة عن حدها و بعدنا عن موضوع الاخلاق الذي تصدينا لتجليته، فان الخوض في مسئلة الحياة يتناول مباحث عويصة. فرأيي ان ندعها لفرصة اخري و نكمل اليوم ماشرعنا فيه من مسئلة الاخلاق

ثم التفت للاعرابي وقال له : لنترك مسئلة الحياة و نرجع الي مسئلة اصل الاخلاق

فأجابه البدوى : اما اصل الاخلاق فقد انهينا منها الى مفترق المذاهب فأصبح الكلام فيها عقيما الا اذا حلت مسئلة الحياة

فقال (ك...) : وما لمسئلة الحياة والاخلاق ؟

فقال البدوى : ان العلاقة بينهما من أوكد العلاقات. فان الذى يري ان الحياة مظهر من مظاهر قوى المادة، ويعتقد أن كل ما فوق التراب تراب، لا يجد من اصل للاخلاق سوى الصفات المتنزلة من تلك المادة، فيسندها إما الي عاطفة الاجتماع. وإما الى اللذة، واما الى طلب المنفعة الخ الخ ولا يصعد بها الي ماوراء ذلك لاعتقاده ان التركيب الانساني خال من كل ما سوي المادة وصفاتها، فهو مضطر للوقوف بها هذا الموقف ولكن الذى يعتقد أن المادة الظاهرة للحواس مظهر من مظاهر القوة، وانها بالتحليل تفني في تلك القوة، فانه يري ان للعالم اصلا ارقى من المادة، وان الانسان قد اخذ من ذلك الاصل حظا اوفر مما اخذه غيره، وان ما اخذه منه وانحصر فيه يسمي روحا، وان لتلك الروح من الصفات العلوية مالا يحد بحد، وانها لا تزال تزداد فيه اشراقا على تتالى العصور حتى تلحقه بالملأ الاعلى في عالم لا ينحصر جماله وجلاله واطلاقه فى صورة ذهنية

فقال (ك...) : ان استحالة المادة الى قوة هو مذهب العلم الرسمي اليوم، ومسئلة تحليل المادة صارت مسئلة عملية منذ ثلاثين سنة، ومع هذا فلا يزال الماديون مصرين على مذهبهم لا يرون ان القوة أرفع من المادة في شيء، فهي في نظرهم قوة مجردة عن العقل والارادة والشعور

فقال البدوي : لا تغتر بتظاهر الماديين بالثبات على اصولهم فمذهبهم قد اصيب بضربة قاضية بعد ثبوت انحلال المادة الى قوة. فان ما بين الجواهر الفردة الجامدة التي كانوا يقولون بها، وبين العقل والارادة والشعور، بوناً أبعد مما بين هذه الصفات وبين القوة في تجردها وعلوها واطلاقها. فاذا أُرغموا اليوم على قبول كونها قوة مجردة فسيقبلون غداً كونها عاقلة مدبرة موجودة وجوداً مطلقاً، وهي اصل لكل شيء، تشرق على كل كائن بما فيه قوامه وكماله، وقد ظهرت في الانسان بمظهر قواه العقلية ومواهبه العلوية

فقال (ك...) : اذا كان الفرق بين الروحيين والماديين هو الذي ذكرته فالفرق بينهما عظيم جداً خلافاً لما تذهب اليه، واقامة الدليل التجريبي على حقية احدهما راج المستحيلات

فقال البدوي : اما بيان كون الفرق بينهما حقيراً او عظيماً، واما الدليل الحسي على حقية احدهما فليس من شأننا اليوم، وربما عدنا اليه في مقابلة اخرى، ولكن الذي علينا بيانه ان القوة النفسية المستكنة في الانسان ليست هي التي تشاهد في الانسان العادي، وان معارفه ومواهبه ليست بقاصرة على ما تحصله له حواسه الخمس، بل ان فيه قوة أرقى وراء القوة التي تشاهد فيه، ولمعارفه ومواهبه مصدر غير الحواس الخمس

فقال (ك...) : وماذا يفيدنا اثبات هذا الامر في مسئلة الاخلاق؟

فقال البدوي : يفيدنا الدلالة الحسية على ان لاخلاقه مصدراً روحانياً ارقى من المصادر المادية القاصرة على عاطفة الاجتماع وعلى اللذة او المنفعة الخ

فقال (ك...) : وأنّي لك اثبات هذا الامر وكل ما ستقوله قد قاله الفلاسفة من عهد فيثاغورس فنقضته الفلسفة المادية ورمت به الى عالم الظنون والخيالات ؟

فقال البدوي : هوّن عليك فاني سأثبت لك ذلك بالدلائل الحسية قبل ان تقوم من مقامك

قال الوجدان : فنشطنا لنرى كيف يثبت ذلك بالحس فيدفع عنا من الشكوك والريب ما جعل حياتنا مرة ، وكفى بالشك جهلا ، وبالجهل حيرة

فنظر الينا الاعرابي وقال : هل فيكم من يتبرع بنفسه ربع ساعة لاري لاخوانه أسرار النفس بدليل محسوس ؟

فقلنا : على اي حال يتبرع بنفسه ؟

فقال الاعرابي : أنيمه نوما مغناطيسيا

فقال احدنا (ع...): لابأس من ذلك وانا اقدم نفسي للتجربة

فأمره الاعرابي بأن يجلس إزاءه . ففعل. فنظر اليه، وقال له بصوت الآمر النافذ الكلمة : (نم)

قال الوجدان : فوالله مامضت ثانيتان ،حتي غشيه ماغشيه من النوم

فنظر الينا الاعرابي وقال : لقد نام صاحبكم،ومعني ذلك انه قد خرج عن حالته العادية،فبطلت شخصيته المعروفة لديكم،وتعطلت حواسه،فاذا كانت هذه الحواس هي مصدر علمه ومداركه وعواطفه،فيلزم من ذلك ان يكون الساعة هو والجماد سواء. فما قولكم اذا كان هو الآن ارقى مما كان وهو صاح درجات لاتحصي؟ لقد كان وهو صاح يسمع بأذنيه ويري بعينيه ويحس بأعصابه الي حد معين،ولكنه الآن يرى ويسمع ويحس بما لا كان يستطيع ان يراه او يسمعه او يحس به

قلنا : أرنا دلائل ذلك

فنظر الاعرابي الى صديقنا (ك...) وقال له : أتدري عدد ما في جيبك من الاوراق ؟

فقال : لا

فنظر الى النائم (ع...) وقال له : كم فى جيب صديقك من الاوراق؟

فأجابه على الفور : اثنتي عشرة ورقة . فكان كما قال

ونظر الاعرابي الي اخينا (ص...) وقال له كم في كيسك من الدراهم ؟

فأجابه : لاأذكرها بالضبط

فنظر الاعرابي الى (النائم) وقال له : كم معه ؟

فأجابه بلا تريث : جنيهان واثنان وسبعون قرشا . فلم يخطيء في فلس واحد

ثم نظر الي صاحبنا (ن...) وقال له : أفي جيبك اوراق مكتوبة ؟

فقال نعم

فسأله: اتستطيع ان تقرأ مافيها ؟

فأجابه نفيا

فقال له الاعرابي . أخرجها من جيبك واجلس خلف هذا النائم وانظر فيها

ففعل

فأمر الاعرابي (النائم) بأن يقرأها واحدة واحدة

ففعل ولم يسقط منها حرفا

فقال الاعرابي . أيعرف أخوكم هذا ، وأشار الي (النائم)،مافي بيوتكم ؟

فقلنا . لايعرف منها الا الغرف التي نجلس فيها من ادوارها السفلي

فنظر اليه الاعرابي وأمره بأن يصفها لهم

قال الوجدان . فأخذ يصف مافي بيوتنا بيتا بيتا،لم يدع بهوا ولاحجرة ولا اثاثا الا وصفه وصفا نعجز نحن عن مثله

ثم نظر الينا الاعرابي وقال . ليقم ثلاثة منكم فيوغلوا في هذه الصحراء حتي يبلغوا هذه الاكمة فيستتروا خلفها وليعملوا ويقولوا ماشاءوا،ثم ليقبلوا الينا نخبرهم بما قالوا وما عملوا

قال الوجدان . فانتدب منا ثلاثة ففعلوا ماأشار به الاعرابي وبعد وصولهم الي الاكمة واستتارهم خلفها ، أمر البدوي أخانا (النائم) ان يصف لنا مايعملون وما يقولون

قال الوجدان ، فأخذ يصف لنا جلساتهم واشاراتهم واقوالهم وماتواطأوا عليه من دفن ورقة كتبوا عليها شيئا بخط دقيق لايقرأ.فلما اقبلوا علينا اخبرناهم بما فعلوا وما قالوا وما دفنوا وما كتبوا (١)

---

(١)هذه الخوارق لها نظائر في التجارب التي يعملها العلماء في التنويم المغناطيسي فهي ليست بخيالية بل من الامور المحققة تحقيقا علميا صارما

قال الوجدان . فنظر الينا الاعرابي وقال ، امامكم رجل معطل الحواس الخمس ، محروم من الاتصال بالعالم الخارجي، وفي حالة خدر عميق، وها انتم ترونه أبصر وأسمع ، وهو في هذه الحالة وبدون الاستعانة بتلك الحواس، مما كان عليه وهو صاح متمتع بها على غاية كالها، أفلا تستدلون من ذلك بدليل محسوس، على ان في الانسان وراء حواسه قوة ليست مكتسبة من هذه الحواس، بل هي الموجدة لها تعمل فيه من وراء هذا الحجاب الجسداني فتربته من حيث لا يعلم ، وتدبر اعضاءه وهو جاهل بوجودها وبطبيعتها، وهي ينبوع قواه المعنوية، ومستمد ميوله الادبية، متصلة بعالم عال يجانسها هو لهذا العالم المادى كالروح من الجسد ؟

فقال (ك...) . انا لا استطيع ان القي سلاحي بهذه السهولة امام مشاهدات ، وان كانت خارقة للعادة، الا بعد ان استنفد الوسع في تعليلها بالعلل الطبيعية المعروفة. لان الحكم بوجود عالم معنوي مطلق وراء هذا العالم المادي المقيد أمر جلل، يقلب نظريات العلم رأسا على عقب لا يصح البت فيه قبل عرضه على كل الفروض التي يتسع لها العقل وقبل استعصائه عليها

فقال (ص...) . وانا اوافق اخانا (ك...) على مذهبه، فان تاريخ العلم قد بين لنا وجوه الضلال التي كان يتردى فيها العقل البشرى من جراء ميله الي اثبات عالم معنوى غير محسوس ، متسلطا على هذا العالم المادى المحسوس ، وربط الاسباب الارضية بأسباب علوية ، ولم يخلص العلم من هذه الحالة من القصور ، الا بعد ان أُحرق من افراده ثلاث مئة الف او يزيدون، في سبيل تحريره . على انه لم يكد يخلص منها حتي اثبت بما كشفه من المساتير، وأضاءه من الدياجير ، وما أقامه من الصناعات، وأوجده من المخترعات، انه اهل للاستقلال بنفسه ، فكيف يراد منا ان نرجعه الي تبعيته الاولي فنعيد للعالم عهد الخرافات والاضاليل اغترارا بخوارق يمكن تعليلها بعلل معروفة

فقال (ن...) . وان لم يمكن تعليلها بعلل معروفة فيجب عدم الاعتداد بها حفظا لاستقلال العلم وحماية له من الوقوع تحت سلطة الاوهام

فقال البدوى . ان موقفكم هذا مناقض للعلم الذي تقدسونه ، وفيه من الغلو ما لا

يصح صدوره من امثالكم

فاما مناقضته للعلم، فلأن العلم كما يدل عليه اسمه المام بالمجاهيل فان اكتفيتم بما عندكم منه، وهو قطرة من بحر الحقائق، وجعلتموه حجابا بكم دون كل جديد فكأنكم وقفتموه عند حد محدود، وقضيتم عليه بالجمود

فقال (ن...) نحن لم نقف بالعلم عند حد، وكيف نفعل ذلك ونحن نرحب بكل من يضع فى صرحه حجرا جديدا ونقيم له تمثالا يخلد ذكره، ولو عددت لك ما قبلناه من المستكشفات الجديدة فى العشرين السنة الماضية من القرن العشرين في الكيمياء والطبيعة والطب والفلك استغرق سردها ساعات عديدة

فقال البدوي . لمَ تعارض هذا الاستكشاف الجديد إذن وتتحري ان تجد له علة طبيعية ، فان لم توجد فترى ان الاولي اهماله وعدم الاكتراث له ؟

فقال (ن...) . اعارضه لانه سيعيد لنا دولة الفلسفة الروحانية بما تقتضيه من الخوض في لجج الخيالات ، والخبط فى غياهب الاوهام

فقال البدوي . لاتلازُم بين الفلسفة الروحية والخوض في الخيالات بل المدار على الاسلوب الذى يتبع فى البحث. ولقد كان العالم الطبيعي والفيلسوف الروحاني سواء فى التعويل على الخيال قبل ان ينبغ (باكون) في القرن السابع عشر ويضع دستوره في تقرير الحقائق العلمية، وهو الدستور القائم على المشاهدة والتجربة. فليس من حقك بعد هذا ان تثور على اى اكتشاف قام على هاتين الدعامتين. فان فعلت ذلك كنت صاداً للعلم عن التقدم وجانياً على الحقائق اكبر الجنايات

فقال (ن...) . أتريد ان تقنعنا بوجود قوة مدبرة مستقلة في الانسان عن جسده المادي، وبأن تلك القوة متعلقة بعالم عال غير هذا العالم المحسوس؟ هذا مالا يقول به عالم عصري يستحق هذا الوصف

فقال البدوى . لست انا الذى اريد ولكن الدستور العلمي هو الذى يريد، فان كنت مراعيا لهذا الدستور وجب عليك، وقد رأيت بعينيك هذه التجربة التي عملتها امامك، إما ان تقبلها كما تقبل كل مسئلة علمية، واما ان تردها الى المقررات المعروفة، واما ان تعلق حكمك عليها حتي تضيف اليها امثالها ولا تجد مناصا من الاعتراف بها.

هذا هو موقف العامل بدستور العلم ، القائم بحقه

اما قولك ان ماقررته لك لايقول به عالم عصري، فكم يدل على عدم اطلاعك على الحركة العلمية في العالم، فان التنويم المغناطيسي اصبح فرعاً من العلم الرسمي، وقد أضيف في برامج التعاليم الى العلوم الطبية . نعم ان تلك البرامج قداقتصرت منه على مشاهداته السطحية، ولكن فى العالم اليوم جماهير من العلماء، قد بلغوا من تجاربه العالية الدالة على ماأقول مدى بعيداً، وقد نشروا تجاربهم فى مئات من الكتب المطولة واعلنوا تأييدهم للفلسفة الروحانية على رؤوس الاشهاد، فكان لاجماعهم تأثير كبير في المعاهد العلمية، فان كنت لاتدرى ذلك فالتبعة فيه عليك

فقال (ك...) : أنستطيع ان تسمي بضع مؤلفات لكبار الباحثين في هذا الموضوع

فقال البدوي : نعم . كتاب (علم النفس المجهول) للفيلسوف (اميل بوارك) العضو بالمجمع العلمي الفرنسي ورئيس جامعة بوردو. وكتاب (الشخصية الانسانية) للاستاذ (ميرس) المدرس بجامعة كمبردج . وكتاب (علم النفس) للاستاذ (وليم جيمس) المدرس بجامعة هارفاد بالولايات المتحدة، وكتاب (الحالات العميقة للتنويم المغناطيسي) للعلامة الرياضي (دوروشاس) ناظر مدرسة الهندسة في باريز الخ الخ من الكتب الشاملة لتجارب حاسمة تسمح لمثل العالم الفلكى الاشهر (كاميل فلامريون) ان يقول فى كتابه الذى سماه (حل مسئلة الموت) صفحة ٤٨

« لا يمكن ان نمتنع من الاعتراف بأنه يوجد بجانب الظواهر الفزيولوجية فينا بل فوقها اصل عقلي عامل باستقلال، بدونه لا يمكن تعليل شيء من أمر الحياة، وبه نستطيع ان نعلل كل شيء فيها »

وقال في صفحة ٥٥ من ذلك الكتاب :

« المادية مذهب باطل وناقص يقصر عن اي تعليل تطمئن اليه النفس. فان القول بأن لاشيء في الوجود غير مادة متمتعة بخواص من الفروض التي لاتقاوم التحليل العلمي. هؤلاء (الحسيون) على خطأ عظيم فانه توجد أدلة (حسية) على ان الفرض الذي مؤداه أن المادة متسلطة على كل شيء ومدبرة بخصائصها لكل شيء بمعزل عن الحقيقة

وقال في صفحة ٥٦ :

« يوجد فى الانسان شيء غير الذرات الكيماوية المتمتعة بخصائص ، يوجد فيه عنصر غير مادى، هو اصل روحاني سيرينا ه الامتحان النزيه للمشاهدات وسيرينا ايضا ان ذلك الاصل الروحاني يعمل مستقلا عن الحواس الجسدية »

وقال في صفحة ١٥٥ :

« كل هذه المشاهدات فى التنويم المغناطيسي والانتقالات الفكرية الخ مما ألممنا به إلماماً لاثبات حقيتها والتي سنعود اليها فيا يلي، تثبت بلا أدني شك تأثير الروح في الجسم المادى وتؤدي الي استنتاج ان الروح موجودة فى حالة استقلال عن الجسد »

وقال فى صفحة ٢٦٢ بعد سرده عدة مشاهدات :

« ليس في هذه الروايات لاخيال ولا خداع ولا تدليس، فهي من التمحيص فى درجة اي مشاهدة خاصة بالحوادث الجوية او بالامور الفلكية » انتهي

فاذا بلغت الحال بأكبر علماء الارض ان لا يمالك نفسه من مثل هذه الاقوال حيال المشاهدات المحققة للمسائل النفسية في عصرنا الحاضر، فكيف بك وبأمثالك ممن هم عيال عليهم في العلوم والمعارف ؟ لو كان الامر قاصرا علي كاميل فلامريون لقلنا اصابه نوع من الجنون، ولكن هذا الفتح الجديد يذيعه في العالم اليوم الوف من علية العلماء ورجلة الفلاسفة، وتنشره فى الامم مئات من المجلات والوف من الكتب، وتكونت له مجامع علمية، وأقيمت له مؤتمرات في اكبر العواصم الاوربية، فهل انتم نيام في هذه الزاوية من زوايا الارض ؟

***

قال الوجدان فاعترتنا حيرة مما يقول، واخذ بعضنا ينظر الي بعض خجلا من انكشاف جهلنا بحقيقة الحركة العلمية التي ندعي اننا من زعمائها في الشرق، ورأينا اننا من هذا الاعرابي امام عقل بعيد الغور، وعلم واسع المدي، وأن في روعنا ان افضل ما يجب ان نعمله هو ان نستفيد من علمه، ونقتبس من فضله، فليس الظفر بمثله متيسرا في كل آن ، فأقبلت عليه وقلت له :

اذا كانت الغاية ايها الحكيم هي الاخلاق، فماذا يعنينا اصلها، أكان ضرورة الاجتماع

ام طلب المنفعة،ام روحا علوية ثاوية بهذا الجسد،تهيب به احبه الي طلب الكمال، وتحري الجمال؟ومن الدلائل على ان هذا الاصل لامعول عليه، ان الماديين انفسهم يعتبرون الاخلاق ضرورية لسعادة الامم،ويدعون اليها بمثل الغيرة التي يدعو بها اليها الروحانيون مع ان اصلها عندهم هو ماعلمناه من فلسفتهم

فقال البدوى : يعنينا اصل الاخلاق كما يعني البناء اصل البناء،فليس من يبني على شفير هار،كمن يبني على اساس قارّ (١)،فما أبعد الفرق بين اخلاق تقوم على ان المادة العمياء اصل كل حي وغايته، وا لحيوانية محتدة ورتبته،والفناء بعد طول الكفاح نهايته، وبين اخلاق تؤسس على ان هذا الجسد الانساني،يسكنه روح سماوي، ويَعمُره امر إلهي،وان هذا الروح متصل بالعالم العلوي اتصال الفرع بأصله،والجزء بكله،وانه ورّط فى هذه المادة ليؤدى للنظام العالمي عملا،وأنه باحتكاكه بالارضيات يجب عليه ان يحصل كمالا يعرج به الى عالمه الأعلي،بعد ان يقوم بما عهد اليه في حياته هذه بالتكاليف التي فرضت عليه نحو ذاته ومجتمعه وبني نوعه والوجود بأسره

نعم ان بين هذين النوعين من الاخلاق لبونا شاسعا،وفرقا بعيدا،فان الآخذ بالأولي لايرى في الاخلاق الا حوائل دون مراميه المادية،وصوادّ فى وجه مطالبه الجسدية،فهو ان اخذ بها فانما يفعل ذلك مضطرا بحكم اختيار أخف الضررين على انه في تخلقه بها يعتبرها ثيابا عارية،ويعدها احابيل لابد منها لتصيّد المنافع ، وتطلب المرافق، لاعنا بقلبه الوجود الذى اوجب عليه التقيد بها ، ساخطا على الضرورة الاجتماعية التي حتمتها عليه،لذلك، تراه نزّاعا الى رفع كابوسها عن صدره، متطلعا الي القاء نيرها عن عاتقه ، فهو يمضي حياته منضما قلبا وقالبا الى الاباحيين والفوضويين،والدعاة الي الانقلابات الاجتماعية،فان بدت حركة تطرّف،او بادرة انقلاب،وجدته فى السابقين الاولين من العاملين عليها،تارة باسم الحرية،وأطوارا بعنوان المدنية،ومرة لانقاذ جنس من سيطرة جنس،وهكذا تراه يتقلب فى الالقاب ويتلون في المساعي،ومرماه الوحيد فك قيود التكاليف عن نفسه،وحل ربْط العادات

---

(١) شفير اى حرف . وهار اى متهايل . وقارّ اى ثابت

عن عنقه ، واطفاء نار المطالب والرغائب البهيمية في قلبه، وهو معذور في كل هذه الرعونات لانه يعتبر نفسه حيوانا، ولم يمن بما مني به الحيوان الاعجم من قصر النظر، وقصور الحيل ، حتي يقف في حده ، ولا يخرج عن قصده

ولكن الآخذ من الاخلاق بالثانية يأنف ان يشاكل البهائم في خستها ، وان يضارعها في دناءتها، لانه يرى نفسه مستودعاً لروح علوى ليس لها ، ومستقراً لنور إلهى لم يتجل عليها، بل هو يرى الارض وما عليها من متاع مادي لا يصح ان يحرك فيه شهوة، او يثير منه رغبة، لمباينته لطبيعة ذلك الجوهر السماوى، ومنافاته لكيان ذلك النور العالي، فهو يصيب من الارضيات ما يقيم صلبه، ويحميه رعونات جسده، جاعلا روحه معلقة بالملأ الاعلي، وميوله منصرفة الى تحقيق الغايات القصوي، معتبرا الناس اخوانا له تجب عليه مرافدتهم ، لامزاحمتهم ، ومياسرتهم، لامعاسرتهم ، يراهم نهبا لغوائل الشهوات، وهدفا لسهام الرغبات، فيعمل علي حمايتهم منها ، بتقوية الملكات العلوية فيهم، وايقاظ القوى الروحية عندهم . فما اكبر الفرق يابني بين الاصلين ، وما أبعد البون بين الوجهتين، فكيف لا يعنينا اصل الاخلاق، وانت ترى ان الاصل المادى يخرج الابالسة والشياطين، ويولد الفوضيين والاباحيين، والاصل الروحاني ينشيء الصالحين والطيبين ، ويُنبغ الهداة والمصلحين ؟

فقال (س...) : ألا يكون الآخذون بالاصل الروحاني أشبه بالمتبتلة والزهاد، وأقرب الى المترهبة والعباد ، وهل بمثل هؤلاء تثبت الامم في ميادين المكافحات الاجتماعية، وتبلغ المدنية اقصي ماقدر لها من الابداعات الصناعية؟ ماذا ينتظر من قوم اعينهم طامحة الى السماء، وقلوبهم مشتغلة بعالم الصفاء، ونحن من عالم الاجتماع في معامع ثائرة الرهج ، ومن مطامع الاقوياء في تنازع يذيب المهج ؟

فقال البدوى: لعلك يابني تتخيل ان الانسان لايكون قويا في نفسه، حاميا لسربه، الا اذا كان وحشيا ضاريا، واباحيا غاويا، ولو عرضت لذاكرتك ما قرأته في التاريخ لتحققت من تراجم حماة الامم وكماتها ، ووضعة آساس مجدها وعظمتها، انهم كانوا من شظف العيش والبعد عن المطامع المادية بالمكان الارفع ، وان اولئك الوحوش

الضراة، والاباحيين الغواة (١) الذين يعملون لسد جشعهم، وترضية شهواتهم، كانوا في كل جيل شرا على اممهم من اعدائها، ولولا اولئك النفر الذين هم بالمتيتلة أشبه، والي المترهبة اقرب، لباد العالم الانساني بأسره، كما بادت امم برمتها فى توفية شهوات متسلط بهم، وتحقيق مطامع طاغية زنيم

ثم كأني بك يابني لاترى المدنية تخفق راياتها، والصنائع الجميلة تبهر معجزاتها، والعلوم تكشف آياتها الا علي يد الماديين

اما اذا كنت تقصد من المدنية قشورها ومساوئها من النفاق والخداع، والتصنع والرياء، ومن الصنائع الجميلة مايميت النفوس ويحرك الشهوات، ومن العلوم ما يمكن البشرية من اساليب التدمير والتخريب فقد صدقت. ولكن ان فهمت ان المدنية تهذيب الاخلاق، وتلطيف الطباع، وترقية العواطف، ومشاكلة الظاهر في نقائه، للباطن فى صفائه، ومن الصنائع مايفيد الانسانية، ويسهل عليها الحياة الارضية، ومن العلوم ما يكشف لها اسرار الكون ويجلي لها وجوه الحقائق، فان هذا كله لم يتم الاعلي ايدى البررة الكاملين من افراد هذا النوع في كل ادوار التاريخ

فمن الذي هذب من الصفات الوحشية، وزهد في الاخلاق الحيوانية، وآخي بين الناس، وآسي بين الفقراء والاغنياء، ودعا الي الوداعة والاخاء، غير المرسلين والانبياء ومن تبعهم من الاتقياء والاولياء ؟

ومن الذي اوجد الصنائع وقام علي ترقيتها، وذهب في الابداع فيها كل مذهب، غير اولئك الافراد الذين كانوا من شظف العيش بحيث نسوا انفسهم في سبيل اعمالهم، ومنهم من انفق كل مايملك في تكميل مخترعاتهم، ويحفظ التاريخ لنا ان منهم من احرق خشب بيته ليتخذ منه تنورا لتتميم اختراعه

ومن الذي اوجد العلوم، وسهر علي اقامة صرحها الفخم، غير اولئك الافذاذ الذين كانوا من خشونة الحياة وجشوبتها بحيث انقطعوا عن الخلق ليتفرغوا للفكر والعمل، وثبتوا امام الغلاة من الدينيين حتي احرقوا منهم اكثر من ثلاث مئة الف عقابا

(١) الضراة جمع ضار من الضراوة وهي الافتراس. والغواة جمع غاو من الغي

لهم علي نقضهم المذاهب الدينية السائدة

اما اولئك الناعمون المترفون، والغواة الاباحيون، من الذين جعلوا التظرف والتجمل ستارا علي نفوس عمرت بالقبح والدعارة، واتخذوا الصنائع ذرائع لسد نهمتهم من الترف والاباحة، واستعملوا العلوم وسائل للتعالي علي العامة. فهم في الواقع هدَّمة المدنية، ومُشوهة الصناعات، ومحرّفة العلوم، لا يقوم بهم عمل نافع، ولا تنهض بجهودهم امة، فروح العمران، وقوام العرفان، هم اولئك المتقشفة الزهاد الذين يعرفون ان الحياة مهلة للجهاد والعمل، لا فرصة للترف والكسل، وان ما فوق الحاجة مَضيعة للذات، مَجلبة للهلكات، لأن الحياة مرتع للبهيمية، وملعب للميول الشهوية

فلو ارتد العالم كله الي امثال اولئك الذين تسمونهم بالمتبتلة والمزهدين لخلصت المدنيه من سوءاتها، والفنون من مخزياتها، والعلوم من طامَّاتها، ولبلغت البشرية، وقد خلصت من رعونات هذه النفوس، الي أرقى مراتب الكمال، في بضعة اجيال

قال (ك...): اذكر اني قرأت في كتاب (الالحاد) للعلامة البيولوجي (لودانتك) المدرس بجامعة السوربون بفرنسا كلاما علي استحالة الخوارق، وعلي ان الالحاد هو ثمرة العلم والفلسفة، وانه المطأن الاخير للعقل بعد ان لعبت به حيل المشعوذين في مئات القرون الماضية

فضحك الاعرابي وأطال، ثم سكت هنيهة وقال: أهو الكتاب الذي يقول فيه: «آتني بخارقة واحدة أكن من المؤمنين»؟

قال (ك...): هو ذاك

قال الاعرابي: فما يمنعك من احضاره الساعة والادلاء اليَّ بما فيه؟

قال (ك...): ان بيتي بالناصرية، وانا الساعة بمصر الجديدة، فلو عملت علي احضاره استغرق ذلك ساعتين علي اقل تقدير

فقال الاعرابي: في وسعي ان اهدم لك ما قاله في ذلك الكتاب قبل ان يرتد اليك طرفك

فقال (ك...): وكيف ذلك؟

فقال الاعرابي: ألم يقل آتني بخارقة واحدة أكن من المؤمنين؟ فأنا آتيك به في طرفة عين

فقال (ك...): لو فعلتَ لاحرقته هنا وذريت رماده فى هذه الصحراء

قال الوجدان: فوالله ما فعل الاعرابي غير أن مد يده صوب مصر وقال (تعال يا كتاب الالحاد للاستاذ لودانتك،) ولم يتم كلمته حتي رأينا الكتاب بين أنامله، فناوله لطالبه (١)

فاعترانا دهش عظم من هذه الفعلة، وأخذ صاحبه يقلبه ليستوثق من أنه كتابه بعينه، ولم يكد يصدق ذلك حتي رأي اسمه عليه، وملاحظات كان كتبها بخطه على هامشه. ومما زاده ثقة كتاب وجده بين صحفه كان وضعه فيه بنفسه في صفحة معينة منه. وتناولنا نحن الكتاب لنتحقق من انه مادي محسوس، وقد كنا قرأناه باستعارته من أخينا (ك...) فوجدناه هو بعينه

وبينما نحن دهشون سكوت مما صُنع بنا، اذا بالاعرابي مَثل واقفا وقال: سلام عليكم استودعكم الله

فقلنا الي أين ؟

قال : الى بيتي

قلنا : انت ضيفنا في هذه الليلة ؟

فشكرنا وقال: ما الي هذا سبيل

قلنا : فأين بيتك ؟

قال : بحي الملأ الأعلى

فقلنا : ألِلملأ الأعلى حي يجمعهم في هذه الارض ؟

قال : أفتحسبونهم فى السماء محبوسين فى الحظائر ؟

فقلنا : نحن نعد الملأ الاعلى جماعات الملائكة وارواح النبيين والصالحين فى وجود اعلى من هذا الوجود الارضي

فقال : ماعدوتم الصواب فيما تعرفون

---

(١) ان مسئلة استحضار الاشياء من اماكن بعيدة يقدر بُعدها بمئات الاميال من الامور التى اثبت العلماء حصولها بواسطة المباحث الروحية وقد ذكرنا طرفا من تلك التجارب في بعض مؤلفاتنا. فهي امور محققة وان كان الواقفون مع حواسهم القاصرة لايعرفونها للآن

قلنا : اذن فكيف تجمع بين الوجود معهم والوجود معنا ؟

قال الوجدان . فأمسك الاعرابي عن الجواب هنيهةحدث لنا فيها أمر عظيم ، وذلك ان كلامنا رأي نفسه في بيته بين اهله وخدمه يكلمهم ويكلمونه ، وأثبت وجوده بأعمال مادية قام بها،وبكتابةماحدث له،ثم رأينا نفسنامجتمعين حوله وهو يقول للسائلين أعيدوا عليّ سؤالكم

قال الوجدان . فأعادوه

قال الاعرابي . كما جمعتم انتم الساعة بين الوجود هنا والوجود في دوركم ؟

قلنا . نريد ان نفهم سر هذا الامر ؟

قال الاعرابي . جمعتم بين الوجودين بالانتقال من حال الي حال

قلنا . مامعني هذا ؟

قال الاعرابي . عجباً لكم أليس جوابي هذا من جنس الاجوبةالتي تسمونها علماً طبيعيا ؟

قلنا . نرجوك ان تشرح لنا ماتقول

قال . بم يستحيل الدقيق والفاكهة في معداتكم الي دم وعظم وظفر وعصب ولحم؟

قلنا . بالهضم

قال الاعرابي . حسَن ، وانا اقول لكم انكم جمعتم بين الوجودين بالانتقال

قلنا . الهضم عمل كياوى له أدوار متتابعة يحدث بواسطة عصارات تنفرزمن غدد مختلفة

قال الاعرابي . والانتقال عمل روحاني له ادوارمتتابعة يحدث بواسطةحالات تطرأ على النفس

قلنا . كل ماقلته معميات لم نفهم منها شيئا

فقال الاعرابي . سبحان الله،فهل تفهمون من تعليلكم للهضم اكثر من تعليلي لما تسالونني عنه ؟

قلنا . ادوار الهضم امور عملية يدركها العقل لاول وهلة بدون توقف

قال الاعرابي . واحسرة على الناس، لقدعودوا عقولهم ان تدعي فهم مالايفهم،

وان تعلل مالا يعلل، فأصبح انخداعها للالفاظ ملكة راسخة فيها عميت بها عن ادراك خطورة المسائل وتقدير اقدارها، وان عقولا هذه حالها خليق بها ان تقف حيث هي قرونا طويلة

انكم تزعمون ان ادوار الهضم معقولة، فتقولون ان اول هذه الادوار يحدث في الفم بالمضغ وبتأثير اللعاب في النشاء الموجود في الاطعمة فيستحيل الى جليكوز، ثم ينزل الغذاء الي المعدة، فتتحرك به المعدة حركات مخصوصة ، وتفرز عليه عصارة مناسبة لهضم المواد الازوتية، فيتعجن ويستحيل الي كتلة تسمونها كيموسا، ثم تقذف به المعدة الي الامعاء الدقاق، وهناك تفرز عليه عصارة من الكبد وعصارة من البنكرياس لاتمام هضم مالم ينهضم في المعدة من المواد الازوتية ولهضم المواد الدسمة فيستحيل الى كيلوس، وهو سائل لبني يندفع الي القناة الصدرية، فتوصله الي الوريد تحت الترقوة، وهذا يوصله الى القلب فيدفعه الى الرئتين، وهناك يلامس الهواء فيحمر لونه ويصير دما وتتميز الفضلات فتتقذف بالتبرز

قلنا : نعم نعم

قال الاعرابي : أهذا كله تعدونه معقولا ومفهوما ؟

قلنا : نعم نعم ؟

قال الاعرابي : وهذا الذى أبكى على عقولكم منه. ومادمتم علي هذه الحال فأنتم محرومون من ادراك اسرار الكون وحاكمون علي مداركم بالعقم

ثم نظر الينا نظرة الاسيف وقال : أنا أميز لكم ما عقل مما لا يعقل من أمر الهضم فأعيروني أسماعكم ؟

متي وصلت اللقمة الى الفم فيعقل ان يتحرك الفك السفلي لتحطيمها لأنه تحت الارادة، ويعقل ان يتحرك اللسان لاعانته علي مضغها تحت الاضراس. ولكن لا تعقل سائر حركات اللسان، تلك الحركات الماهرة التي يؤدى بها عمله دون ان يقع تحت الاضراس وأنتم لاهون عما يعمل . ولا يعقل ان تتأثر الغدد اللعابية فتفرز ما فيها من سائل مركبا تركيبا يناسب نوع الاغذية . ولا يعقل ان تتحرك المعدة من تلقاء نفسها، وان تفرز علي الاغذية عصارتها . ولا يعقل ان تقذف الكيلوس بعد تمام تكونه الى

الامعاء بحركات تناسب ذلك ،ولا يعقل ان تتأثر الكبد فتصب صفراءها،وتتأثر البنكرياس فيصب عصارته من تلقاء نفسيهما،ولا يعقل ان تحدث تلك الخلاصة المدهشة بمحض انصباب العصارات على المواد الغذائية،ولا ان تنتقل الي الوريد تحت الترقوة بذاتها وتنصب الي الرئتين بدون ان يدبر هذا العمل عقل ارقى من العقل البشرى،ولا ان يحصل والانسان غافل عنه.فان كنتم انتم تعقلونه،فما ذلك الا لانكم تعتبرون المعلول الذى يجب البحث عن علته ، علة في نفسه.كأن تقولون ينفرز اللعاب لان الغدد اللعابية تتأثر فتفرزه.وتغفلون عن ان تأثرها معلول لعلة يجب البحث عنها،لا انه هو نفسه علة يُكتفى بها.وتعللون حركة المعدة وانفراز العصارات واعمال الامعاء والاوردة والشرايين بتأثرها ايضا،مع ان تأثرها هذا معلول لا علة كما سبق.وهكذا تقفون مع المعلولات وتعدونها عللا اولية،فجعلتم من هذا الحشو الرث مجموعا ضخما سميتموه علما فانقطعتم به عن اسرار الوجود،وصار بينكم وبين الحقائق الكبرى حجابا كثيفا أقامه تعويدكم عقولكم القصور،وأعينكم الهرب من النور

قلنا : هذا موقف العلم امام الحوادث فما حيلتنا فى ذلك؟

فقال الاعرابي : العلم؟حاش لله ان يعمي العلم الى هذا الحد.انكم اقتصرتم علي قراءة مايكتبه الماديون الذين يدلسون علي الناس بأنهم فهموا كل شيء،ولكن أئمة العلم الحق يعترفون بأنهم لم يفهموا علة اي شيء.انظروا الى ما كتبه الاستاذ الكبير شارل ريشيه مدرس الفزيولوجيا فى جامعة الطب بباريز وصاحب مجلة العلم والعضو بجمع علماء فرنسا . قال في مقدمة كتاب (الظواهر النفسية) للدكتور ماكسويل :

« اننا نعيش في وسط ظواهر تتوالي حولنا ولم تفهم سر واحدة منها فهما يليق بدرجتها،حتي ان اكثرها سذاجة لاتزال سرا من الاسرار المحتجبة عنا كل الاحتجاب. فما معني اتحاد الايدروجين بالاوكسيجين؟ ومن الذي استطاع ان يفهم ولو مرة واحدة معني هذا الاتحاد وهو يفضي الى ابطال خواص كل من الجسمين المتحدين وايجاد جسم ثالث مخالف للأولين كل المخالفة ...

« فالأولي بالعالم الصحيح ان يكون متواضعا وجريئاً فى آن واحد، متواضعاً لان علومنا ضئيلة،وجريئا لان مجال العوالم المجهولة مفتوح امامه ..

« فالويل للعلماء الذين يظنون بأن كتاب الطبيعة قد أقفل وانه لا يوجد شيء جديد يحسن تفهيمه للانسان الضعيف» انتهى

هذا ولو شئت ان آتيكم بألوف من هذه الاقاويل لاستطعت

ثم اقبل علينا بوجهه الوضاء ، وقال خذوها عني في هذه الصحراء :

ان هذا العقل العادي الذى نهتدي به في هذا الطور من الحياة ليس الا بصيصا من النور المستكن في قوانا المعنوية ، اتصل بالعالم الخارجي من نوافذ هذه الحواس الخمس، ووقف عند حدها من القصور مضطرا بحكم الصورة الجسدية . وليس هذا بمحاكاة لفلسفة افلاطون او احد الاقدمين، ولكنه نتيجة تجارب عملية عملت في مدى اكثر من مئة سنة وانتم عنها لاهون بهذه الفضلة من العلم الطبيعى الناقص ،ذاهبين مذهب المفتونين من اهل القرن التاسع عشر الذين كانوا يعتقدون انهم وصلوا الى اقصي غايات العلم،وهم لم يجاوزوا قشور بعض مسائله الاولية.فان جمدتم على ما انتم عليه،فليس هذا بحاطّ من قيمة الحقيقة ولكنه حاطّ من قيمتكم،وعائد بالشر على من يقع تحت تأثيركم من نابتة بلادكم

فالعلم الطبيعى وما ارتكز عليه من الآراء والافتراضات، وما أدى اليه من الاستكشافات والمخترعات،لم يَعدُ مجال النِسب والعلاقات بين الكائنات،ولم يتخط دائرة القشور والسطحيات،وهذا العلم نفسه يعترف بذلك ويقرره وهو جهة قوته وسطوته،وسبب كبير من اسباب دولته،ولم يقل اهل البصر ان العلم الطبيعى محكوم عليه بالوقوف عند هذا الحد،بل قالوا نتربص به حتي تتهيأ له الوسائل،وتتوافر الوسائط لاختراق هذه القشور الي اللباب،ولكن الآخذين عن هؤلاء الاقطاب خيل لهم ان الآراء والافتراضات،مقررات لا يتطاول اليها التبديل،ولا يعتريها التحويل،فخلطوا بينها وبين العلم نفسه،واخذوا يحاربون بها كل جديد،وان كان جاءهم قائما علي اصل العلم من المشاهدة والتجربة،ولم يفطنوا الى عملهم المخجل من نصرة الافتراضات التي أدي اليها الاضطرار،علي المستكشفات التي اوصل اليها الحس والاختبار،فأصبح موقفهم كموقف متحمسة الاديان الباطلة ينتصرون للخيالات علي المحسوسات

لقد وصل الانسان اليوم رغما عن كل هذه الفتن العقلية،والحوائل الفلسفية والعلمية

ألي اول اللباب، بعد ما أنكره القشريون احقابا مدا حقاب، فثبت ان الوجود المادى عقلا يدبره من وراء حجاب، وللانسان روحا توته خلف هذا الاهاب، وثبت ايضا ان هذه الظواهر الكونية، والمظاهر المادية، تنتهي بالتحليل الي قوة اولية، فالعين ترى مرئيات، والسمع يسمع اصوات، والذوق يذوق مطعومات، والاعصاب تحس بماديات، والانف تدرك رائحات، فيرتب العقل كل هذا الي معلومات، ويسمها شرحا وتفصيلا، ويقتلها خبرا وتحليلا، والحقيقة انها كلها مراتب لوجود مطلق واحد، تعمل فيه قوي لها آثار لاتحصي، تنزل من المدارك المختلفة منازل تناسبها، وتقع من الحس مواقع بجانسها، فما يدركه الانسان صخرا أصم بمقتضي حواسه، وبحكم رتبته في الوجود، قد يدركه كائن ارقى منه مدارك وحواس اثيراً صرفا او نوراً محضاً

قال الوجدان : ظللنا نسمع ذلك الاعرابي بقلوب واعية، وأبصارنا شاخصة اليه، ونحن سكوت كأن علي رؤوسنا الطير، وهو في حالته الاولي حتي بلغ هذا الحد، فلما استأنف الكلام شهدنا منظراً ما كنا نتخيل ان نري مثله في حياتنا، ولو كنا أخبرنا به لرمينا قائله بالجنون. ذلك ان الشيخ اخذ جسمه يشف رويدا رويدا حتي استحال الي ما يشبه النور وليس به، ولم يجسر احدنا ان يسأله بل ولا ان يتحرك لما غشينا من هيبته فكان ماقاله وهو في دور الاستحالة :

فاياكم يابني والخبط في المدركات، والخلط في مراتب الموجودات، واعلموا ان الوجود في حقيقته غير ماتصوره لكم حواسكم ، وقواه اكبر من ان تحيط بمداها عقولكم، فأخسر الناس من جعل عقله عقالا، وحواسه في عنقه اغلالا، وعلومه الناقصة عليها اقفالا، فتنوروا النور تبصروه ، وتطلبوا الحق تجدوه . وبعد فانا الحكم بن مرشد ولي الباحثين المخلصين، وهادي، التائهين المستهدين، سأتولاكم كلما أمعنتم في مضلة ، أو أشرفتم علي مزلة . والسلام عليكم ورحمة الله

قال الوجدان : فلما انتهي الي هذا المقطع حتي تقبض شبحه النوراني، وما هو الا كلمح البصر او هو اقرب، حتي استحال الي عقاب ، أشهب، فضرب الجو بجناحيه، وطار ونحن ننظر اليه . فجلسنا ساعة نعجب من أسرار الوجود ، ثم تفرقنا علي أن نعود

(العــدد الأول — في ١٥ فبراير سنة ١٩٢١)



الوجديات
هي مقالات خيالية الغرض منها تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لها. وقد اخترنا هذا الأسلوب لمواعظنا لأنه أفعل في النفوس من سواه

الوجديات
الأمم لا يستقيم أمرها الا بأخلاق أدبية تتنزل من عقولها وتتحكم في أهوائها. وقد أثبتنا [illegible] كانت [illegible] ذلك [illegible]

(الوجدية الاولي)

قال الوجدان :

طال عهدي بفقد الأحاجيب : وأنا من الذين لا تصدهم الظواهر مهما نبتهم عن المواطن مهما خفيت ، وكانت الشواغل المادية قد استوعبت مجهودي ردحا من الزمن(١) ، فقطعتني عن الشئون المعنوية على كره مني . فخرجت كمن نشط من عقال ، أو خلص من إسار (٢) أتخير مرتاضاً لنفسي ، ومرتاداً لخيالاتي ، (٣) فلم أر أفضل من غشيان الرياض (٤) لعلي أصادف زهرة تكاشفني سرها ، أو ساجعة تطارحني شجوها (٥) فأخذت أتنقل من روضة الي روضة ، متوسماً وجوه الزهر ، متلفتاً للسواجع فوق الشجر ، فما أبه لي منها آبه ، ولا فطن الي منها نابه(٦) فأمضني هذا الاعراض(٧) وكنت أعهدني اذا دخلت خميلة بسمت لي أزهارها ، وصدحت لى أطيارها ، ورحبت بي غدرانها ، وحيتني ضفاديها ونينانها (٨) ، فأدركت أن إدماني الشغل بالماديات ، أضعف من قواي الروحية ، وحجب من أنواري النفسية ، فجلست أجلو ما صدئ من مرآتي ، وأستثير من كمن من قواي ، وبينما أنا مشتغل بنفسي علي تلك الحال ، واذا بزهرة نسرين ، تسأل أخرى من ياسمين : ماذا يفعل هذا المسكين ؟ فبسمت النسرينة بسمة زهرية ، تضوعت منها نفحة عطرية ، وقالت هذا مفلس يراجع ماضيه ، لعله يجد له باقية

قال الوجدان : فأسرعت الى تحيتها ، وبالغت في تجلتها ، فوالله ما زادت ، علي أن قالت : الصيفَ ضيعتِ اللبن(١)

قال الوجدان فأخذت أقسم لها بالمحرجات من الايمان بأني علي عهدي الأول ، لم أتحول ، واني لم أنقطع الى عالم الحس الا تضغط القواهر ، لا إخلاداً الي الظواهر ، ولا ركونا الى المظاهر . فما أتممت كلامي حتى سمعت قهقهة استهزاء ، تلتها صفرة إزراء ، فلفت بصري فاذا بهدهد علي فنن (٢) يرمقني عن تشزن(٣) فنفحته بتحية بديعة ، وشكوت له ما أجده من القطيعة . فما زاد على أن ضرب الهواء بجناحيه ، وطار وأنا أنظر اليه ، ثم اقتعد غارب غصن عال (٤) ، وتركني علي شر حال. الا اني سمعته يقول لجاره ، الذي عن يساره :

ماذا عهدك ببني حواء ، من جهة الوفاء ، يا أمير الهواء ؟

فتنهد الهزار تنهد الدنف(٥) وأجابه بلسانه الموتور الأنف(٦)

الوفاء كلمة وضعوها للدلالة على نوع من أحوالهم ، فيبقى لواحد منهم لصاحبه مادامت بينهما علاقة من هوى ، فان زالت قطعه وسمى قطيعته أسماء يتمدح بها ، فسماها عقلا وكياسة وحزما وزهداً و إباء الي غيرها من الصفات الكريمة فان اتفق أن عاد الي ما نعت الامتناع عنه بهذه النعوت الفخمة ، دعا رجوعه عطفا وبراً وسماحة الي سواها من عقائل النحائز ، وكرائم الغرائز (٧)

فقال الهدهد : ان الانسي الذي تراه ماثلا تحت تلك السرحة كان يتردد علينا في الأحايين ، ثم بدا له فقاطعنا سنين ، فان سألته عما حمله

(١) الردح بفتحتين المدة الطويلة (٢) الإسار السير من الجلد يشد به الحيوان (٣) مرتاضاً محلا للرياضة . ومرتاداً من ارتاد الشيء أي طلبه (٤) الغشيان الاتيان (٥) الساجعة من سجع الطائر أي غرد . والشجو الهم والحاجة (٦) آبه له أي فطن له . والنابه الشريف (٧) أمضني ومضني أي ساءني (٨) الخميلة الروضة . وصدحت غردت . وضفاديها أي ضفادعها . ونينانها أي أسماكها جمع نون

(١) الصيف ضيعت اللبن مثل يضرب لمن كان في يده شيء فلم يعرف قيمته وضيعه ثم احتاج اليه فعاد يتفقده . وسببه ان شيخا غنياً تزوج من فتاة فالتوت عليه وتزوجت من شاب فاحتاجا الي لبن نجاءت تطلبه من زوجها الأول فردها بتلك العبارة . وقوله الصيف أي زمن الصيف وهو الفصل الذي طلقها فيه (٢) الفنن الغصن (٣) التشزن البعد والتاحية (٤) الغارب أعلى الكاهل (٥) الدنف المريض . (٦) والموتور المظلوم (٧) النحائز جمع نحيزة وهي الطبيعة

على المقاطعة ، وعما ساقه الي المراجعة ، لبكي بدموع غِزار وافتنّ في ضروب الاعذار (١)

فقال الهزار : يخيل لي انه يترقب ليصيد ، ويتلطف ليكيد

فقال الهدهد : لا لا ، انه ليس ممن يمسك الطيور ويؤذيها ، ولكنه ممن يسخر بها ويداجيها ، فهو على شاكلة غريبة من شوا كل اللعب والتلهي (٢)

فسأله صديقه : أي شيء أخذت عليه من ذلك ؟

فأجاب الهدهد : يزعم انه يصيب من السواجع حكمة ينشرها بين قومه ، ويأخذ منها علما ينفع به بني نوعه

فقال الهزار : هذا أعجب ماسمعنا من ضروب التنزل ، وشكول التدلي(٣) ، أين مايعلمه الحيوان ، مما ألمّ به الانسان ، لاشك في ان هذا ضرب من الهذيان

فقال الهدهد : انه ليس من الهذيان ، ولكنه من الاحتيال ، وذلك ان الانسان أجنى كائن لسماع مايصلحه ، وأعصى مدعو لتفهم ماينفعه ، فهو يترامي علي أهوائه ترامي الفراش علي النار ، ولقد أخذت تلك الاهواء بأكظامه حتى لا يكاد يفلت من إسارها طرفة عين ليخلو فيها الي عقله ، فيضطر أهل البصر من أفراده لأن يأتوه بما يدهشه من الخيالات ليتصيدوا منه لفتة اليهم طلبا منه للذة العجيب ، فيدسون اليه في ذلك القالب شيأ من الحكمة ، وذَرواً من النصيحة(٤)

فقال الهزار : هذا أعجب ما اسمع عن كائن عُلق كماله على قواه الذاتية ، ونيط ارتقاؤه بمواهبه الفكرية

قال الهدهد : ان شأنه من هذه الوجهة يوجب الدهش ، فهو من كراهة النور بحيث قد تمكث أقوام منه في ظلمة ضلالة ظاهرة يترددون في حمأتها(٥) عشرات القرون ثم لايتحولون عنها الا ببطء يوجب الأسف مع ظهور أثرها الموبق(٦) في كل محاولة من محاولاتهم

قال الوجدان : لقد سمعت من تحاور هذين العصفورين ماملأني خجلا من الاعلان عن نفسي بين كائنات تلك الطبيعة الباسمة ، وبينما أنا أتقبض وأتضاءل حتى لايراني منها شيء فتكون وقيتي سبباً في حرماني من هذا الحديث الممتع ، واذا بطلقات نارية متوالية ، وأسراب من الطيور تتدافع في الجو مترامية . فقال الهزار للهدهد ما الذي نسمع ؟

فقال الهدهد : هذا ياسيدي شاب من أحسن الشبان تفرعا ، وأصفاهم أديما ، وآنفهم زِياء ، وأحفلهم نديا ، ينتاب بعض هذه الأيكات بأداة تارة تصب منها شواظا من نار(١) ، على اخواننا فوق الاشجار ، وهي في غفلة عنه فيهوي منها عدد كبير بين مدقوق عنقه ، ومهيض جناحه ، ومهشوم فخذه ، ومثقوب صدره ، ومعه كلاب دربها على جمعها له فتأتيه بها وهي على تلك الحالات المزعجة من الآلام ، فيطرب من النظر اليها وهي تقطر دماً ، وتجود بنفوسها ألماً

فقال الهزار وقد ذهب التأثر بلبه : هذا وحش ضار ، ولا اخاله الا فذاً في هذه الديار

فضحك الهدهد ثم استغفر ، وقال يرحمك الله ياأيها الأخضر ان الناس كلهم على هذه السيرة وان هذا المنظر الذي تعده مزعجاً رائعاً ليلذهم الي حد أنهم اتخذوا له حظائر متسعة سموها (التيرو) أعدوا فيها رجالا من مهرة الرماة ، فيؤتي بالحمام فيطلق منه سرب في الجو فيتولاه أولئك المترصدون بقذائف النار فتسقط مثني مثني على أشد حال من التمزق فيصفق لهم النظّارة(٢) بأيديهم اعجابا ومرحا

فقال الهزار وقد ملأه الفزع ، وبدا عليه الجزع : أويحضر هذه المشاهد نظّارة ؟

فقال الهدهد : ان الناس ليحتشدون في هذه الأماكن احتشاداً يأخذ بالأكظام ، لا بالمجّان ، بل يبذل العِقيان(٣) وتجد بينهم الشيب والشبان ، والغادات والولدان . فيتساوى الجميع في الطرب لهذه المشاهد المريعة ، والارتياح لها

فقال الهزار بعد أن سكت هُنيّة(٤) اذن ما معني قولهم ان الانسان كرم الكائنات الأرضية ، وانه صاحب الخلافة الإلهية . ان كان هذا شأنه لهو أخس من أخس الكواسر ، وأحط من أحط الضوارى ، وأبعد عن الله من أوحش العجماوات الهائجة(٥)

قال الوجدان : فسدكت بمكاني(٦) ، منتظراً نهاية الحديث وبينما أنا على تلك الحال واذا بحركة عظيمة حدثت بين الطيور وصفير سرور وارتياح ملأ الجو ، ورفعت بصري مستخفياً فاذا ببلبل جميل الصورة قد أقبل بين ضرب من مثاله ، وهو يقدمهم كما يقدم الرئيس قومه . فما استقر على غصن حتى أقبلت جميع الطيور اليه ترفرف بأجنحتها حواليه ، وتتناغى بين يديه فدققت فيه النظر فاذا به صديق لى من البلابل ، كنت الاقيه منذ زمان وأطارحه الأشجان ، فأردت أن أعرفه نفسي ولكني خشيت أن يكون ذلك سبباً في فض هذه الندوة(٧) فلزمت الصمت ، وأرهفت أذني للسمع(٨) لم تكد الطيور تنتهي من الترحيب بالبلبل حتى قال لهم : فيم كنتم

---

(١) افتنّ تفنن (٢) الشاكلة الطريقة والمذهب (٣) شكول جمع شكل والتدلي الانحطاط (٤) ذروا أي قليلا (٥) يترددون يسقطون . والحمأة الطين الاسود (٦) الموبق المهلك

(١) الشواظ اللهب (٢) النظارة المتفرجون (٣) العقيان الذهب (٤) هنية أى ساعة يسيرة (٥) الهائجة المتروكة يموج بعضها في بعض (٦) سدك بالمكان لزمه ولم يفارقه (٧) الندوة الجماعة (٨) أرهفت حددت

أيها الاخوان

فأجابه الهدهد : كنا نذكر الانسان

فسأله البلبل : والى أي حد انتهيتم من أمره ؟

قال الهزار : الى أنه أخس الحيوانات ، وأحط العجماوات

فضحك البلبل وأغرب(١) وقال هذا منكم مستغرب

فسأله الهزار : هل يرى الاستاذ غير هذا الرأي ؟

فأجابه البلبل : نعم وسأدلي به اليكم ، فأعيروني آذانكم . أما ان الانسان حيوان بجسده ، فهذا مما لا يمتري فيه عاقل ، واما انه بالاستنامة لمطالبه الجسدية ، ووقف عقله ووسائله لتحصيلها ، يصبح أعدى الكواسر ، وشر المخاطر ، فلا مجال فيه لمجادل . ولكن غاب عنكم انه بقبوله للترقي سيصل من الكمال ، الى حيث لا يبلغه الخيال ، فيقلب الأرض من حال الى حال ، ويؤتيها من البركات بما لا يخطر ببال . فاذا كان هو اليوم يسير في العالم سيرة الجبابرين ، ولا يفكر الا في زيادة انغماسه في الطين ، فسيفطن غداً الى حقيقته ، وما أودع من الأسرار في طبيعته ، فيأنف من مضارعة الكواسر ، ويرقى الى حيث لا تدركه الخواطر (٢) فان كائنا تلاقى فيه جمع لقوى الكونية ، يستحيل عليه أن يستمر في الحالة الحيوانية ، فان قلت لكم انه سينتهي من الرقي الى حيث يسيّر الجبال بارادته ، ويتحكم في الكواكب بقوته ، لما كنت مغالياً في تقدير منزلته ، هنالك تتحقق للانسان خلافة الله ، وتصدق ولايته على ماسواه

فقال الهزار : ما أعجب ما نسمع من الاستاذ ، في هذا الكائن الشاذ ، ان الذي نراه منه أنه أعبد مخلوق لذاته ، وأحرص حي على توفير لذاته ، ان بدت له بادرة شهوة لم يبال أن يهلك العالم في سبيل نيله اياها ، وابلاغ نفسه مناها ، فحياته من يوم وجوده على الارض سلسلة من جرائم ، ومدنيته أدوار من مخاز ومآثم . قيل لنا في عهد من عهوده تربصوا بهذا الانسان فقد نظر في الخليقة ، وهام بادراك الحقيقة ، فتربصنا به آلافا من السنين ، واذا به قد أوجد الفلسفة والدين ، فزعم انه بالأولى سيصل الى اللباب ، وبالثاني سيتأدى الى رفع الحجاب ، فانتظرناه أجيالا أخرى واذا بالفلسفة قد أدته الى الالحاد ، وأسلمه هو بالدين الى الجمود والعناد ، وها هو اليوم قد اتخذهما أداتين لشهواته ، ووسيلتين لتأليه ذاته . أفلا يعد هذا الكائن أيها الاستاذ شر النوائب ، وأفدح المصايب ؟

فقال البلبل : لقد حفظت على الانسان سيآته ، وجردته من حسناته ، ان للانسان بجانب ماتذكره عنه لفضلا ينم على كرم جوهره ، ونوراً يدل على سمو مصدره ، ألا تذكر أنه قد قذف به من هذا العالم الى حمأة الحيوانية ، وسلط عليه من المقتضيات الجسدية والمطالب المادية ، ومن المسولات النفسية ، والشهوات البهيمية ، مالو سلط بعضه على الحيوانات لناءت تحت آصاره ، وبادت ببعض آثاره (١) ولكن الانسان بعد أن اضطلع بكل هذه الاعباء (٢) وقاوم ماتولده له من الارزاء ، أخذ يفكر في وجوه التخلص منها ، ووسائل التنزه عنها ، شعوراً منه بأنها لا تليق بكماله ، ولا تتفق وما يحس به من جلاله ، فأعلن عليها حربا استجمع لها كل قواه ووسائله ، وما زالت الحرب بينهما سجالا ألوفا من السنين ، فتارة تصرعه وتلحقه بالكائنات السفلى ، وطوراً يصرعها ويلتحق بالملأ الأعلى ، وهو في أثناء هذه المعارك يحصل علما ، ويزداد بالوجود فهما ، ليعود الى الكفاح أقوى عزما ، ويخرج منه أكثر غنما

أفمن الانصاف أن يكره هذا الكائن ويحتقر ، أم أن يحب ويعذر ، ويشجع ويشكر ؟

قال الهزار : لقد حولتني أيها الاستاذ من الازراء بهذا الكائن الى إعظامه ، ومن الحقد عليه الى حبه واحترامه ولكن مابال أفراد ممن يدعون انهم انتهوا من العلم الى غايته ، ومن الفهم الى نهايته ، يقررون ان المادة هي أول الوجود وآخره ، وانها باطن كل شيء وظاهره ، وان الانسان لا يمتاز عن الحيوان ، الا أنه أقبل منه للارتقاء ، وأصبر في تنازع البقاء ، وهم يهزأون بكل من يقرر غير هذه الأصول ، ويعدون كلامه من الفضول

فقال البلبل : ان دعوى الوصول الى نهايات العلم ، وغايات الفهم وجدت في كل زمان ومكان ، وأوت الى النفوس التي تنخدع بها من أفراد الانسان ، ممن لا يبصرون الا بأبصارهم ، ولا يحسون الا بأعصابهم ، ولا يفهمون الا بلغاتهم . وما قيمة بصر لا يبصر أكبر قوة في الارض والسماء وهي الكهرباء ، ولا يرى أشعة رونتجن وهو يرسم بها الاحشاء ، ولا يرى الشموس الا نقطا مضيئة وهي من الضخم بحيث لا تعد أرضنا بجانبها الا كالهباء ، ثم ما قيمة أعصاب لا تحس بالأثير ، وهو الموجود الكبير ، الشامل لكل جليل وحقير ، فهل يعجبون بعد ذلك ان لم يروا العالم اللطيف بأبصارهم ، ولا يحسون به بأعصابهم ؟

فقال الهزار : ما أغلظ حجاب هؤلاء ، ولكن كيف خلق العالم في نظر هؤلاء الفهماء ؟

فقال البلبل : الوجود في نظرهم عالم لا نهاية له ، فيه مادة أزلية أبدية تجرى فيه قوى الى غير غاية ، فتؤثر في تلك المادة بغير قصد ، فنشأت هذه العوالم منهما اتفاقا ، وبلغت الى هذا الابداع عفواً

فقال الهزار : وكيف نشأت في نظرهم القوة العاقلة ، في هذه العناية العامة الشاملة ؟ وهل يعطي الشيء فاقده ، ويصلح الامر فاسده

---

(١) أغرب بالغ (٢) المضارعة المشابهة

(١) ناء به الحمل ثقل عليه . والآصار جمع إصر وهو الثقل (٢) اضطلع بالشيء قام به . والاعباء جمع عبء وهو الحمل

فقال البلبل : ان هؤلاء لايتكلفون مثل هذا النظر العقليّ ، ولايعبأون الا بالأمر الحسيّ ، فهم لايرون غير المادة فلا يقرون بوجود سواها ، ويرون العقل ولا يرون موجده ، فيقولون بأنه يتولد من المخ ، على نحو مايتولد البول من الكلى والصفراء من الكبد

فقال الهزار : هذا قياس غريب ، لايقول به لبيب ، فالبول مادة والكلى مادة ، وليس بعجيب أن تتولد احداهما من الأخرى ، ولكن كيف يعقل أن تتولد القوة العاقلة في شرفها وجلالتها ، من المادة في عمايتها وجهالتها ؟

فقال البلبل انهم يرونها ملازمة المخ فيقولون بأنها منه ، ولا يتكلفون أن ينظروا لما وراء ذلك

فقال الهزار : ولكن علماء التشريح اليوم قد أثبتوا بما جربوه على مجروحي الحرب لعامة أن هذا الرأى أصبح لايعول عليه

فقال البلبل . ان هؤلاء المتعالمين المتفلسفين لايعتدون بقول عالم الا اذا وافق مذهبهم ، فاذا لم يوافقه عدوه مخرفا

فقال الهزار : ان العلماء القائلون بالروح أصبحوا اليوم يعدون بالألوف ، وقد تطورت الفلسفة بتجاربهم من حال الي حال ، والعالم اليوم في تطور جديد فأين هؤلاء من هذا الانتقال الذريع ؟

فقال البلبل : كل هذا لايجديهم نفعاً ، فهم يصرون علي ماهم عليه ولو انقلبت السماء علي الارض .

ولقد صرح بمثل هذه العبارات أحد أهل البصر من العلماء المعاصرين لنا وهو يدعى (كاميل فلاماريون) في مناسبة المباحث الروحية التي أثبت بها الباحثون وجود عالم حي مدرك وراء هذا العالم مجرد عن المادة فقد نشر كتابا بديعاً أسماه (القوى الطبيعية المجهولة) جاء منه مايأتي :

« ما أقل العقول المستقلة الحرة علي سطح كوكبنا هذا ، وما أقل الميل للاطلاع مجرداً عن مصلحة ذاتية . كأني بجمهور قرائي يقولون : أى شيء فى هذا الموضوع يوجب الاهتمام : أخونة (أي ترابيزات) ترتفع عن الارض ، وأثاثات تتحرك ، وكراسي تنتقل من مواضعها ، وبيانات تقفز ، وستائر تضطرب ، وطرقات تحدث بلا سبب معروف ، وأجوبة تتوجه الي أسئلة عقلية ، وعبارات على عكساً ، وأيدي ورؤس وأشباح تظهر ، كل هذه من الأمور التافهة ، والهذيان الذي لايصح أن يلفت نظر عالم من العلماء . وماذا عسي أن تثبته لنا تلك الأمور حتى لو كانت حقيقية ؟ تلك أشياء لاتفيد فتيلا

« أجل من الناس من قد تسقط السماء علي رؤوسهم فلا يتأثرون ، أما أنا فأجيبهم : ماذا تقولون؟ ألا يعد شيأ فى نظركم أن نعلم ونبصر ونعترف بوجود قوى حولنا لا نزال مجهولة ؟ ألا يعد شيأ يؤبه له عندكم أن ندرس طبيعتنا الخاصة وخصائصنا الذاتية ؟ ألا تستحق هذه المسائل أن تكتب في برامج المباحث ، وأن تخصص لها ساعات من العناية ؟

« اني كلما فكرت في هذا الامر دهشت من أن جمهور الناس يجهلون هذه المسائل كل الجهل ، بينما قد عرفها ودرسها وقدرها ودونها منذ زمان بعيد جميع الذين تتبعوا حركتها بكل نزاهة في هذه السنين

« ايه أيها السادة مهما يبلغ من ضيق أحكامكم فان قصر نظركم لايصح أن يسري علي الكون فسيعلمه بأنه على ارغم منكم ومن كل العقبات الي تصعونها . فان مركبة المعارف الانسانية ستتقدم الى أبعد مما هى عليه الآن ، وستسمر متقدمة ، وهى فائزة لامحالة بادراك حقائق جديدة . مثل هذه المسائل كمثل ضفدعة جالفاني . فان الحوادث المضحكة التى تنكرونها تكشف لنا عن وجود قوة مجهولة . فلا أثر بغير مؤثر »

قال الهزار : لا شك في ان هذا رجل متثبت ، طى المسائل حقها من الروية . ولكن ماهى حكاية ضفدعة جالفاني الذى يتخذها مثلا لهذه الظواهر ؟

قال البلبل : جالفاني هذا عالم ايطالي توفي في سنة (١٧٦٨) حدث له في بعض سني حياته أن مرضت امرأته فقرر الطبيب من أغذيتها (حساء ضفادع) ، وهنالك امم تأكلها ، فأخذت الطاهية تعمله لها وأتت بضفادع فيأتها وقطعتها وعلقتها على القضب الحديدية لبالكون البيت ، فرؤيت تضطرب وتذهب وتجيء ، فأخبر العالم جالفاني بذلك ، فشاهدها بنفسه وقرر أن لذلك علاقة بالكهرباء ، وأخذ فى درسها ونشر مباحث فى ذلك فسخر منه كل علماء زمانه ، وتعدى الاستهزاء به من الخاصة الى العامة حتي لقب بمرقص الضفادع . فرد عليهم بقوله ان استهزاءكم بي لا يمنع من اني أستكشف قوة من أكبر قوى الكون . وكان من أثر دؤوبه واستمراره ، أن وقف من أسرار القوة الكهربائية علي ما ابتنى عليه اليوم أكثر ما نشاهده من آثارها في هذه المدنية .

واليوم يهزأ رجال بما يقف عليه الباحثون فى الروح من تحرك الأخونة وارتفاع الكراسى ، وحدوث الطرقات ، وظهور الاشباح ، فى جلسات التجارب بلا سبب طبيعى معروف . ويعدونه من الامور التافهة ، التي لا تفيد الانسانية فيسألهم عن ذلك (كامل فلاماريون) بقوله : (ألا يعد شيأ في نظركم أن نعلم ونبصر ونعترف بوجود قوى حولنا لانزال مجهولة ؟) وهو سؤال بعيد الغور فان ثبوت قوى عاقلة مجهولة وراء هذه القوى الطبيعية يقلب مدركات العلم المادى رأساً علي عقب ، ويؤسس الفلسفة علي أصول جديدة ليست لها الآن ، ويفتح للانسان مجالا ليس له حد فى عالم غيب عن مشاعره ألوفا من السنين ولكنه يحن اليه بفطرته ، لأنه مآله بعد الأعوام القليلة التى يعيشها في هذه الارض علي الحالة الجسدية

قال الهزار : ما أحسن ما أفحم به هذا العالم أولئك الخصوم المعاندين

قال البلبل : انه أفحمهم بأحسن من هذا أيضا ، اذ ذكرهم بأن العلم المادي الذي يتبجحون به ويعدونه قد بلغ بهم الى أبعد مدى في الفهم لايزال أعجز من أن يفسر أصغر حادثة من حوادث هذه الحياة فقال :

« الذي نعلمه من الانسان هو أقل مما نعلمه عن جميع الكائنات . قد علمنا أن نقيس بعد الشمس ، وأن نخترق الابعاد السماوية ، وأن نحلل أضوء النجوم ، ولكننا لانزال نجهل أنفسنا . والانسان كائن ثنوي (أي مؤلف من شيئين اثنين) ولا تزال هذه الطبيعة الثنوية سراً من الاسرار في نظره . انا نفكر ولكن ماهو الفكر ؟ لايستطيع أحد أن يجيب عن هذا السؤال . وانا نمشي ولكن ماهو العمل العضلي ؟ لايعرف أحد ذلك . أرى أن ارادتي غير مادية ، وأن جميع خصائص روحي غير مادية أيضاً . ومع ذلك فتى أردت أن أرفع ذراعي أرى ان ارادتي تحرك مادتي ، فكيف يحدث ذلك ، وما هو الوسيط الذي يتوسط للقوة العقلية في انتاج نتيجة مادية ؟ لايوجد من يستطيع أن يجيبني عن هذا أيضاً . بل قل كيف ينقل العصب البصري الي الفكر صور الاشياء الخارجية ، وقل لي كيف يدرك هذا الفكر ، وأين مستقره ، وما هي طبيعه العمل المخي ؟ قولوا لى أيها السادة .. ولكن كفى فاني أستطيع أن أسألكم عشر سنين ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتي » انتهى

قال الهزار : ماألطف مانسمع عن هذا العالم ، لقد أجاد أيما اجادة ، فهل هو فذ في العالم الانساني ؟

فقال البلبل : لقد هب الانسان من نومه ، وأصبح الذين يقولون هذا القول ألوف من أقطاب العلم ، بل لم يبق ممن لم يقل الا جماعة من خفاف الاحلام قشوا مسائل منثورة من العلم أخذوها عن مغروري العلماء من أهل القرن التاسع عشر فتراهم أحرص عليها من البخيل علي دراهمه ، فيوهمون أنفسهم والناس انهم من أركان الألمعية ، وما هم على شيء غير حشو رث من طامات القرون الخوالي

قال الوجدان : لما انتهى البلبل الى هذا الحد لم أطق الصمت ، لما أطار بي من هزة الطرب بما سمعت ، فنهضت رافعاً يدي الي فوق قائلا بصوت عال : سلاماً أيتها الكائنات الجليلة ؟ المتبدية في هذه الخميلة ، أنا...

قال الوجدان : فقطعتني عن الاتمام حركة فجائية هي خفق أجنحة الطيور تتدافع هربا ، وتتخذ سبيلها في الجو سربا (١) وما هي غير ثانيتين حتى لم يبق في الأيكة غير صديقي البلبل . فصحت به رُحماك أيها الصديق الحميم ، فلا تدعني في العذاب الأليم

فصفر البلبل صفرة موتور ، وقال من أنت أيها المتجسس علي الطيور ، لتعرضها بالسرور؟

فقلت : رفقا ، فأنا الوجدان ، صديقك منذ أزمان

فضحك البلبل وقال : أذكر اني كنت قابلتك متفلسفا ، فمالي أراك اليوم متعبدا

قال الوجدان : فلما هممت بالجواب اذا به قد انتفض علي كتفي ، فلما هممت بالقبض عليه ، لتقبيله بين عينيه ، انتفض فاستوى أمامي رجلا ذا سمت مهيب ، وشكل رهيب ، على أكمل مايكون جمالا ووقاراً وان كان جلله المشيب ، ونالت منه التجاريب ، وعليه ثوب فضفاض (١) خالص البياض ، وعلى رأسه قلنسوة فارسية ، وفي رجله نعل عربية ، فهبته أعظم هيبة ، فأدرك ماعراني فهش الي (٢) ، وأقبل مسلما علي ، فملكت نفسي وسألته أأنت البلبل المغرد ، فقال بل أنا الحكيم بن مرشد

قلت فكيف كنت بلبلا ، ثم انقلبت رجلا ؟

فقال : سل عما تستطيع أن تفهمه ، وما ينفعك أن تعلمه

قلت : هذا هو الذى أخذ بلبي الساعة

قال : فلأدعك حتى يهدأ رُوعك من رَوعته (٣) وانتفض فانقلب بلبلا على أيكته

قلت : رحماك ، لا تدعني في هذه الحيرة

فقال : سأقابلك المرة بعد المرة ، فرقبني كل أصيل وبكرة

قال الوجدان : ثم غاب عن بصرى فلا أدري أستحال الي ضياء أم حجبه عني الهواء ؟

---

١ طريق سرب أي يتتابع الناس فيه ومعنى الكلام اتخذت الطيور لها مسلكا في الجو

(١) واسع (٢) هش ارتاح وتبسم (٣) الرّوع القلب . والروعة الخشية

متفرقات وفوائد شتى

اعادة الجسم الى صباه

شغلت مسألة استعادة الصبا عقول الباحثين منذ عهد بعيد وقد كادت أن تدخل اليوم في دور عملي وقد كتب فيها الاستاذ « سيرج فورونوف » مدير القسم التجريبي من جامعة الطب بباريز كتابا أسماه « البقاء » ونشر الدكتور «جان فورموزان» كتابا آخر في هذا الموضوع دعاه « علاج اعادة الصبا » فكان لهذين الكتابين وقع حسن لدى الباحثين المعاصرين

ونشر الاستاذ ستيناخ المدرس بجامعة فينا على ماروته المجلة العالمية ابحاثا جديدة في هذا الموضوع تتله بها الى المجال التجريبي فذكر انه لو حفظت مفرزات أعضاء التناسل عند الرجل في جسمه بتحويل مجراها فيه بعمل جراحي عاد اليه صباه . وهذا العمل الجراحي ينحصر في سد مجرى تلك المفرزات الى الخارج وتحويلها الى الداخل

وقد أحدث الاستاذ ستيناخ مجاربه أولا على الطاعنين في السن من الفيران فعاودهم صباهم بعد عدة أسابيع . مع انهم كانوا قبل العمل الجراحي المذكور في أشد حالات الهرم ، قد نحلت اجسامهم ، وبطلت شهيتهم ، وسقطت أوبارهم ، ووقعوا في شبه خدر عام . فتغيرت كل هذه الاعراض بعد العمل الجراحي : فنبتت أوبارهم وعادت شهيتهم على أشد ما كانت عليه ، ورجعت اليهم الميول الجنسية ودامت فيهم هذه الحالة مدة تبلغ ربع أعمارهم

يدعي الاستاذ ستيناخ انه لو عمل هذا العمل الجراحي على الانسان لأحدث فيه مثل ما أحدث في الفيران . وقد جرب ذلك في رجل بلغ الحادية والسبعين من عمره كان تقدم الى بعض الجراحين ليستخرج من جسمه غدة ممدة فانتهز الاستاذ ستيناخ هذه الفرصة واتفق مع ذلك الجراح على احداث تلك التجربة عليه . فكان ما أراد وظهرت ثمرة العمل عليه بشفائه من تصلب الشرايين ، وهو بلاء الشيخوخة الأكبر ، ومن ضيق في التنفس كان عنده ، ومن ضعف القلب ورعشة اليدين الخ

قال الاستاذ ستيناخ ويمكن اعادة الصبا الى السيدات أيضا بتلقيح مبايضهن ببيض حيوانة شابة . وقد جرب ذلك في الفيران فأخذ فارة أخنى عليها الزمن وأثقل ظهرها الهرم ولقح مبيضها بقطعة من مبيض فارة شابة فعاد اليها صباها حتى انها حملت ووضعت ستة فيران بعد بلوغها سن اليأس وغذتهم بلبنها على أكمل مايكون

العلم لمن يستحقه

(سنة جديدة في التعليم)

كتب الدكتور «تولوز» في مجلة « التقدم المدني » يقول ان النظام الاجتماعي الحالي يمنح العلم لمن يستطيع أن يشتريه لا لمن يستحقه . ويمكن تمييز من يستحقه باختبارهم لا في حفظ دروسهم كما هو الحال الآن فان هذا الحفظ لايدل الا على قوة الذاكرة وحدها بل باختبارهم على أسلوب نفساني فيزيولوجي فتمتحن ذاكرتهم ، وخاصة ملاحظتهم ، وصدق احكامهم ، وقوة تعقلهم وتصورهم . فاذا عرفت نتيجة هذا الامتحان عرف العلم الذي يمنح لكل طالب وبذلك تتوزع المعلومات على مستحقيها ويسهل عليهم النبوغ فيها

طريقة جديدة للتخدير العام

(بدل الكلوروفورم)

اعتاد الاطباء في جميع البلاد أن يحدثوا الخدر العام للجسم عند اجراء الاعمال الجراحية بالكلوروفورم على مافيه من المضار مضطرين الى استعماله لعدم وجود ما يقوم مقامه . ولكن العالم الفزيولوجي الروسي كرافكوف اهتدى الى مادة تحدث الخدر العام بواسطة الحقن جربها على الحيوانات وجاء الاستاذ فيديفوف فطبقها على الانسان فأتت بنتائج توجب الارتياح

أما تلك المادة فهي الهيدونال « ميتي بروبيكار بينول » بنسبة واحد الي مئة توضع في ماء مملح بنسبة سبعة في المئة

وطريقة العمل أن يكشف وريد من أوردة المرفق ويدخل فيه أنبوبة دقيقة ومن داخل تلك الانبوبة يصب السائل بمحقنة الى الدم . فمتى دار هذا الدواء في الدورة أحدث الخدر التام فيبدأ في العمل الجراحي المطلوب . ويجب التنبه للمصاب من حين الى حين وهو تحت المشرط فاذا شوهد انه أخذ في التنبه يعاد حقنه وهلم جرا حتى ينتهي العمل

هذه الطريقة استخدمت مئات من المرار في عهد حكومة السوفيت الحالية فثبت تفوقها على طريقة الكلوروفوم تفوقا لاحد له

من مزاياها ان المريض لايشعر بما يشعر به المعالج بالكلوروفوم من الاختناق عند بدء تخديره ولا يحدث له قيء بعد تيقظه

وفائدتها في الاعمال الجراحية التي تعمل على الرأس والحلق لاتقدر فان الاطباء يجدون صعوبة عظيمة فيها من جراء وجود الأداة الشاملة الكلوروفورم فوق أنف المريض طول مدة العمل

الصوم الطويل

﴿ وتأثيره على الصحة ﴾

اشتهر الدكتور الفرنسي «جيلبا» بأسلوبه في معالجة الامراض العضال بواسطة الصوم وقد نشر حديثا بحثا جليلا في مجلة «السيكولوجيا المطبق على العمل» لمديرها الدكتور « بيريون» بمناسبة صوم محافظ كورك ذكر فيه انه لا داعي للتعجب من بقاء ذلك الرجل بلا غذاء نحو خمسة وسبعين يوماً فان الانسان يستطيع احتمال هذا الحرمان مئة يوم على شرط أن يتعاطى مشروبا حراً محلي بالسكر وأن يتقي ضياع حرارته الجسدية سدًى وأن يستعين ببعض الاملاح المسهلة

، قال ان الصائم يفقد من وزنه اليوم في الأول والثاني من كيلو غرامين الى ثلاثة من وزنه ثم يقل هذا المقدار وينزل الى ٣٠٠ غرام ولا يجاوز أربع مئة على شرط أن يستعمل الصائم المسهلات المذكورة .

وفي هذه المناسبة نذكر ان الدكتور جيلبا هو مكتشف علاج البول السكري بواسطة الصوم . وذلك بأن يمتنع المصاب به عن الطعام ثلاثة أيام متوالية مع تعاطيه بعض المغليات والمسهلات وتكرار هذا الصوم من حين لآخر فيشفي شفاء مطلقا . وقد جرب هذا الصوم على مئات من المرضى فشفوا جميعاً بدون استثناء على ما كان بعضهم عليه من الحالة المؤيسة . وقد عول كثير من أعلام الطب على أسلوبه هذا وأنجوا من العذاب عدداً عديداً من الآدميين

وقد ألم الدكتور جلبا في مقالته التي ذكرناها بطرف من فائدة الصوم نؤثر نقله عنه كما هو قال :

« ومما يؤيد ماذكرته آنفا المعالجات المستعملة في بعض المستشفيات الولايات المتحدة وهي مؤسسة على الصوم الطويل المطلق لشفاء الامراض المزمنة . مثال ذلك ما يُرى لدى (ديويت) حيث تشاهد مرضى تقرر انهم غير قابلين للشفاء يحصلون على الشفاء بعد صيام أكثر من خمسين يوماً

« أما أنا فقد توصلت بالصيام ، ولكن لا على هذا الاسلوب من الشدة ، وبمساعدة المسهلات الى تغيير تام لانذار مرض البول السكري وداء النقطة فهذان المرضان اللذان كانا يعتبران غير قابلين للشفاء قد أصبحا قابلين له بواسطة طريقة «جيلبا» حتى ولو وصل الاول الى مظاهره النهائية الخطيرة «غنغرينة واغماء الخ» ولو اصابت الثاني أشد المضاعفات المشوهة

« هذه الامراض لتعلقها بفساد التغذية فلا غرو ان شفيت تماماً بالصيام المصحوب بالمسهلات أو وقفت عند حد لاتتعداه » انتهى

النظر من بعد

﴿ ظهور الارواح قبيل موت اجسادها ﴾

الاستاذ (كاميل فلاماريون) من أشهر علماء الارض وفلاسفتها بذل من عمره الطويل الموفق اكثر من خمسين سنة في دراسة الظواهر الروحية وفوق اعماله الفلكية فأدى للعلم خدماً يقدرها المشتغلون به حق قدرها

وقد نشر في الجزء الصادر في شهر يناير من هذه السنة من المجلة الروحية الباريسية فصلا جليل الفائدة تحت العنوان المتقدم قال منها:

« العالم الروحاني ، الذى لايزال مجهولا ، هو من الجلالة بحيث تمكن دراسته على وجوه شتى لفائدتنا العلمية

« اليوم أريد أن ألفت نظر قرائنا الى مسألة النظر عن بعد وهي المسألة التي لايزال محل النزاع بين الباحثين

« في حالة ظهور اشباح للاحياء تكون روح الميت هي التي تأتي الينا ولكن في حالة نظراتنا التلباتية (التلباتيا التأثر بالأشياء وهي بعيدة عنا) يكون الحال ان ارواحنا هي التي تنتقل الى المرئيات . وأنا أملك عن هذا الموضوع مشاهدات كثيرة جداً ذات تواريخ مختلفة »

ثم ذكر الاستاذ الحادثة الآتية وهي:

انه في ١٧ مارس سنة ١٨٦٣ أولمت البارونة دو بوازليف لعدد من العظماء منهم الجنرال فلورى الامير ياخور الأول للامبراطور نابليون الثالث والمسيو دولافين رئيس محكمة النقض والابرام والمسيو دوليسفو رئيس محكمة السين المدنية . فدار بينهم الكلام في اثناء الطعام عن حملة المكسيك وكان ابن البارونة أحد رجال تلك الحملة برتبة ملازم . فسألت البارونة الجنرال فلورى عما اذا كان لدى الحكومة اخبار عن تلك الحملة . فأجاب الضابط لعظماء سلبياً

انتهى الطعام بسرور وقامت البارونة لتأمر خدامها بعمل القهوة فلم تنته الى البهو المجاور حتى سقطت مغشياً عليها بعد صيحة أزعجت الحاضرين فأهرعوا اليها مسعفين، فلما عاد اليها رشدها أخبرتهم بأنها رأت في الجهة المقابلة لها ابنها بزيه العسكري ولكنه عارى الرأس وليس معه سلاح وكان وجهه شاحباً وعينه الأخرى محفورة يسيل منها الدم على وجهه وملابسه

فتسارع مدعووها لتهدئة بالها على ولدها بكل ما أوتوا من بيان . ولكن لكونها شعرت بضعف شديد استدعي طبيب الأسرة الدكتور نيلاتان المشهور فوصف لها بعض المهدئات فأصبحت على ما يرام الا ان بالها كان لايزال قلقا

فما مضى اسبوع حتى اخبرتها الحكومة رسمياً بأنه في ١٧ مارس اصيب ابنها في الساعة ٢ و ٥٠ دقيقة في اثناء الهجوم على (بويبلا) برصاصة في عينه اليسرى اخترقت الرأس كله .

فحسب الفرق بين خطوط الطول والعرض فاتفق ان الساعة التي ضرب فيها ابن البارونة تتفق وساعة اولية فأسرع الدكتور « نيلاآن » يعمل محضر الحادثة كتبه بنفسه المسودولاة بين رئيس المحكمة وهو أحد الحاضرين ورفعه الى زملائه أعضاء المجمع العلمي

ثم أتى الاستاذ على مشاهدات أخرى محققة حصلت قديماً وحديثاً وختمها بقوله :

« نحن من هذه المسائل أمام سر عظيم . ان سلطان الروح الانسانية يمتد الي مدى بعيد في الزمان والمكان معاً . الانسان ليس قائما فقط بجسمه المادى الذى سجل بسببه في سجلات الاحصاء ولكنه قائم أيضاً، بل قائم على الأخص، بكائن روحاني فيه يمتد سلطانه الى ما بعد المحيط الجسداني المحسوس . لا جرم ان علم الطبيعة الانسانية مما يجب اعادة تأليفه بجملته »

التجارب الروحية في المجمع الملكي
﴿ الفوتوغرافي بانجلترة ﴾

من أساليب التجارب الروحانية المقررة الاستعانة بالآلة الفوتوغرافية لمحض كل مايشتبه به من انخداع الحواس أو الوقوع في استهواء بفعل الوسيط يوهم به المجربين بأنهم يرون أشباحاً وما هي بشيء غير ايحا آت فكرية من قبله يسلطها علي الحاضرين بطريق التأثير المغناطيسي . فدفعاً لهذه الشبه رأى المجربون أن يستخدموا الآلة الفوتوغرافية فان تأثرت هي أيضاً بما رأوه هم بأعينهم كان ذلك دليلا قاطعاً على صحة مرئياتهم والافلا،فان المعادن لا تتأثر بالأوهام

وفي انجلترة مجمع علمي يدعى بالمجمع الملكي الفوتوغرافي أسس خصيصاً لترقية فن التصوير الشمسي لا يعد من أعضائه الا كبار الاخصائين . فبدا لأعضائه أن يجربوا مسألة التصوير الروحاني ليروا هل هي حقيقة ثابتة كما يقرره الروحيون أم خديعة من الوسطاء فعقدوا لذلك اجتماعات رسمية في نوفمبر من السنة الماضية اتخذوا له كل التحوطات التي يتخيلها العقل البشري فكانت نتيجة تجاربهم اثبات صحة الفوتوغرافية الروحية وكتبوا بذلك تقريراً رسمياً نشرته المجلات الانجليزية ننقله هنا عن المجلة الروحية الفرنسية من جزئها في يناير من هذه السنة (١٩٢١) جاء منه :

« نحن الموقعين على هذا أعضاء المجمع الملكي الفوتوغرافي نشهد بأنه قد فضت بحضرتنا علبة من الزجاجات الحساسة في احدي الغرف الظلماء للمجمع، وبعد عمل ما يلزم لها من الاعمال الفنية ظهرت على زجاجة منها كانت موجودة في وسط الزجاجات صورة وردة مفتحة . وقد أجريت الاعمال التصويرية وثبتت الصورة بحضورنا . ونشهد ايضاً بأن هذه الزجاجات الحساسة لم تمسها يد أحدنا قبل العمل . ولأخذ الصورة على الضوء الاحمر فلا يمكن أن يكون قد حدث أى تدليس (كابدال الزجاجات الحساسة) . ولنضف الى هذا ان الصورة جاءت على غاية ما تكون من الوضوح ، وقد ظهرت الوردة كما تكون على الحالة الطبيعية مفتوحة تماماً يحيط بها هالة من النور في حومتها » انتهى

أى سلاح بقي للمنكرين بعد هذه الشهادات الرسمية ؟



هي دائرة معارف كاملة فيها كل ما يسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم على اختلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص، وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل ما يهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد على حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة في عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشاً ومجلدة ٦٤٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا في أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ في كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

فمن شاء أن نرسل اليه كل شهر خمسة منها حولناها اليه بثمانية وعشرين قرشاً ومن شاء عشرة أجزاء حولناها بثلاثة وخمسين قرشاً ونوالى الارسال اليه شهريا حتى يستكمل جميع مجلداتها

﴿ صفوة العرفان في تفسير القرآن ﴾

هو مصحف مكتوب بخط اليد على ورق قباني صقيل في أسفل كل صفحة تفسيرها وقد راعينا فيه تفهيم معاني الكتاب الكريم لمن لا يتسع وقته لمراجعة المطولات وقد عنينا باللغة فأحسنا شرحها وبأسباب نزول الآيات وأتينا عليها من مصادرها . فهذا الكتاب يصلح أن يكون مصحفاً للتلاوة وتفسيراً في آن واحد . ثمنه غير مجلد ٤٠ قرشاً ومجلداً ٥٠ قرشاً

(العدد ٢ — في أول مارس سنة ١٩٢١)

الوجدانيات
هي مقالات فلسفية في [illegible]
الغرض منها تصوير مُثُل
عليا للحياة الفاضلة وإعداد
النفوس بالقوى الأدبية
الضرورية لها . وقد اخترنا
لها هذا الأسلوب لأنه أعظم أثراً
وأفعل في النفوس من سواه



الوجدانيات
[illegible] الأمم لا يستقيم أمرها إلا
بشكائم أدبية تستنزل من
[illegible] تتحكم في شؤونها .
وقد أثبت العلم أن الأخلاق
كانت دائماً السبب الرئيسي
لتقدم الأمم إلى أعلى المدنيات الفاضلة

(الوجدية الثانية)

قال الوجـدان :

يممت صوب الاهرام ، غدوة يوم من الأيام ، ممتطياً صهوة مطهم سبوح ، حديد الطرف طموح (١) فكنت أداول في سيره بين الخبب والإرخاء ، ورُبما وقفت لتأمل بعض الاشياء ، (٢) فلما انتهيت الي تلك المباني الخالدة ، وسرحت الطرف في سفوحها المشيدة ، وتعجبت ماشئت من المقاصد التى دعت الي انشائها ، والجهود التى بذلت في بنائها ، حُبب اليَّ أن أتوغل في الصحراء راجلا ، فعمدت الي فرسي فسلمت مقادته لأحد الأعراب ، وأمرته أن ينتظرني حتي أعود اليه ، وسرت أنا تداعبنى النسمات في يهماء لا ينتهي البصر الى حدودها (٣) ولا تأبه فيها النفس لوجودها ، فأوغلت فيها ثم أوغلت غير حاسب لشيء حساباً ، مدفوعاً بعامل الأنس بالمنظر الجديد حتي مضت ساعة ، فلما هممت بالرجعى لاح لي شبح من بعيد فحدثت نفسي بالانتهاء اليه ، لعلي أجد غريبة اسجلها على هذا الوجود ، وما أكثر غرائبه لمن ينظر بعقله ، ويعترف بمبلغ جهله

انتهيت الي ذلك الشبح فوجدت عجباً ، وجدت رجلا في زى الأفندية يناهز الخمسين من عمره ، وبجانبه طيارة وهو مكب علي إعدادها للطيران ، فحييته فرد أحسن رد ، فأطمعتني هشاشته في محادثته ، فقلت لأي جيش هذه الآلة الهوائية ؟

فنظر اليَّ متبسما وقال : هي لي أبارى بها الطيور في الجواء ، وأرود بها مملكة الهواء (٤)

قلت : لعلك أول من اتخذ طيارة من الافراد ، في هذه البلاد ؟

قال : لعل

قلت : فكيف حصلت عليها ؟

قال : صنعتها بيدىَّ

قلت : هذا عجيب

قال : أى عجب فيه ، أليست الطيارات من صنع الانسان ؟

قلت : نعم ولكنها لتعدد آلاتها ، ودقة أجزائها ، لايمكن عملها الا في المعامل الخاصة بها ، حيث توجد الأدوات ، وتتوافر المعدات

قال : من النـاس من لايحتاج الى آلات ، لصنع أكبر المصنوعات

قلت : هذا أعجب من الأمر الأول ، واني اراك مازحا

قال : اعتبره ان شئت مُزاحا ، أما أنا فما قلت لك الا حقاً صراحا

قلت : دعنا من هذا فهل أزمعت الطيران الآن ؟

قال : نعم ، ولكن لِطية ليست ببعيدة ، لا تستغرق غير دقائق معـدودة (١)

قلت : أتتفضل عليَّ بأخذى معك ؟

قال : لقد آليت علي نفسي أن لا أصحب الا أولي العزم ، الذين لا تضطرب أعصابهم عند نزول الشدائد ، ولا تجيش نفوسهم اذا دهمتهم المكاره (٢) فهم من رَباطة الجأش ، وقوة الناب بحيث تميد الجبال ميدا ، وتمور الارض بأهلها مورا (٣) ، وهم أضبط ما يكونون لشعورهم ، وأكمل ما يتمتعون بعقولهم . فان كنت بمكان من هذه الصفات فبها ونعمت ، والا فلست لي بصاحب

قلت : أوتقصد أن تغير بها علي الحصون والمعاقل ، وتستهدفها لنيران القنابل ؟

قال : معاذ الله أن أزعج آمناً ، أوأن أثير شراً كامناً

---

(١) الصهوة الظهر . والمطهم الحسن الخلق . والسبوح الفرس يركض كأنه يسبح وطموح أى يرمي الى الغايات البعيدة (٢) الخبب والارخاء من أنواع السير (٣) اليهماء الفلاة (٤) الجواء جمع جو

(١) الطية المقصد . والجهة التى يقصد اليها (٢) تجيش تغلي . والجأش اضطراب القلب ورباطة الجأش هى سكون القلب عند الفزع (٣) ومادت الجبال مالت . ومارت الارض اضطربت

قلت . اهويت أن نقتحم بها الجواء على غير هدى ، فانت تتوقع أن يصيبها الردى ، وأن تذهب حياتك سدى

قال : ان طيارني في مسابح الهواء ، آمن من السيارة على الغبراء ، وأهدى الى أغراضها من القطا الي الماء (١)

قلت : فعلامَ تتقاضاني اذن هذه الصفات العليا من البطولة ؟

قال : لعلك تنتهى الي مالم تتوقعه فتهلع ، أو تقع فيما لم تألفه فتجزع

قلت : هب انا انتهينا الى منقَطع الهواء ، أو رأينا مردة الشياطين تصعق برجوم السماء ، فلست ممن ترتعد له فريصة لهذه المشاهد ، ولا ينبض فيه عِرق من أفدح الشدائد (٢)

قال : لعل هنالك ماهو أشد على النفس مما تذكر ، فقد تجزع النفس من أمر صغير ماألفته ولاتخيلته ، مالا تجزع من أمر جلل تعودته وتوقعته

قلت : لاشيء أشد وقعاً على النفس من الموت الزؤام ، فقد وطنت عليه النفس والسلام (٣)

قال : لاتلمني بعدها ، فمن أنذر فقد أعذر ، هلم يوركة الله (٤)

فاعتليتها متتبعاً خطواته ، فاذا فيها كل الآلات الضرورية لمعرفة درجات الصعود ، ومسافات السير ، ورأيت فيها البارومتر على ٧٦ وهي درجة الضغط العادي للهواء ، وما هى الا ثانية حتي اندفعت بنا في الجو فنظرت الى المدينة ، فاذا بها كالأطلال الدوارس ، ، ثم أخذت آثارها تمحى بسرعة البرق حتى لم يبق لها أثر ، وصرنا في جو متجانس الجهات لانسمع فيه الا حفيف الطيارة ، فلما مضت دقيقة ، قلت لصاحبي ترى نحن على أي بعد من الارض الآن ؟

فضحك مقهقهاً ، ولم يزد

فمددت بصري الي البارومتر فاذا بزئبقه قد سقط حتى وقف على الصفر ، وهى علامة علي زوال الضغط الهوائى ، ومعنى ذلك اننا في جو ليس فيه هواء ، فرجعت الى نفسى فوجدتني أتنفس كما لو كنت على الارض . فصحت بصاحبي : رُحماك على أى ارتفاع نحن ؟

فضحك كالأول ، ولم يزد ؟

فقلت : نَشدتك اللهَ ألا ما أخبرتني

فقال : ألم أسرد عليك الصفات التى يجب أن تجتمع فيمن يصحبني فزعمت انك منها بالمكان الارفع ، فما بالك تجزع ؟

قلت : مابي من جزع ، ولكني أسألك هل ارتفعنا عن طبقة الهواء ؟

قال : ماذا تقول ؟ نحن الآن فوق طبقة الهواء بأكثر من خمس مئة

(١) الغبراء الارض . والقطا نوع من الطير شديد الاهتداء للماء (٢) الفريصة لحمة بعد الكتف ترتعد عند الفزع . ونبض العرق تحرك . وأفدح أى أشد . (٣) الموت الزُؤام السريع (٤) أعذر أبدى عذرا

الف ميل

قال الوجدان : فكدت أخر مغشياً عليّ من سماع هذا الكلام ، ولم أستطع أن أعود الي حالة من الجلد الكاذب الا بعد عدة دقائق

فقلت له : وكيف يعقل أن تجتاز الطيارة طبقة الهواء ، وهو علة امكانها في العلاء ؟

قال : سأحدثك عن ذلك متى وصلنا الى حيث نشاء

قلت : وكيف نعيش بغير أوكسيجين ، وما هو الغاز الذي تتنفسه في هذا الحين ؟

قال : سأريكه الساعة

وما أتم كلمته حتى أحسست بالاختناق ، فاضطربت أيما اضطراب ، ثم عاد اليّ النفس كما كان

فقلت : رُحماك ماهذا ؟

قال : لا بأس عليك ، لقد تركتك والجوّ الذي أنت فيه فحدث لك ما أحسست به ، ثم أمددتك بهواء من عندى فعادت اليك الحياة

قلت : أوتمدني بهواء ؟ من أين تأتى به ، وكيف تمسكه ، وكيف تنشره حولي ؟ كل هذا لايدركه عقلي

قال: أولست فيه ؟

قلت : نعم، ولكني لا أعقل ما تقول

قال : وأى شيء عقلت أنت أو أعلم عالم في الأرض من أسرار الكون ؟ ان الذي لديكم من العلم قشور من علائق الاشياء بعضها ببعض، فأنتم تراقبونها وتسجلونها وتحسبونها علما ، فان قصرتم قوى الوجود وأسراره على ماتعلمون ، وعلى ماتدركون وتعملون ، فقد حقرتم هذه اللانهاية تحقيراً لايغفر لعاقل ، ولا يسمح به حتى لجاهل . واذ كان من البله أن يصدق الانسان بكل مايقال ، فعلى المتثبت أن لايعجل بتكذيب ولا تصديق ، الا بعد تمحيص وتحقيق ، وأنت اليوم من هذه الرحلة فيما لايطوف بوهم وسترى مالا يحوم حوله فهم . فالجأ من الحكم عليه الى أي الاصول أردت

قلت وأنا أرتعد دهشاً : أظن أنه تكفيني هذه الدلالة الحسية ، في الاعتقاد بأن وراء العقل العادي شؤنا علوية ، وأسراراً خفية

قال: لا ، حتى ترى من المشاهد، مالم يتفق لراصد، ولايتسني لمفكر جاهد

قلت : الى أى مدى تقصد ، وقد بعدنا عن الارض الى حيث لا يبلغه منظار الفلكيين ، بل ولا خيال المتخيلين ؟

قال : الى أول كوكب يصادفنا من المجموعة الشمسية ، ثم التفت ، وقال أبشر فنحن على سَمت الغِطريف ، ذى الجو اللطيف ، والروح الخفيف ، فتأهب للنزول عليه (١)

(١) السمت الطريق

وما هما الا ثانيتين حتى استقرت الطيارة على أرض صلبة ، وما كدنا حتى أحاطت بنا زُمَر من المخلوقات تشبهنا في الجملة ، وتفوقنا في التفصيل (١) فهى كائنات انسانية ، الا أنها أرق بشرة ، وأجمل محيّا(٢) وأعدل قواماً ، تتألق وجوههم نوراً ، وتُشع أعينهم ذكاء ، وعليهم ألبسة مفصلة على أجسادهم ، لا مضيقة تحصر الدم في أوعيته ، ولا موسعة تعوق الجسم عن حركته ، وهى من أقمشة تزرى بأثمن أنواع الحرير عندنا ، والجميع على نمط واحد من الشبه ، الا فروقا يسيرة

قال الوجدان : فنظرت الى وجه صاحبي ، وأنا أكاد أقع مغمي عليّ من الدهش والذعر ، فمسح على صدرى وقال : افهم مايقولون ، وانشره بين الناس لعلهم يعقلون. أما أنا فذاهب وحدى لزيارة صديق لي في المريخ ، وأخرق المشتري ، ولن أبطيء عليك فكن من الثابتين ، واشرطي عليك من الذاكرين . ثم قادني خارج الطيارة ، في وسط النظّارة ، من أهل تلك السيارة

قال الوجدان : فلم أستطع أن انبس بكلمة من شدة الهلع (٣) وانـدفع صاحبي في الجو لا اقول كالسهم ولا الوهم ، بل بسرعة لا يدركها خيال ، ولا تخطر ببال . وأخذت تلك النظارة تكتظ حولي مع مراعاة أدب لم اعهده في سكان هذه الارض ، وما راعني الا اني رأيتني أفهم ما يقولونه وان كانت لهجتهم غير عربية ، ولا مما نعهده من اللغات الأعجمية ، واقترب مني واحد وقال لن تُراع ان تُراع ، وسمعت بعض النظارة يقول لبعض ، ترى من أي الكواكب هذا ؟ فأجابه واحد: هذا من سكان الزهرة ، فقال آخر: بل هو من أهل نبتون ، وقال ثالث : يخيل اليّ انه من ثابتة عطارد ، فقال رابع: لا يفصل لنا في هذا الأمر الا رئيس المرصد الفلكى فهلم بنا اليه

قال الوجدان : فتقدم اليّ واحد ممن حولي ، وقال: أتسمح بالمضي معنا خطوات ؟ فأومأت اليهم بالايجاب ، فمشي ومشيت معه ، فسرت بين قصور قد اخذت زخرفها وازّينت ، وبلغت من الجمال الي ما بلغت ، فلو أعطيت مثل خيالي الف خيال ، لما استطعت أن أصورها بحال ، فمنها مايشبه اليواقيت ، ومنها مايضارع الدرر ، ومنها ما يحاكي الماس ، ومنها ما يخرج عن القياس ، ولم يعهده الناس ، وقد أحاطت بها حدائق بارت فيها ملكتا التنسيق والاختراع ، قوى الطبيعة فى الانتاج والابداع ، تمتد على شوارع هي اشبه بردَهات القصور ، منها بطرقات المرور (٤) ، فما سرنا غير قليل ، حتى انتهينا الى بناء جميل ، فيه ساحة تبلغ الميل ، هو

---

(١) الزّمر جمع زُمرة وهى الجماعة (٢) المحيا الوجه (٣) نبس بوزن ضرب تكلم، واكثر ما يستعمل مع النفى (٤) الردْهة الحجرة الكبرى من الدار

مسكن استاذهم الجليل [illegible] على عليه ، فأتام الاذن [illegible] فدخلوا وكانوا يبلغون عدة مئين ، فجلسوا في بهو يبلغ من الفخامة حداً لا أجد عبارة تقربه الى الحد المألوف ، ومن السعة بحيث لايضيق عن عدة الوف ، فسمعت ازيز آلات ، كأنها تلفونات ، وما هى الا برهة حتى غص هذا المكان على سعته ، فرأيتني وأنا بلباسي العادى ، ولست من المتسامحين فيه ، بين هؤلاء القوم كأني خادمهم ، بل كأنى ممثل مضحك ارتدى بأردية أهل القرون الخوالي ، من الأزياء البوالي، وما مضت دقيقتان حتى أقبل أستاذهم الكبير ، في ابهة تحني الرؤوس ، وهشاشة تستهوي النفوس ، فحيا الحاضرين ، فأجابوه شاكرين ، وما جلس حتى أقبل رجال لا يمتازون في ألبستهم وابهتهم عن صاحب الدار فقدموا للحاضرين شرابا في أوان لا استطيع الا أن أقول انها منحوتة من قطع الماس ، فتناولت منها كوبة لا أزال أحس بطعم مافيها الى هذه الساعة ، وما مرت غير دقيقة أخرى حتى وضع في وسط الجمع خوان وأمرت أن اجلس فوق كرسى عليه ، وقام الاستاذ ووقف بجانبى وقال :

هذا من سكان الارض ، لا من المريخ ولا من الزهرة ولا عطارد كما ظن بعضكم ، وهو من الأقاليم المعتدلة من القسم المتمدين من سكان ذلك السيار الصغير ، وقد وقفنا في السنوات الأخيرة بعد استخدامنا للأثير واخترا عنا المنظار المكبر الي مئة مليون ضعف ، وايجادنا للآلة البديعة التى نلقى فيها تياراتهم الكهربائية والمغناطيسية التى يستخدمونها في تلغرافاتهم وتلفوناتهم ، قد وقفنا على تفاصيل ثمينة لحالتهم المدنية ، وشؤنهم الاجتماعية مما استطيع أن أذكره لكم بوجه الاجمال الساعة

بلغ سكان الارض من العلم والمدنية ، الى مثل ما كنا عليه قبل نحو مئة الف عام ، فالعلم لا يزال قاصرا عندهم علي العلائق الموجودة بين الكائنات ، فلم يتوصلوا بعد الي ادراك كنه المادة ، ولم يهتدوا الى طريقة تحويلها الي اثير ، ولا الي وجه استخدامه ، بل تخيلوا وجوده تخيلا. ولا يزال انتفاعهم بالكهرباء و المغناطيسية قاصراً على استخدامهما في ايجاد الحركة ونقل الاشارات فى دائرة كرتهم الارضية ، أما علومهم الفلكية فهي لا تزال قاصرة على رصد الكواكب ، ومعرفة أماكنها وابعادها ، فالأجرام السماوية لا تزال فى نظرهم نقطا لامعة في هذه اللانهاية، لقصور منظاراتهم الكبرى ، فهم لا يعلمون عن امر هذه الاجرام الا تخيلهم انها مأهولة ، بل فيهم من لا يزال ينكر ذلك (تبسم من الموجودين). انكم تبتسمون واذا تفعلون لو قلت لكم ان منهم من يجزم الى اليوم بأن كرتهم الأرضية [illegible] العالم كله ، وأن الكون وما فيه تبع لها ، ولم يخلق الا من أجلها (ضحك عال)

بلغ سكان الأرض درجة من الشعور ، ولكنها لا تزال قريبة من

درجة شعور الانواع العليا من المملكة الحيوانية ، ومن أظهر مظاهر ذلك ان الحق لايزال عندهم للقوة الجسدية .

نعم ان بعض طوائفهم سنوا شرائع فيها خيال من روح العدل ، ولكنهم قصروها على المنازعات الفردية ، أما الخلافات التي تقوم بين الأمم فلا يزال يفصل فيها الحديد والنار (جلبة اشمئزاز من السامعين) . وقد افتتن مفكروهم وعلماؤهم في ابتكار الآلات المدمرة ، وتباروا فيها ، وعمد قادتهم الى حشد الرجال لتدريبهم على استخدامها الى حد أنهم ينفقون عليها من أموالهم في السنة ، ما يربو على عشرة أضعاف ما ينفقون على التهذيب والتربية (آهات من بعض المقاعد)

فتراهم اذا شجر خلاف بين أمتين لا يعمدون الى الخطة الفاصلة ، أمام الشريعة العادلة ، ولكن الى الآلات الجهنمية ، والأدوات الشيطانية ، فيحتشد من كلتا الطائفتين ملايين الشباب ، ثم يتراصون تراص الذئاب ، اذا أزمعت الوثاب

فاذا نقر لهم في الناقور ، أو نفخ لهم في الصور ، اشتغلوا بالتناحر (١) فلا يزالون يترامون بالنيران ، ويفتنون في ضروب الجولان ، وفي أثناء ذلك تسقط منهم الالوف قتلى ، وعشرات الألوف جرحى ، بين خارجة امعاؤهم ، ومحطمة أشلاؤهم (٢) حتى يولي أحد الفريقين هاربا ، فيتبعه الفريق الآخر دأبا ، هنالك ينطق السيف بالحكم ، ويكون للغالب الغنم ، وعلى المغلوب الغرم (ضجة استفظاع من السامعين)

أما التهذيب الخلقي فلا يزال على الارض قاصراً على الظواهر ، لم يمتد الى السرائر ، ولم يتناول الضمائر ، فقد يقابل أحدهم صاحبه هاشا باشا وقلبه ينطف عليه حقداً ، ويتلظى منه حسدا (٣) ولقد أدمنوا هذا الضرب من التصنع حتى ان المتحاقدين قد يتزاملان سنين ، ويكون بينهما ما يكون بين المتآخين ، فاذا لاحت لاحدهما فرصة للايقاع بصاحبه افترصها غير متحرج ، فان استدعى ايذاؤه نصب الحبائل ، وتدبير الوسائل ، عمد الى ذلك غير متأثم (٤) وهو في أثناء ذلك اذا قابله ضمه الى صدره متظاهراً بالشغف ، وقبل وجنته متصنعاً أخدع ضروب الكلف

أما من جهة خضوعهم للمطالب الجسمية ، وعبوديتهم للمقتضيات البهيمية ، فلا يزالون على حالة توجب الأسف ، فهم يشربون السوائل المتخمرة ، ويتعاطون المواد المخدرة ، ويأكلون فوق حاجتهم ، ويتكلفون ماوراء طاقتهم ، يتظاهرون بذلك ولا يخجلون ، بل يعدونه مما يتنافس فيه المتنافسون . ويتباهى به المتباهون

(١) الناقور البوق ونقر في الناقور أى نفخ فيه ليصوت . والصور بمعنى البوق أيضاً (٢) الاشلاء جمع شلو وهو العضو (٣) ينطف أى يقطر (٤) التحرج هو توقي الوقوع فى الحرج . والتأثم تحري عدم الوقوع في الإثم

ومما يوجب الدهش انهم لفرط استخذائهم لسلطان أهوائهم ، (١) يفتقدون التصون فيما يستنكر من العجماوات ، ويأتونه كأنه من الهنات الهينات (٢) حتى فرض بعض نسائهم على أنفسهن الحجاب ، وقل أن سلمن معه من العاب (٣) فترى الواحدة منهن ان اضطرت لمزايلة داوها ح وات ، تناولها الكافة بالنظرات الخائنات ، وخصها البعض بالكلمات الجارحات ، وتبعها أشدهم كلبا فرادى وجماعات (٤) فلا تزال تحاز عنهم ذات اليمين وذات الشمال ، وهم يتعقبونها بغير ملال ، ويرمونها بسهام من ساقط الاقوال ، حتى تتعثر في أذيالها حياء ، وتكاد تسقط إعياء ، والناس ينظرون الى الفرسان والفريسة فكهين ، ويتبسمون لهم مشجعين ، لا تثور فيهم حمية ، ولا تتحرك منهم نفس أبية ، كأن تلك ليست أختهم في الانسانية ، وكأن نساءهم بمنجاة من هذه الطغمة الوحشية

ولو كان هذا المنكر قاصراً على جهالهم ، ووقفاً على رذالهم ، لهانت البلية ، وخفت الرزية ، ولكنها تكاد تكون عامة فيهم ، فمن لم يأتها جهاراً لي أعين الجماهير ، يأتيها سراً في المواخير

وأعجب من هذا وأشد منه هولا على النفوس ، مما يدل على اضاعتهم للناموس ، ان فيها ما من عاهريهم ، يصحبون نساء من عاهراتهم ، ومن على أشد حالات التبتك والتبرج ، فيمرون وسط أهل طرقهم بالمارة فيشيعهم الناس بنظراتهم باسمين ، مغتبطين بهم وغابطين (٥) كأنهم لا يرون الا أموراً عادية ، بل منهم من يعدها من ضرورات المدنية (تأفف من السامعين)

ومما يرثى لأهل الارض منه ، انهم لايزالون يجعلون همهم وقفاً على استخدام القوى الطبيعية ، غير حاسبين حسابا لقواهم النفسية ، فهم لايزالون في عماية عما لأرواحهم من القدر ، ولقواهم المعنوية من الخصائص الكبر (٦) فترى مفكريهم مكبين ليل نهار على دراسة الكهرباء ، وفيما يمكن تسخيرها فيه من الأشياء ، ولا يفكرون ساعة في الاستفادة من قواهم الذاتية ، التي هى مجتمع القوى الكونية (تعجب عظيم من الحاضرين)

انكم تعجبون من هذا الاهمال ، وما كنتم فاعلين لو قلت لكم ان منهم ، بل من كبار علمائهم ، من يدعى أن الانسان والحجر سواء ، وان الاول لايمتاز عن الثاني الا بالتغذي والتوالد والنماء ، وان الحياة ليست الا صفة المادة العمياء ، وأن أعلى رأس في المفكرين ، كأحقر حصاة في

(١) استخذائهم أى ذلهم (٢) الهنات جمع هنة وهي الشيء الحقير (٣) العاب وهو العيب (٤) الكلب داء يصيب الكلاب والمراد هنا شدة الحرص (٥) المغتبطين المسرورين . والغابطين الذين يتمنون لأنفسهم مثل مايرونه لغيرهم (٦) القدر على وزن عمر جمع قدرة أى قوة . والكبر بوزن عمر أيضا جمع كبيرة

الارضيين ، تنتهي فى نهاية تحليلها الى الطين (ضحك عال متواصل من السامعين)

هذا موجز من حال سكان الارض قد بسطته لكم في مناسبة هبوط أحدأفرادهم علي المطريف، وسأتوسع في نشر ماقفنا عليه من أحوالهم في مؤلف خاص ، بعد أن أستجمع كل ماهدتنا اليه وسائلنا الفلكيـة ، وانى أتوقع أن يكون أخونا الارضي هذا قد برّح به الهلع ، وساءت ظنونه بهذا المجتمع ، فردوه الي حيث وجدتموه ، فقد عاد صاحبه فيما أرجوه

قال الوجدان : فأمرنى واحـد منهم بالمضي معه ، فقمت وقـد جللو العرق خجلا ، وجمد دمي وجلا ، فلم أعد نظراً على مامررت به من البدائع في الطريق ، دَهَشا مما سمعت ، وعجباً مما فهمت ، وبينما أنا غرق في لجة هذا الذهول ، واذا بيد لطيفة وقائل يقول ، هلم لنعد الى الارض ،

قلت : سلام عليك ، أنت صاحب الطياره ؟

قال : أنا هو فهل تذم جواره ؟

قلت : حاش لله ، ولـكن أسرع بى الي الارض فقد بلغ منى الذهول مبلغه ، وأخشي أن أن أفقد عقلي معه

قال : لا بأس عليك ، هلم باسم الله

فأسرعت الي أخـذ مكاني منها وما هو الا كلمح البصر أو هو أقرب حتي اندفعنا في هذه اللانهاية ، وما كدت أحاول الرجعى من الذهول الذي عرانى حتى صاح بي صاحبي : تهيأ للنزول ياوجدان ، فقد لاح الهرمان . وما كدت أرتاب في هذا القول، حتى رأيتني بجانب أبي الهول

فالتفت الىّ وقال : الى أى حد بلغت منك هذه السياحة ؟

قلت : الي حيث لا أدرى أهي فى نوم أم يقظة

قال : لو أمكن ذلك لك فى النوم ، لـكنت واحداً من القوم

قلت : أى قوم ؟

قال : رجال استوت عندهم حالات الحياة ، وسقطت جميع الفواصـل بينها ، فهم أيقظ مايكونون اذا نامت عيونهم ، ووقفت حواسهم ، قدخلصت أرواحهم من سجن المادة فأصبحت أجسادهم مطايا لهم ، يحملونها كما يحمل أحدنا الدابة ، لا أنهم استعبدوا ارواحهم لاجسادهم فأصبحوا بهائم وان كانوا يلبسون الثياب المفوفة ، ويتفيهقون بالعلم والفلسفة (١)

قلت : من هؤلاء الاكياس ، وكيف أميزهم في الناس(٢)؟

قال : ايهٍ ، رب أشعث أغـبر لايؤبه له ، لو اقسم عـلى الله لأبر قسمه(٣)

(١) الثياب المفوفة المخططة . ويتفيهقون أى يتشدقون (٢) الأكياس جمع كيس بوزن حيز . ومازه بمعني ميزه (٣) الأشعث المغبر الرأس المتلبد الشعر أو المنتشره لقلة تعهده اياه . والأغبر مالونه الغبرةوهي التراب

قلت : انى مما فقتنى به في حيرة ، وقد التبك عقلي (١) فلم أعد أميز بين الممكن والمستحيل ، فهل لك أن تخلصني مما ورّطتني فيه ؟

قال الوجدان : فأخذ صاحبي يضحك هو ويقول : الممكن والمستحيل لشدّ ما حجبتكم الحجب ، ونالت منكم سفسطات الكتب .

ثم التفت اليّ وقال : أرى لو ربيت بوادٍ لا ترى فيه الحمل والولاد(٢) ثم قيل لك انك على جلالة قدرك ، ورجاحة عقلك ، نشأت من تلاقى طعتين ، تتقزز من تأملهما العين (٣) ثم قذف بك الي هذا العالم من حيث تقذف الفضلات ، وسيل المفرزات ، ففى أى القسمين كنت واضعاً هذا الخبر ، في قسم الممكنات أم المستحيلات ؟

ولو نشأت في فاصية من الارض جدبة ، لا ترى فيهـا غير الصخور والسماء ، وأتيت بزهرة من الياسمين ، وهي في شكلها الأنيق . وقدها الرشيق ، وإغريضها الندىّ ، وشذاها العطري(٤) ثم قيل لك هذه أصلها من بزرة لاتكاد تراها العين ، دفنت فى هذه الارض الجرداء ، وأمدت بقليل من الماء ، ثم تركت وشأنهـا ، فنمت بذاتها ، فصارت أولا شجرة خضراء ، تولدت عليها هذه الانجم الغراء ، فماذا كنت مقابلا مخبرك أبالتصديق أم بالتكـذيب ؟ وهلم جرا ، فانى أستطيع أن أعد لك كل ماتقع عليه الآن عينك ، وسائلك عنه عـلي هذا النحو ، ومحاكمك الى منطقك الجليـل ، لا أرى مكانك من الممكن والمستحيل

قال الوجدان : فوالله لقد شعرت بمثل مايشعر به الكفيف اذا فوجيء بالإبصار، أو بالمغشيّ عليه اذا بوغت بالايقـاظ

فقلت : يرحمك الله من أنت ؟

فوالله ما كدت أتم سؤالي حتى نظرت فاذا هو قد انقلب بلبلا بعينين براقتين، وريش يأخذه زخرفه بالعين

فقلت: وَيْ ، أأنت البلبل المغرد(٥)

فقال : كم أقول لك أنا الحكيم بن مرشد؟

قلت : ألا تتفضل عليّ بحل هذا المعمّى ، وتخبرنى كيف تستبدل بجسم جسما

قال : اللبيب تـكفيه الاشارة

فالتفت فلم أر البلبل ولا الطيارة

(١) التبك ارتبك (٢) الولاد الولادة (٣) تتقزز تأنف (٤) الانيق المعجب . والرشيق الظريف المعتدل القد . والاغريض بوزن الابريق كل أبيض طري . والشذى الرائحة (٥) وى كلمة تعجب تقول وى لزيد أى أعجب به

متفرقات وفوائد شتى

تحول الفلسفة العصرية

كانت الفلسفة منذ نحو ربع قرن مادية محضة متأثرة بأصول دارون وبوخنر وهيكل واوجست كونت من أئمة المذهب المادي والنظام الآلي للكون . أي بأن المادة هي الموجود المطلق وانها محكومة بنواميس أزلية أبدية مطبوعـة علي النظام ولكنها لا تعي ولا تعقل . مؤدى هـذا كله ان الفلسفة الأوربية كانت ترى ان الكون كله مادة حتي ان القوة العقلية التي للانسان ليست مستمدة من روح مستقلة فيه ولا من روح عامـة في الوجود وإنما هي نتيجة القوى المادية لجثمانه ، وان الانسان متي مات انتهى وجوده وذهب الى حيث تذهب كل الاجساد البالية

كانت هذه صبغة الفلسفة الى ذلك العهد وكان كل من يجرأ على القول بالروح أو بعالم أرقى من العالم المادى يعتبر من النفل الذين رسخت فيهم العقائد القديمة بطريق الوراثة

١ـ (الانقلاب الجديد)

حدث في سنة ١٨٤٦ أن اشتهر بيت في مدينـة هيدسفيل بأمريكا انه مسكون بروح وبأن الساكنة بالمنزل وهي مدام فوكس تمكنت من مخاطبته بواسطة الاصطلاح علي عدد الطرقات (طرقتان تعني لا وطرقة واحدة تعني نعم) وعلمت منه بهذه الوسيلة أنه روح رجـل كان ساكناً بهذا المنزل فقتله جاره فيه وسلبه ماله . فأسرعت هذه المرأة باخبار البوليس فحضر رجاله واتخذوا كل التحوطات الممكنة وسمعوا الطرقات وفهموا مغزاها واهتدوا بواسطتها الى المكان المدفون فيه بالدار . فأعلم البـوليس النيابة فحضرت وبعد استجواب الروح أمرت بالحفر بالمكان المعين فاستخرجت الجثة وضبط الفاعل وأقر بجريمته

أثارت هـذه الحادثة الرسمية الجرائد والمجلات ودفعت الباحثين لاستطلاع سر هـذا الأمر فقصد هـذه الدار جماهير من العلماء والفضلاء فانثنوا كلهـم وهم معتقدون بصحة وجود ذلك الروح وكان من أولئك الباحثين (ادموندس) رئيس مجلس الشيوخ الامريكي والاستاذ (مابس) مدرس الكيمياء بالجامعة والعالم الكبير (هير) فاقتنعوا كلهم بصحة هـذه الظاهرة وألفوا فيها رسائل . فهاج الرأى العام وظن هـذا الأمر رجوعا من أهل العلم الى الخرافات البائدة، ولكن الحوادث التي يمكن تحقيقها بالتجربة لايمكن أن يدحضها شيء ، فكان من يشتد في التكذيب يسعى الى ذلك البيت وتترك له الحرية التامة في اتخاذ التحوطات [illegible] وكله اعتقاد بصحة هذا الامر وينضم الى صفوف المصدقين ، وشرع النـاس في كل بلد بعمل تحقيقات علمية علي كل دار اشتهرت بأنها مسكونة بالارواح فتبين ان الأمر ليس بقاصر علي دار هيدسفيل بل هي عامـة في كل دار من هـذا القبيل . فاشتد ساعد أنصار هذه الحركة وعدوها فتحا جديداً الي عالم الروح الذي أخبرت عنه الاديان ، من أول وجود الانسان، وعده العلم من الاوهام تعصباً منه في الاشتغال به

٢ ـ (مهمة الارواح)

استمرت الروح التى ظهرت في دار هيدسفيل علي الظهور فألفها ابنتا مدام فوكس وكانتا تناجيانها في كل حين وأتت معها أرواح أخرى فكان بيتها مثابة للمجربين، من العلماء والباحثين

وفي ذات يوم حضرت الروح وأخبرت ابنتي مدام فوكس بأنها ماخصتهما بالاتصال بها لتلعب أو تلهو بل لتثبت للعالم ان أرواح موتاهم حية في عالم وراء هذا العالم، وانها خالدة لاتبيد بتلاشي أجسادها ، ورأت ادلالا على ذلك أن تعلن البنتان ، وكان عمر احداهما ١٤ والثانية ١٢ سنة ،أن الارواح ستبرهن بواسطتهما للباحثين بأن الروح موجودة وخالدة ، وارتأت أن يكون ذلك بغرفة المحاضرات الكبرى في نيويورك . فاستنكر البنتان هذا الأمر وعدتاه مفقداً لكرامتهما ومصيباً لمستقبلهما ، فأبتاه . فأنذرتهما الروح بأنهما ان أصرتا علي ابائهما لاتعود اليهما . فأصرتا مضطرتين، فانقطعت عن الاتصال بهما . ولكنهما وجدتا من انقطاعهـا وحشة ، فشكتا ذلك لصديق لهما فأشار عليهما بالاقتراح علي الروح بأن يكون الاجتماع في ردهات الدور الكبري لبعض الاعيـان من معارفهما ، لا في قاعة المحاضرات الكبرى ، ثم التدرج من ذلك الى ماهو أعم منه. فقبلت الروح هذا الاقتراح فكان البنتان تذهبان الي بعض تلك الدور ويدعو أصحابها لهن العلماء والباحثين فيحضرون ، وتبدي الروح ضروبا من الخوارق لايمكن تعليلها بالغش ولا التدليس، فكانوا يؤمنون بوجودها أفواجا أفواجا . فلم يمض غير قليل حتى انقلبت هـذه الحركة في أمريكا الي حركة تجديد للمدركات العلمية والفلسفية

٣ـ (ظهور خاصة الوساطة)

في أثناء تحقق الناس لهذه الخوارق الروحية اتضح انها تحـدث على أحسن مايكون بحضرة أفراد دون أفراد آخرين، فسئلت عنهم الارواح فقالت ان فيهم مزايا تسهل عليهم الظهور والاتصال بالاحياء ، فسمى هؤلاء الافراد بالوسطاء . والوساطة غير خاصة بجنس ولا بسن معينة فقد ظهرت حتى في الاطفال الرضع . واتضح في أثناء تجارب العلمـاء ان كثيراً منهم وسطاء مثل العالم (فارلي) الانجليزي والصحفي الأشهر (وليم ستيد) والروائي الفرنسي الكبير (ساردو) وامرأة الوزير الروسي (أكزاكوف) وابنتي

ورئيس مجلس الشيوخ الامريكي (ادموندس) وبنت الماروب كيركوب الانجليزي وهو من لاشرف وكان عمرها تسعة أيام « ايام لا أعوام » حين أمسكت القلم بيدها وكتبت رسالة عن جدتها المتوفاة

٤ ـ (تدخل العلم لحسم نزاع)

انتقلت هذه الحوادث الى انجلترة فقام بتحقيقها مع الوسيط (هوم) العلامة الكيماوي الكبير السير «وليم كروكيس» وهو من أعضاء المجمع العلمي الملكي ، فقرر صحتها بكتاب أسماه «المباحث النفسية» ، والاستاذ الفزيولوجي المشهور مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي «روسل ولاس» ، أكد سلامتها من التدليس وكتب عنها مؤلفا بديعا دعاه « معجزات العصر الحاضر » وذهب هذا المذهب آخرون ، فتقدم طلب من الأمة الى المجمع العلمي باعطاء الناس حكما حاسما في هذا الموضوع ، فندب هذا المجمع ثلاثين من أكبر العلماء من أعضائه وكلفهم ببحث هذه الخوارق بالاساليب العلمية الدقيق وابداء رأي حاسم فيها . ولا يخفى ان مثل هذا العدد من أكبر علماء الارض، ممن لايتأثرون بعقيدة ولا بتقليد، ومن أمة مشهورة بالبعد عن الخيالات، وبشدة الركون الى المشاهدات، أكبر ضمان لمن يريد أن يقف على اللباب في هذا الباب

بقيت هذه الجمعية ثمانية عشر شهراً وصرفت أقصى ما يبلغه الجهد البشري في التحقيق والتمحيص ثم وضعت تقريراً في ذلك وقع في أكثر من خمس مئة صفحة ترجم الى كثير من اللغات الأوربية ننقل من نسخته الفرنسية ما يأتي:

٥ ـ (حكم العلم بصحة هذه الخوارق)

جاء في تقرير لجنة المجمع العلمي البريطاني :

« كل هذه الاجتماعات عقدت في الدور الخاصة بأعضاء اللجنة لتنفي كل احتمال في اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أي نوع كان

« وقد عملنا تجاربنا في ضوء الغاز ماعدا عدداً قليلا منها اقتضى فيها شأنه الخاص أن نعمله في الظلام دقائق معدودة

. وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة في الخارج أو الذين يأخذون أجراً على عملهم هذا فكان واسطتنا الوحيد أحد أعضاء اللجنة وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة المطلقة وليس له غرض مالي يرمي اليه ولا أي مصلحة في غش اللجنة

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله عملت بصبر وثبات . وقد ديرت هذه التجارب في أحوال كثيرة لاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وابعاد كل احتمال لغش أو توهم

وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ومقتنعون أشد اقتناع بأنها كانت اما نتيجة لتدليس أو توهم أو أنها حادثة بحركة غير ارادية للعضلات ، ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم السابقة الا بعد ظهورها بوضوح لا تمكن مقاومته وفي شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة ، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لا غبار عليها . » الخ الخ

هذه صفحة مما جاء في ذلك التقرير ، وهو رأى العلم الرسمي، فلا غرو ان انتشرت هذه الحركه بعد صدور هذا التقرير انتشارا لم يسبق له مثيل، فلم تبق مدينة الا وقام فيها مجتمع لبحث هذه الخوارق، وصارت لها مجلات تعد بالمئين، وصدرت فيها كتب تحسب اليوم بالألوف، الا ان أشهر مجامعها (جمعية المباحث النفسية) بلوندرة وقد ألفها جمهور من علماء جامعة كمبردج سنة ١٨٨٢ ولا تزال قائمة للآن وقد جمعت من تجاربها مايقع في أكثر من أربعين مجلداً ولها مجلة خاصة ، والمجمع العلمي الروحاني في فرنسا الذي تألف في سنة ١٩١٩ بهمة العلماء الأكابر كاميل فلامريون الفلكي والدكتور اجوست جيليه والاستاذ شارل ريشيه من المجمع العلمي الفرنسي والمدرس بمدرسة الطب ، والدكتور كالت مفتش صحة باريز ومكتشف لقاح السل الذي نقل خبره الينا روتر منذ شهرين، والعالم دوغراموف احد وزراء فرنسا السابقين الخ الخ

٦ ـ (نتيجة هذه المباحث)

لا جرم كانت ثمرة كل هذه المباحث اثبات وجود عالم روحاني وراء هذا العالم ، ولكن لا بالقضايا المنطقية، بل بالاساليب الحسية العلمية، وهو انتقال تام للمدركات الانسانية، انتقال في الاصول لم يحدث له مثيل في عهد من عهود الانسان ، انقلبت معه الفلسفة من مادية بحتة الى روحانية تجريبية ، وقد بدأ أثر هذا الانقلاب في أخلاق البشر فتمكنت أمريكا من ابطال الخمر، وما كان يمكن ابطال هذه الآفة لولا ان أمريكا قد انتشر فيها هذا المذهب كل الانتشار . ومتى عم انتشاره تم ذلك تطور للبشرية لا يعلم مبلغ جلاله الا الله

٧ ـ (اعتراف الفلسفة بانقلابها)

جاء في مجلة (ريفا) وهي فلسفية علمية في عددها الصادر في يناير من هذه السنة ما يأتي

« لقد دخلت الفلسفة العصرية في عهد جديد منذ بدءها بالاعتراف بوجود العقل الباطن والدأب على البحث فيه . وهذا العلم بالعقل الباطن

هو الذي سيقيم جسراً بين العلم الحسي والايمان الذاتي لأن هده المسئلة الضخمة تفتح الباب على مصراعيه الى العالم المحتجب الذي تظهر فيه العقول مستقلة عن المخ المادي ، وتصطدم بساتير الشخصية الانسانية التي تتقدم ميلاد الجسد الى ما يحتمل معه انها تكون عاشت في وجودات سابقة على وجودها الاخير

الى أن قالت في ختام هذا المقال :

« فالخروج من مدركاتنا السابقة عن الزمان والمكان والصورة هو الوصف المميز لهذا الاندفاع الخطير الذي يجذب الفلسفة مع ما بقي من المدركات الأخرى . فيمكن أن يقال والحالة هذه ان الانسان وصل الى عتبة دور جديد من أدوار الشعور ، وهو عهد عجيب يمكن تشبيهه بعهد يقظة الخصائص العملية لدى الحيوان بعد أن كان مستعبداً لعوامل الفطرة وهذا الانتقال القريب مؤذن للانسان بدرجة من التكمل لا يمكن تصورها الآن » انتهى

٨ - (غرضنا من هذا البيان)

غرضنا من بسط هذه المقدمات أن نعد أذهان القراء لفهم ما سنأتيهم به من المباحث الحديثة في الروح الانسانية من الوجهة التحريبية ، وهي المباحث التي قام بها اقطاب العلم الرسمي في انحاء العالم كله وأثبتوا بها بالتجربة وجود روح للانسان مستقلة عن جسده وصالحة لأن تعيش بعيدة عنه وتظهر للاحياء بعد تخلصها من الجسد بواسطة وبغير واسطة . هنا اتفق العلم وجميع الأديان البشرية في هذا الأصل وكان من أثر هذا الفتح العلمي الجديد سقوط دولة المذهب المادي سقوطا لا قيام لها بعده ، ودخول الفلسفة في طور جديد من الاطوار ذات النتائج البعيدة المدى التي لم يسجل علينا التاريخ مثلها الا ما تقوله مجلة (ريبا) الفلسفية من انه يشبه الطور الذي خرج فيه الانسان من سجن الالهام الحيواني الى اطلاق الخصائص العقلية

واننا نشتد في اذاعة هذا الانقلاب الجديد في المدركات البشرية لأنه أمس الانقلابات الفكرية برقيه الاجتماعي وسعادته الصحيحة . ففرق بين قوم يرون في موت أجسادهم فناء لشخصياتهم وتلاشياً لوجودهم وبين آخرين يرونه انتقالا من حالة الى حالة أرقى منها يجدون فيها ثمرات أعمالهم ومحاولاتهم من خير وشر وما ينتج عليهما من حالات لا تقف عند حد، وترقيات متتالية الى غاية بعيدة من الكمال ، لا يحوم حولها خيال

هذا الانقلاب القريب سلخ الانسان العصري من مخالب المذهب المادي الذي دفعه الى المطالب المادية البحتة بجنون شيطاني ، ووقف ترقيه العلمي والصناعي عليها وحدها فأثمرت له تلك الحرب العامة التي التهمت نيرانها ملايين من النفوس وأصابت العالم بكارثة سيحس الناس بآثارها الى مدى جيل أو جيلين . وماذا تكون الحال اذا نشبت حرب مثلها بعد عشرين سنة حيث يكون الانسان قد بلغ من صنع المدمرات والمهلكات الى المدى الذي يتفق وعلومه بأسرار العلم والصناعة في ذلك الحين ؟

وأي علاج تنتظر أن يقف هده المطامع عند حد ان لم يأت من جهة المدركات الفلسفية التي لها وحدها السلطة على تكييف ميول الانسان وقيادة اندفاعاته الى الغايات المختلفة ؟

لاجرم ان الخالق الحكيم قد تدارك الانسان بلطفه وفتح له باباً الى طور جديد من أطوار الرقي المعنوي سيصل منه الى ما يتفق ومكانه من الوجود فيؤاخي بين مطالبه الجسدية والادبية ، ويسقط الفروق الوهمية التي تفرق بين طوائفه وأجناسه ، فتدفعها الى التغالب والتناحر ، ثم يندفع بجملته الى الغايات البعيدة من المطالب الروحية فينشيء لنفسه وجوداً أرضياً يناسب ما منحه من المواهب ، وما خلق يشعر به من المطالب

وقد تألفت اليوم في العالم المتمدين جماعات من أقطاب العلم لنشر هذا الفتح الجديد فلا يصح أن نكون نحن بمعزل عن هذه الحركة ونحن أحوج اليها منهم

سننشر في العدد المقبل ترجمة بحث ضاف للعلامة الفيلسوف (جان فينو) مدير المجلة العالمية في هذا الموضوع يدرك منها القراء مبلغ هذا الانقلاب الجديد وقيمة أدلته وجهات ارتكازه من المعارف الانسانية

(الوحديات)



(العدد ٣ — في ٢٥ مارس سنة ١٩٢١)

الوجدانيات
هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مُثُل عليا للحياة الفاضلة وإمداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لها. وقد اخترنا لها أسلوب المواعظ لأنه أفعل في النفوس من سواه



الوجدانيات
الأمم لا يستقيم أمرها إلا بشكائم أدبية تعتقل من عقولها وتتحكم في أهوائها. وقد أثبت العلم أن الأخلاق كانت دائما السبب الرئيسي لكل انحلال أصاب أعلى المدنيات القائمة

(الوجدية التالتة)

أخبر الوجدان قال :

أصبحت ذات يوم بَرِماً بالعمل،(١) فرأيت انه لا يعيد الىَّ نشاطى الا خروجى من دائرة ما أَلِفته وتعودته الي ما يخالفه ، فخرجت من مكتبي في الساعة الثامنة ماشياً ، فما زلت أتنقل من طريق غاصة بالغوغاء ، عامرة بالضوضاء، الي شارع لا يكاد يسمع فيه الانسان رِكزا(٢) ، وأنا أسبح من مختلف الصور الذهنية في لجة لا ساحل لها ، نسيت معها نفسي حتى انهيت الى شبرا ، وكان قد بلغ مني الإعياء ، وأوشكت الشمس أن تبلغ كبد السماء . فحبب اليَّ أن أستريح هُنيهة ثم أعود راكبا ، فتخيرت قهوة وجلست الي ناحية منها ، وكان علي مقربة مني جماعة من الشبان يجولون من الحديث في كل مجال ، ويتبارون في ضروب من الجدال ، فتارة يصطخبون، وأخرى يتضاحكون ،(٣) وبينما هم علي هذه الحال واذا بشيخ يناهز السبعين ، لابساً لبوس البوابين ، له لحية بيضاء ، وعمامة حمراء ، وسيما تنم عن نفس زكية ، وسذاجة طفلية، فتناول كرسياً وجلس غير بعيد منهم ، ولم يعتره ما يعتري أمثاله حين ينزلون غير منازلهم ، ويجالسون سوى أشكالهم ، فنظر اليه أولئك المنتدون شزراً ، وهموا أن يوسعوا صاحب القهوة هُجرا(٤) ، ثم كأن قد بدا لهم فتحولوا من التبرم به الي الضحك منه . فقال له قائل منهم :

— مرحباً بالعم

فأجابهم بوجه طليق ، ولسان زَلِق : حياكم الله وهداكم ، ولا شق عصاكم (٥)

فقال له قائل آخر : من أين أقبلت ؟

فقال: من حيث يقبل الرجال

فسأله: والى أين تذهب ؟

فقال : الى حيث يذهبون

فقال له ثالث : وماذا تعمل؟

فقال الشيخ : مايعمله العاملون

فقال رابع : وماذا تأكل؟

فقال الشيخ : مايغذوني

فقال: وماذا تشرب؟

قال الشيخ : مايرويني

قال الوجدان : فتضاحك أولئك الفتية ، وتصايحوا، وضربوا الارض بأرجلهم استخفافا بهذه الأجوبة . ثم التفت اليه واحد منهم بعد أن هدأت ثائرتهم وسأله :

وعلي أى شيء تمشي ؟

فقال الشيخ : على مايوصلني الى الغاية

فسأله : الي أي غاية ؟

فقال الشيخ : الى غاية كل حى

فقال له خامس : ألا تجيبنا على ما نسأل ؟

فقال الشيخ : ألم أفعل ؟

فقال له : ولكنك تجيب بكلام مبهم

فقال الشيخ : وما حيلتى اذا لم تفهم ؟

قال الوجدان : فضحكوا أكثر مما كان منهم أولا ، وهاجوا وماجوا حتى افتتوا نظر السابلة، ثم سكنت فورتهم وعدا الي مساءلته(١)

فقال له واحد منهم : ماهذه ؟ وأراه عصاه

فقال الشيخ : ماتسمونه عصا

---

(١) برما أي سئما . يقال برم به أى سئم منه (٢) الغوغاء اخلاط الناس. والضوضاء الجلبة . والركز الصوت الخفى (٣) يصطخبون تختلط أصواتهم (٤) نظر شزرا أى من جانب العين كما يفعل المغضب . والهجر بضم الهاء القبيح من الاقوال (٥) شق العصا كناية عن التفرق

(١) السابلة المارة

فسأله : وماذ تسميها أنت؟

فقال الشيخ : لا شيء

فسأله : كيف تقول لا شيء وهي توجع ؟

فقال الشيخ : هي توجع من يعتبرها شيأ

فقال الشاب لا شيء أسهل من اختبار ما تزعم

قال الوجدان : فلم يكد ذلك العاطل يتم كلمته هذه حتي صاح به الشيخ صيحة ارتج منها المكان ، وكسرت من شرّة أولئك الشبان ، فقبعوا قبوع الحملان، اذا رأت السِرحان (١) ثم التفت اليهم وقال :

شاهت هذه الوجوه ، ورغمت هذه المعاطس ، وباءت تلكم النفوس، بما كسبت من جرائر ، وناءت بما حملت من معاير ، وشربت من صاب عملها كؤوساً دِهاقا ، جزاء وِفاقا ، لا أدعو بذلك عليها غضباً لنفسي ، ولكني أرجوه لها لتثوب الى الهدى ، وتحيد عن طريق الردى ،(٢) ولو كانت القلوب تُبِلّ من ادوائها ، والنفوس تطهر من اهوائها ، عفواً صفواً ، (٣) لرجوت ذلك لكم ولكن دون الخلاص مما أنتم فيه شق المرائر، وإدماء المحاجر ، وخوض الهواجر ، وهتك السرائر ، (٤) فان لم تكف، فصنوف الرزايا ، وشكول البلايا ، من أمراض تذيب الاجسام ، ومَتربة تلحق النواصي بالاقدام ، وضيعة ليس معها وجود ، وإدبار لايخضر معه عود ، ولا يكون لتاراته حدود (٥) ، فان لم تكف فالاصطهار بالنار ، والتردّي في هاوية ليس لها قرار ، فان لم يكف فلات حين ندامة ، هو الهلاك ولا كرامة (٦)

أراكم تضحكون وتمرحون ، وأعجب كيف لا تبكون ، حتى تقترح منكم الجفون ، وينضب ماء العيون ، حياة أهون على الحدثان من قلامة ظفر ، ووجود أضعف في معترك العالم من فقع بقفر (٧) تدور عليكم الادوار فتعرككم عرك الأديم ، وتحطمكم ثم تذروكم كالهشيم (٨)

(١) الشرة بكسر الشين الحدة . وقبعوا المراد هنا قبضوا خوفا. من قولهم قبع القنفذ أي أدخل رأسه في جلده . والحملان جمع حمل وهو الخروف . والسرحان بكسر السين الذئب (٢) شاهت أي تشوهت . ورغمت المعاطس أي لصقت هذه الأنوف بالتراب ذلا . وناءت بالحمل ثقل عليها . والمعاير المعايب . والصاب نبات مر الطعم . ودِهاقا أي ملأى. وفاقا أي على وفق الذنب . ولتثوب أي ترجع (٣) تبل أي تشفى من أبلّ من مرضه (٤) المحاجر جمع محجر وهو ما يحيط بالعين . والهواجر جمع هاجرة وهو حر نصف النهار (٥) المتربة الفقر . والتارات المرات (٦) الاصطهار بالنار أي الذوبان فيها والتردى السقوط . فلات أي فليس (٧) الحدثان حوادث الدهر . والفقع نبات حقير بالصحراء تدوسه الأرجل (٨) تعرككم أي تفركم بين أصابعها . والهشيم النبات اليابس

هلا ربأتم بأنفسكم فتساءلتم مع السائلين ، عن حكمة هذا البلاء المبين (١)

عجبت والله منكم ، تشوك أحدكم الشوكة فيطير لها لبه شعاعاً ، وترتعد منها فرائصه ارتياعاً (٢) وتطعنه المَثُلات في صميم قلبه ، وتساوره الاحداث حتى تذهب بلبه (٣) فلا يرفع بذلك رأساً ، ولا يقيم له وزناً ، إما خنوعاً لوساوس إلحاده ، وإما خضوعاً لأوهام اعتقاده (٤) فهو ملحداً ومؤمناً ، يريد أن يعيش بجنانه ولجثمانه ، وأن لا يتعدى في البحث دائرة الحاده أو ايمانه ، على أنه لو صدق الملحد في الالحاد ، وأخلص المؤمن في الاعتقاد ، لوصلا الي غاية ، وتلاقيا في النهاية ، ولكن كليهما يكذب في دعواه ، وينقاد الي هواه ، في الوقوف عند حد لا يتعداه

أيها الأغيلمة ما يضحككم مني (٥) ألحيتي البيضاء ، ولا بأتكم مثلها . أم مظهري من الحاجة ؛ ولم أسألكم سدها . أم زِيي الشرقي ، وهو زي أسلافكم ، أم ما يوهمه حالي من الجهل ، وليس هذا حظ الجاهلين من العالمين

والله انى ما أغشي هذه الأماكن ، لأقتل - كما تقولون - وقتاً ، ولا لأروح نفساً ، ولكني أغشاها لارى ساعات الناس كيف تضيع ، ونُضارهم كيف يتسرب ، وكراماتهم كيف تهان ، وأخلاقهم كيف تنحط ، وقلوبهم علي أى حال تموت (٦)

يقول الأحياء الوقت من ذهب ، وعندكم الوقت من تراب ، وان للتراب لشأناً عند العارفين ، وحقا على العاملين

ساعاتكم هذه فرص من صميم الحياة ، ونُهَز من أيام العمر ، ومُهَل من عوادي الدهر ، تنفقونها سرَفا في هذه البيئات (٧) لا لحاجة عارضة ، ولا لفائدة متوقعة ، ولكن لأنكم تعتبرونها جديرة بالانفاق سدى ، وخليقة بالضياع علي غير هدى ، ثم يسأل أمثلكم لماذا لا نلحق شأو الأمم السائدة وكيف نحسب في الجماعات البائدة ، وربما أضل الحدر ، فأنحى بالعتب علي القدر (٨)

أما ومن خلق الانسان ، ووضع له الميزان ، لا يستوي عامل وعاطل ، ولا عالم وجاهل ، ولا يقظ وغافل ، ولا ناقص وفاضل ، ولا جادّ وهازل ، كما لا يستوي حق وباطل ، (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ولكم الويل مما تصفون)

قال الوجدان : ثم أنّ الشيخ أنّة خلت أنها ألهبت المكان .

(١) ربأ بنفسه أي ترفع بها (٢) يقال ذهب القوم شعاعا أى متفرقين ويقال طارت نفسه شعاعاً أى تبددت من الخوف ونحوه (٣) المثلات جمع مثلة بفتح فضم وهي القارعة والعقوبة . وتساوره تهاجمه (٤) خنوعاً خضوعاً (٥) الأغيلمة تصغير غلمان (٦) النضار بضم ففتح الذهب (٧) النهز بضم ففتح جمع نهزة الفرصة وزنا ومعني . ومُهل بضم ففتح جمع مهلة . وعوادي الدهر حوادثه . والبيئة المنزل والحالة (٨) فأنحى أى فأقبل

أو أحرقت أولئك الشبان ، وما أتمها حتى رأيتهم تسللوا واحداً إثر واحد وهم سكوت خاشعون ، حتى تساءلت هل هؤلاء هم الذين كانوا قبل برهة يتصاخبون ، ويتسكعون في غيهم ولا يرعوون (١)

فلما خلا المكان ، الا مني وذلك الانسان ، أقبلت اليه ، مسلماً عليه ، وهويت الي يده لأقبلها ، فرد التحية ، بعبارات طلية ، ولكنه جذب مني يده ، ونظر اليّ متبسما عن مثل الجمان المنضد (٢) وقال أمن زراية الي عبادة ؟(٣)

قلت : عفواً ، فهؤلاء طغام من حثالة النشء ليس لهم أصل يرجعون اليه(٤) ولا غرض يعملون عليه ، فهم عالة علي آبائهم ، وقد جعلوا دأبهم الاختلاف الى القهوات ، والتردد علي المجتمعات ، يتصيدون خزنة يتجاذبونها ، ويترقبون عوراء يتقحمونها (٥) أما أنا ، ولا أزكي نفسى ، فأعرف الفضل وأحب أهله . وقد سمعت منك مالم أسمعه من ناطق بالضاد ، على غير استعداد ، فأردت أن أرد هذا المورد العذب ، وأن ألتقط من هذا اللؤلؤ الرطب

قال الشيخ : ان ما رأيته مني لايعدو حد الفصاحة ، ان كان ماقلته في شيء من ذلك ، ولكن رب فصيح لسانه ، خرب جنانه ، فلم لم تتثبت قبل أن تحكم ؟

قلت : قد اعتمدت علي فراستي ، ولقد صدقتني في كل موطن

فضحك الشيخ حتى بدت نواجذه (٦) ثم أمسك بيدي وقال : لو كنتَ مصيباً في الفراسة عني ، لأصبت أنا في الفراسة عنك

قلت : ماذا ترى فيّ ؟

قال الشيخ : أتفرس فيك ، قصور الهمة عن غاية بعيدة ، وفتور العزيمة في المواقف الشديدة ، يتراآى لك الكمال ، ويتيمك الجمال (٧) فتندفع اليهما بكليتك ، ثم ترتد عنهما بقصور همتك ، وفتور عزيمتك

قلت : لقد قرطس في الفراسة سهمك ، وقد أعجزني أمري فهل عندك دوائى (٨)

فقال الشيخ : كيف يعجزك الدواء وأنت تذكره ؟

قلت : ماهو يرحمك الله ؟

فقال: علمك بما أنت عليه

قلت أمعرفة الداء ، توجب الشفاء ؟

فقال الشيخ : هي الدواء ، فاسأل الاطباء

قلت: ان الاطباء يصفون العقاقير ، وقد وضعوا في تدبيرها الدساتير (١)

فقال الشيخ : أولئك أطباء الاجسام ، وهي لاتقوم الا بالشراب والطعام ، ولكني أحدثك عن طب النفوس ، وهى تلك المعاني المجردة ، التي لاتقوم الا بالعلم ولا تصلح الا بالحكمة

قلت فالكذاب يعرف انه كذاب ، ويدرك ان كذبه ذلك سيلحقه بالأذلين ، ولكنه لايملك لعوجه تعديلا ، ولا لعلته تحويلا

فقال الشيخ : أكلمك عن نوع الانسان ، وتكلمني عن عالم الحيوان

قلت أنا أكلمك عن الانسان ، ودليلي على ما أقول العيان

فقال الشيخ : لعلك تظن ان كل من مشي على رجلين ، ولوى لسانه بحرفين ، وقهقه بشدقين هريتين (٢) يعتبر في عرفك انسانا

قلت : هذا ما اصطلح عليه العلماء

فقال الشيخ : أولئك علماء الظاهر ، الذين يعتمدون على المظاهر ، أما علماء الباطن ، فلهم في تعريف الانسان ، حدود غير ما يعطيها الجثمان ، فاذا كانت النفوس نفوس قردة ، أو ذئاب ، أو مما يندرج في هذا الباب ، فماذا يجديها أن تكون من ذوات الاربع أو من ذوات الاثنتين ، وماذا يفيدك أن تلقاك بسمتين خداعتين ، أم بنابين حادتين ؟ فالعبرة بصفات الارواح ، لا بهيئات الاشباح . فاذا صح قول القائلين بالنشوء والارتقاء ، فان أمثال هذه النفوس الحيوانية ، الكاسية بالجسوم الانسانية ، تكون قد ارتقت ظواهرها ، ولم ترتق بواطنها ، فهى لاتزال تعد من ذوات الانياب والمخالب ، وان أكلت الأطايب ، وتربعت في المراتب

قلت : هذا والله الواجب ، فما حد الانسان عند أهل الباطن ؟

فقال الشيخ : الانسان هو الكائن الذي خلص من أسر المادة ورعوناتها ، ونجا من افراطاتها وسطواتها ، واستوى على عرش الاستقلال العقليّ ، وانتبذ لنفسه ناحية عن الوجود الحيوانيّ ، الا ما يضطره اليه بدنه فيصيب منه على قدر مايقيم صلبه ، ولكنه لايتعداه الي مايفسد عليه قلبه . فهو يعقل الامور ويتفهمها ، فيختار مايناسب كماله منها ، لايجد فى نفسه نزاعاً بين مايهديه اليه النظر ، وما تدعوه اليه الشهوة ، لتغلب قواه الروحية ، على قواه الجسدية ، تغلباً ليس له حد .

والا فما قيمة انسانية يكون فيها صاحبها مستعبداً لأخس قوى مادته تدعوه بطنه للاسراف في التغذي ، وينهاه عقله عن التعدي ، فيغلب دعوة البطن على حكم العقل ، ويصيبه من ذلك العصيان ، مايصيبه من مغص وغثيان ، ودوار

(١) يتصاخبون يتصايحون . ويتسكعون من تسكع في أمره أي لم يهتد لوجهه . ولا يرعوون لايكفون (٢) زراية أى تحقير (٣) الطغام بفتح أوله أوغاد الناس يستوي فيه المفرد والجمع. والحثالة بضم أوله مايفضل على المائدة من البقايا وهو هنا كناية عن الساقطين (٤) العوراء كل فعلة أو قولة سيئة (٥) ويتقحمونها أى يخوضون فيها (٦) نواجذه أى أقصى أضراسه (٧) يتيمك أي يأسرك ويستعبدك (٨) قرطس السهم أصاب الهدف

(١) الدساتير جمع دستور وهو القاعدة . والدفتر الذي يجمع فيه قوانين الملك وضوابطه (٢) هريتين أى واسعين

وبرقان (١) ومع كل هـذا فلا يقلع ولا يرعوي ، بل يعود اليه كلما وجد الفرصة ، حتي انه قد يهدد بالموت الزؤام ، فلا يجد من نفسه قوة على الاحجام ، فهل تعد هـذا من نوع الانسان ، وان مشي علي اثنتين ، في بجوز بين وحذائين ؟

وفي أي رتبة تضع الذين تفني نفوسهم في أزيائهـم ، فيمشي أحـدهم وعقله موزع بين ردائه وحذائه ، أو الذين تتلاشي مواهبهم فى شهواتهم ، فلا يطوف بخيالهم غير نزعة بهيمية ، ونزغة شيطانية . وماخور يفقدهم كرامتهم الذاتية (٢) أو الذين تضيع طيباتهم في المخدرات وصنوفها ، فيمضون حياتهم في ذهول دائم ، وجنون ملازم . هـل تضع هؤلاء في رتبة الانسانيـة ، وان ركبوا الاوتوموبيلات ، وتكلموا بعدة لغات ؟

قلت: صدقت والله ثم ماذا ؟

فقال : ثم أقوم الى البيت ، فقد كفاني اليوم مارأيت

قلت : أنا ضيفك الي وقت المقيل (٣)

فقال : ان شئت فالي الأصيل (٤)

قلت : فأين دارك العامرة ؟

فقال : وراء هذه المزارع الزاهرة

قال الوجدان : فخرجنا نمشي الهوينا بين زروع ناضرة ، وقصور فاخرة ، وقد شغلت بعباراته الساحرة ، وفتنت بحكمه الباهرة ، حتي ذهلت عن الارض التي نحن عليها ، وما لفتني الا قطار من جمال ، عليها هوادج ورحال ، على الرحال مغاربة بالبرانس ، وفي الهوادج نساء كوانس (٥) وهو مشهد لم أعتده عندنا ، ولا وقع على مثله نظرنا ، وأولئك الركبان يتكلمون بلهجتهم المغربية ، مما لا يدع لي شكا في انهم من غير قبائلنا البدوية

ثم رميت ببصري فرأيتنا قادمين على بلدة ذات سور أثري ، تترا آي خلفه مآذن ليست من الطراز المصري ، وما كـدت أرى ذلك حتى لاحت لي أراض يفلحها رجال ونساء ، ليسوا من مصر في شيء من الاشياء

فالتفت الي صاحبي متعجباً وقلت له : أين نحن الآن ؟

فقال : في ضاحية تلمسان ، وقد اتخذها مثابة منذ زمان

قلت : تلمسان ؟ أين مصر من الجزائر ، وقد كنا في شبرا منـذ عشر دقائق ؟

فقال : ان لم تصدقني فسل الزراع ، من أهل هذه البقاع

قال الوجدان : فظننت ان الشيخ يمزح ، فسألت بعض السابلة ، ثم ركباً في قافلة ، فاتفقوا في الجواب ، ولم يبق محل للارتياب

فعدت الي صاحبي دهشاً وقلت له : كيف يكون هذا ؟

فقال : طويت لنا الأرض ، فماذا ؟

فقلت : أكرامة من كرامات الأولياء ؟

فقال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

قال الوجدان : فأدركت اني أصحب واحداً من أصحاب المقامات ، ممن تقرأ عنهم الكرامات ، ونعدها في الخوارق ، وكان يجب علي أن أطمئن معه علي الرجعة ، بمثل هذه السرعة ، الا أن الرعونة البشرية غلبتني فقلت له : وكيف أعود الى الوطن ، في مثل هذه البرهة من الزمن ؟

فقال الشيخ : ان مارأيته من هذا الحال ، يقل في ثمنه أن تشد له الرحال ، وتضرب من أجله آباط الجمـال ، وأنت لم تتكلف له عناء في الذهاب ، فأد له حمه في الأياب

قال الوجدان : فغشيني عند سماع هذا الكلام ما غشيني ، ولما هممت أن أستعطفه لم أجده أمامي ، فوالله لا أدرى أغاص في الغبراء ، أم صعد الى السماء ، ووجدتني وحيداً في وسط الصحراء ، فضاقت علي بما رحبت ثم قدرت المسافات ، وعددت مامعي من الدريهمات ، فرأيت اني أعجز عن الرجوع بوسائلي وحدها ، وأن لابد لي من الاستعانة بأولياء الأمور ، في تلك البلاد ، واستنكرت أن يطوح بى رجل من الصالحين الى مثل هذه المهلكة ، الا ان الـكرب الذي نالني لم يدع لي مجالا للفكر في مثل هذا الأمر . فحصرت همي كله في العمل للعود الي الوطن ، فقصدت رجـلا من العملة ينحو نحو المدينة ، فاستوقفته ، وقلت له ان أوصلتني الي حاكم تلمسان ، فلك مني فرنكان

فنظر اليّ الرجل نظرة المستريب (١) وقال : ماتلمسان ياسيدى ، اني لم أسمع هذا اللفظ مذ كنت

قلت : عجيب هذا ، أتكون في ضاحيتها ، ولم تسمع بها ؟

قال : ياسيدي أنا أعرف ابشان وملوان وورردان ، أما تلمسان هذه فلم أسمع عنها شيأ ، ولعلها بالوجه القبلي

قال الوجدان : لما طرق أذني هـذا الكلام كدت أضيع عقلي ، وبدرت اليه بقولي : من أي البلاد أنت ؟ (٢)

فقال العامل : أما بلدى فالمحلة الـكبرى ، ولكني أعمل الآن في شبرا

قال الوجدان : فنظرت الي ماحولي فوجدت المعالم قد تغيرت ، فبعد

---

(١) المغص بسكون الغين وجمعه الجوف والعامة تفتح الغين خطأ . والغثيان تحرك النفس للقيء . والدوار هو المسمى اليوم بالدوخة (٢) النزعة الميل . والنزغة التسويل والاغراء (٣) المقيل الاستراحة وقت القيلولة (٤) الأصيل قبيل غروب الشمس (٥) القطار جماعة من الابل على نسق واحد . وكوانس من كنس الظبي اذا دخل كناسه

(١) المستريب من استراب أى وقع في الريبة (٢) بدر الي الشيء يبدر بادر اليه أى أسرع

أن كنت أرى أسوار تلمسان الأثرية ، ومبانيها الفخمة ، ومرت أرى مزارع هيرا الشذية ، وقصورها البهية (١) فعلمت أن صاحبي الصالح قصد بذلك مداعبتي ، وأردت أن أتخلص من حديثي مع ذلك الساحل بحيث لا يشعر بما كنت فيه ، فقلت له : شتان ما بين المحلة وتلمسان ، ولك العذر في جهل مثل هذه البلدان ، ثم نفحته بقرشين ، فانطلق قرير العين

أما أنا فيممت صوب القاهرة ، وفي نفسي من هذه المداعبة شيء (٢) لما نالني فيها من العنت (٣) وبينما أنا أسير ، وقد أخذ مني التفكير ، واذا بصوت رنان ، يناديني من بين الافنان ، فنظرت الى فوق ، واذا بصديقي البلبل لرقيق ، على غصن وريق ، ينظر اليَّ بعينيه الياقوتيتين ، ويرفرف مرحبا بجناحيه الأنيقين(٤) وما وقعت عيني عليه حتي قال:

لك التحية ياوجدان ، كيف خلفت تلمسان ؟

فقلت : لك مثلها والكرامة ، انك والله لصاحب هذه المقامة

قال : فكيف بك فيها ؟

قلت : لقد رأيت مالا يتفق الا للأفراد ، ولكني أحسست فيها بصدمة لايزال أثرها في قلبي

فقال البلبل : أحلاوة بغير نار ؟ كيف يعقل أن تحتك بهذه الخوارق ، ولم تدفع في المآزق ، وتفتن بالبوائق ؟ (٥)

فقلت : رضيت بذلك ، مادمت من بالك

قال الوجدان : ثم أردت أن أنتهزها فرصة فأخوض معه في بعض المسائل ، فلم أجده أمامي ، فتفقدته على كل غصن من تلك الشجرة فلم أقف له على أثر ، فعدت الى بيتي متعجبا من هذه الأحوال ، ولم تبلغ الساعة واحدة بعد الزوال ؟

(الوجدانيات)

ثمن العدد الواحد خمسة مليمات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٣٩
(٢) محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « التأليف بشارع عبد العزيز
(٥) « الأهلية « «
(٦) « المليجي بالسكة الجديدة

(٧) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالاسكندرية)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي (٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سدرة

(٣) ادارة جريدة التجارة

(٤) المكتبة المليجية بشارع الشمرلي

(بني سويف)

(٥) حضرة آدم افندي الكومي ببني سويف



هي دائرة معارف كاملة فيها كل مايسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم على اختلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص ، وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل مايهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد على حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة في عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشا ومجلدة ٦٤٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا في أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ في كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

فمن شاء أن نرسل اليه كل شهر خمسة منها حولناها اليه بثمانية وعشرين قرشاً ومن شاء عشرة أجزاء حولناها بثلاثة وخمسين قرشاً ونوالي الارسال اليه شهريا حتي يستكمل جميع مجلداتها

﴿ صفوة العرفان في تفسير القرآن ﴾

هو مصحف مكتوب بخط اليد على ورق نباتي صميل في أسفل كل صفحة تفسيرها وقد راعينا فيه تفهيم معاني الكتاب الكريم لمن لايتسع وقته لمراجعة المطولات وقد عنينا باللغة فاحسنا شرحها وأسباب نزول الآيات وأتينا عليها من مصادرها . وهذا الكتاب يصلح أن يكون مصحفاً للتلاوة وتفسيراً في آن واحد . ثمنه غير مجلد ٤٠ قرشاً ومجلداً ٥٠ قرشاً

---

(١) الشذية أى العطرة (٢) يعمت قصدت . والصوب الجهة (٣) العنت المشقة (٤) الأنيق الجميل (٥) البوائق المهلكات جمع بائقة

متفرقات وفوائد شتى

(فتح علمي)

الروح خالدة

هذا هو البحث القيم الذي نشره العلامة الفيلسوف (جان فينو) مدير المجلة العالمية (مجلة المجلات الفرنسية) في جزئها الصادر في ١٥ دسمبر سنة ١٩٢٠ ثم تابع نشره في الجزئين الصادرين منها في أول يناير ومنتصفه من سنة ١٩٢١ الحالية . وهو بحث كان منتظراً من مثل مدير المجلة العالمية في عهد انتشرت فيه المباحث الروحية كل الانتشار وتناول فيه العلماء قيادتها بأسلوبهم العلمي الدقيق

ولسنا في حاجة لبيان مكانة المجلة العالمية من المطبوعات الأوروبية فهي اليوم أكبر مجلة هنالك لها أكبر تأثير على العقول لمزايا كتابها ومحرريها من جهة وهم من قادة المعارف العصرية ، ولمنزلة مديرها من عالم الفلسفة والعلم الرسميين فهو واحد ممن وهبوا الشهرة الفائقة والتأثير العظيم حتى ان مؤلفاته ترجمت الى أكثر اللغات وطبعت عشرات المرات . فاذا قال مثل (جان فينو) اليوم بأنه قد فتح على الناس فتحاً علمياً جديداً هو اثبات الروح فما ذلك الا لأن الأمر كما يقول وان مسألة اثبات وجود الروح صارت من المسائل العلمية التي يسري عليها التحليل والتمحيص وينطبق عليها الاسلوب العلمي بكل مايسعه من تحقيق وتجربة . اليك ذلك المقال تحت العنوان السابق وهو وارد بالجزء الصادر من تلك المجلة في ١٥ دسمبر سنة ١٩٢٠ قال العلامة جان فينو :

> بما أن النظريات والحقائق العلمية
> ليست هي الحقيقة الثابتة التي لاتتغير
> فيجب علينا أن نكون دائما متأهبين
> لهجر تلك النظريات وتهذيبها حين
> يظهر انها لا تمثل تلك الحقيقة
>
> كلود برنار

ان الناس ترتعد فرائصهم وينوحون أمام فناء الموت المزعوم . وقد حفظ الناس من هذه الوجهة بالذعر الذي كان يعتري آباءهم أيام سكناهم لمغاور في خلال ألوف من الاجيال . فالعلماء أو الشعراء ورجال السياسة أو كناسو الطرقات سواء في التشبع بالمدركات التقليدية يلعنون الفناء ويخافونه .

مما يوجب الدهش أن الناس على تداعيهم استهدافهم للكروب الشديدة يتجافون دائما عن النظر في الاسباب الجمة التي تهوي بهم في الضلال . والحال انه اذا انقشع عنهم هذا الضلال حل محله هناء وصفاء من ذات المنظر الذي كان يلازم كمداً وذعراً

نعم ان الآخذين بالديانات المسيحية واليهودية والاسلامية يعلنون أملهم في حياة سماوية هي تتمة هذه الحياة الأرضية ولكن عقيدتهم القطعية في ذلك لاتخلو من شكوك فطرية ، فان ثقتهم في ان المولى سيتلقاهم في صدره بعد موتهم لاتتعدى أفواههم . فهم وقوف على عتبة أرواحهم متملكهم الهلع من وشك انقطاع وجودهم المادي . والا فكيف نفسر ذلك الشعور بالوجل والفراغ الذي يصيب الماديين والمؤمنين حيال هذا المعمى النائي على السواء ؟

لقد شغلت مسألة البقاء بعد الموت في كل زمان الخلقيين والفلاسفة فبذلوا قصارى جهدهم في ستر إعضالها مراعاة لمصلحة الدهماء . ولكن القصد الحسن لايكفي في كشف مساتير مافوق الطبيعة

ان القول بالانتهاء الي العدم المحض يظهر أوضح ظهور من السترة القيمة أو الخرقاء التي تمتاز بها المؤلفات القديمة في العلوم الكونية . ولا بأس من الاعراب عن اعجابنا في هذا المقام بحمية الفلاسفة الذين اندفعوا الي تتبع هذه الغامضة بدون أن يكون لديهم أية وسيلة لحلها

أما نحن فنستطيع بعد هذه القرون التي انقضت في البحث والترقي في كل مجال من مجالات الفكر أن نعالج موضوعاً فشل فيما سبقونا كل الفشل . فالعالم الذي كان موصداً أحكم إيصاد على عهد آبائنا الأولين قد انفتحت اليه عدة كوى (نوافذ) أخذ يتسرب الينا منها النور . فأصبحنا اليوم أكثر أملا منا في أي عهد كان في امكاننا عاجلا أو آجلا ادراك الاسرار التي كانت تعتبر فوق متناول العقول

١ — (استكشاف مزدوج لمصلحة الروح)

صار من المسموح لنا قبل كل شيء الادلاء بحجج جمة لاثبات الحياة بعد الموت هي ثمرة المشاهدات العلمية تقرب من أصول كثيرة للايمان الوجداني . وهذا يوجب علينا أن نكون متسامحين حيال أصحاب الايمان وأن نحترم براهينهم أو عجزهم عن البراهين . فان تشككنا يجعل من الجنايات محاولتنا حرمان السعداء الراجين من عقيدتهم العالية في الحين الذي يعمل فيه العلم الي تحقيق بعض الافتراضات في البقاء بعد الموت

وما أصدق ماقاله أراغو من « ان الطبيعيين الذين يأبون أن يسلموا بغير المشاهدات التي يعرفون لها تفسيراً يضرون بتقدم العلوم أكثر مما يضره به الرجال الذين يؤخذ عليهم التهافت على تصديق كل مايسمعون »

ومن الخطر العظيم أن يسلك الانسان هذا المسلك حيال الحياة التي هي بعد الحياة الارضية ، لأن الأدلة على صحتها آخذة في الازدياد في نظر

العقول المنصفة التي تتطور مستقلة عن العقائد المقررة والمذاهب الدينية

فلنقتصر عيناً بخلاصنا من ضلالتين رئيسيتين كانتا تصدان عن سبيل كل تقدم في هذا المجال؟ فلسنا الآن تحت سطوة النظرية النفسية المؤسسة على الفزيولوجيا ، وقد تحررنا كذلك من ربقة المذهب الآلي

فعلي مقتضي النظرية الأولي كل ظاهرة روحية يجب أن تتألف عناصرها من علل فيزيولوجية ، وعلي موجب النظرية الثانية فأعضاؤنا هي المحور الوحيد الذي تتطور حواليه وتتعلق به حالتنا العقلية والشعورية . ولكن العقل الباطن قد دخل الآن دخول المنتصر الى المجال البسيكولوجي (أي النفساني) (١) وأصبح من المقرر أن مايصل الينا من طريق ذلك العقل الباطن أوفع كثيراً مما يصل الينا من طريق المخ . وقد تنجم ظواهر عديدة وتنمو فيا دون شعورنا بدون أن يكون لها علاقة ما بالاعمال الآلية لمخنا وادراكنا . ولقد سمحت لنا المشاهدات الجراحية في الحرب الكبرى بترقيات غير منتظرة من هذه الجهة

نعم ان الأمر كما أكده الدكتور (منيار) في التاريخ السنوي للطب النفساني لسنة (١٩١٨) بأنه لم يشاهد قط زوال أو ضعف أو اضطراب خاص لاحدى الوظائف العقلية تابع لاصابة خاصة لجزء من أجزاء المخ ، حتى انه لم يعد من الممكن تعيين عضو محدود مركزاً للنفس كالفصوص الجبهية مثلا

ويمكننا أن ننوه باسم اثني عشر عالما وصلوا الي هذه النتائج عينها بعد دراستهم لهذه المسألة. نذكر من بين هذه الاعمال الابحاث التركيبية (٢) التي قام بها (شيرنجتون) و (مونا كوو) التي تؤيد هذه المشاهدات . والدكتور (ترود) بعد أن قام ببحث العلاقة الموجودة بين المخ والفكر سرد عدداً من المشاهدات التي حصل عليها بعد درسه لجروح المخ فظهر له انها مطبقة علي المقررات المذكورة آنفا . من بين هذه التجارب مادل علي ان بترجزء عظيم من المخ لم تكن نتيجته تقليل صفات الشخصية وقد شاهد الدكتور (رانجو) جريحين شفيا بعد أن اخترقت القذيفة مخيهما من طرف الي طرف

وذكر الدكتور (لوفوو) انه استخرج قطعة من المخ الباطني المجاور للزاوية اليسرى المسماة (بوتناسيرا بيللو) فبعد أن أصيب المريض بالعمى والصمم والشلل النصفي مرتين شفي ولم يحفظ من مخلفات جراحته الا ضطرابات لاتذكر

وقدم الدكتوران (بيللو) و (كوتو) الي المجمع الجراحي في سنة ١٩١٥ أربعة وعشرين حالة مدهشة جميعها يؤيد حقية هذا الموضوع أي افلاس تينك النظريتين الرسميتين حتي في المجال التشريحي الباتولوجي (الباتولوجيا علم الامراض) فخرج المذهب القائل بتركز الشخصية في المخ مصاباً بضربة قاضية

٢ ـ (استقلال الروح عن الجسد)

علي هذا النحو يصل الانسان بنظام الي تحديد جديد لوظيفة المخ ولسلطانه التام في الحياة النفسية . نعم انه من الصعب انكار حدوث تغيرات مخية عقب تغيرات تطرأ علي حياتنا النفسية . ولكن من المستحيل مع هذا الاقرار علي المذهب المطلق القديم الذي مؤداه تعلق النفس بالمخ منذ ظهر لنا ان الاصابات المخية الخطيرة تكاد تدع ظواهر الشخصية سليمة حتي فيا يختص بالذاكرة . والذاكرة كما لايخفى هي الخاصة الأصلية المميزة للشخصية . ومن هنا تترأى لنا صحة النتائج المطأنة التي يمكن أن تستنتج في مصلحة القول ببقاء النفس بعد الموت . ذلك لأنه يجب التسليم بنتيجة رئيسية وهي : انه اذا كان المخ يحصر شخصيتنا النفسية . فان هذه تزول بزواله . ولكن اذا كان المخ لايظهر في الواقع الا جزءاً من وجداننا أو من حياتنا النفسية فانهما يكونان غير تابعين لسلطانه ، فاذا عرفنا ان النفس تكاد تكون مستقلة عن المخ عرفنا تبعاً لذلك ان الحياة النفسية تستطيع حفظ وظيفتها والتمتع بالبقاء بعد الموت علي صورة أخرى مادام العضو الرئيسي الذي ظنوها متعلقة به مدة قرون أخذ يهوى عن عرش سلطانه وما دام قد ظهر استقلال وجداننا أو بعبارة أفضل استقلال روحنا عن سلطان الجسم ، والبراهين العلمية والمادية علي ذلك آخذة في الزيادة كل يوم ، فانه لايليق بنا أن نعرف فناءها النهائي بفناء غلافها الجثماني

العلم الجديد الذي يؤتينا بهذه المقررات المعززة والتي لا تقبل الدحض لايزال في بداءاته ، ولكنه لتشوه بهذه اللألأة والرسوخ يسمح بتحقيق آمال لنا عظيمة في مستقبل قريب . فقد انفتحت أمامنا مملكة عظيمة من ظواهر جديدة ، ظواهر بلغت من الكثرة والتنوع حداً من الجلالة بحيث يحق لنا أن نأمل الحصول من ورائها علي فتوحات لاتخطر ببال

٣ ـ (الواقع وقوة العقل الباطن)

يرجح ان أكثر الظواهر الاسبريتية (الخاصة بتحضير الارواح) يمكن تفسيرها بفعل العقل الباطن الوسيط . فان تجارب حديثة تفتح أمامنا من هذه الوجهة باحات عجيبة لنذكر منها التحقيقات التي عملها الدكتور

(١) العقل الباطن الذي يسمونه Subconscience هو ماشوهد في أثناء النوم المغناطيسي والانتقال النومي من ان للانسان وراء عقله العادي عقلا أرقي ثبت انه هو المصرف لجميع آلاته والحافظ لكل مدركاته . يدرك ويشعر من ذاته مستقلا عن الحواس وليس عقلنا العادي الا مظهراً من مظاهره

(٢) يريد بالابحاث التأليفية مايقابل الابحاث التحليلية . فالمجرب لا تصح تجربته الا بهذين الركنين فان استطاع أن يحلل جسما الي عناصره وأن يؤلفه ثانية منها كان ذلك دليلا قاطعاً علي انه عرف العناصر المؤلفة له معرفة تجريبية

(كروفورد) أستاذ الميكانيكا بالمجمع العلمي الصناعي بمدينة (بلفور)

هذا العالم الطبيعي الذي هو أجدر أن يعتبر خصما للعلوم الباطنية لا تابعاً لها يسلم بوجود قوة نفسية حالة فينا تحدث آثاراً لا يمكن الشك فيها على الاشياء المادية . واليك حجة من حججه المبينة قال :

لنضع وسيطا في أثناء جلسة تجربة روحية على ميزان فترى انه عندما يزايل الخوان (الترابيزة) الارض تحدث زيادة في وزن جسم ذلك الوسيط ويكون الفرق بين وزنه قبل التجربة وفي أثنائها مساويا لوزن ذلك الخوان

فاذا بقي الخوان معلقا في الهواء ، وهو الأمر الذي يسبب عادة للفعل المباشر للأرواح ، فان الميزان يستمر دالا على تلك الزيادة عينها

فماذا يستنتج من ذلك ؟

يستنتج منه انه بما ان الوسيط هو الذي يحمل الثقل فيكون هو نفسه سبباً مباشراً لارتفاع الخوان في الهواء . وذلك بأن يكون عقله الباطن هو الذي أحدث هذه الظاهرة على غير شعور منه بحيث انه لا يستطيع احداثها وهو في حالته العادية

وفي رأى الدكتور (كروفورد) ان الوسيط يشع منه نوع من قضيب روحاني . ولكن اذا كان قد أمكننا أن نحقق أمر زيادة ثقله فمن المستحيل علينا أن نشاهد وجود القضيب المذكور .

أما آثار العقل الباطن باعتباره قوة روحية سواء أكان له أم لم يكن له ذلك القضيب المتوسط فقد ثبتت بغاية الوضوح الآن

والتنويم المغناطيسي الذي يجب أن يشغل مكانا عالياً من علم النفس لاسباب كثيرة والذي أخطأوا في اعتباره فرعاً من العلوم الباطنة يعطينا في هذا الموضوع تفسيرات لا تحتمل الشك مما يختص بحقية وجود العقل الباطن والنوى التي تحت دائرة الشعور العادي

نعم انه لا يفسر لنا كنه هذه القوة المجهولة ، ولكن ماهو العلم الذي يكشف كنه قوة من القوى المولدة للظواهر الطبيعية ؟ فنحن نشهد في هذا الموطن ما نشهده في كل موطن وهو مظهر خارجي لقوى خفيه . فالذي يهم الباحث هو التحقق من وجود تلك القوى في الواقع . أما معرفة الكنه الحقيقي لتلك القوى فسيطول انتظارنا لها وستضطرنا الى اللجأ الى الافتراضات وهذا بعينه ما يحصل في مجال أدق العلوم الطبيعية

فلنرجع الي كلمة (لبنتز) الشهيرة وهي : انحذر من اعتبار قشور الالفاظ لبابا للاشياء

في التجارب الجمة التي عملها بمساعدة المأسوف عليه الاستاذ (الفريد بيفه) و (اوكوروبكز) أمكنني دائما أن أشاهد وجود العقل الباطن الذي كان بأعماله العجيبة والمعقدة يؤتينا بتفسيرات أكثر المعجزات التي رويت لنا عن القرون السابقة

وعليه فجميع سلسلة الحوادث الخارقة للعادة يمكن أن يأتي مثلها ذلك العقل الباطن اذا تخلص من الطبقات العميقة لأنيتنا (الذاتنا) : كالنظر من بعد ، وتنفيذ الأوامر التي تصدر اليه بغير طريق المشاعر المباشر أي بواسطة التأثير النفساني ، ومعرفة المغيبات ، واعطاء معلومات عن أشياء ، والتكلم بلغات يجهلها الوسيط في حالته العادية ، وزيادة مقاومته الطبيعية وقواه المادية ، وفقد جسمه الحس بالآلام ، وتأثر جسمه بآثار التلقين كتوليد بثور أو دمامل به ، وحوادث أخرى متنوعة يستحيل الحصول عليها والانسان في حالته العادية

البقية بعد

اكسير اطالة الحياة

جاء في مجلة (السفنكس) الفرنسية في جزئها الصادر في ١٣ فبراير سنة ١٩٢١ ما ملخصه :

الدكتور جوزيا أولدفيلد الطبيب الانجليزي بلندن يبلغ من العمر اليوم تسعين عاما ويؤمل أن يعيش الى مئة وثلاثين يؤكد أن الاكسير الذي يطيل الحياة ويحفظ الجسم من اعباء الشيخوخة هو (الجرجير).

فهو يعلن ان الجرجير يحتوي على قوى حيوية عظيمة وبثها في أضعف الاجساد ويبعث الشجاعة والفتوة الى حد بعيد . وهو يضرب المثل بنفسه فانه وهو يبلغ التسعين خدم في الحرب العامة ٥٢ شهراً بدون أن يمسه كلال وهو للآن يتمتع بنفس القوى التي يتمتع كان بها في مقتبل العمر

أما شكل معيشة الدكتور أولدفيلد فعلى غاية البساطة فهو عائش معيشة نباتية لا يأكل اللحم الا اذا دعى الى وليمة ولكنه في مقابل ذلك يأكل الجرجير أكلا لمّاً ويعتبره اكسير اطالة الحياة ويأكل معه الفواكه وخصوصاً الحمضية منها مثل العنب والتفاح والبرتقال واليوسف افندي والليمون والكرز الحامض والتوت . ويعتبر البصل والثوم من المقويات التي ليس لها نظير . وهو يصف لابطال ريحها أن يمضغ الانسان قليلا من المقدونس

ويدعى الدكتور أولدفيلد انه لا يوجد مرض في العالم يستطيع الثبات في البنية أمام حمية من الفواكه مدة ثلاثة أشهر متوالية بحيث لا يأكل فيها الانسان سواها . وهو يريد بذلك الفواكه الحمضية على ما سبق بيانه .

قال فاذا أحس الانسان ببداءات الشيخوخة فخضع لهذه الحمية بالفواكه مدة ثلاثة أشهر ارتدت عنه تلك الشيخوخة وحلت محلها شبيبة غضة لا تزايله ما دام يأكل الجرجير والفواكه

قالت مجلة السفنكس عقب ايرادها هذا الخبر ان هذه النظرية من المسلمات فاننا متحققون بأن ملاءمة الطبيعة في التغذي هي الحقيقة الفزيولوجية والعلاجية للنوع البشري . وقد أسرف الانسان في الابتعاد عن الطبيعة بتأثير مدنيته فان عاد الي احضانها تلقته بصدر رحب وآتته بما تؤتي الأم ابنها المعتمد عليها

الوجدانيات

هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مُثُل عليا للحياة الفاضلة وإمداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لها . وقد اخترنا لها هذا الأسلوب لمواعظنا لأنه أفعل في النفوس من سواه



الوجدانيات

الأمم لا يستقيم أمرها الا بشكائم أدبية تتنزل من عقولها وتتحكم في أهوائها . وقد أثبت العلم أن الأزمة كانت دائماً السبب الرئيسي لكل انحلال طرأ على المدنيات القائمة

(الوجدية الرابعة)

قال الوجدان :

دعتني الي الاسكندرية حاجة ، لبثت لها فيها أياماً ، ثم أزمعت الأوبة(١) فتخيرت حُجرة خالية في القطار المسافر منها صبيحة يوم ، فجلست فيها ورجوت أن لايزاحمني مزاحم ، لأخلو فيها وكتاباً يهمني أن آتي عليه في يومي ذلك ، مطلب بعيد المنال في القطر التي تتراوح بين العاصمتين . فبينا أنا مترقب رنة الجرس المؤذن بالمسير(٢) ولم يبق من وقتها الا عشر ثوان ، واذا بصوت أقدام في دهليز المركبة ، فتمنيت نفسي أن يكون قصدهم الى حجرة غير التي أنا بها ، ولكن خاب ظني اذ طُرق عليّ الباب طرقتين خفيفتين ، فقلت ادخلوا ، فانفرج عن أربعة من أصحاب القُبَّعات ، فأشاروا محيين وجلسوا ، فآنست من لهجتهم انهم من الاوربيين ، وما كادوا يستقرون حتى قُرع الجرس وصفر الوابور ، ثم انساب ينهب الارض نهباً ، ويباري الهواء وثباً(٣) فأخذت أرقب حركات الجماعة ، لأتخذ لنفسي حالا يناسب المقام ، فرأيت انهم عولوا على مطالعة الصحف ، وساد في الحجرة السكون ، إلا مرات كان بعضهم يلفت بعضاً فيها لخبر ، أو لعبرة من العبر ، فأكببت على كتابي أطالعه ، متهزاً هذه الفرصة السانحة ، وقد استوعبت طلاوة الموضوع شعوري كله ، فلم ينتبه الى ماحولي الا وقوف القطار على مدينة دمنهور ، وتصايح الحمالين ، وفي أيديهم عياب المسافرين ينقلونها الى المركبات (٤) ونداء الباعة الفاكهة والاطعمة ، وما هي الا دقيقة حتى وَغَل علينا رجل(٥) ، وما كاد يضع حقيبته على الرف حتى تلاه ثان ، وكان الاثنان من الفرنجة (٦) الا ان الأخير كان معروفا لدى الأربعة الأولين ، فأجملوا تحيته ، وأحسنوا تكرمته ، وقام بنا القطار والحجرة على كظتها (١) فقلت في نفسي لا بأس من ذلك اذا لزموا الصمت على طريقتهم الأولى ، غير أن الجماعة كانوا قد أتوا على ما في صحفهم وعولوا على تجاذب أطراف الكلام ، فقال أحدهم للصديق الراكب من دمنهور :

الي أى بلد تقصد أيها الصديق ؟

فأجابه : الي القاهرة في هذه الدفعة

فقال له الأول: أشكر لك ما لفتني اليه من البحث المنشور في مجلة (المدنية) فما أصدق تصويره للحالة الاجتماعيه ، وما أدق أسلوبه في بسط المعلولات والعلل ، هذا الى الاستدلال في الرأى ، والبلاغة في التعبير ، والقوة في الإدلاء بالحجة (٢)

فقال واحد من الجماعة : أى بحث تعني ؟

فأجابه : هو بحث ممتع تحت عنوان (أزمة الاخلاق في المدنية الحاضرة) ذهب فيه الي ان النقد الفلسفي بتوسعه في التقصي عن العلل الاولية ، والسيكولوجيا بتعمقها في تحليل العوامل النفسيه (٣) واصطباغ الاثنين بالصبغة المادية ، قد أضاعا على الانسان الأصل الذي تقوم عليه الأخلاق ، فأصبحت مدنية القرن العشرين ، وهي أحوج ماتكون الي منظم نفساني لاندفاعاتها الجنونية ، أفقر مدنية من الوجهة الخلقية . ثم عرض الباحث ضروبا من العادات المستحدثة ، وذهب الي انها مرتكزة على أصل الاباحة ، وأخذ ينقب عن مستقر مبدأ الاباحة فوجدها قائمة على انقاض الأصول الدينيه والفلسفية التى هدمتها السيكولوجيا الحديثة ولم تفلح في إعاضتها سواها مما هو ضروري للوجود الانساني من الوجهة الأدبية

فقال له ذلك السائل : لقد ضاق صدري من هؤلاء المتنطعة من رجال

---

(١) أزمع الأمرَ وأزمع على الأمر أجمع عليه وثبت (١) الحجرة الغرفة والقطر بضمتين جمع قطار . والمؤذن المعلم وزنا ومعني (٣) انساب الرجل مشى مسرعاً (٤) العيبة مايحمل فيه الثياب جمعها عياب (٥) وغل نغل دخل (٦) الفرنجة الفرنج

(١) الكظة امتلاؤها بالمزدحمة وهنا بمعني الامتلاء (٢) أدلى بالحجة أتي بها واحتج بها (٣) التقصي بلوغ الغاية في البحث والسيكولوجيا علم النفس

الكلام(١) نهم برعوا في صناعتي الجدل والتحليل ، وبلغوا من التأنق فيهما حداً أخرجهم عن دائرة الواقع الي عالم الخيال . ان الحياة الانسانية وما تقتضيه من أحوال وانقلابات ، تابعة للنظام الآلي للطبيعة العامة ، فهي تتطور على مقتضي عوامل لايحصي لها عدد ، وهي في كل طور من أطوارها لاتكون الا مطابقه لأحوال البيئة التي تنشأ فيها ، ولكل مايحيط بها من الشؤون مطابقة النتيجة للمقدمة ، بل مطابقة الظاهرة الطبيعية للبيئة التي تتولد فيها ، فما معني تطفل الفلسفة علي نقد هذه السلسلة المتصلة الحلقات ، من العلل والمعولات ، وما مبلغ تأثير الكلام في أطوارهذا النشوء الطبيعي الآلي ؟ ان الفلسفة تترجم هذه الأطوار بلغتها ، وتسميها بأسماء وضعتها لها ، وترتبها ترتيباً منطقياً علي موجب أصول قررتها هي لا الطبيعة نفسها ، ثم تأخذ في التحكم فيها مضيعة وقتها في البحث فيما يجب وما لا يجب ، ولا تدري انها بعملها ذلك تمثل دور من يتحكم بالكلام على هبوب الرياح ومجيء سرعتها علي مقتضي الاحوال. هذا رأيي يامسيو (إدوار) . والتفت الى مهدي مجلة المدنية الي أحد الاربعة

فأجابه المسيو إدوار : ان رأيي فيما قلته انك وقعت فيما تعيب غيرك عليه يامسيو (لوجران)

فقال المسيو لوجران : وكيف ذلك ؟

فقال المسيو ادوار : انك تعيب على الفلسفة ترجمتها أطوار النشوءات الطبيعية بلغتها ، وتسميتها أدوارها بأسماء وضعتها ، وترتيبها لها علي مقتضي أصول قررتها هي لا الطبيعة نفسها ، ثم أخذها في التحكم فيها الخ ، ولم تفعل أنت أو المذهب الذي تترجم عنه هذه الآراء غير ذلك . فذكرت نظاماً آلياً عاماً ونشوءا وتطوراً ومطابقة الي غير ذلك ، وهي ألفاظ وضعت لترجمة الحوادث بلغة خاصة كافة الفلسفة التي تحط من كرامتها

فقال المسيو لوجران : اذن بأي حجة تريد أن تفصل المتكلم وبين الحق والباطل ، وبين الخيال والواقع ؟

فأجاب المسيو ادوار : التفرقة تكون بذكر الحقائق المسلمة ، لا بسرد القضايا المتنازع فيها ، حتى لاتكون كمن يطفيء النار بالنار

فقال المسيو لوجران : أولم أفعل ؟

فقال المسيو ادوار : انك اعتمدت في دحضك للفلسفة ، علي النظام الآلي للطبيعة ، وهو ليس من المسلمات المجمع عليها ، بل هي كلمة وضعتها الفلسفة المادية لاتزال محلا للنزاع بين الباحثين ، بل أصبحت مما أصيبت به من التجريح من الكلمات السقيمة.

جاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية صفحة ٨٤٦ من المجلد السابع والعشرين ، وهي أحدث وأرقى دائرة معارف في العالم :

« ان الوجود الذي أوجده الله ليس بآلة ساذجة كما تحاول أن تقنع الناس تلك المقارنات الطائشة »

فاذا كان هذا مبلغ الحكم علي الأصل الذي تدلي به ، فكيف تريد أن تعتمد عليه في اصدار حكم قاطع علي الفلسفة ؟

فقال المسيو لوجران : اذا كان كل أمر متنازع فيه لايصح الاعتماد عليه في الادلاء بحجة ، فلا يكون للانسان طريق يتوصل به الى ادراك الحقيقة

فقال المسيو ادوار : الحقيقة ياسيدي لاتزل بعيدة عن الانسان ، وهي من الجلالة بحيث لايدركها عقلنا القاصر بوسائله الحاليه . أما طريقها فهو الاعتراف بهذا العجز ، وعدم الجمود علي مذهب من المذاهب ، أليس كذلك يامسيو (أوسكار) ؟ وأشار الي واحد آخر من الاربعة

فقال المسيو أوسكار : انكم كنتم في مجال الناموس الأدبي والاباحة . فما الذي نقلكم الي هذه الميادين الوعرة التي احترقت فيها رؤوس الملايين من رجال العلم تفكراً وتأملا ؟

قال الوجدان : فتضاحك الجميع ، الا واحداً وهو الذي دخل بعد المسيو ادوار في دمنهور ، وكان شاباً في نحو الخامسة والثلاثين حسن البزة(١) جليل المظهر ، تشير قبعته الطويلة اللامعة الي انه إما من الأعيان أو من رجال المال . فتقدم للجماعة بوجه بش ، وأدب عال ، وقال :

أتسمحون لي أن أفضي الى المسيو لوجران بكلمة في هذا الباب ؟

فصاح به الجماعة وهم يتضاحكون ، دونك واياه فقد استعصت علينا ماديته ، ولو كنا نقول بالتناسخ لقلنا انه قد تقمصت في جسده روح (جيبيل) أو (فوغت) من أركين المادية في القرن التاسع عشر

فالتفت ذلك الرجل للجماعة وقال لهم : أبدأ بتقديم نفسي اليكم ، وناولهم بطاقة . فقرأها المسيو ادوار واذا فيها : الكونت ألبرتو ديل ساتانيللي من لومبارديا بايطاليا

فحنى له الحاضرون رؤسهم علي عادتهم . ثم التفت الي المسيو (لوجران) وقال له بعبارات جمعت آيات الأناقة ، واستكملت شروط اللباقة (٢)

هبك أصبت يامسيو (لوجران) في قولك ان الطبيعة مقودة بنظام آلي صارم ، ولكنك غفلت عن أمر جلل ، وهو أن الانسان بما نشأ فيه من القوى العقلية ، وبما فتحته له تلك القوى من الباحات المعنوية ، وبمادفعته عاطفة التكمل من المرامي القصية ، وجد نفسه مضطراً لأن (يثور) على هذا النظام الجامد ، وأن (يتمرد) على مقتضياته ، ولو تأملت في أطوار عروجه من حالته الساذجة ، الي ماوصل اليه في مدى ألوف من القرون ،

---

(١) تنطع في الكلام تعمق فيه والمتنطعة المتعمقون

(١) البزة بكسر فتشديد الثياب والهيئة (٢) والأناقة الحسن . واللباقة بفتح اللام الحذق

ورأيتها سلسلة (ثورات) متتالية عليه ، حاول بها أن يوجد لنفسه عالماً أدبياً مستقلا عنه يسود فيه نظام عقلي مرن ، قابل لأن يتماشى معه في ترقيه الى الغايات البعيدة ، التي يصورها له عقله ، وتمثلها له عواطفه ، المولدة من ذلك العقل نفسه

ولو كان الانسان استسلم الي هذا النظام الآلي من يوم وجوده ، وقنع بسد حاجاته المادية المحدودة ، لما ارتقى من الوجهة الأدبية عن القردة ، ولا يخفي ان سد هذه الحاجات ، كان ميسوراً له على أدني الحالات ، فليس وجوده الشخصي والنوعي على الحالة الملائمة للطبيعة يتوقف على ترقيه من الوجهة المعنوية الي الحد الذي هو عليه اليوم ، فان في العالم طوائف انسانية لاتزال من يوم وجودها على حالة من التوحش لاتفترق بها عن القردة الا في أشياء اقتضاها تفوقها عليها في تركيبها الجثماني ، ولم يمنعها وقوفها في تلك الدرجة المنحطة عن البقاء الي هذا اليوم

ولكن الطوائف التي تأثرت بعاطفة (الثورة) علي الطبيعه من هذا النوع ، لم تقف عند حدٍ من ترقيها ، وقد بلغت بفضل (تمردها) علي هذا النظام الظاهري ما بلغته من الوجهتين الصورية والمعنويه

فالانسان الراقي معارج الكمل (كائن ثائر) على الطبيعه ، وهو كلما اشتد في ثورته عليها ، ونال قسطاً أكبر من حكومته الذاتيه ، قرب من استقلاله التام الخالص من الشوائب ، فاذا بلغه حاول أن يخضع هذا النظام الآلي لارادته ، وقد أفلح الي اليوم ، ولم يبلغ تلك الدرجة الموجودة له من الاستقلال ، في أن يخضع بعض نواميسه لاختياره

وأنا أشرح لكم أدوارا من هذه الثورة الانسانيه على الطبيعة ، وأبين وجوه استفادته منها لترقية ذاته ، فاصغوا لي ان شئتم

الطبيعة دفعت الانسان الى التغذي على نظامها الآلي ، فكان يجزئه أن يعمد الي الافتراس ويرتع في أشلاء الحيوانات التي تقع تحت يده ، ويلغ في دمائها كما فعل في أول أمره(١) ولكنه ثار على ذلك فأوجد النار ، فلطف من هذه الوحشية بستر ظاهرها عن عينه ، ثم مازال يترقى في هذه الثورة ، حتي تأدي الي الأنفة من الافتراس نفسه ، وأخذ يتجه نحو الاكتفاء بالنباتات ، وقد جرى في هذا الميدان شوطا بعيداً ، متأثراً بروح الثورة ؟ ففتح عليه من جهتها بأسرار صحية لاتقف قيمتها عند حد

والطبيعة الآلية دفعت الانسان لحفظ نوعه ، وكان يجزئه من ذلك مايجزيء القردة أو الزواحف ، أو مايجزيء طوائفه الدنيا ، من العدوان على كل أنثي تصادفه ، والفتك بكل من يزاحمه عليها ، ولكنه ثار على هذا الدافع الحيواني فأخذ يلطفه ، ووضع لذلك قيوداً وشكائم ، حتى ساوي المرأة بنفسه ، وأوجد لميوله من هذه الوجهة آدابا كلفها ذاتها حباً في أن يكون لها وجوداً معنويا مستقلا عن الوجود الساذج المحيط به

والطبيعة الآلية تدفعه لمزاحمة أمثاله ، وتحبب اليه الاتيان على ماقي أيديهم ليغتني بأفقارهم ، ويقوى باضعافهم ، ويتنعم بالوجود بافنائهم ، ولكنه ثار على هذا الباعث الآلي الحيواني فأحدث آدابا عامة أخذ نفسه بها ، ليلطف أولا من خشونة هذا التناحر ، ثم ختم ثورته هذه بالثورة على أصل العدوان نفسه ، وهو يعمل اليوم لوضع نظام عام لاعطاء كل ذى حق حقه من أفراده ، بغير الالتجاء الي القوة الغاشمة

والطبيعة الآلية لاتملي وجوده الشخصي والنوعي على ادراكه حقيقة الوجود ، ولا على استكناهه القوى الخفية المحجوبة عنه ، ولكنه ثار على هذه الحالة فأوجد لنفسه الديانات والفلسفات ، وأخذ نفسه في سبيلها بآداب عالية ، حرم بها على ذاته كثيراً مما تدعوه اليه طبيعته المادية بقوة عنيفة

يرمى الانسان بثوراته هذه على النظام الآلي الى تكوين وجود معنوي لنوعه بمعزل عن هذه الربط الفولاذية ، أو على الأقل تخفف من وطأتها على وجوده ، بحيث لاتصده عن كماله الأعلي الذي عقله لنفسه ويتهالك على تحقيقه بكليته فهل يليق بانسان ، بعد أن يعلم تاريخ ثوراته هذه على النظام الآلي ، ودركته من الوجود اذا خضع له ، أن يتبجح بسيادته ، أو أن يدعو اخوانه للدخول في طاعته ؟

ان الانسان لم ينل ماناله من التغلب على هذا النظام الحديدي ، الا بفضل القيود والربط الى حملها نفسه فلم متفرقة ، وتوحيد وجهته ، فماذا يكون شأنه لو حل تلك القيود ، وفصم عرى تلك الربط ، ومنى نفسه بأن ينعم بحالة فوضوية تحت سلطان ذلك النظام المقيد ؟ لاشك في انه يعود الى حالته البهيمية الأولي ، ويهيم من أسر الطبيعة في حمأة تتناصاه فيها القردة الهامجة ، في وديانها المزعجة(١)

فالفلسفة اليوم حيال مايبيحه الانسان لنفسه في عهده الأخير ، من الملاذ والشهوات والفوضي الخلقية ، ترى ان معنى ذلك انه يلقى سلاحه ، ويقلع عن الثورة ضد الطبيعة الآلية ، ويضعف عن متابعة جهاده في بناء ذلك الصرح المعنوي الكريم الذي هلكت في اقامته الي هذا الحد ملايين من أفراده لايحصي لها عدد ، فهي من هذه الوجهة تنعى عليه أصل (الاباحة) الذي يرمي الي نشره بعض أهل الغواية من آحاده (٢) . فلا تكرهوا أن تقرأوا مايكتب في تسويء هذه الاباحة مهما بولغ فيه ، ولكن اكرهوا بل تشاءموا من كل مايكتب في الدعوة اليها على أى وجه كان

(١) يجزئه يكفيه والأشلاء جمع شلو بفتح الشين وسكون اللام أى عضو . ويلغ من ولغ الكلب في الاناء يلغ بكسر اللام أى شرب منه

(١) الهامجة المتروك بعضها يموج في بعض (٢) نعاه له ينعاه أخبره بموته . ونعى عليه ذنبه عابه به . والغواية الغواية واللجاج

أقول على أي وجه كان ، لأن من الابلهيين من يتمثر بمظهر من علم الاخلاق، أو يتقدم بوجه مستعار من وجوه الاصلاح الاجتماعي ليدعو الى مذهبه، فاحذروا هؤلاء الضُلّال، وقابلوا كتاباتهم بما تستحقه من الاهمال (١)

قال الوجدان : فاه الكونت بهـذه الكلمات ببيان يأخذ بالألباب ، وخلابة يقل لها الاعجاب (٢) والسامعون ناظرون اليه باهتين ، و بسحر بلاغته مأخوذين، وما كاد يتم ماتصدى له حتى وقف القطار على طنطا ، فنهض مستأذنا في الانصراف ، قائلا انه سيرود بعض الارياف ، فشيعناه الى باب المركبة ، وعدنا لنتابع السير الى القاهرة ، وما كدت أجلس حتى أدركتني مثل ندامة الكُسَعِيّ على تركي هـذا العقل الكبير يفلت مني دون أن أرى من أي المناهل يمتح ، و بأي الآفاق يسبح (٣) فنزلت من المركبة أهرول، فلمحته وسط الزحام يحاول الخروج من المحطة ، فاندسست في الجمع ، وطفقت أشق لي طريقاً اليه حتى بلغته ، فأمهلته حتي انتهى الى الشارع ، فحاذيته ثم التفت اليه ، فرفع قبعته متبسما ، فأقبلت عليه مسلما ، ثم أخذت أظهر اعجابي بما رد به على المسيو لوجران ، وأهنئه بما أوتيه من البيان ، وكان ذلك مني باللغة الفرنسية ، وهي اللغة التي أدى بهـا كلمتـه الفلسفية

قال الوجدان : فنظر اليّ نظرة تأنيبية ، وقال ماذا جنت عليكم العربية؟

فقلت : عفواً ظننت انك لاتدريها

فقال : حيا الله لغة العـرب ، وأيد بها دولة الأدب ، ما أعـذب مواردها، وأكرم فرائدها

قلت : لقد رأيت فيك فضلا نادراً ، فأحببت أن ألازمك ولو سحابة هذا النهار ، فهل تسمح بذلك ؟

قال : على الرحب والسعة

ثم مشى ومشيت معه ، حتى انتهينا الى فُنْدُق فتبوأنا منه غرفة تطل على ميدان المحطة.

فالتفت اليّ وقال : لقد سئمت الكلام وزخارفه ، فليس وراءه طائل ، ولو بلغت منه مكانة سحبان وائل ، وانما حُبِّبت اليّ العلوم الخفية ، فهي مشرق الأنوار العلوية ، ومهبط الاسرار السماوية ، وقد علقت منها بفرع ليس وراءه غاية

(١) الضُلّال بضم فتشديد جمع ضال (٢) الخلابة التأثير باللسان (٣) الكسعي رجل من العرب اتخذ له قوساً فشرع يجربها فرمى خمسة من حمر الوحش فرآها تصيب الحجارة وتقدح فيها النار فظن أنها لم تصب مراميها وكان الحال انها أصابت أهدافها واخترقتها وأصابت الصخور بعـدها . فكسر قوسه تلك. فلما علم الحقيقة ندم غاية الندم فضرب به المثل . و يمتح من متح الماء نزعه من البئر

قلت : ألا تتحفني منه بآية؟

قال : أما بين يديك ، فأغمض باصرتيك

ففعلت

فقال : فتحهما

قال الوجدان : ففتحتهما فاذا بي في رواق من أجمل ماقمت عليه العين، تتصل به أروقة أخرى غاصة كلها بالأوربيين ، وهم جالسون كأن على رؤسهم الطير ، منصتين الى خطيب على منبر بهو من أوسع وآنق مارأيت ، يحف به عدة مئين من أمثاله ، جالسين على مقاعد كأنهم في حلقة تدريس ، فعرتني خشية ، كادت تتناولها غشية، ولكني تجلدت اذ انها ألعوبة سماوية من صناعة الكونت الايطالي ، صديقي مذ اليوم ، فأخذت أجيل طرفي في ذلك المجمع الفخم ، وأتعجب من جمال هـذا البناء الضخم ، فعلمت من نقوشه انه مجلس النواب الفرنسي ، وعرفت ان ذلك الخطيب المصقع هو المسيو بريان يفضي الى نواب الأمة بثمرة أعماله السياسية في مؤتمر لندن، والسامعون يقاطعونه بالتصفيق الحاد والهتاف المتكرر . كل هذا وأنا ظان اني أشهد مشهداً خيالياً، لا وجوداً حقيقياً، فحاولت أن أرى صديقي الكونت فأعياني أمره ، فانتظرت وانتظرت حتى مضت ساعة ، وأتم الخطيب خطبته ، وأخـذ الجمع يرفَضّ ، فنزلت معهم ، فاذا أنا بباريس ، أزحم فيها المارة ويزحمونني ، وأكلم الناس ويكلمونني ، فساء ظني في هذه الحال ، ومضت ساعـة أخرى تحققت فيها اني بعاصمة فرنسا لامحالة ، وان هذه المرائي ليست بألعوبة سماوية ، ولكنها حقيقة مادية ، فضاق صدري ، وكاد ينالني ذهول من شدة وقع ما أنا فيه ، ومما تستتبعه غيبتي عن أهلي ، وانقطاع خبري عنهم ، فلم أر أفضل من تعريفهم عن مكاني بالتلغراف، وإخبارهم بأني قادم اليهم بأول باخرة . ولكن هل يصدقون ذلك وقد كنت أرسلت اليهـم في اليوم السابق كتابا من الاسكندرية فيـه تفصيلات شتى عن مهمتي التي انتقلت من أجلها الى ذلك الثغر ؟ لم أر وجهاً للتردد ، فهذا أخف عليهم من انقطاع خبري عنهم ، فركبت مركبة أوصلتني الى ادارة التلغرافات، و بينما أنا أزاحم من فيها لأصل الى العامل ، واذا بيد وضعت على كتفي ، فالتفت فاذا به صديقي الكونت ، فصحت به رُحماك فقد أهلكتني

فقال : ما الذي هالك

قلت : أما ترى أين أنا ؟

قال : فماذا كنت قائلا لو كنت قذفت بك الى احد الكواكب؟

قلت : الكواكب ؟

فضحك متعجباً من خور عزيمتي ، ثم قال اتبعني ، فتبعته حتى دخلنا الى حديقة عامة ، وهنالك فقدت زميلي فجأة ، و بينما أنا أتلفت يَمْنة ويَسرة اذا به يناديني بين أغصان دوحة ، فرفعت بصري فاذا بصديقي البلبل

فصحت به : هو أنت ؟

فقال : متي تكون وجلا ؟

قلت : أما الرجوله على مايفهم الناس ، فأنا عند مايظنون ، ولكن هذا ....

فقال : هذا ماذا ؟

قلت : هــذا .... هــذا ....

فقاطعنى قائلا : أغمض عينيك

ففعلت : فاذا بي في فندق طنطا ، فخرجت منه عائداً الى القاهرة ، متعجباً من هذه الآية الباهرة ؟



سكان الكواكب

كتب الينا أحد الفضلاء ــ بمناسبة مادكرناه فى الوجــدية الثانية ــ عن الكواكب من جهة كونها مسكونة أم لا

فنجيب حضرته بأن العــلم العصري يرجح ان الكواكب مسكونة بحجة انه لايعقل أن تكون الكرة الارضية وحدها ، وهى لاتساوي ذرة فى هذه اللانهاية الوجودية ، آهلة بالحياة والاحياء ويحرم من ذلك سائر الكواكب وهي أكبر منها وأجمع لشرائط الحياة

هذا ما يرجحه العلم ، أما صور تلك الأحياء وحالات معائشها فليس في وسعه أن يبدي عنها رأيا لأن معتمدهُ المشاهدة، ونظاراتنا أضعف من أن تدرك هذه التفصيلات

(الوجديات)

ثمن العدد الواحد خمسة مليات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهى تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩
(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « التأليف بشارع عبد العزيز
(٥) « الأهلية « «
(٦) « المليجى بالسكة الجديدة
(٧) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالاسكندرية)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي (٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سدرة
(٣) ادارة جريدة التجارة
(٤) المكتبة المليجية بشارع الشمرلي

(بني سويف)

(٥) حضرة آدم افنــدي كومي بنى سـويف



هي دائرة معارف كاملة فيها كل مايسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم علي اختلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص ، وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصا آت وكل مايهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد علي حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة فى عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشاً ومجلدة ٦٤٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا فى أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ فى كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

فمن شاء أن نرسل اليه كل شهر خمسة منها حولناها اليه بثمانية وعشرين قرشاً ومن شاء عشرة أجزاء حولناها بثلاثة وخمسين قرشاً ونوالى الارسال اليه شهريا حتي يستكمل جميع مجلداتها

﴿ صفوة العرفان فى تفسير القرآن ﴾

هو مصحف مكتوب بخط اليد على ورق نباتي صقيل فى أسفل كل صفحة تفسيرها وقد راعينا فيه تفهيم معـانى الكتاب الكريم لمن لايتسع وقته لمراجعـة المطولات وقد عنينا باللغـة فأحسنا شرحها وبأسباب نزول الآيات فأتينا عليها من مصادرها . فهذا الكتاب يصلح أن يكون مصحفا للتلاوة وتفسيراً فى آن واحد . ثمنه غير مجلد ٤٠ قرشاً ومجلداً ٥٠ قرشاً

متفرقات وفوائد شتى

٤ ـ (تلاقي العقل والايمان)

(تابع مبحث العلامة جان فينو في المجلة العالمية)

في بداءة هذه التجارب كانت الكلمات الكاوية لباسكال عن الصمت الأبدي للعوالم غير المتناهية ترن في أذني . ولكن كان تجدد هذا المظهر واستمراره على الاتساع أمام عقلي المدهش من لا لانه قد فتح لي باب الرجاء لادراك بل لفهم هذا الحلم السامي

واني يجب عليَّ أن اعترف بتواضع بأني أتمت مرة سيدة خضعت لتجاربي عن طيب نفس فلم أستطع أن أعيدها الى اليقظة الا بعد بذل جهد عظيم أكثر من ساعة فعاهدت نفسي أن لا أنيم بعدها انساناً الا وهو في حالة تنبه وقد وفيت بهذا العهد

ومع هذا فقد وجدت في هذه المجالات المحدودة كثيراً من الأدلة على وجود العقل الباطن الذي يعمل بمعزل عن الدائرة الفزيولوجية للمخ بل كثيراً ما يعمل ضدها

القوانين الفزيولوجية المعروفة لا يمكن أن تتفق وعمل العقل الباطن ، فهل هو مقر الروح التي أحس الناس بوجودها منذ قرون في كل صقع من أصقاع الأرض؟

ان العالم والرجل الساذج يقرون بصحة وجود المادة على السواء بسبب آثارها وتفاعلاتها ، أوليس الأمر كذلك بالنسبة للعقل الباطن ؟ اننا مع عدم امكاننا وزنه ولا مسه على صورة مادية نرى قواه العاملة ظاهرة بمظاهر شتى . وكما انه ينوع الفرح والترح فهو كذلك القوة البانية والهادمة في الجسم . وهو يخفي كنهه على نحو ما تفعله جميع قوى الطبيعة ومع ذلك فلا شيء يمنع من الاعتقاد بوجودها في الخارج

ان حواسنا دائمة الانخداع للمظاهر وانه لينتج من ضلالها في الحكم مناقضات واضحة للوجود الذي أنجحت العلوم الطبيعية في استكشاف بعض جوانبه . فليس بمسموح لنا والحالة هذه أن ننكر قوى أو ظواهر تناقض ما نشهده بحواسنا ومشاعرنا . على ان العقل الباطن يتجلى لنا أيضاً بمظاهر تدل عليه من وجه آخر . فلا يمكن الشك في وجوده كما لا يمكن الشك في الظواهر الكثيرة التي هو ينوعها ويجعلها معاً . وبما ان هذه الظواهر تمتد الى أبعد ما يحيط به النظر فيكون مما يناقض العلم التحكم في تضييق دائرتها .

ولا يمكن التسليم اليوم بالأصل المادي الأكبر الذي يقضي بانكار وجود الروح بحجة عدم ادراكنا أي خاصة بدون المادة ، كالحرارة لا يمكن أن توجد بدون جسم حار ، ولا الكهرباء بدون جسم كهربائي ، فان العقل الباطن يلفت نظرنا اليه على الدوام بمظاهره التي لا تنتهي الى غاية ولا يمكن تحديدها بحد . وبما ان عددا عظيما من الظواهر التي أنجح الباحثون في تدوينها تتفق والخصائص التي تعزى الى الروح في رأي الذي يعتقدون بها بالفطرة أو بالنظر العقلي أو بتأثير الايمان فهل من العقل أن لا نعتبر تلك المظاهر المسجلة شيئاً مذكوراً ؟

وبناء على هذا فان علم النفس المستخرج من الفزيولوجيا بدون أن يعني بما يقتضيه الايمان وحاجة الناس من الوجهة الأدبية قد انتهى به الأمر منذ الآن الى اعارة أمانيهم الروحانية قواعد علمية

فهذا التلاقي غير المنتظر بين العقل والايمان ستكون ثمرته ارتفاع قيمتهما وحدوث التسامح بينهما

ان خلود شخصيتنا تتجلى لنا اليوم في مجالي كثيرة . ولكنا تحت تأثير التشاؤم الملازم لأفكارنا نحول وجوهنا عنها عن قلة ثقة ان لم نقل عن شيء من الكراهة . الا ان الواقع هو ان الجرثومة البروتوبلاسمية التي انتقلت من حي الى حي منذ أجيال . وقد ثبت ان كل وجود شخصي مهما كان حقيراً يترك بعد زواله عناصر خالدة أدبية ومادية

ولجسمنا نوع من الخلود حيوي فيزيولوجي كما حاولت التدليل على ذلك في غير هذا الموطن . ويخطيء المتدينون في احتقارهم هذا الجسم لأنه كالروح مستمد وجوده من الفكر الالهي أو من الأصل الأبدي للموجودات . ولكن مما لا مشاحة فيه ان الوجوه الأخرى من الخلود تضؤل وتحقر للدرجة القصوى أمام الأماني التي يسمح لنا بها استكشافنا العقل الباطن وهو اليوم وشك أن يعتبر مقراً للروح

اعتاد الانسان أن لا يعتقد بصحة الوجود الا للآراء التي يمكنه أن يستنبط منها فوائد مباشرة . والعقل الباطن ههنا وسائل عجيبة أصلية لاصلاح صحتنا الجثمانية والنفسانية وهي تؤدي لنا في سبيل تحقيق سعادتنا مالا تؤديه الجهود العقيمة التي نبذلها في حياتنا اليومية . فان الانتفاع المعقول بالقوة المستكنة في العقل الباطن تستطيع على مر الايام أن تقلب حياتنا الشخصية والاجتماعية من طور الى طور آخر

٥ ـ (في مملكة العقل الباطن)

الرجل العامي يجهل ان المعلومات التي يعتبرها أدق شيء ليست في الواقع الا مدركات ضالة لمشاعرنا وعقولنا . فنحن لا نلم الا بالظاهر الخادع للاشياء أما حقيقتها أي الحودث على ما هي عليه في الواقع فتتعالى عن مداركنا

ان الجهود التي بذلها الانسان للوصول الى ادراك الواقع أو الى معرفة أصول الكائنات ومصادرها كانت وستكون عقيمة . وهذا هو الذي قرره (كانت) بأسلوب جلي في كتابه (نقد العقل المحض) . وقد أثبتت العلوم الحاضرة صحة شكوكه . وهي تلك العلوم التي تقدمت في دراسة علاقاتنا مع العالم

الخارجي دراسة تزداد كل يوم تعمقاً وتوسعاً ولكنها لم تستطع أن تستكشف شيأ يتعلق بالواقع المبحوث عنه بشغف عظيم منذ التأتأة الأولى لعلم الميتافيزيكا (علم ادراك المثل الأولية للوجود)

فالفلسفة والعلم ، وقد أدركهما الاعياء ، أصبحا يسبحان في الأدرية المطلقة . وقد سلما باستحالة تخطي دائرة العلاقات الخارجية بين الناس والاشياء والقوى الطبيعية ، وحرما على نفسيهما كل استطلاع فيما وراء هذه الحدود . وجاء أجوست كونت بمذهبه الوضعي فجعل هذا العجز المزري عن الادراك قانونا محترما . ولكن البرغسونية (مذهب الفيلسوف المعاصر لنا برغسون الفرنسي) استحقت الثناء بمقاومتها هذا التشاؤم المتطرف . فإن نقدها الدقيق للاساليب العقيمة التي يتبعها العقل عندما يشرع في دراسة الحياة ذاتها ومقابلة ذلك النقد بتمجيد قوى البديهة وخصائصها قد سمح لنا بتوقع مجيء الزمن الذي نستطيع فيه أن نتقدم في طريق ادراك ذلك المجهول (يريد بالبديهة القوة التي بها يدرك الانسان بدون تدخل العقل العادي بأساليبه المنتزعة من العالم المادي)

البرغسونية المذكورة تؤكد لنا وجود خلاف أصلي بين العلم المادي ، وهو المجال الخاص بالعقل ، وبين ظواهر الحياة والوجدان التي لا يمكن فهمها الا بقوة البديهة . فالعقل الذي يمتد سلطانه في العالم الطبيعي لا يصلح الا لتوليد آراء مادية ، ولكن الحياة والوجدان تتطلب أدوات أخرى للبحث عنها . وما قصور العقل التأملي الذي قال به (كانت) الا حكما بقصور ادراكنا في الواقع . فالبديهة وحدها تستطيع الاتصال بحقائق الاشياء

ان نقد أساليب الادراك تثبت قبل كل شيء بأنه يخضع لضرورات العمل ويأخذ عنه عوائد وصفات محدودة لأننا لا نفكر الا لنعمل . وهو لكونه مخلوقا للاشتغال بالمادة الجامدة يفشل اذا أراد بسط سلطانه على حوادث الحياة والوجدان ، لأنه يستخدم فيها الوسائل والأدوات التي أعدّه استخدامها في العالم الآلي . ان هندستنا ومنطقنا لا يمكن أن يطبقا الا على المادة ، والادراك اذا حاول فهم الحياة التي هي خلق مستمر ، وتحول ونماء لا حد لها يعرض للناظرين جميع ضروب قصوره بسهولة تامة . وان تحليلنا لا يدرك الشيء الذي لا يقبل الانقسام كما لا يدرك فكرنا المنسمى الحياة السارية والطفرة الحيوية . وقد بقي لنا لحسن حظنا قوة الغريزة وهي ليست متولدة من الادراك ، ولا هي وظيفة خفية ودنيئة ، ولكنها علم مناقض للعلم المستمد من الادراك المباشر وليست في حاجة لبذل جهود للحصول على العلم مثله

فلاجل تذليل الصعوبات التي رآها (كانت) واجتياز دائرة الادراك لنتخلص من أسر الرسوم التي يحبسنا فيها ، فليس علينا الا انماء وتوسيع لاختصاص البديهة ، تلك البديهة التي ضمّرناها وضحيناها في سبيل ذلك الادراك

فالعلم سيستمر على استخدام الادراك ولكن الفلسفة ستعاود التعويل على العقل لتربح من تفاهم الوجدان الانساني والأصول الحية التي يصدر هو منها . بالجري على هذه السنة سنفوز باسقاط الحوائل التي منعتنا الى اليوم من الوصول الى سر العقل الباطن

بهذا الاسلوب سنتمكن من اقامة الجسر المبحوث عنه الذي سيوصلنا على مر الايام الى المجهول السامي وذلك بتشييده على الظواهر التي لا يمكن الشك فيها أي ظواهر الباطن

٦ — (التوفيق بين الادراك والبديهة)

مع ما تقدم لا يجوز اعتبار نقد القوة المدركة على اطلاقه . لأننا بترك التحليل والبهجة العادية نصل الى الاملاق المطلق من العلم والفلسفة . فان الحقيقة التي يحصلها لنا مذهب عدم الاعتداد بالادراك تصبح باطنية غير قابلة للتمحيص ولا للنقل . فنرجع بذلك الى الحاد متطرف يثور على جميع فتوحات الفكر باعتبارها ناتجة من الجري على أسلوب ما ومن شروح مشوبة الضلال

فماذا يبقى لنا بعد اهمالنا الادراك من الاسلحة لاستقصاء البحث في الوجود وحوادثه ؟

وقد لاحظ بحق (هنري بوانكاريه) في كتابه (قيمة العلم) ان العالم الزولوجي (الزولوجيا علم الحيوانات) اذا شرّح حيوانا أفسده وحكم على نفسه بعدم الالمام به في جملته ، ولكنه باهماله تشريحه يحكم على نفسه بعدم الالمام بشيء فيه

ففضل مذهب (برغسون) يرجع الى مساعدته في اعادة سلطان قوة كانت مضيّعة ومهجورة . فيجب اعتبار حق البديهة واسناد بعض المباحث المقومة التي اغتصبها منها الادراك اليها . ولكن مع تقدمنا لحكم الادراك لا يجوز لنا أن ننسى بأننا في حاجة الى مساعدته لأجل تمحيص عمل العقل الباطن والفطرة أو البديهة

أما العلم فانه بحالة لا يستطيع معها أن يتحرر من سلطان الادراك الا اذا جازف بتعرضه للعدم . ولقد تنازع الناس عبثاً في قيمة كل من الادراك والبديهة . ولكن من الخطر محاولة جهل مزاياهما التي تمت والتي هي على أوشك التمام

ومما لا شك فيه ان أوثق النظم العلمية كعلم الطبيعة الرياضية التي تجتاز اليوم دوراً من أدوار الانتقال ، تمد أنصار البديهة العقلية بأسلحة قوية والكوسموغونيا الجديدة للعالم إينستين (الكوسموغونيا علم وصف تركيب العالم) تهدم في نظر كثير من المفكرين مدركاتنا الأصلية عن الزمان والمكان . ولقد أصبحت أصول كارنو ونيوتن ونسبية لافوزييه ونظرية

مابر في حفظ القوة كلها هدفا للطعن في اتجاهات مختلفة ، فتركت بين يدي نقدتها ما كان لها من حظوظ ضئيلة من قوة البقاء . وما يضرنا من ذلك ونحن بدفننا النواميس العتيقة ، التي يمتاز بها الدور الثاني لعلم الطبيعة التجريبي ، يدخل هذا العلم في دور جديد من الاتمال يُثبت به مرة أخرى مرونته وقوته وهو يتقدم للوصول الى الحقيقة

والرياضيون أنفسهم يعتمدون اليوم على البديهة العقلية . لأنها تكمل تحليلاتهم وتعتبر ضرورية لتعليم الفروع الرياضية كما هي ضرورية للعلماء المؤسسين لمذاهب العلمية . وفي رأى النابغة مؤلف كتاب (حساب المرجحات) ان البديهة العقلية مع مساعدتها الادراك قد تخدع أنصارها كما يخدعهم العقل نفسه

ومع هذا فان النواميس الطبيعية السماوية الصارمة التي تكاد تعتبر نهائية والتي تناسب في الجلالة موضوعها المحير الألباب تكفي لتحرير قيمة العقل في المباحث ولانزاله منزلة ممتازة بجانب البديهة

ومجرد الذوق السليم وهو أفصح الأساليب العقلية يرى وجوب اعتبار البديهة والعقل معاً في المباحث

ولنفكر في هذا الأمر وهو : ان مخنا لا شيء غير مجتمع من خلايا مادية ينحصر فيها عقلنا ، واذا شئت فقل روحنا وشعورنا وتفكرنا وجميع جهوده ومحاولاته . فالجرح الذي يصيب المخ يؤثر جدَّ التأثير في محتوياته مباشرة . ومسألة استقلال أحدهما عن الآخر أو تعلقه به لاتزال محلا للنزاع . من هنا يظهر المخ بمظهر عضو العقل . ولا يلزم من ذلك ان العقل ليس له وسائل أخرى للظهور بها . ولا يمكن أن يستنتج من ذلك ان المخ هو المحتكر لخاصة إشعاع وإعمال كل الخصائص العقلية . فان هذا الزعم في جموده يناقض المنطق والمشاهدة معاً . ويمكن أن يقال فوق هذا : ان المخ ليس الا مادة ، والمادة ليس من خواصها هداية نفسها ولا العلم بالشيء قبل حدوثه ولا العمل على موجب تدبير أو غرض أختير من قبل . فالذي يعطي المخ هذا كله هو العقل وهو يدل بهذا على انه شيء زائد عن المخ الذي هو أداته في ظهوره

نحن لانبصر الضوء الا بالعين ولكن لنفرض ان عدداً عظيماً من الناس كف بصرهم فجأة فهؤلاء لايبصرونه قط . فهل يلزم من ذلك أن يُعدَمَ النور نفسه ؟

كذلك ليس من حق أحد أن يؤكد أن الخصائص العقلية تبطل أو لاتصير حقيقية اذا زال المخ

وعليه فوهن أساس القول بكفاية الادراك وحده أو البديهة وحدها يتضح بأقل نظرة من نظرات العقل الخالص من المسلمات التي لاتدعو الى تجربة

فلنتنزه عن التعصب حتى للحقائق المقررة لأن ذلك هو الشرط الوحيد لولوج العالم المجهول وكشف أسراره

(البقية تأتي)

مخاطبة الارواح

(بواسطة طفل)

جاء في المجلة الروحية الفرنسية في جزء مارس الماضي ما يأتي :

كان المهندس المشهور (جابرييل دولان) وهو الآن من كبار المشتغلين بالتجارب الروحية ويدير فيها مجلة خاصة اسمها (المجلة العلمية والخلقية للاسبرتسم) في بيت أحد معارف أبيه يلعب وهو صغير مع ثلاثة أطفال مثله ، فدعتهم سيدة ساكنة في الدور الأول وأعطتهم حلوى . ثم التفتت الى الطفل جبرييل دولان وسألته عن اسمه ؟ فأجابها اسمي جبرييل . فسألته وما صناعة أبيك ، فقال روحاني ياسيدتي . فقالت له لم أفهم هذه الصناعة. فأجابها الطفل : هذه ليست بصناعة وأبي لايأخذ عليها أجراً بل يزاولها لخدمة الناس . فقالت له لم أفهم يابني ماتقول . فقال لها كيف ذلك ، أما سمعت عن الاخونة (الترابيزات) التي تتكلم؟ فقالت له وددت لو ان أباك هنا ليريني ذلك . فقال الطفل لستِ في حاجة اليه فأنا أقدر أن أستجوب الاخونة . فقالت له أتستطيع أن تريني ذلك ؟ فقال لها سمعاً وطاعة

فجلس الطفل وأجلس السيدة وأصحابه بجانبه حول خوان فلم تمض الا دقائق معدودة حتى تحركت المائدة وارتفعت عن الارض بقوة

فالتفت الطفل الى السيدة وقال لها اسأليها ياسيدتي ماشئت

فسألتها السيدة قائلة من أنت؟

فأخذ الطفل يلفظ حروف الهجاء والمائدة تطرق عند لفظ الحرف المراد كتابته . ثم جمعت الأحرف فكانت هذه الكلمة (أبوك)

فدهشت المرأة ثم قالت يا أبتِ أخبرني هل أرسل الكتاب الذي كتبته

فأملى الخوان هذا الجواب : (نعم بدون خطأ)

فقالت السيدة : أتستطيع لأجل أن تثبت لي انك أبي أن تخبرني مت منذ كم سنة ؟

فطرق الخوان ثمان طرقات

فسألته أتستطيع أن تخبرني باسمك وباسم البلدة التي مت بها ؟

فأملى الخوان اسمه واسم البلدة . فخنقت العبرةُ المرأة ولم تستطع أن تستمر في المخاطبة من شدة ما استولى عليها من الانفعال النفساني

ثم ختمت المجلة هذه المقالة بقولها :

ليست هذه حادثة وحيدة فان وساطة الأطفال قد ثبت أمرها في صميم البيوتات . وهذه الوساطة تنفي احتمال كل غش .

(العدد ٥ — في ١٥ ابريل سنة ١٩٢١)



الوجدانيات
هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير شيء علينا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لها . وقد اخترنا هذا الأسلوب لمواعظنا لأنه افعل في النفوس من سواه

الوجدانيات
الأمم لا يستقيم أمرها الا بتكاثر أدبية تتنزل من عقولها وتتحكم في أهوائها . وقد أجمع العلماء ان الأمة كانت دائماً تسير الى حيث تدفعها أخلاقها

(الوجدية الخامسة)

قال الوجدان :

خرجت من داري صبيحة يوم قاصداً زيارة صديق لي آب من سفره ، فسرت في شارع الدوون ، حتى اذا حاذيت حارة السقائين ، مات ذات اليمين ، فبينما أنا أخترق أحد الأزقة الموصلة الى داره ، واذا بغلام لايجاوز السابعة ، حافي القدمين ، حاسر الرأس ، وعليه أهدام أنحلها البلي(١) وهو يحثو التراب بكلتا يديه ، ويذروه حواليه ، حتي غص الجو بالغبار ، واربدت منه حوائط الدار (٢) فصحت به وقد غشي بصري القتام ، كف يا غلام كف يا غلام (٣) فوالله مارفع بزجري رأساً ، بل مضي في شأنه كأن في أذنيه وقرا . فلما حاذيته نظرت اليه مغضباً ، وقلت له أما تستحي ؟

فنظر الي نظر الجاهل ، وقال : ممن ؟

قلت : من المارة ومن ساكني هذه الدور

قال : كيف أستحي ممن لايستحيون مني ؟

قلت : وبم يستحيون منك ؟

قال : من اهمالي علي هذه الحال متروكا وشأني ، محروماً من مقومات الحياة العقلية والجسدية

قال الوجدان : فدهشت من سرعة جوابه ، واصابته وهو بهذه السن ، وفي هذه الحال . وقلت له : أين أبواك ؟

قال : هاهما ، وأشار ذات اليمين وذات الشمال

فقلت : لم أر أحداً

فقال : انما أشير الى الشارع والحارة

فقلت : أهما أبواك ؟ وصحت

فقال : لم أر أحني منهما عليّ منذ كنت(١)

قلت : انما أعني أبوك الذي تسميت باسمه ، وأمك التي حملتك في بطنها ، وغذتك بلبنها

قال : زعموا ان أبي هو الأوسطى دهشان الحوذي ، وأن أمي هي حسنه امرأة عطية الفاعل

قلت : لم تقول زعموا ألست تعتقد انهما أبواك ؟

قال لا أعتقد ذلك لأنهما أشد عليّ من كل احد . فأما الذي يقال عنه انه أبي فانه يضربني ضرباً مبرحاً لأقل ماتلفقه له امرأته عني ، وكأنه في معاملتي يحمل عليّ سخيمة موروثة (٢) فهو لايحادثني ولا يلاطفني ، واذا اتفق أن تلاقى بصره وبصري أسرع الى تقطيب حاجبيه ، والتكشير عن انيابه ، وكثيراً ماتصيد سبباً لطردي من بين يديه (٣) هذا فضلا عن انه لا يعنى بأمر مأكلي ولا مبيتي ولا تربيتي ، ولولا ان امرأته ترمي اليّ حثالة ما تأكل لمت جوعاً (٤)

أما التي يقال انها أمي فأذهب اليها في بيت زوجها كلما آلمني السغب (٥) فتضمني الي صدرها ، وتناولني أطيب ماعندها ، وقد تبكي من رثاثة أطماري(٦) فتأتي لملامة امرأة أبي فتقع بينهما معركة ، ويجتمع حواليهما الجيران ، وقد يأتي الأب فيشترك في المعمعة ، وتنتهي بذهاب الأم الي ابيها وتركي لذينك الوحشين الضاريين ، فلا يدخران وسعاً في إيلامي بحجة اني سبب هذه الفتنة . وأنا لا أرى أية جريرة لي فيها. وكثيراً ما اتفق ان زوج أمي رآني لديها فينحي عليها بالضرب الموجع فأهرب قبل أن أنال من عطفها ما أنا في حاجة اليه ولو كل شهر مرة(٦)

(١) حاسر الرأس أى مكشوف الرأس . وأهدام جمع هدم وهو الثوب البالي . وأنحلها أى جعلها ناحلة . والبلي الخلوقة والقدم (٢) يحثو يغترف . ويذروه ينثره . واربدت كانت أربد اللون أى أغبر (٣) غشى حجب . والقتام التراب

(١) أحني بمعنى أحن (٢) الضرب المبرح الشديد. والسخيمة هي الحقد (٣) قطب حاجبيه قرب ما بينهما . والتكشير عن الانياب كشفهما (٤) الحثالة فضلة المائدة أو رديء الطعام (٥) السغب الجوع (٦) الاطمار جمع طمر الثوب البالى

فأنامضطر إزاء هذه الحال أن آوى الي أبويّ السطوفين الشارع والحارة ولكني كلما رأيت انهما آهلان بدور وقصور ، فيها أطفال من سني يمرحون مُترَفين ، و يلعبون ناعمين (١)ويُرسَلون الي دور التعليم لتتثقف عقولهم ، وتتوسع مد ركهم(٢) وأراني شريداً طريداً يدفعني حائط ويتلقاني آخر ، لا أساوي في نظرهم كلابهم التي تتلاعب مرِحة في أطواقها اللامعة بين أيديهم ، أحس بدبيب الحقد في نفسي عليهم وعلى آبائهم ، فأنا أحفظ في صدري لهم شر مايحفظه قلب مكلوم ، لخصم غشوم(٣) فأقسمت بأن لا آلو جهداً في ازعاجهم، ولا أدّخر وسعا في اقلاقهم(٤)

فقلت له : لم كل هذا ، أتراهم جنوا عليك ما أنت فيه ؟

فقال الغـلام : أنا لا أدري ذلك ، ولكن هـذا التفاوت بيني و بين أولادهم ، يؤلمني إيلاماً لا أستطيع وصـفه ، ويحملني علي الحقـد عليهم ، والكراهة لهم ، وسيرون مني شر مايرى القرن من مناوئه ، لا أفتر عنهم ماحييت

قلت : وماذا تنوى أن تفعله في ضروب انتقامك منهم ؟

قال : سيكون ذلك على قدر وسعي في كل دور من أدوار حياتي ، فقد كنت وأنا ضعيف آتي فأحدِث أمام أبوابهم ، وألطّخ بالطين جدران دورهم ، وأرجم بالاحجار نوافذهم (٥) واليوم أزيد علي ذلك اثارة الغبـار عليهم ، والصراخ بأقصي صوتي حواليهـم ، ومتى كبرت زدت علي ذلك ضرب أولادهم ، وسرقة كلابهم وقِططهم(٦)والتسلل الى أفنيتهم، واختطاف ماتصل اليه يدي من أثاثهم وآنيتهم ، فاذا ازددت قوة وصلابة ترنمت بأفحش الالفاظ تحت نوافذهم، وتجرّمت على خدامهم متذرعاً الي ضربهم، وافترصت الفرص لتسلق حيطانهم لسرقة أموالهم، الي ما اليه مما تلهمنيه الحـال ، متى بلغت مبلغ الرجال (٧)

قلت : بئس ما حدثت به نفسك أيها الغلام

فقال : ضع نفسك مكاني فكن طفلا حاسر الرأس تحت الشمس ، حافي القدمين فوق الرمضاء ، ليس لك مما يقي جسدك الا أسمال بالية ، لا تمنع من لفح هجير ، ولا تحمى من نفح زمهرير ، وأنت مع ذلك سغِبا لا تنال الكسرة الا بشق النفس (١٠) وترى بعينيك الحلوى والفاكهة تعرض في الطرقات فيرتع فيها أولاد الأغنياء دونك ، قلت كن كذلك ثم خـبرني عمايجيش في صدرك من الأحقاد والسخائم على مجتمع لم تجن عليه غير أنك تعد من آحاده ؟

قال الوجدان . فوالله لقد أدهشني هذا الغـلام بذرابة لسانه ، وقوة بيانه ،(١) حتى أنساني ما خرجت من بيتي من أجله ، ولم أشأ أن أدعـه حتي أصل معه الى حد أرضى به ، فقلت له :

من الذي نفث في رُوعك هذه الحمم من السخائم، وما الذي يسوّغ لك التحفز لارتكاب هذه الجرائم؟ (٢)

قال : نفثتها في رُوعى طبيعة الحال الذي أنا ، وهي نفسها التى تسوّغ لى ارتكاب كل مايمكن تخيله من الجنايات والمخازي،

قلت : انك تكلمني بلسان رجل عاقل ، لا بلسان غـلام جاهل ، فمن أين لك هذه الألمعية ، في هذه السن الطفلية ، والحالة الشقية ؟

قال : أنا لا أفرق بين علم وجهل ، ولقد أجبتك عـلى ماسألت ، فان رأيت في اجابتي ماتسميه عقـلا ، وفي حالتي ما لا يعطيـه ، وكان ذلك في نظرك يحتاج لتعليل ، فتول أنت حل هذا الرمز ، أما أنا فلم أقو بعدُ على التفكر في هذه المسائل

قال الوجدان : فصمتّ حائراً في أمره برهة ، ثم قلت له : ياغـلام ، يلوح لي ان الله قد منحك عقلا فطريا رفعك عن المستوى المعهود في أمثالك ، وأرى انك لو جمعت الي هذا العقل المطبوع ، زبدة العلم المسموع، لنشأت احدى العجائب ، ولأتيت بالغرائب

قال : إي والله ياعم ، واني لأخشي أن لاينفعني هـذا العقل المطبوع، ان لم يؤازره العقل المسموع ، كما قال الشاعر الحكيم .

رأيت العقل عقلين * فمطبـوع ومسموع
فـلا ينفـع مطبـوع * اذا لم يـك مسموع
كما لا تنفع العين * ونور الشمس ممنـوع

قال الوجدان : فكدت ألفت في الطريق نظر المارة من الهزه التى اعترتني عند سماع هذا الطفل ينشد هذه الأبيات بألفاظ مقوّمة ، وعربية بينة ، فقلت له :

ماهذا الشعر ، أين حفظته ، ومن الذي درّبك على النطق به كأحسن ماينطق به شاعر مُعرِق ؟(٣)

قال : سمعت بعضهم يقرأه في كتاب فحفظته

قلت: أحفظته من سماعه مرة واحدة؟

قال : أو يحتاج الانسان في حفظ شيء الى سماعه مرتين ؟

( ) فينحي عليها أى فيقبل عليها ويقصدها (٤) مترفين أى منعمين وناعمين أى متنعمين (٣) لتتثقف أى لتتعدل (٤) مكلوم أى مجروح . وغشوم أى ظالم (٥) لا آلو أي لا أقصر (٦) تجرمت عليهم أى ادعيت عليهم الجرم ولم يجرموا . ومتذرعاً أى متوسلا وافترص الفرصة انتهزها (٧) الرمضاء الارض الحامية من شدة الحر . (٨)والاسمال جمع سَمَل وهو الثوب الخلق. والهجير شدة حر النهار ولفحه احراقه الوجه . والزمهرير شدة البرد . ونفحه أى هبوبه البارد

(١) ذرابة اللسان حدته (٢) روعك قلبك . والحمم كل ما احترق من النار (٣) معرق أى أصيل

قلت أصغ الىّ ، وأنشدته سبعة أبيات مما أحفظه من شعر أبي الطيب المتنبي وهي :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلباه قبل الركب والابل(١)

ظللت بين أصيحابي أكفكفه ... وظل يسفح بين العذر والعذل (٢)

أشكو النوي ولهم من عبرتي عجب ... كذاك كنت وما أشكو سوى الكلل(٣)

وما صبابة مشتاق على أمل ... من اللقاء كمشتاق بلا أمل

متى تزر قوم من تهوى زيارتها ... لا يتحفوك بغير البيض والاسل(٤)

والهجر أقتل لي مما أراقبه ... أنا الغريق فما خوفي من البلل

وسألته أن يعيدها عليّ ، فوالله ما تأتأ ولا تمتم ، بل اندفع ينشدها بلسان طلق ، وترنيم عذب ، حتي أتي عليهـا ، (٥) فازددت عجباً من قوة حافظته ، وقلت له ياغلام : إن لك خصائص نادرة ، لا نصح إضاعتها ، فسأتولي أنا شأنك فأدخلك الي ملجأ تتربي فيه ، وسأزورك حيناً بعد حين ، فأرى ماذا يكون من أمرك ، فلا تعود بعدها حاقداً علي المجتمع الذي أهملك ، وسأذيع حكايتك هذه حتي يتنبه الناس الي أمثالك فلا يضيعوهم سدى ، ولا يربوا بين ظهرانيهم منهم أشدى العدى ، فهلم معي من فورك الى بيتى لأتحفك ببعض الملابس ، ثم أذهب بك الي الملجأ ، فقال لي أين يتنغل أبوك حتى أقفه على مافعلت معك ؟

قال : شكراً لك فخذني أولا الى بيتك حتي اذا كسوتني وأطعمتني ، أريتك مكان أبي

قلت : اتبعني ، ثم سرت وسار خلفي مترسماً خطواتي ، حتي انتهيت الي داري فدخلتها ، وهمّ الغلام بالدخول معي فزجره البواب ، فأشرت اليه بأن يدعه ، فدخل ، فأجلسته علي كرسي بمكتبي ، قائلا له لا تبرح هذا المكان حتي آتيك ببعض الملابس ، وصعدت فجمعت له ماتيسر ثم عدت اليه ، لآمره أولا برؤية ما أعددته له ، ثم أوعزت الي بعض الخدم بغسل جسمه وإلباسه ، ألفيته ممسكا بيده كتاب (دورة المادة) للمادي الألماني المشهور (مولخوت) وكان على مكتب بجانبه

فلما أقبلت اليه ، نظر الي متبسما وقال : ماذا يفعل هذا هنا ، وأشار الي الكتاب ؟

قلت : مالك ولهذا . ولِمَ تشير الى هذا الكتاب دون غيره مما هو علي المكتب ؟ وصحتُ ياصالح خذ هذا الغلام فأعنه علي الاغتسال وألبسه

(١) الطلل أثر الدار (٢) أكفكفه أي أمسحه . ويسفح أي ينهمر (٣) النوى البعد . والعَبرة الدمع . والكلل جمع كلة وهي ستر رقيق أي انه الآن يبكي من بعدهم وقد كان يبكي وليس بينه وبينهم الا ستر رقيق (٤) البيض السيوف . والأسل الرماح (٥) تأتأ تردد في التاء فى كلامه . وتمتم تردد في التاء والميم

هذه الملابس ، واطلب له غذاء ، ودعه عندك حتى أطلبه

فقال الخادم : سمعاً وطاعة ، وأقبل الي الغلام فأمسك بيده وقال له هلم معي

فجذب الغلام منه يده ، وقال والله لا أفعل حتى يخبرني سيدك عن الأثر الذي تركه في نفسه ذلك الكتاب ، وهل هو يرى رأى مولخوت ومن حذا حذوه من ماديي القرن التاسع عشر ، في أبدية المادية وأزليتها ، أم رأى المحدثين فى أن الجوهر الفرد مكون من إلكترونات يدور بعضها حول بعض كما تدور الكواكب حول الشمس ، وانها ليست بشيء غير كهرباء أسرعت حركتها في الأثير حتي ظهرت ملموسة ، أم رأى من يقول انه روح متجسدة

قال الوجدان : فتبسم الخادم من سماعه كلاماً لا يفهمه ، وحِرت أنا من ذكر هذا الغلام لمسألة من كبريات المسائل ، وذهابه فى تفصيلها هذا المذهب الدال على إلمامه بها

فأمرت الخادم بالانصراف ، وأقبلت عليه تلوح عليّ دلائل الدهش والحيرة ، وقلت له من أين علمت ان هذا كتاب مولخوت ؟

قال : عجباً أليس اسمه مكتوبا عليه ؟

قلت : هل تقرأ الفرنسية ،

قال : والانجليزية ، وقد قرأت هذا الكتاب بلغة مؤلفه الألمانية

قال الوجدان : فكدت والله لا أصدق ما أرى لولا انه حقيقة محسوسة ، ولقد بلغ بي الدهش من هذا الأمر حداً لا أستطيع وصفه ، وكيف لا أدهش من غلام لايجاوز السابعة ، فى خُلقان ممزقة ، يعرض عليّ مسألة المادة في مِعرضها السابغ (١) ويعرف مايحويه كتاب (مولخوت) وهو من الكتب التى لا نغالى ان قلنا انه لم يقرأها فى مصر خمسة أنفس ، ويكلمني بلسان طلق ، وعربية لم تشبها شائبة

فقلت له : أيها الغلام لقد أعجزني أمرك ، ولا أبعد إن قلت انك تعتبر آية من آيات الله فى خلقه ، ولقد ذكرت لى فى الطريق انك ابن دهشان الحوذي ، وانك نبتّ في أحط المغارس ، ولقيت من عثور الجد ما قُدّر لكل تاعس (٢) وأراك الآن وأنت في هذه السن فوق ما أنتظره من شيخ حنى الدهر صَعْدته ، في العلم والفلسفة(٣) فكيف أوفق بين ما رأيته وسمعته منك في الطريق ، وبين ما أراه وأسمعه منك هنا ؟

فقال الغلام : أنا في الطريق رسلان بن دهشان وهنا هرمس بن لقمان ،

(١) الخلقان جمع خلق بفتح الخاء واللام اى قديم بال والمرادفي ثياب خلقان . ومعرضها بكسر الميم أي فى ثوبها واصله الثوب الذي تجلى فيه المراة ليلة العرس (٢) عثور الجد كناية عن عدم التوفيق . والتاعس هو التعيس (٣) الصعدة الرمح القصير ، وحنى الدهر صعدته كناية عن أحناء قامته من الهرم

ولي أسماء أخرى في أماكن أخرى ، ألست حراً في أن أتسمى من الأسماء بما أشاء ؟

قلت : لندع الأسماء جانبا الآن ، ولكنى أحب أن أعرف كيف نشأت ، وأين تعلمت ولمَ لبست الخلقان ، وتعرضت للوجدان

قال : أهـذا كل مايدهشك مني ، وتحب أن تأثره عني ؟ (١)

قلت : انك من العجب بحيث لو بلغ أمرك العلماء ، لقصدوا اليك من أبعد الأنحاء ، ولنقلوا صورتك وأحاديثك الي الامم جمعاء

قال : مالي أنا ولهذا ، لا تهرب مما سألتك عنه آنفا وهو : مامنزلة نظرية موليخوت عندك ؟

قلت : اما ماذكره في تطواف المادة من البسائط الي المركبات ، وتقلبها في المظاهر المختلفات ، علي مقتضي النواميس الثابتة ، فما لايختلف فيه عقلان ، ولا يأباه انسان . وأما ماذكره عن أصل المادة ، وعن انها جواهر فردة ، لاتقبل الانقسام ، فهو من الرجحات لأن العقل لايرى عنه محيداً ، وإن أوسعه المتكلمون تفنيداً

قال : كيف لايرى العقل عنه محيداً ؟

قلت : مادام الانسان يحس بأن المادة جامدة ، يقلبها بين يديه ، ويطأها برجليه ، فهو مضطر بحكم العقل والحس معاً أن يحكم بأنها لابد من أن تنتهي في آخر ادوار التحليل الى ذرات صلبة ، متناهية في الصغر ، لا تقبل الانقسام ، وهذه الذرات باجتماعها تتألف منها الاجسام

قال : أراك تذكر العقل ، فهل تقبل حكمه ؟

قلت : وهل لي معتمد سواه ؟

قال : فكيف تعقل جسما مهما تناهى في الصغر ، لا يقبل الانقسام ؟

قلت أنا بين أمرين : فاما أن اقول انه يقبل الانقسام الى مالا نهاية ، وهذا محال ، واما أن اقول انه لايقبل الانقسام لتناهيه في الصغر ، وهذا أهون الشرين

قال : هذا حكم لايسوغه العقل نفسه ، اداك اليه شدة اغترارك بقواك الادراكية ، واستخفافك بالحقيقة الخفية

قلت : وهل كنت أستطيع غير هذا ؟

قال : نعم . فما دمت لم تعقل ان جسما صلبا مهما تناهى في الصغر يتعاصى على الانقسام ، كان يجب عليك أن تعترف بأن عدم قبوله له غير معقول ، وتقف عند هذا الحد منتظراً أن يفتح الله عليك بفهم مالم تفهم ، لا أن تصدر حكما مخالفا للعقل الذي تعتمد عليه . ثم تجعل من ذلك الحكم علماً تدعوه طبيعيا محققا ، فتبني عليه صروحا من الفلسفات الفارغة والطامات الكبر

قلت : أصبت والله ، ولكن اذا كان هذا الرأي لايعقل ، فهل يعقل أن تكون المادة قوة محضة وانما تظهر جامدة بسبب سرعة حركتها ؟

(١) أثر الحديث من باب ضرب ونصر نقله

قال : وهذا مما لا يعقل أيضاً ، ولكنه أقرب الى التحقق من الرأي الأول لعدة أسباب كلها من القواعد الأولية ، في الابحاث الطبيعية

(أولها) أن القوة أبسط مايتصوره العقل ، وهي بعد العدم برتبة واحدة ، واذا كان للكائنات بداية ، فلا بد من أن تكون تلك البداية أبسط شيء ، والجوهر الفرد ليس بأبسط شيء ، وكيف يكون كذلك وله طول وعرض وسمك وصلابة وهي أعراض قائمة بجوهر ، وله صفات أخرى من جذب ودفع الخ وقوى لا انتهى لى غاية تحلها اليه أصحاب هذه النظرية ، وان كان هذا شأنه من التركب لايعقل أن يكون أول كائن ، بل يجتمع من أوليات سبقته في الوجود كما لايخفى ، لأن محض تركبه يوجب ذلك

(ثانيها) أن القول بأن المادة أصلها الأول جواهر فردة متناهية في الصغر ، حكم ساذج يماشي حس المشاعر الغليظة ، التى ثبت ضلالها في كل مدركاتها ، ولا يماشي ما أدركه الشعور العالي من ان هذه الظواهر المرئية قشور لوجود ألطف منها ، وقد اضطر العلم نفسه الي فرض وجود هيولى لطيفة ليست مكونة من ذرات ولا وزن لها ولا مسام ، سماها الأثير . وقرر ان المادة متولدة منه لا أنها أصل قائم بنفسه

(ثالثها) أن القول بأن اصل المادة الجوهر الفرد ينفي القول بأن أصلها الأثير ، وكيف يعول على ذلك الآن والأثير اصبح من الضرورات التي لا محيص عنها في العلم الطبيعي

قلت : ان ماقلته يعتبر من البديهيات

قال : وهو قول العلم الرسمي نفسه ، وانما يحرص الماديون على القول بالجوهر الفرد ، على مافيه من منافاة العقل والعلم نفسه ، لأن تخطي دائرته يفتح عليهم بابا الي ماينفي مذهبهم ، وهم أحرص عليه من كل عزيز عندهم

قال الوجدان : سمعت كل هذه التحقيقات العلمية العويصة وتلقفتها من ذلك الطفل الناعم ، وهو في هدومه البالية ، وحقارته المتناهية (١)

فقلت له : أيها الصغير الكبير ، انك آية من آيات الله في خلقه ، وحجة من حججه علي عباده ، ولقد حظيت منك بما قد لايحظى به الآحاد في طوال الآماد ، فهل لك أن تكرمني بالافضاء اليّ بجلية أمرك ودخيلة سرك ؟

فضحك الغلام ضحكة طفلية ، ثم نظر اليّ نظرة حديدة وقال أصغ اليّ

قال الوجدان : فما رنت كلمته في أذني حتى رأيته انقلب شيخاً ذا وجه بدري ، و وسمت وضيء

فصحت به : مرحباً بأستاذي الحكيم بن مرشد ، لقد ..... وسطت عليّ مهابته فلم استطع ان ازيد على ذلك كلمة

فقال : أصغ اليّ ياوجدان ، وخذها خفيفة على اللسان ، ثقيلة في الميزان إن لهذه النابتة الضائعة التى تتعثر بها ارجلكم ودوابكم في احناء الطرق ،

(١) الهدوم جمع هدْم وهو الثوب البالي

وزوايا السبل ، حقاإن عيّت عن مطالبتكم به اليوم بلسانها ، أرهقتكم عليه غداً بأفعالها ، واني لأعجب كيف تشكون من انحطاط اخلاق العـامة ، وتتبرمون من تزايد عدد الشطار واللصوص والقتلة ، وتتألمون من تفاقم شر المتشردة والعَطَلة (١) وتتجاهلون انكم السبب الاول فى نشر هذه المخازي باهمالكم عواملها ، واغفالكم مناشئها

ولو حسبتم ماينال المجتمع من بوار ، وما يصيبكم في اموالكم من خسار ، وما يستتبع انحطاط طبقتكم الدنيا من قلةٍ فى المجهود ، وضعفٍ فى الوجود ، وتقصيرٍ في المنافسات الاجتماعية ، وعجزٍ عن الثبات فى الحرب المعاشية ، لأدركتم ان ماتبذلونه من الدريهمات لايواء هذه الكائنات الضائعة ، وتعليمها التعليم اللائق بها ، وتدريبها على الصنائع الضرورية للمجتمع ولها ، لايساوي عشر معشار ماتفقدونه من ضعف وجودكم العام ، باهمال هؤلاء كالانعام

فان كانت بلجيكا وهى لا تبلغ نصف بلادكم ، تساوي فى ميزان الوجود عشرة امثالكم ، فليس لأن ارضها اخصب من ارضكم ، ولا لان اجساد أهلها اقوى من اجسادكم ، ولكن لان آحادها ارقى من آحادكم ، فليس فيها مثل هذه الطبقة المهملة ، ولا تسيغ بنيتها وجود مثلها

فانظروا الي هذه الثلمة الهائمة فى الطرقات ، لا كما اعتدتم ان تنظروا اليهم طائفة قُضي عليهم بالعَدَم والجهل ، وانهم يجب ان يكونوا علـى ماهم عليه مدى الدهر ، بل انظروا اليهم نظر العارفين بأنهم آساس مجتمعكم ، وقواعد بنيانكم ، وانتم مخيرون بعد ذلك ان تقيموا وجودكم عـلى قرار ، او على شفير هار (٢)

قال الوجدان : ثم نهض قائلا : سلام

فلما مددت يدي اليه ، لاسلم عليه ، انتفض فصار بلبلا ، ثم صفر صفرته العادية ، وانطلق فى الجو ، انطلاق السهم الى الرميّة (٣)

الوجدية الفلسفية

هى وجدية كبيرة فى اثنين وثلاثين صفحة مغلفة على هيئة رسالة استوعبنا فيها الكلام عن الاصل الذي تقوم عليه الاخلاق فى قالب قصصي . ثمنها قرشان

---

(١) الشطار جمع شاطر وهو الذي يقطع الجيوب لسرقة مافيها (٢) شفير الوادي ناحيته . وهارٍ اى متهابل (٣) الرمية مايرمي بالسهم من الصيد ذكراً كان أو أنثى

مُتَفَرِّقَاتٌ وَفَوَائِدُ شَتَّى

(فتح علمي)

الروح خالدة

٧ - (العهد الكريم للبديهة العقلية)

(تابع ماقبله من بحث العلامة جان فينو مدير المجلة العالميـة)

العالم مصاب بكراهة كل جديد ، وهذه الكراهة الفطرية تخطىء في هلعها أمام غلبة البديهة العقلية أو العقل الباطن ، لأن هذا الأمر لا يبدو في جملته عودةَ أصل تراآى للناس منذ أقدم العهود الانسانية . وهذا العقل البـاطن نفسه قد عمل على تقويم النوع البشري دائما وفى كل مكان. ولكنه بعد أن كان عمله فطريا في الانسان أصبح اليوم علمياً وفلسفياً . وقد شوهد حتى وهو على تلك الحالة الفطرية يعمل لدى الفيلسوف سقراط وقد اعتبر رتبته فوق رتبة العقل . فقد قال في تقريظ افلاطون :

« ان الشعراء والعلماء ملهَمون لا من العقل ولكن من انفعال قد يشبه انفعال المتنبئة ويحملهم على أن يقولوا أشياء لايفهمون منها شيئاً »

وثبت القول بالبديهة العقلية عند الافلاطونيين الجدد وكان روسو يكبر من شأنها وكان يقول ان الفطرة كانت هي المتسلطة على الناس في عهد كمالهم الأول وقد فسد هذا العهد باخضاع العاطفة للادراك . وعنده ان الدور الثـالث من أدوار الانسانية سيقوم باعادة اخضاع الادراك للعاطفة التي سميت بعد سقوطها قلباً لا فطرة

وفى القرن التاسع عشر عقب حدوث رد الفعل ضد المذهب العقلي رجع فلاسفة كثيرون الي الاعتداد بالفطرة أو العقل البـاطن ومنهم شوبنهور وتلاميـذه

ولكن كل اطلاق يؤدي الي نتائج سيئة . فان تسلط الفطرة وحدها على الناس في الازمان السابقة أفضى بهم الي البربرية والي الجمود عن كل ترق كما أن تسلط الادراك عليهم وحده أدى الى افلاس العقل نفسه. فظهور الحقيقة يستدعى قبل كل شيء اعتداد أحدهما بالآخر . هذا هو ينبوع الوحى الجديد. المؤدي الي تحسين الوجود الانساني المظلم تحسينا بعيد المدى

فنحن بفتحنا العالم الأخروي الذي ظل دائما موصداً أمام الادراك سنوجد أسبابا لاتنضب تبعثنا لمذهب ءآل من طلب التكمل . هـذا المذهب سيقلب مدركاتنا المتطرفة في المادية ويوجد لنا آفاقا لم نحلم بها ولا تنتهى الي حد من الغبطة والكمال المعنوي

فاذا كان قد صعب علينا ان نعرج الى السماء فسيكون في امكاننا أن نوجد تلك السماء على الأرض

والحوادث التي لا يحصى لها عدد والتي تتعاصى عن الخضوع لنشاطنا العقلي والعضوي معاً توجد لنا عالماً جديداً مستقلا استقلالا لا ينازعه فيه شيء . وهذا العالم سيبقى مستقلا عن مخنا وعن مجموعنا العصبي

وهناك براهين لا تعارض تضطرنا للتسليم بوجود قوة أو قوى مجهولة مستقرها فينا نحن ، فلنسمها شعوراً أو روحاً ، فالذي يهمنا انها سواء أكانت هذه أو تلك فانها لن تزول بعد موت أعضائنا ومخنا

ما أكثر ما نجد أدلة من نوع آخر لاثبات هذه القضية . فالعلوم المسماة بالباطنية تؤتينا بألوف مؤلفة من الشهادات غير المباشرة في مصلحة هذه النظرية . وما أساء سمعة هذه العلوم الا الذين يبحثونها بدون مراقبات دقيقة وبخفة حتى ان أرزن العقول لتدين لمشاهدات ضالة ومخالفة لكل أسلوب علمي . ومع هذا فاننا فيما يلي رغماً عن وجود تجارب باطنية ناقصة وتحقيقات لا يوثق بها ، سنبرهن على انه يمكن اقامة الدليل العلمي على البقاء بعد الموت مع تركنا الآن البحث في معرفة حالات ذلك البقاء

٨ (أخطاء الاسبرتسم وغيره)
(من المذاهب الباطنية)

الناس عادة أكثر تعويلا على الضلالات الظاهرة ، منهم على لُمَع الحقيقة التي يتعذر عليهم ادراكها

فالاسبرتسم والتيوسوفيا(١) ذانك المذهبان المعدّان لأن يؤديا أكبر خدمة في دراسة العالم الأخروي هما نفساهما كانا أشد من سواهما في تسويء سمعة المباحث التي سبق تحقيقها فيه . وماذا يقال في الفروع الباطنية الأخرى مما هي أقل منهما قيمة التي تبتدئ من قراءة الكف وتنتهي بالتنجيم أو كشف الغيب من خلال الكريات البلورية ، فلقد شوهت المباحث الروحية المتبعة بعناية وسوأت من سمعتها

لنأخذ مثالا على ذلك من الفوتوغرافية الاسبريتية فان أشياعها نشأتهم بقرنها بظهور الموتى للاحياء جعلوا الأمرين محلا للنزاع على السواء

فرجل من مدينة بوستون يدعى (مولر) صناعته الحفر ويشتغل بالفوتوغرافيا في ساعات فراغه ، رأى ذات يوم وهو يعمل لتثبيت الصورة على الزجاجة الحساسة رأساً ظاهرة بجانب الصورة . وبعد عدة أيام رأى مثل ذلك فتأثر منه غاية التأثر ولكنه عرف أخيراً ان ذلك ناشيء من نقص تنظيف المرآة فبقي عليها أثر صورة انطبعت فيها من قبل . فلما أدرك ان الاتفاق قد وضع بين يديه كنزاً يستغله أصبح إماماً للفوتوغرافيا الاسبريتية حصل من ورائها ثروة طائلة ووجد له مقلدون عديدون . ولقد بلغ من رواج التجارة الاسبريتية أن أعلن في سنة ١٨٧٤ عن قرب صدور طبعة جديدة للكتاب المقدس مصحوبة بصور حقيقية لابراهيم وموسى وداود والملك سليمان وبعض رجالات الأناجيل

وبعض مصوري الممالك الأخرى كرهوا أن يسبقهم مصورو الولايات المتحدة الامريكية فأحدثوا مثلهم عجائب من هذا النوع

وقد رأت المحاكم ضرورة وضع حد لتهافت الارواح على طلب تصويرها بمعاقبة أولئك المصورين المهرة الذين يتجرون بتصوير سكان العالم الأخروي فألقتهم في غيابة الحبوس عدة سنين

وقد عجز المحققون عن اقناع الناس بامكان تغطية الصور السالبة بأي مظهر يريده المصور الماهر من طريق التدليس ، فاستمر التصوير الروحي متابعاً سيره في التضليل

ونحن هنا مع عدم ارادتنا انكاره على حالة مطلقة ، التصوير الروحي الذي يوجد بين القائلين به رجال لهم حظ من سعة العقل ومكان لا نزاع فيه من طهارة النفس ، فلا نتمالك أنفسنا من الأسف من الخفة التي يقبل بها بعضهم حوادث مشكوكا فيها في غالب الاحوال

لنضرب مثلا آخر : وهو كشف الأمور من خلال الكريات البلورية ، الذي أصبح يقول به عدد عظيم من الناس ليس في الممالك الانجلوسكسونية وحدها ولكن في فرنسا وفي غيرها أيضاً . وقد أتى على هذا الأمر حين من الدهر كانت آثاره فيه تشبه مرضاً معديا في قوة الانتشار . وكيفية عمله أن ينظر في منشور بلوري ، ولا يمضي طويل زمن حتى يري الناظر فيه مرائي ليست بشيء غير ما يشتغل به عقلها في الاحوال العادية . وقوة ظهور تلك المرئيات ينبع شدة قبول الناظر للتأثر من جهة وصفات المنشور البلوري من جهة أخرى

فكان المنشور البلوري الذي يملكه موريسون صاحب تقويم (زادكييل) شهرة طبقت العالم كله في سنة ١٨٦٣ فكان يرى فيه الناظرون أمنا جميعاً (حواء) والملك ارتور وخوانه المستدير والأنبياء والقديسين المعتبرين في جميع الكنائس . حتى انه قد رؤي فيه يهوذا الاسخريوطي . والتقويم الذي كان يحمل أنباء هذه المناظر التي نقلتها هذه البلورة المشهورة ذكر عن هذا المنظر الأخير ما يأتي :

« يهوذا على غاية ما يكون من الشقاء . فقد باع المسيح . وهو الآن في الجحيم ويريد أن يخرج منها بمساعدة البلورة.

فلما رفعت على موريسون المذكور قضيته سرد في دفاعه عن نفسه ان من المعتقدين بصدقه أرقى رجال انجلترة عقولا مبتدئا باللورد غراهام ماراً

(١) التيوسوفيا كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين (تيو) أي الإله (وسوفيا) أي الحكمة ومعناها معاً الحكمة الالهية وهو علم وضع على مذهب مختار من الفلسفة والعلم ومستمد من الحكمة الهندية القديمة يشبه الصوفية في اعتماده على تطهير النفس ، ويماشي العلم في فتوحاته الكونية (المعرب)

بالارشيدياكر روبنسون والاسقف ليشفيلد ومختتما بالكولونل فيس واللورد افينجهام . فقد حفت جميعهم بركة تلك البلورة

وقد نوه بالخصائص التي لاتخطر ببال للكرة البلورية التى يصدق بها جم غفير من الناس في مؤتمر العلوم النفسية الذي أقيم في شيكاغو سنة ١٨٨٩ فالجلسات الروحيـة والأخونة المتحركة وحوادث التجسد تعطينا أدلة جديرة بالنظر وأحيانا موجحة عن تهافت لا حد له في سرعة تصديق أولئك الرجال الذين ينهمكون في الاعمال الباطنية .

وكاتب هذه الصحف اشترك في تجارب عديدة فشق عليه فى أكثرها تجرد المجربين من كل حاسة انتقادية وتعقلية . فكانوا يقعون في غالب الاحوال تحت تأثير تخيلات اجماعيـة ، وبعض العلماء ممن أرادوا التعمق فى بعض المستكشفات الباطنة صاروا ضحايا طهارتهم القلبية لاتصافهم غالباً بسذاجة لا حد لها (البقية تأتى)

(الوجديات) ينحى العلامة جان فينو فى هذا الفصل من مقالته باللوم والتثريب على المجربين الذين يتجردون من النقد الصارم فى مباحثهم ولا يبرىء بعض العلماء من ذلك فلا يتبادرن الي ذهن القاريء انه يرمى بذلك كل الباحثين لأنه قال ان فى هذه التجارب ألوفا مؤلفة من مشاهدات محققة تجبر أعصي الناقدين قياداً على احترامها ولا يستطاع عدم الاعتداد بها بوجه من الوجوه . بل هو نفسه واحد من الباحثين في الأمور الروحانية وقد بني مبحثه هذا عليها ، وهو لم يسمه فتحاً علمياً الا بسبب كون هذه المشاهدات أصبحت داخلة فى دائرة العلم المحص كما سنراه من كلامه الآتى

نعم انه يعيب قوماً يتهافتون علي تصديق كل مايرونه بلا تمحيص ويبنون عليه تعاليم مذهبية تسيء الي هـذه المباحث العملية من كل وجه وترمى بها الي عالم الظنون والخيـالات

قد يكون المسيو جان فينـو متحاملا على أكثر من يعنيهم ، ولـكن وجود ألوف مثله من المتطرفين فى النقد والتمحيص بين المعتقدين بصحة الظواهر الروحية أكبر ضمان للقارئين على ان هذه المباحث اجتازت كل عقبات النقد ، ومرت من أدق مناخل التدقيق وحوت كل صنوف العقول. فلا يكرهن القاريء أن يصادف مثل هذه العقول الشديدة المراس فى المعتقدين بهذه الفتوح الروحية فى العصر الحاضر فان وجودهم أجمل مظهر لحيثياتها وأكبر دليل علي صحتها

الجرجير

ذكرنا فى العدد الماضي ماقاله الدكتور أولدفيلد عن الجرجير من انه اكسير اطالة الحياة ونخشي أن يعول على الادمان عليه بعض القراء معتمدين على رأى الطبيب المذكور بدون أن يستأنسوا بآراء غيره فى هذا الباب . وهى تبعة لانود أن نأخذها على عاتقنا ، لذلك نرى من الضروري أعطاء القراء فذلكة مما ذكره الاطباء القدماء والمحدثون عنه ليكون استعمالهم له عن بينة

ذكر عنه الاطباء القدماء آراء متناقضة فقال بعضهم انه مفتت للحصي مفسد للهضم وذكر البعض الآخر ان الادمان عليـه يحرق الدم ويوجب الجذام ان لم يقرن تعاطيه باللبن

وقد أغفل ذكره الاستاذ بلز فى قاموسه النباتي الطبي وهو دليل على عدم تعويله عليه . وذكر له الدكتور (اردونسكي) فى كتابه الطب النباتي خصائص فى داء الخنازير والكبد وقال انه يحتوي على اليـود والكبريت ولكنه أضاف الى ذلك قوله: ان اصرار العوام على اعتباره اكسيراً للصحة من المبالغات التي لم تؤيدها التجربة

الاشعاعات الروحية

{ استكشاف علمي جليل للدكتور و . ج . كيلنر }

كان الروحيون يقولون ان للروح جسداً أثيريا ألطف من هذا الجسد لايبلي ولا يعتريه التحلل ، وهو على مثال أجسادنا هذه يخرج من الجسم عند الموت ويبقي كاسياً للسر الإلهى المسمى بالروح لايفارقها ولا يصيبه ما يصيب المـادة من العوارض . ولكن الروحيين كانوا يعتمدون في ذلك عـلي اخبار الارواح أنفسهم . فقد كانوا كلما سألوها عنه تجيبهم بأن لها جسداً اثيريا علي شكل الاجسام البشرية ولكنه من اللطافة بحيث يخترق أكثف الحوائل ، وينتقل الى كل مكان ، بغير تقيد بنواميس الثقل والجاذبة العامة الخ ، ولكن الروحيـين الواقفين مع الاسلوب العلمي كانوا لا يستطيعون التسليم بشيء لم يروه بأعينهم فظـلوا معلقين لحكمهم في هـذه المسألة حتى جاء العلامة الدكتور (و . ج . كيلنر) الانجليزي العضو بالكلية الملكية للطبيعيين والكهربائيـين فأثبت وجود ذلك الغلاف الروحاني بالحس لاستكشافه الاشعاعات الروحية المحيطة بالجسم الانساني من حيث لانبصره نحن ولا نحس به . وقد وضع في ذلك كتابا أسماه الجو البشري (الاورا) صدر من مكتبة kegan paul بلوندرة

وقد أكـد العالم المذكور فى كتابه بأن ابحاثه في هـذا الباب كانت طبيعية محضة بحيث يمكن لكل انسان ان يعيدها ويكررها

﴿ كيف يرى الجو البشري بالعين ؟ ﴾

طريقة ذلك أن يجلس شخص الى حاجز ملون بالسواد الحالك ويوضع أمامه مصباح يخفف نوره الي حد أن يري الشخص رؤية صحيحة . ثم يولى المجرب النافذة ظهره وينظر الى الشخص من خلال لوح من الزجاج مغشي بمادة الديسيانين فيري ان حوله ثلاثة أغلفة متوالية علي هذا الترتيب :

(١) غلاف محيط بالجسم كله سمكه من ٣ الي ٦ مليمترات دعاه الدكتور كيلنر (الزوج الاثيري)

(٢) غلاف ثان محيط بالأول كله من جميع الجهات سمكه من ٦٠ الى ١٠ مليمتراً

(٣) غلاف ثالث محيط بالثاني كله وهو أكثر سمكا من الأولين

أما لون الغلاف الثاني فالسنجابية الضاربة الي الزرقة أو لون الزرقة الصرفه وقد يكون أحيانا ذا ألوان أخري (صفحة ٣١) وهو لدى الزنوج أسمر كثيف

وهذا الغلاف يفقد لألاءه في حالة المرض وهو يتغير من يوم الى يوم حتى لدى الاصحاء

ولم يشاهد ان اثنين من الناس تشابه محيطاهما الروحاني كل التشابه . ورؤى من تلك المحيطات ماهو لطيف وما هو كثيف ، ومنها ماهو مخطط أو منقط بنقط ملونة . ومحيط المرأة يخالف محيط الرجل . فهو فوق الكتفين وحول الرأس وعلي طول اليدين يشبه محيط الرجل ولكنه يخالفه فيما بعد ذلك أى من جزئه الأسفل فهو يتسع من الجذع ثم يضيق تدريجيا الى القدمين

﴿ الوحديات ﴾

ثمن العدد الواحد خمسة مليمات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرون العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩

(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب

(٣) مكتبة الهلال بالفجالة

(٤) « التأليف بشارع عبد العزيز

(٥) « الأهلية « «

(٦) « المليجي بالسكة الجديدة

(٧) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالاسكندرية)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي (٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سدرة

(٣) ادارة جريدة التجارة

(٤) المكتبة المليجية بشارع الشمرلي

(بني سويف)

(٥) حضرة آدم افندي كومي بني سويف



هي دائرة معارف كاملة فيها كل مايسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم علي اختلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص ، وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل مايهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد علي حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة في عشرة مجلدات صخام

ثمنها غير مجلدة ٥٢٠ قرشا ومجلدة ٦٢٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر تباعا في أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ في كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨ .

فمن شاء أن نرسل اليه كل شهر خمسة منها حولناها اليه بثمانية وعشرين قرشاً ومن شاء عشرة أجزاء حولناها بثلاثة وخمسين قرشا ووالى الارسال اليه شهريا حتي يتكمل جميع مجلداتها

﴿ صفوة العرفان في تفسير القرآن ﴾

هو مصحف مكتوب بخط اليد على ورق نباتي صقيل في أسفل كل صفحة تفسيرها وقد راعينا فيه تفهيم معاني الكتاب الكريم لمن لايتسع وقته لمراجعة المطولات وقد عنينا باللغة فاحسنا شرحها وبأسباب نزول الآيات فأتينا عليها من مصادرها . فهذا الكتاب يصلح أن يكون مصحفا للتلاوة وتفسيراً في آن واحد . ثمنه غير مجلد ٤٠ قرشاً ومجلداً ٥٠ قرشاً

(العدد ٦ – في أول مايو سنة ١٩٢١)

الوجدانيات
كالأجسام لا يستقيم أمرها الا بشكل خاص ونظام معين ...



الوجدانيات
هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة وإمداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لها . وقد اخترنا هذا الأسلوب لعلمنا بأنه أفعل في النفوس من سواه

(الوجدية السادسة)

حدث الوجدان قال :

بينا أنا أخترق شارع التوفيقية ، في ضحوة ربيعية ، والسكون ضارب رواقه ، والنسيم حالٌّ نطاقه (١) واذا بواحد من بني ساسان ، قد لمع بأخلقان ، واعتضد بكشكول مبطان ، واعتقل هراوة من المُران ، وهو يمتي الهوينا فعل من يشكو أينا (٢) ملتفتا اليه من بعيد رفع يده الى السماء ، كما يفعل عند الدعاء ، ثم ازالها بعد الانتهاء ، وتكرار هذا العمل بنظام ليس فيه خلل ، فاقتربت منه ، لأعرف طلابه ، وأبل لهاته بصُبابة (٣) فسمعته يقول :

اللهم يامن لا أري سواه ، وان تعددت الظواهر ، ولا ألتجئ الا اياه ، وان تكثرت المظاهر ، ولا أبغي الا اجدواه ، وان تنوعت المصادر ، أسألك بحق توحدك في الوجود ، وتعدد تجلياتك في الشهود ، وبحرمة ظهورك للبصائر ، واحتجابك عن المشاعر ، أن تقضي حاجي اليك ، وأن لا تجعل فيها معولي الا عليك

قال الوجدان : فعجبت من صدور مثل هذا الدعاء ، من مثل هذا الرجل ، في مثل هذا الطريق ، فقربت منه قائلا ياشيخ ، ماحاجتك ؟

قال : مئة دينار يابني

قلت : أتتخيل أن أحداً يعطيك هذا القدر ؟

قال : وهل طلبته من أحد ؟

قلت . وما تفعل بهذه المئة ؟

قال : هذا لا يعني أحداً غيري

ثم اندفع يطلب حاجته بعبارات غير التي سمعتها أولا، فتعقبته من كثب (١) حتى كرر الدعاء عشر مرات ، وهو في كل مرة يفتن في التعبير افتنانا يدل على انه من العابضين على ناصية البيان ، والسارين في سرائر العرفان (٢) فملت في نفسي ، بئس المال من عتاد ، اذا لم يبذل في رفع مثل هذا من تحت كلاكل الحاجة ، أجمعت على أن أنفحه بما يطلب ، وانفق اني أحمل هذا القدر كنت أرصدته لأمر (٣) فصحت به أيها الشيخ، فالتفت الي ، فقلت له أنا أعطيك هذا المال

قال : أقبله على شرط أن لا تتقاضاني عليه ربا

قلت : معاذ الله ، وهل تظنه قرضاً ؟

قال : لا ولكني أقصد بذلك ارهاقي بالأسئلة عن ضئضئي ومنشأي ، وعن أين تعلمت ، وعلى من تخرجت ، ومن وجه خصاصتي على فصاحتي ، وعن سر تحري للعبارات العالية ، في وسط هذه الجهالة الفاشية (٤)

قلت : إي والله ، كل هذا أريد أن أعرفه ، لا باعتباره ربا لما أعطيه ، ولكن كفضل أرجيه

قال : ليس عندي الا ما سمعت

ثم اندفع يفتن في ضروب أخرى من العبارات في دعائه ، مما صغر في نظرى هذا المال ، واضطرني لبذله على كل حال . فصحت به ياشيخ خذ ماطلبت غير ممنون عليك ، فويل لقوم يضيع هذا الفضل بينهم

فأخذها وهو يقول : حيا الله هذه الأريحية (٥) لقد والله أبنت عن

---

(١) الضحوة وقت ارتفاع النهار . والرواق بيت كالفسطاط . والنطاق مايشد به الوسط (٢) بني ساسان من ملوك الفرس وقد صار علماً للشحاذين لأنه بعد نكبة هذه الاسرة على يد العرب صار كل شحاذ فارسي يدعي انه من بني ساسان ليستعطف الناس اليه . والمبطان الكبير البطن . واعتضده جعله تحت عضده . والهراوة العكازة . والمران نوع من الشجر (٣) طلابه أي طلبه واللهاة لسان صغير في أقصى الفم . والصبابة البقية من الماء أو اللبن

(١) من كثب اي من قرب (٢) يفتن أي يتفنن . والناصية مقدم شعر الرأس (٣) العتاد ماتهيئه للطوارىء من العدة . والكلاكل هي جمع الكلكل أي الصدر . وأنفحه أعطيه (٤) ارهاقي إعناتي وضئضئي أي أصلي . وتخرجت أن تعلمت . والخصاصة الفقر (٥) غير ممنون عليك من

كرم ، وكشفت عن شمم ، فامض بارك الله فيك ، وكافأك بما يرضيك

قال الوجدان : فمضيت وأنا افرح بما فعلت مني لو سيقت الي الدنيا بما فيها فما كدت أبعد عنه مشتي ذراع حتى سمعته يناديني ، فعدت أدراجي (١) وسألته عما يريد ، فوضع يده علي كتفي وقال :

والله يابني لا حاجة بي الى مال ، وانما سألتكه ، وبالغت في مقداره ، لأرى الي أي مدى يصل عماك من قولك ، فوجدتك بحيث أحب أن أراك ، ولامحك تمييز الخالص من الزائف في الرجال ، أدل من البـدل ، فخذ مالك مباركا فيه ، واقبل مني هدية تذكرني بها ما حييت ، فهل تحفظ حرمتها ، وتعرف قيمتها ؟

فقلت له وقد عظم في عيني من ظلافة نفسه عن الدنانير :

أنا عند ظنك بي ان شاء الله (٢)

فقال : هي كلمات لقننيها بعض الواصلين ، وأنا أتحرج عليـه ، اذا تلوتها انقلبت الي الصورة التي أقصدها ، وقد اختزنت هذا السر لم أفض به الي أحد (٣) عمـلا بوصية أستاذي بأن لا أكشفه الا لمن يستحقه ، وقد بلوت جوهرك بكل محك منذ عشر سنين علي غير علم منك فوجدتك لوديعتي أهلا ، فخذها واتق الله فيها

ثم قال : هات يدك ، وقرأ فاتحة القرآن ، وعاهـدني علي الكتمان ، وأشهد الله عليّ ، ثم لقنني تلك الكلمات ، وأسرع بالسلام ومضي

أما أنا فعدت الي بيتي من فوري ، ودخلت مكتبي ، وأوصدت بابه ، وتلوت الكلمات قاصدا أن أنقلب الى عصفور ، فكنته في مثل لمح البصر ، وما شعرت بحالتي الجديدة من الضؤولة والخفة ، حتى ذعرت ، فأسرعت الي تلاوة الكلمات فعدت الى ما أنا عليه ، فلما هـدأ روعي كررت العمل حتى أنست به (٤) فخرجت من نافذة مكتبي على صورة عصفور ، أطير في الجو مرحا ، وأضرب في نواحيـه فرحا ، لم أرك في القاهرة شجرة الا حططت عليها ، ولا حديقة الا غشيتها ، واندسست بين طيورها ، حتى كان وقت الاصيل (٥) فعمدت الي حديقة قهوة فاقتعدت غارب غصن من دوحاتها (٦) فاتفق ان تحتها رجلين يتناجيان ، فسمعت أحدهمـا يقول لصاحبـه :

انك مادمت على ما أنت عليه فلا يكون حظك من الناس الا أوكس حظ ، يستخفون بك ويزدرونك ، وان أنصفك منصفوهم فلا يجاوزون بك درجة المستضعفين من أهل الضعة والاستكانة (٧)

فقال له صديقه : لم اسمع قبل اليوم بأن الأدب النفسي يوجب لصاحبه الصغار والمهانة

فقال محاوره : أنا لا أحيلك الا الي العيان ، فلقد كنا بدار صاحبك الساعة ، وكان بالمجلس جمهور من العلماء والرؤساء ، فهل سمعت فيـه صوتا أعلى من صوت (فلان) ، ورأساً أرفع من رأسه ، ينال من هذا بقوارصه ، ويحط من ذاك بأوادغه ، يتوسـع في تقعره ، ويتسكع في تفيهقه (١) والحاضرون مصغون اليه ، هذا يبسم له مداريا ، وذاك يعجب بكلماته مرائيا ، حتى اذا أفرغ مافي جعبته (٢) نهض فخف الكافة لتشييعه وتوديعه ، وهو من تعرف في سقوط قيمته ، وقلة بضاعته ، وانحطاط منزلته

فقال صاحبه : وما قولك فيما أفاض فيه الجالسون بعد قيامه من تحقير شأنه ، وتسويء أدبه ، والاجماع علي الازراء به

فقال محاوره : وماذا يضيره ذلك ، اذا كان مهيباً في محضره ، معظما في معشره ، يضع لسانه منهم حيث أراد ، فلا يستطيع واحـد منهم أن ينتصف لنفسه . انك يا ابن أخي عـلى ما ألممت به من الأمور النظرية ، تجهل الحياة العملية ، فتعيش بين الناس علي المثال الذي تصوره لك كتب الاخلاق ، وشتان بينه وبين مايجب أن تكون عليه من الصفات اذا أردت أن تستفيد من حياتك ، وأن تستزيد من لذاتك

فسأله صاحبه : وما هي هذه الصفات التي تذكرها ؟

فأجابه محاوره : أولها (الجرأة) فلا تهب أحـداً كائنا من كان ، فاذا قابلت ذا وجاهة فاحذر أن تعامله بأدب الكتب من الانحناء اليه ، والصمت بين يديه ، والاقبال اذا تحدث عليه ، فان ذلك يزيد في تجبره ، فيرهقك بتغشمره (٣) بل قابله كأنك تقابل صديقا لك من عهد التلمذة ، فرحب به بصوت عال ، وتصنع الانس به عنـد الاستقبال ، ثم كرر له التحيات ، وأسرف له في التبسمات والضحكات ، فان ظهر عليه انه استثقل منك ذلك ، فلا يثنينك تجهمه ، بل اثبت على ما أنت عليه ، فلا يلبث أن تلين شكيمته لك (٤)

قال صاحبه : فان تجرأ علي زجري فكيف يكون موقفي حياله وحيـال الجماعة ؟

فضحك محاوره وقال: ما أقل علمك ببني نوعك يا احسان ، انهم لا يتجرأون الا علي كل مؤدب ذي حياء ، فيراقبون كل حركاته ، حتى ليكادون

---

(١) عدت أدراجي رجعت على عقبي (٢) ظلافة النفس اباؤها (٣) أفضي سره اليه أعلمه به (٤) الروع بضم الراء القلب (٥) وقت الاصيل قبيل غروب الشمس (٦) الغارب أعلى الكاهل (٧) أوكس أى أخس . والضعة الانحطاط

(١) تقعر في كلامه أخرجه من حلقه . وتسكع في أمره لم يهتد لوجهه. وتفيهق في كلامه توسع فيه وتنطع (٢) الجعبة كنانة النشاب (٣) فيرهقك بتغشمره أى فيغشيك اياه ويلحقـه بك . والتغشمر التنمر (٣) تجهمه أى استقباله اياه بوجه كريه (٤) والشكيمة هي الحديدة التى توضع في فم الحصان لردعه بها ؛

يختبرون انفاسه ونبضات قلبه تجرأ منه عليهم، فيهملونه في زاوية المجلس، لايتفضلون عليه بنظرة ، ولا يتكرمون عليه بلفظة ، فاذا أراد الانصراف تغافلوا عنه فلا يرد عليه سلامه الا بعضهم ومن أطراف شفاههم

قال صاحبه : هذه أولى الصفات فما الثانية ؟

فقال محاوره : ثانيتها (الثرثرة)، فأطلق للسانك العنان، وضعه حيث أردت ؟ فاذا أراد أن يقاطعك أحد فامض كأنك لاتسمعه ، ولا تبال أصبت فيما تقول أم أخطأت

فسأله صاحبه : فان لاحظ ملاحظ علي بعض قلت ؟

فأجابه : اذا فعل فارفع صوتك بالرد عليه، وأظهر الغضب والموجدة(١) ولا تمكنه من الكلام على أى حال من الأحوال . فان تجرأ وتكلم في أثناء كلامك ، فانثر عليه من قوارصك مايعيده الى صوابه (٢) ويكرّه اليه مافعل معك حتي يرضي من الغنيمة بالاياب

فسأله صاحبه : وما ثالثة الأثافيّ

فأجابه : الثالثة (التنويه بالسطوة والبطش) كأن تكثر من اختراع وقائع بينك و بين خصوم لك في السياسة أو المعاملات ، تختمها دائما بذكر سبك أو ضربك اياهم . فتقول مثلا جادلني فلان في موضوع كذا ، فرددت عليه بحدة ، فاعترض بكذا ، فشتمته ، فنكص علي عقبيه ، أو فكدت أن أضربه لولا أن منعني فلان ، أو فضربته ثم حيل بيني و بينه ، فأدبر لايلوى على شيء، الي غير ذلك من آثار البطولة ، وأعمال الفروسة ، فيهابك السامعون ويتجنبون تحديك جهد طاقتهم ، فتعيش بينهم مقتصباً اقبالهم واكبارهم

هذه هي الثلاث الخصال التي لامحيص لك عن الأخذ بها ان أردت أن تعيش بين الناس مرفوع الرأس ، مهيب الجانب، موفور الكرامة ، والا أنزلوك المنزلة التى توحيها اليهم أهواؤهم، لا اعتباراً لعلم ولا اعتداداً بحسب، ولا غيرة على أدب

فقال له صاحبه : ذكرت شيأ وغابت عنك أشياء . فقد يغشى الانسان مجلساً يكون غاصاً بالعلماء والأدباء ، فلا تذكر به الا نادرة علمية، أو شاردة أدبية ، ولا يصغى فيه الا لحكمة بالغة ، أو كلمة نابغة ، فماذا تغني الصفات التى تذكرها في مثل هذا المجلس ؟

فقال له محاوره : تغني غناءها على أحسن مايكون ، ان راعيت معها أموراً يقتضيها المقام . فان كانوا يخوضون في الفلسفة فاركن الي المادية

(١) الموجدة بفتح الميم وسكون الواو وكسر الجيم الغضب (٢) القوارص المراد بها العبارات القوارص جمع قارصة (٣) الاثافي جمع اثفية بضم أوله واسكان ثانيه وكسر ثالثه واحدة الاحجار التى يوضع عليها القدر فوق النار وهى فى العادة ثلاثة، وثالثة الاثافي كناية عن الشر كله

الباحتة ، فانها لاتكلفك غير الانكار، والتشكك والاصرار ، فهى بضاعة المفلسين ، وعتاد المعدمين ، وان كانوا يتذاكرون العلم ، فاحفظ مما يسردونه من أسماء العلماء اسمين أو ثلاثة أسماء وأفض في تقريظ أصحابها ، واذكر ماسمعته من أسماء كتبهم وبالغ في تقدير قيمتها ، فان عارضك معارض فخذه بالقوارص ، ولكن في صبغة علمية ، لتستر بذلك املاقك مما انت بصدده .

وان كانوا يتذاكرون الأدب ، فأنت تحفظ أسماء عشرات من الشعراء، فخذ في المفاضلة بينهم قائلا : ما أبلغ هذا في المدح ، وما أرق ذاك في النسيب ، وما أخس فلاناً في الهجاء ، الى غير ذلك . فان لم تجن من وراء هذا الا صرفهم عما هم فيه ، هرباً من خلطك وخبطك ، لكفاك ربحا

فقال له صاحبه : هذا تسويل شيطان ، لا نصح انسان ، فان كانت المنزلة عند الناس لا تنال الا بهذه الصفات الذميمة ، فأجدر بالمرء أن يعتزلهم من أن يتقمص روح شيطان لينال اقبالهم . علي ان ماتقوله أيها الاخ لا يصدق الا على الطبقات المنحطة منهم ، وان بلغ آحادها من الثراء مابلغوا، فان المال ليس بمقياس صحيح لتقدير درجات الطبقات الاجتماعية ، ولا حكم أهله مما يعتد به في انزال الناس منازلهم ، فكل مجلس لايقام فيه للعلم وزن ، ولا يرفع فيه بالأدب رأس، لايصح أن يعتبر الا بيئة ساقطة، وان لبس أهلها الحرير ، ولعبوا بالدنانير

على انى أقول : هب أن الناس كلهم على الشاكلة التي تصورها ، فذلك لايبرر أن يوبق الانسان نفسه لينال حظا من عنايتهم (١) فأولى بالعاقل أن يعيش مغموط الحق ، مبخوس القدر ، وهو حاصل علي نعمة الفضيلة ، من أن يأخذ غير حقه منهم وهو مرتطم في حمأة الرذيلة (١)

قال الوجدان : فهز مناظره كتفيه وهو يقول: أنت وما أردت ، وحضر ثالث فجلس قريباً منهم ثم رابع ثم خامس فقطعوا هذا الكلام ، وغصت حديقة القهوة بالناس ، فبينما أنا أتأهب للطيران ، واذا بعصفور على مقربة مني أخذ يحدق فيَّ ، فالتفت اليه ، فرفرف بجناحيه ، وصفر بملء شدقيه ، وقال لي بلغة الطيور ، أوعيت مادار بين الرجلين ؟

قلت : نعم

قال : بأيهما تريد أن تأتم ؟

قلت : لا وجه للمفاضلة بين خطة شيطان رجيم ، وطريقة ملك كريم

قال : دع هذا ، وقل لى أآثرت صورة الحيوان البهيم ، على ماصورت عليه من أحسن التقويم

قلت : معاذ الله

(١) يوبق أى يهلك . ومغموط أى مجحود (٢) مرتطم أى واقع والحمأة الطين الاسود

قال : فما بالك تنفق من عمرك عشر ساعات في هذه الصورة الحيوانية؟ أكان صاحبك لقنك هذا السر لتنحط به الي أسفل سافلين ، أم لتنتفع به في الأحايين ؟

قلت : عفواً ، هذا من الفرح بالجديد

قال : كلا ، لقد استحققت التعزير ، لاستخفافك بهذا السر الكبير(١)

ثم صاح بي قائلا : عُد الي صورتك الآدمية

قال الوجدان : فوالله ما أتمها حتى رأيتني قد تحولت الى صورتي الحقيقية ، وكدت أقع على رؤس المنتدين تحت الشجرة ، لولا أن شددت نشوبي بالاغصان(٢) وأخذت أكرر الكلمات رجاء أن أعود الي ما كنت عليه ، لاخلص من هذه الورطة ، فلم تجدني نفعاً ، وخشيت أن تقع عليَّ عين أحد الحاضرين فأفتضح ، وينال مني كل وقح ، فطفقت أستعطفه فلا يعطف ، واستميحه العفو فلا يسعف ، وأنا في حال من الوجل تكاد تسلبني قوتي فأقع فيما أخشاه . وما راعني الا أن نظر اليَّ نظرة المتشفي وطار كانه يريد حتفي؛ فلا تسل عما أصابني من الاعنات ، عندما يئست من الافلات (٣) فأجمعت أمري على أن ألزم مكاني حتى ينتصف الليل ، فهو أخفى للويل ، وأن انسلل من تلك الحديقة حتى أصل الى الطريق ، ولكن ماذا يكون من أمري ان لحقني الخفير ، وقبض عليَّ كما يقبض على لص شرير ، وبماذا أحتج عند التحقيق ، للخروج من هذا المضيق ، وماذا يكون وراء ذلك من سوء القالة ، وشناعة الاحدوثة ؟ (٤)

كل هذا جاش في صدري ، فكدت أقع مغشياً عليَّ لولا أن تداركني الله بعودة ذلك العصفور ، فنظرت اليه نظرة المسترحم ، فقال: تتوب؟

قلت : ان صادفتني بعدها في صورة غير صورتي ، فقد حلت لك عقوبتي

قال لا أريد أن تعدل ، ولكن أن تستدل . ثم قال اتل الكلمات ، فتلوتها فصرت الى ما كنت عليه ، فطرت الي جانبه وقلت له من أنت رحمك الله ؟

فقال : أنا الذي قابلته بالتوفيقية ، ولقنك هذه الكلمات العلوية

فقلت : لقد زدتني لَبْسا

فقال : أنا استاذك الحكيم بن رشد ، ثم اندفع في الهواء ، اندفاع القذيفة في الفضاء

أما أنا فزايلت الشجرة من ساعتي ، ثم تلوت الكلمات فعدت الي صورتي ؟

(١) التعزير التأديب(٣) المنتدين المجتمعين . ونشوبي بالاغصان أى تعلقي بها (٣) الاعنات المشقة (٤) القالة اسم من القول . وسوء القالة أى سوء قول الناس . والاحدوثة مايتحدث به الناس

{ ظهور الارواح ساعة الموت }

أحصي العلماء الباحثون في الروح ألوفا مؤلفة من الشهادات الدالة على ان ارواح بعض الموتى تظهر لبعض قرابتهم في ساعة الموت بينما يكونون بعيدين عنهم ولا يعلمون عن صحتهم شيأ كأنها تريد بذلك أن تخبرهم بموتها ، والذين يشهدون انهم رأوا ذلك من العدول الذين لايشك في صدقهم في كل زمان ومكان . منهم الكاتب الفرنسي الطائر الصيت (الكسندر دوماس) فقد كتب في صفحة ٢٢٤ من المجلد الأول من مذكراته مامؤداه:

كنت عند بنت عمتي (ماريان) وهي تسكن مع عمتي ووالدها بشارع سواسون ، وأنا اذ ذاك صغير لا اعرف الموت ولا أتخيل ان أبي يموت وقد رأيته يمتطي ظهر جواده قبل ثلاثة ايام

ففي منتصف ليلة استيقظنا فجأة من طرقة شديدة على باب حجرتنا ، وكان يضيئها مصباح ليلي فرأيت ابنة عمتي ناهضة في سريرها وقد بلغ منها الخوف . وكان لا يمكن أن يطرق طارق على هذا الباب لأن البابين اللذين يوصلان اليه كانا مؤصدين .

أما أنا ، الذي أكاد ارتعد خيفة وأنا أكتب هذه الاسطر ، فلم اشعر اذ ذاك بخوف ، فنزلت من سريري واتجهت نحو الباب

فصاحت بي ابنة عمتي الى أين تذهب؟

فقلت اريد أن افتح الباب لأبي فقد جاء ليودعنا الوداع الاخير

فقفزت من سريرها وأمسكتني ، وقد وضعت يدي على القفل لفتحه ، ثم جذبتني الى سريري وأنا ناظر الي الباب صائحا : استودعك الله يا ابت ، استودعك الله ، وأحسست بزفير متنفس فوق وجهي .

فلما استيقظنا في الغد اتانا الخبر بأن أبي قد مات في تلك الساعة التي رأيته فيها

واذ ذاك سمعت بأذني قائلا يقول لي لم أر شخصه : يابني المسكين لقد مات ابوك الذي كان يحبك كثيراً

قلت له : مات ؟ مامعنى هذا؟

قال : معناه انك لن تراه أبداً

قلت : ولم ذاك ؟ فقال : لأن الله أخذه اليه

قلت : الي الأبد؟ قال : نعم

قلت : وتقول اني لن اراه ابدا ؟ قال : ابداً

قلت : ابداً ابداً ؟

قال : ابدا؟

قلت : واين يقيم الله تعالي ؟

قال : يقيم في السماء

فأطرقت مفكراً وادركت ان قد حدث في حياتي حدث جلل ؟

متفرقات وفوائد شتى

(فتح علمي)

الروح خالدة

(تابع مبحث العلامة جان فينو مدير المجلة العالمية)

٩ ـ (الاتصال الكاذب بأرواح الموتى)

يجب عدم الثقة خصوصاً بالوسائل المتفق عليها للاتصال بالارواح سواء أكانت على صورة تحريك الأخونة أم بالكتابة بلا واسطة أو بواسطة ، فقد أفرط المدالسون في استغفال المجربين . فلا بد من استخدام التبصر التام قبل كل شيء في تحقيق هذه التجارب لمصلحة المذهب الروحاني نفسه . لأن أشياعه المتناهين في السذاجة أو المتشبعين بالحماسة كانوا في كل زمان ومكان أقوى العوامل فى غلبة الالحاد المذهبي من أشد الماديين حمية

واننا لنلح على العلماء ذوي التأثير العظيم أمثال (كاميل فلاماريون) بأن لايحشروا الي مؤلفاتهم حوادث غير حاسمة وسهلة التعليل والتقليد . وعلى خصوم الماديين أن يكونوا من هذه الوجهة أشد شكيمة من خصومهم ، لأن مشاهدة واحدة يقبلونها بخفة قد تهدم مئات من مشاهدات أخرى جديرة بالنظر

وانه لتوجد أمثلة بينة على الخفة التي يقبل بها علماء وكتاب مشهورون ظواهر هذه المجاهيل وتعليلاتها

فتراهم بمجرد دخولهم في الديانة الروحانية يأخذون إخذ المتحمسين من المتمذهبين حديثاً فيجافون مقتضيات الفطرة السليمة بل وأصول أعمالهم العقلية التي حصلت لهم الشهرة والمجد باستحقاق وجدارة . فكروكس ولومبروز وهيزلوب وأوليفييه ولودج الخ ولا ضرورة لذكر بعض العلماء الفرنسيين من ذوي الشهرة العالمية الذين يعطوننا من هذه الوجهة أمثلة مدهشة من سرعة التصديق

فلنأخذ مثلا لذلك كاتباً مثل (كونان دويل) المعروف فى العالم أجمع بدقة النظر وبمواهبه في الملاحظات الدقيقة وهي المواهب التي سمحت له بعمل أقاصيص بوليسية بمهارة مدهشة . فهذا الكاتب بمجرد اقتناعه بصحة بعض ظواهر التلباتيا (التأثر عن بعد) اعتقد بصحة مجموع العقائد الباطنية بخفة تستدعي الأسف الشديد . فان قراء (المجلة العالمية) قرأوا باهتمام عظيم (رسالته الحيوية) الموجبة للاعجاب التي يوجد فيها بجانب ظواهر مفيدة للغاية عقائد توجب الدهش والحيرة . فان تأكيداته في مسألة الجسد الأثيري للانسان وتصوراته للعالم الأخروي لايمكن أن تقابل الا بشيء من الاستخفاف . فهو اذا تكلم عن عالم الآخرة يخيل انه قد عاد منه بعد أن لبث فيه عدة سنين

فقد قال عنه : « هو عالم كل مافيه هادىء ولطيف ، والوجود به سادج ومؤنس ، وفيه طوائف سعيدة تسكن أماكن تحظى فيها بلذات الجمال والموسيقى . ففيها حدائق غناء وأنهار عذبة وغابات خضراء وبحيرات جميلة وحيوانات مستأنسة » وقال أيضاً : « ليس هناك غني ولا فقير فكل منهم يخدم المجتمع بأحسن ماعنده . فهو مستقر تمرة الغبطة والضحك . تؤتى فيه جميع صنوف الآداب والرياضيات الجسدية . ليس فيه طعام ولا شراب . ولكن الحال هناك كما هو عندنا اذا صرف الانسان ادراكه وقواه وارادته في سبيل الخير أمكنه أن يصبح ربّيساً » الخ الخ

يقول كونان دويل هذا ويؤكد بأن البراهين قد تظاهرت على وجود هذا العالم الذي يصفه للناس .

وان المتأمل ليشاهد هنا نوعاً من التجسيد بلا شعور من القائلين به ومظهراً من مظاهر الرجعة الي العقائد التي انطبعت في النفس منذ قرون

فلودج في كتابه ريموند الذي كثر انتقاده في الأيام الأخيرة وكتاب آخرون ممن يكتبون عن العالم الأخروي كلهم يكتبون متأثرين بالوراثة الدينية ، أو بالآراء السائدة في البيئة التي يعيشون فيها

فالارواح التي تأتي من العالم الأخروي تتكلم عادة بلغة الوسطاء ومن يحيط بهم وتتبع مايحبون . وتأكيد ريموند من هذه الوجهة أحسن نموذج لكل هذا . وقد اوتج العالم حديثاً من ضحك جنوني من تهيج بشعور من حب الاطلاع الشديد عند ماسمع باستكشاف اديسون ورغب في تحقيق أمانيه من مناجاة الارواح (١)

ولقد حدث حادث جلل في حياة هذا المخترع الامريكي الكبير . وذلك انه كان قد ظهر منذ سنين شديد النشيع نحو الظواهر الباطنية . وفي أمريكا اليوم وسيط مشهور اسمه (بيرت ريز) عرف في الولايات المتحدة بمواهبه الكشفية . فكان اديسون لايفتر عن الاستهزاء به بدون أن يحضر معه تجاربه على عادة العلماء المبالغين في الجمود . فلم يسع (بيرت ريز) الا أن حمله على أن يجرب معه مرة . فدعا الوسيط الي معمله فكشف له هذا جميع أعماله التي لم يطلع عليها أحد وقرأ له من خلال الاجسام الكثيفة مذكراته المودعة ظروفاً مخبوءة بعناية تامة

فلم يك من اديسون الا أن وقع كما وقع قبله كثير من المتشددين فى الطرف المناقض للطرف الذي كان فيه ، فأرسل الى جريدة (نيويورك تيمس)

---

(١) يشير المسيو جان فينو الي ماشاع أخيراً من ان المخترع المشهور اديسون استكشف آلة دقيقة يخاطب بها الانسان الارواح بدون وسيط . وقد نشر اديسون نفسه تكذيباً لهذه الاشاعة

بالاسس التي بني عليها ايمانه الجديد ...

وهناك عالم آخر يدعى الدكتور (و . ه . طومسون) مؤلف كتاب « المخ والشخصية) لما بلغه ماحدث من اديسون اخذ يسخر منه ومن الوسيط معاً . فاستأذنه أديسون فى أن يرسل اليه الوسيط ليجرب معه . فأعد طومسون للتجربة طائفة من الأوراق كتبها باللغة اللاتينية والعبرية والفرنسية والانجليزية ووضعها فى ظروف مقفلة وخبأها في أماكن مختلفة وكلف الوسيط بأن يقرأها، فقرأها كلها رغماً عن جهله باللغات الاجنبية، فلم تمض غير أيام حتى أعلن طومسون دخوله في الديانة الروحانية في جريدة ساندي تيمس

فالقراء يرون خروج هذين الرجلين العظيمين على قوانين المنطق. فلقد كان يكفيهما أن يقولا بصحة الظواهر الكشفية وخصوصاً قراءة الفكر وأن لايتجاوزا ذلك اذ لم يريا مايسمح لهما بقبول المذهب الروحاني جملةً

والاداة التى استكشفها اديسون يظهر انهما تناسب درجته من التعقل باعتباره روحانياً متحمساً للغاية . وهي آلة مكبرة . فكل تأثير يقع عليها يكبر ويسجل . واديسون يشبه اداته هذه بقوة رجل اذا استخدم محركا قوته ٨ خيول يستطيع أن يدير آلة قوتها ٥٠٠٠٠ حصان . وهو يؤيد عقيدته في خلود الجسم بالنظرية القائلة بعدم قبول المادة للتلاشي

ونحن نشدد فى بيان هذه الحوادث لنبرهن على ضرورة التبصر واحترام المنطق في هذه التجارب وهما الصفتان اللتان كثيراً ما يتجرد منهما المجربون الذين هم فى المجالات الأخرى يعتبرون من أكثر الناس تدقيقا . وهم فوق ذلك لايستطيعون أن يدققوا تدقيقا كافياً في امتحانهم الاحوال التى تصحب حدوث كل ظاهرة باطنية

١٠ — (بعض ظواهر غريبة)

ليُسمح لي بايراد حادثة شخصية أثرت أعظم تأثير فى صديقي العظيم (و . ت . ستيد) فقد دعيت ذات يوم لجلسة روحية عظيمة وأما بلوندرة فرأيت تلك السهولة التي بها تتأثر جماعة مؤلفة من خمسة عشر شخصاً من الاذكياء من ظاهرة ليس لها أصل ثابت فى الواقع . فقد كنا مجتمعين فى بهو بمو بري هاوس بشارع نورفولك تطل نوافذه على نهر التاميز . فلم يمض زمن حتى ظهرت فوق رأسي أنوار غريبة . فتصاعدت في وسط الظلام والصمت الذي كنا فيه أصوات متحمسة ومتأثرة تحيي تلك الروح

فلما رفعت عيني دهشت من ظهور هذه الانوار غير العادية مضطربة فى دور من أغرب ما رأيت . وقد ظهر لى أني لا استحق أن أختص بتركز هذه الأشعة فوق شخصي دون غيري وكان أولي بذلك أن تظهر فوق رأس بعض كبار الروحيين من الموجودين

فاكتفيت بملاحظة ذلك بتواضع

ولكنى علي مجازفتى بتجريدي من هذا الامتياز رأيت من واجبي أن أعمد الى تمحيص هذه التجربة . ولما بحثت الستائر المرخاة بدقة تامة وجدت فجوات صغيرة خلالها فاستنتجت من ذلك ان المصابيح المتألقة علي شاطيء النهر يمكن أن تنعكس منها أشعة غريبة علينا . وطلبت وقف الجلسة وارخاء الستائر بأكثر عناية حتى لايبقى فيها فرج تصلنا بالخارج

فاذا تكررت هذه الظاهرة بعد اصلاحنا أحوال الجلسة فلا يسعنا الا الاعتراف بصحتها . ولكن ، وا أسفاه ، زالت هذه الانوار العجيبة بعد تغييرنا تلك الاحوال . فاذا كنالم نحدث ذلك التغيير كان الحاضرون وأنا منهم انحنينا اجلالا لهذه الظاهرة الباطنية

فيجب والحالة هذه علي كل العقول النزيهة أن تعمد الي كل أنواع التمحيص في التجارب . ولكن الافراط في الحذر لايجوز أن يسمح قط بنكران الحوادث الباطنية جملة كافية . فانه مما يناقض الاسلوب العلمى الحق مايتصف به أكثر العلماء والرجال الذين يتسمون بسمات الحسيين من مناقضة المنطق فى اطراحهم الحوادث الكثيرة والمعقدة للأمور المجهولة فان ذلك يستوي وتطرف الروحيين الغلاة فى سرعة التصديق

ومما لا مشاحة فيه ان حالة البقاء بعد الموت لاتزال وستبقى غير معينة مدة طويلة . ولكن الشيء الذي يهم الآن هو أن نستطيع أن نبرهن اليوم علي الوجود الحقيقي للروح بأدلة أكثر مما كان لنا فى الأيام الماضية . وتجاربي الشخصية يشككني في دوام الشخصية الانسانية على الحالة التى تعطينا اياها تجسدات الارواح. ومع تركي جانباً ذكر تلك التجارب غير الحاسمة التى كان لي الشرف بحضورها فى باريس ولوندرة وايطاليا وغيرها صحبة أشهر الرجال فى عصرنا الحاضر فاني ألفت نظر الباحثين النزيهين الي شكوك محيرة عندي

فقد عقدت لشدة شغفي بالتحقق من بقاء الشخصية الانسانية فيما وراء هذا العالم عدة عهود وثيقة بيني وبين رجال عظماء لايعد كثير منهم الآن بين الاحياء. وكان كل راحل منهم قد تعهد بموجب تلك العهود أن يحضر ابرى أخاه المتروك وراءه ويعطيه الدليل المقنع على البقاء بعد الموت. فاذا علمنا ان الارواح تأتي بدعوة غير المهتمين بهم ممن لايعرفونهم وهم أحياء علي الأرض، فكيف يعقل انهم يأبون الوفاء بالتعهدات المأخوذة عليهم فى أحوال خطيرة ؟

ولكن ، واأسفاه ، لم يف (سيزار لومبروز) واضع علم الجرائم المشهور ولا (دوكلو) المدير المأسوف عليه لمعهد باستور ولا (و . ت . ستيد) غريق السفينة تيتانيك المشهور بما وعدوا من الحضور والافضاء اليَّ بشهاداتهم التى أنتظرها بلهف شديد

الحالة الخاصة بالمستر ستيد تستحق أن تذكر هنا . فانه بعد أن مات ميتته الجريئة التى برهن فيها على علو نفس كان أحسن تاج لحياته باعتباره كاتباً نابغة متصفاً باستقامة لا تكون الا للقديسين ، قيل ان روحه حضرت

الي مكتب جوليا (المكتب الذي كان أسسه لتحضير الارواح مجاناً) وطلب حضوري الى (ويمبلدون) لبفضي اليّ بأمر هام . وقد أرفق هذا الاستدعاء بشهادة عشرة ممن حضروا الجلسة . فجبتهم معربا عن دهشتي كيف ان صديقي الخالد الذكرى الذي لم يحضر اليّ بباريز ليعطيني شهادته مباشرة ، يدل أن يدعيني الى بلاد الأجنبية ، وروحه أقدر على الانتقال منا عليه معشر سكان الارض . فأجابوني بأنه يوجد في مكتب جوليا وسيط شهير يستطيع أن ينقل اليّ فكر المتوفي . فكان هذا الجواب حاملا آخر لي على عدم الخضوع لشروط الجلسات التي لاتظهر فيها الموتى الا بوساطة وسطاء مأجورين

يقولون اجابة على هذا ان الموتى اذا لم يأبهوا لندائنا، ويرفضون أن يفوا بالتعهدات المأخوذة عليهم من هذا القبيل هنا، فهذا يرجع الي نقص وسائلنا في تحضيرهم ليس الا

والأمثلة الكثيرة التي تؤتينا بها مستندات الجمعيات والجرائد النفسية أولي بها أن تعتبر محيرة للعقل من أن تعتبر مقنعة . فانه رغماً عن طهارة ذمة المجربين وعما يأخذونه من التحوطات يبقى في النفس أثر من الشك فيها . ويمكن التسليم بأننا مع الزمن سننجح فى تهيئة خاصة للاتصال بالموتي تسمح لنا بالدخول بقدم ثابتة في عالم المغيبين عنا . أما الآن فان الحوادث النادرة التي تستحق الاحترام الخاص توجد غالباً محاطة بظواهر هوائية على درجات مختلفة لم يُحسن تمحيصها أو لم تمحص مطلقاً غالباً

ومن هذا القبيل أولئك الذين كانوا وهم أحياء قد آتونا بمشاهدات لا تحصى عن علاقاتهم بعالم الموتي، فلما ماتوا لم يحضروا قط لتعليم الاحياء شيأ عن شؤن العالم الأخروي، رغماً عن وعودهم الخطيرة لاتباعهم الغيورين. فالشك والحالة هذه لانزال حائما حول ظهور الارواح

وحادثة (ميرس) الشهير تستحق الذكر . فقد كان وعد أن يحضر بين خواصه ليؤتيهم بدليل أقوى على صحة ظهور الموتى للاحياء . فلم يحضر مدة طويلة فلما حضر أخيراً بوساطة وسيط ظهر بمظهر سذاجة فكرية وشعورية آلمت الحاضرين ايلاماً شديدا . وقد عللت هذه الحادثة بأن النابغين في هذا العالم قد يصيرون سذجا في العالم الأخروي فلم يشف ذلك غليلا . لأنه ان صح هذا انهدم هذا الأصل الذي مؤداه استمرار الشخصية، وهو الأمر الذي يهمنا في مسألة البقاء بعد الموت

وقد حدث مثل ذلك فيما يختص بالاستاذ (هيزلوب) فانه بعد أن أثر فى أشياع العلوم الباطنية أكبر تأثير بتجاربه على الميسز بيبر وأتي فى مؤلفاته على شواهد جمة من ظهور الأموات للأحياء ، لم ينجح هو نفسه فى الظهور للأحياء بعد موته . ومع ذلك فريدوه على يأسهم لايفترون عن نشر حكايات خيالية عن ظهوراته ولكن بجمعية المباحث النفسية فى الممالك المتحدة التي أسسها هيزلوب نفسه اضطرت أن لاتعتد بكل ماشاع من حوادثه الكثيرة بحجة انها مجردة عن كل أساس تمحيصي

ومع كل هذا فان المذهب الأصلي للبقاء بعد الموت الذي يستند على براهين مقنعة من نوع آخر لم يصبها من جراء هذا خطر ولا نقص . لان الأمر لايتعلق فى هذه الحالة لا بصورة من صور البقاء لا بأصل البقاء ذاته ؟

(البقية تأتي)

(لوجديات) يلاحظ القراء ان المسيو جان فينو أفرط في الاستخفاف بجمهور المجربين ويحاورون بين مذهبه هذا فيهم وبين قوله وقد نقلناه فى العدد الماضي (العلوم الباطنية تؤتينا بألوف مؤلفة من الشهادات غير المباشرة فى مصلحة هذه النظرية) وقوله فيما سيأتي فى العدد القادم (ان عدداً لايحصى من المشاهدات المستقاة من جميع مجالات العلوم الباطنية عمل لاثبات صحة البقاء بعد الموت) وقوله فيما سيأتى أيضاً (انه لتعوزنا مجلدات عديدة لتسجيل البراهين على بقاء النفس المدونة في المجاميع الضخمة لجمعيات المباحث النفسية التى تأسست في كل مكان ، وفى المؤلفات الصادرة عن علماء من ذوي الشهرة العامة) الخ الخ قلنا يحار القراء فى التوفيق بين مذهبه فى المجربين وأقواله هذه ويتساءلون معنا اذا كان المسيو جان فينو لا يثق بالمجربين الي هذا الحد فمن أين أتت تلك الألوف التى لاتحصي من المشاهدات الممحصة التي يقول بوجودها فى كل مجال من مجالات العلوم الباطنية؟

ومن الغريب اننا لاحظنا مثل هذا التناقض في مؤلفات كبار الباحثين فى المذهب الروحاني الجديد وكلهم من المعتقدين به المعولين عليه كالمسيو جان فينو نفسه

والذي يلوح لنا ان هؤلاء المؤلفين لشعورهم بأنهم يكتبون في موضوع قد يتهمهم قراؤهم فيه بسرعة التصديق يجدون أنفسهم محمولين على الظهور بأنهم من التشكك بالمكان الأرفع ، ومن التثبت والتوقف بحيث لايتابعون كائناً من كان ، فلا يجدون وسيلة لاثبات ألمعيتهم أحسن من النيل من دقة المجربين السابقين ، وهو أثر من آثار الضعف الذي تجد آثاره حتى فى أكبر النفوس البشرية .

وهذا العلامة جان فينو نفسه سيسرد عليك من تجاربه الشخصية في بقية مبحثه مايتفق وما دونه الباحثون قبله بنحو سبعين سنة ، فما هي الميزة التي بزّ بها سواه ، واستأهل بها أن ينال منهم الي الحد الذي يجعل قارئيه يظنون بهم الظنون ؟

يكبر علي المسيو جان فينو أن لاتفي له أرواح لومبروز ودوكلو وستيد بما وعدت من حضورها اليه بعد موت أجسادها . أيريد المسيو جان فينو أن تأتيه مباشرة ، أم هو استعان بالوسطاء فلم تحضر ؟ أما اذا كان الأمر الأول فهو مستحيل كما لايخفي ، واذا كان الثاني فالسبب فيه نقص وسائله

في استحضارها . اللهم الا أن يقول بأن عدم حضورها دليل على فنائها بفناء أجسادها ، وهو لا يقول به ، بل هو لم يكتب مبحثه ذلك الا لاثبات وجودها بعد الموت ويسمى ذلك فتحاً علميا

والواقع ان اتصال الأرواح المجردة عن المادة بنا ونحن متورطون فيها، لا يمكن أن يكون الا بتوافر أحوال تجعله ممكناً . والا لحضرت الارواح المتولهة على ذويها فتولتهم في شدتهم . ولكنها لا تفعل ذلك ولا في الرؤيا لأنها لا تستطيعه ونحن على الحالة التي نحن عليها من التلبس بالمادة . فالمدار والحالة هذه على توافر الاحوال التي تجعل تصلنا بها ممكنا وهو ليس بسهل فليس كل وسيط بأهل لاحداث كل ضروب الاتصال بالعالم الأخروي . والسبب في ذلك تفاوتهم في خاصة الوساطة كتفاوتهم في خصائصهم العقلية والجسدية . والأمور هنا وهناك جارية على قوانين لا يمكن تعديها بوجه من الوجوه

فهل يريد المسيو جان فينو أن تحضر كل روح بوساطة كل وسيط رغماً عن كل الحوائل التي تحول دون ذلك ؟ اذا كان كذلك فلم لا يريد أن يتنزل كل فكر على كل مخ ، وأن ترتسم كل عين كل صورة على أي بعد كان . وأن تشم كل أنف كل رائحة على درجة واحدة ، وأن يذوق كل لسان كل طعم على حالة معينة ؟ فاذا كانت آلات ادراكنا للمحسوسات تتفاوت الى هذا الحد فلم يعجب المسيو جان فينو أن تتفاوت خصائص الوسطاء في الشعور بالكائنات المجردة عن المادة وهي أدق من المحسوسات بما لا يقدر ، وتعوز من توافر الاحوال واجتماع الشروط مالا تعوزه تلك ؟

والمدهش أن المسيو جان فينو انقلب في الشق الثاني من مبحثه (وسأنى توجهه) من طرف الى طرف . فبعد أن ذكر عن شكه بجموع التجارب لوجهة ماعلمه القراء آمن بها ايماناً مطلقاً واعتبر أدلتها تعتبر توجب الأخذ بها بدون حرج . فقال مثلا في فصله الثاني عشر :

« يكفي الانسان أن يلم بالأمثلة التي لا يحصى لها عدد (تأمل) والتي درست بضروب شتى من العناية والتمحيص المتناهي في الدقة ونشرت في مطبوعات الجمعية الجدلية الانجليزية، فلنا يكفي ذلك لأن يخضع الانسان أمام هذه الحقيقة الجديدة »

وقال بعد ذلك :

« ان المنكرين مهما بلغوا من شدة الشكيمة لا يستطيعون أن ينكروا انهم مخلصون في انكارهم بأنه توجد قوة نفسية تولد كل هذه الظواهر الخارقة للمادة (تأمل) التي تزداد عدداً كل يوم ، ولا يمكن النزاع في صحتها »

وسيرد مثل هذا كثير في كلامه والتوفيق بينه وبين ماسبق من افراطه في الاستخفاف بمن قبله غير ممكن ، ولا حل لهذا التخبط الا ماذكرناه



(العدد ٧ — في ١٥ مايو سنة ١٩٢١)

الوجدانيات

هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مُثُل عليا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لها . وقد اخترنا لهذا الاسلوب بالمواعظ لأنه افعل في النفوس من سواه



الوجدانيات

الأمم لا يستقيم امرها الا بشكائم ادبية تتنزل من عقولها وتتحكم في اهوائها . وقد اثبت العلم ان الآداب كانت دائماً السبب الرئيسي لكل انحلال طرأ على المدنيات الغابرة

(الوجدية السابعة)

روى الوجدان قال :

خرجتُ للتنزه يوماً أتحرى مَهابَّ الصَبا ، وأتخير التِلاع والرُبا ، (١) حتى جزت المدينة وجَلَبَتَها ، وشارفت الفلاة وسكبنها ، فلاحت لى أيكة عليها طيور تتناغى (٢) فحبب الي أن أشاطر هذه الكائنات مَرَحها ، ولو ساعة من الزمان ، أجلو بها عن صدرى صدأ الحدثان ، فتلوت الكلمات قاصداً أن أستحيل الي وَرَشان ، (٤) فكنته في مثل لمح البصر ، فطرت صوبَ الشجرة واندسست بين سواجعها ، وأخذت إخذها في الشدو والتغريد ، هى مرحة بعيشها السعيد ، وأنا طرِب بشكلي الجديد ، حتي لاح شبح رجل من بعيد ، فقال واحد من رفاقى هذا أبو الاقبال المجنون ، صاحب الفنون ، وطريد هذا الجيل المفتون ، فالتفت اليه الباقون ، وقالوا انه اليوم أهدأ مايكون ، ثم انبرى هدهد من بين الجماعة وقال : من عجيب مارأيته فيه ، انه لو قابله انسان سأله من أنت ، فان أجابه على طريقة العقلاء ، ثار عليه ، وقصد بالسوء اليه ، حتى يفر من بين يديه ، ولكن ان أجابه بقوله : أنا مجنون ، استقبله باكرام ؟ وأفاض معه فى ضروب من الكلام

قال الوجدان : فحدثت نفسي بملاقاة هذا المجنون ، منتهزاً فرصة ما هو فيه من السكون ، فطرت من الشجرة حتي صرت وراء رابية (٤) فتلوت الكلمات السرية ، قاصداً العود الى صورتى الآدمية ، ثم علوت تلك الربوة فرأيت أبا الاقبال قد جلس الى تلك الشجرة ، فقصدته ، فلما قربت منه بدرته بالسلام . فقال من أنت ؟

فقلت : مجنون

فضحك ضحكا عالياً ، وصفق تصفيقا متوالياً ، وما زال يقهقه وينظر حواليه ، ويتأملني ويقلب يديه ، حتي ساء ظني ، وكدت أرجع ضنا بنفسي . الا انه أخذ يهدأ رويدا رويداً ، فلما تمالك نفسه ، عاد الى قوله من أنت ؟

فقلت : مجنون

فقال : مجنون ؟ وهذه أنوار العقل محيطة بك احاطة الدارة بالشمس ، والهالة بالقمر (١) وجلاله فائض على كل صغيرة وكبيرة فيك ، فماذا شاقك من المجانين ، حتي تندس الى زمرتهم ؟

قلت : لقد صدقتك القول ، فأنا مجنون

قال : مجنون ؟ وحملق اليَّ بعينيه ، ثم أخذ يغمزنى بحاجبيه ، ويهزأ بي بلسانه ويديه (٢) ثم هدأ وقال : لو كنت مجنونا لكنت مثلي حاسر الرأس ، حافي القدمين ، لايستر جسمك الا قميص وجلباب ، هذا لبوس المجانين ، وربما استثقلوهما في بعض الأحايين ، أما أنت فآثار العقل العالى ظاهرة عليك ، ونوره الباهر يسعى بين يديك ....

ففى يدك عصا تحملها ولا تحملك ، وتخدمها ولا تخدمك ، وعلي رأسك غطاء أحمر ، يحصر الحرارة في يافوخك ، لايقي جبهتك من هجير ، ولا قفاك من أقل تأثير (٣) وفى عنقك غُل من القماش المنشى ، محاط برباط من الحرير المنقشي ، يضغط على اخدعيك ، ويعيق الدم أن يصل الى مخك وعينيك (٤) وعليك ملابس قد ضاقت حتي لتكاد تمنع الهواء

(١) مهاب جمع مهب أى مكان هبوب النسيم . والصبا اسم نسيم مهبه مطلع الثريا . والتلاع جمع تلعة وهى الجهات المرتفعة . والربا جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض (٢) الجلبة بفتحتين الضوضاء . وشارفه قرب منه . والأيكة الشجرة (٣) حدثان الدهر نوائبه . والورشان نوع من الطيور (٤) الرابية كالربوة ما ارتفع من الارض

(١) الدارة أصلها كل مايحيط بالشيء والمراد هنا مايحيط بالشمس من أشعتها اللامعة . والهالة هى الدائرة المضيئة التي تحيط به (٢) الغمز بالعين والجفن والحاجب الاشارة بها (٣) اليافوخ قمة الرأس . والهجير شدة الحر (٤) الغل طوق من الحديد يجعل في عنق الأسير أو يده . والمنشى أي

أن تتسرب الى مسام جلدك ، والاخلاط أن تنفرز لمصلحة جسدك ، وفى قدميك حذا آن قد حرّما عليهما التغذي ، حتى أصبحا عرضة للصلابات ، وأنواع التقبحات ، وكل هذا يا ابن أخي علامة العقل الرجيح ، وأمارة النظر الصحيح ، فكيف تريد أن توهمني معه بأنك من اخواننا المجانين ، وما الذي يحملك أن تحتر مع الأذلين ، وتحسب من المرضى المضحكين ؟

ثم نظر ذات الشمال ، وقال هاهو أبو الرئبال ، عمدة المجانين ، وعماد الموسوسين

قال الوجدان : فالتفت فرأيت رجلا أشعث أغبر ، ليس عليه من اللباس الا مستتر(١) مقبلا علينا وهو واضع يده على صدغه ، ورافع عقيرته بغناء لم أفهم منه حرفا ، ولا أجد لتنافر ألحانه وصفا . فلما وصل الى جذع الشجرة جلس ولم يسلم ، واستمر في غنائه المشوّش هنيهة ثم سكت .

فالتفت اليه المجنون الأول وقال له : عندي مسائل يا أبا الرئبال

قال الثاني : هاتها يا أبا الاقبال

فسأله : ما العقل ؟

قال أبو الرئبال : عندنا أو عندهم ؟

قال أبو الاقبال : عندهم

فأجابه : هو مجموع رث من ضلالات المشاعر ، وجمهرة مشوّشة من أحكام الحواس (٢)

قال أبو الاقبال : زدني شرحا ، زادك الله فتحا

قال أبو الرئبال : نعم ، نظر الانسان في الوجود والموجودات ، وهو لم يحمل من آلات هذا النظر الا حواس ليست كاملة محدودة القوى فقط ، ولكنها لا تقبل تأثير الاشياء الا على حال يناسب تركيبها ، ويوافق طبيعتها . فالعين تري جسما ، وليكن حجراً مثلا ، فتدرك له حجما معيناً وشكلا معيناً ، ثم تتناوله اليد فتحس به صلباً خشناً ، وتقرعه بعصا فتدرك له الأذن صوتا ذا تأثير خاص على عصبها .

وقس على ذلك جميع المرئيات التي وقعت تحت نظر الانسان من جامدات ومائعات وغازات ، والمدركات من أصوات وطعوم ومشمومات ومحسوسات ، فأدرك منها بحواسه المختلفة صفات معينة ، وحالات مختلفة فكان مجموع تلك الاحكام عقلا مكتسباً له ، استخدمه في تحسين حالته المادية والأدبية ، وهو كما يسخره في استكشاف المجاهيل الصورية ، يسخره كذلك لادراك الحقائق الأولية ، والشعور باللطائف المعنوية

ويغفل الانسان ان هذا العقل المكتسب ليس بشيء غير مجموع أحكام هذه الحواس الجسدية ، وان هذه الحواس لاترى الموجودات على ماهي عليه في الواقع ، ولكن على حال يناسب تركيب تلك الحواس . فالحجر الذي ضربناه مثلا هنا هو حجر له تلك الصفات المعروفة عنه بالنسبة للحواس التى أدركته . أما هو في الواقع فحركة اثيرية لايفترق عن أى جسم من الاجسام المبثوثة في الكون ، سواء أكانت حية أم ميتة ، سائلة أم جامدة أم غازية

ولو أعطينا حواس أدق من حواسنا هذه ، وأقدر على ضبط الجزئيات ، لرأينا الوجود على غير هذه الصورة ، ولأدركنا لعلاقات الاشياء بعضها ببعض نظاما يناسب ذلك الشعور العالي به ، وهلم جرا الى أن تنتهي الحواس فى الشعور بها الى حال تتلاشي معه الفروق التي بينها ، فلا يكون الا الاثير وحركته أو الكائن الأول الذي استمدت منه الاشياء وجودها

فهل لي اذا فهمت ما أفضي به اليك الى أى حد تتغير عقولنا تبعاً لتغير شعور الحواس ، وتتخالف أحكامنا على الاشياء باختلاف ادراكنا للعلاقات الموجودة بينها ؟

فاذا نهض الانسان بهذا العقل العادى يجوس خلال الكون ، يصدر به عليه الاحكام القاطعة ، ويرى في قواه الآراء الفاصلة ، ويحاول أن يعتصر المحسوسات ليستخرج منها حقيقتها الأولية ، كان مستهدفا نفسه لأشد الضلالات عدوانا على كماله ، وأكثر الاخطاء ابعاداً له عن جلاله ، فيعيش مغروراً ويموت مغروراً ولا كرامة

قال أبو الاقبال : أفادك الله أيها العميد ، ولا حرمنا رأيك السديد ، فما العلم ؟

فقال أبو الرئبال: عندهم أم عندنا؟

قال : عندهم

فأجابه : العلم ابن العقل ، فهو كأبيه أسير الحواس ، وفائدته محصورة في ادراك العلاقات التى بين الموجودات في دائرة محدودة ، يقضي بها تحدد قوي هذه الحواس ، وقد أدى ادراك تلك العلاقات الى استكشاف وسائل أفادت الانسان في حياته الحيوانية . فقيمة العلم من الواقع كقيمة العقل نفسه فهو نسبي مقيد ، ومن العجيب ان كثيراً من (العقلاء) اتخذوا هذا العلم قائداً ليوصلهم الى ادراك الحقائق الكلية ، فجروا في ذلك شوطا أداهم الى نكران كل شيء الا احكام حواسهم القاصرة ، فأنكروا أرواحهم ، وجردوا الكون من كل معنى وكل قصد وكل غاية ، وقرروا بأنه مادة عمياء صماء ، تؤثر فيها قوة هوجاء خرقاء ، تعمل فيه على غير هدى ، وتتجه به الى غير وجهة ولا أدرى بعد أن تأدت هذه المواد المفكرة الى هذه النتيجة ، لم لاتقتل نفسها

القوى بالقشا . والمغشى من غشي الشيء غطاه والمراد انه محلي بأغطية عليه . والاخدعان عرقان في جانبي العنق

(١) أشعث أي متفرق الشعر . وأغبر أي عليه غبرة وهي التراب والمستتر الثوب الذي يستتر به (٢) الرث سقط المتاع . والمشاعر الحواس . وجمهرة أي مجموع من جمهر الشيء جمعه

هربا من هذه الوحشة المطلقة ، والجهالة المطبقة، الآخذة بمتنفس السكون، والسائدة فيه سيادة السلطان القاهر فوق عباده

قال ابوا الاقبال : فما الفلسفة عندهم ؟

قال ابو الوثبال : هي ابنة العقل، وهي كابيها وأخيها مجموع من أحكام الحواس القاصرة، ومن العجيب أنها قد اغترت بنفسها حتى زعمت انها زعيمة الحقيقة المطلقة ، والمتصرفة في عوالم المعاني المجردة ، وغفلت عن أنها لامطية لها في هذه الجولة الا هـذا العقل وهو على ماوصفته لك من قصور القوى ، وتحدّد القُدَر

قال ابو الاقبال : فما الظرف عندهم؟

قال ابو الوثبال : ان تتقن التصنع، وتحـذق في التكلف (١) فلا تفوه بالسلام ، ولا تتحفز للقيام ، ولا تندفع فى الكلام ، ولا تظهر عاطفة ، أو تبدي عارفة ، ولا تلبس ولا تأكل ولا تنم ، لامدفوعا بالدافع الطبيعي وفى الحد الذي يحده العقل ، بل بدوافع الرياء والخداع والنفاق، والناس يعلمون ذلك ولكنهم يتجاهلونه ويتغابون عنه ، فاذا قالوا عن انسان انه لطيف لطيف خفيف ، عنوا به انه لمنافق مخادع مُراء ، ولا يفهم السامعون من معني الظرف واللطف والخفة الا هـذا ، فتراهم ان مُـدح غائب بهذه الصفات أمامهم هز الجميع رؤسهم بالموافقة ، ثم ينظر بعضهم الي بعض ولا يجرأ واحد منهم ان يرد هذه الصفات الى اصلها، ولو فعل لاتهموه بالتعمق والتنطع، وربما رموه بالجنون، لاعتبارهم ان هذه الامور من الحقائق التي لايصح كشفها لعدم امكان الحياة علي نظام آخر

قال أبو الاقبال : لافُض فوك ، ولله أبوك ، فما المدنية ؟

فقال ابو الوثبال : عندهم أم عندنا ؟

فقال: عندهم

فأجابه : الافلات من جميع الروابط الأدبية ، واطلاق العنان للاهواء النفسية والتمذهب بالاباحة الفوضوية ، فان وقف العلم عقبة في هذا السبيل قالوا العلم شيء والحيـاة شيء آخر ، لذلك تراهم فى كل أمورهم من مأكل ومشرب وملبس وملهى على نقيض العلم ، بل كأنهم بعثوا لدحضه ، والدلالة على نقضه ، وهيهات ، متاع قليل ، ثم تصيبهم المَثُلات ، وتحل بناديهم القوارع، وتأخذ بمخنقهم النوائل ، عقابا على مافرّطوا وأفرطوا، والنظام الوجودي يأبي ان تتسرب ذرة من الخلل الى بنائه فلا يعذر جاهلا علي جهله ، ولا يطاول مفتونا في فتنته ، ولو كشف لك عما تحت هـذه الحلل المزركشة ، والأكسية المطـرزة ، وما في باطن هـذه الاجساد المردة ، والخدود الموردة ، من جراثيم الادواء المضالة ، واصول العفونات القتالة ، لوليت منها فرارآ ولملئت منها رعبا

قال ابو الاقبال : مَرْحَي مَرْحَى لقد جئت بالقول الفصل، ونصرت الجنون على العقل ، فلا زالت دولة المجانين بك مرفوعـة الاعلام ، قوية الحجة بين الانام

قال الوجدان : سمعت كل هذه الأجوبة وأنا شديد العجب ، عظيم الطرب ، فنسيت اني بحضرة مجنونين ، وظننتني حيال فيلسوفين جليلين .

فقلت : ولكنا نري ياابا الاقبال ...

فوالله لم اكد أتم هذه الـكلمات حتي صاح بي صيحة تصم الآذان وقال : أبلغ من قدر العاقلين ، أي يتطاولوا الي محادثة المجانين ؟ ثم هجم هو وصاحبه عليّ ، وأدركت اني لو ثبت لهما لحقني منهما اذي ، فلم أر أفضل من تلاوة الكلمات، بقصد التحول الى عصفور ، ففعلت ، وبينما هما يقبضان عليّ اذا بي أفلت منهما على صورة طائر وحططت علي غصن من الشجرة

فنظر الى ابو الاقبال ، وقال وهو يهز رأسه ، فعلتها ياوجدان ، لتبوأن باثمها الآن . ثم انطلقا وانا انظر اليهما ، حتى غابا عن عيني، وكانت الشمس آذنت بالغروب، فأردت أن أعود الى صورتي الانسانية ، وهممت بقراءة الـكلمات فرأيتني قد نسيتها ، فأخذت أجهد نفسي في استمدادها . وأعصر مخي لتذكرها، فكأني لم احفظها ، بل كأني لم أسمعها ، فكدت اتلاشى كمدآ وحزنأ، وطفقت من حيرتي انتقل من غصن الي غصن ، واطير من رابيـة الي رابية، ثم هجس في نفسي أن اللذين انسيانيها هما ذانك المجنونان ، بل الوليان الكريمان ، فاندفعت في الاتجاه الذي اتبعاه حتى وصلت الى المدينة ، فلم اجد لهما اثرآ ، وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، وأخـذ ظلام الليل ينساب ، فتولانى من الذهول والحـيرة ، ماكاد يقضي عـليّ ، وبينا انا اتقـلى علي جمر هـذا الضيق واذا بصفرة عطف من عصفور علي قمة الشجرة ، فطرت اليه ، فقال مابالك يابن عم ؟ فحكيت له ماجري ، فأظهر لي غاية النفور ، من كوني آدميا فى صورة عصفور ، وقال ما كفاكم يابني حـواء ، مابثثتم في الارض من الشقاء ، فشرعتم تبثونه فى الجـواء ، وتكدرون علي الطيور الصفاء ؟

قلت : مالهذا قصدت ، وانما انا واحد من الذين يتصيدون الاسرار ، ويستخدمونها لاصلاح الاشرار

فقال : ان ابا الاقبال وصاحبه رجلان من الاولياء ، يكثران التنقل فى الارجاء ، فاذا صادفتهما ساعة في القاهرة ، كانا فيما يليها في بكين أو لوندرة ، فكيف السبيل اليهما ، لاستعطاف قلبيهما ؟

قلت وما وجه العمل ، في هذه الحال الجلل ؟

قال : ان تصبر علي ما انت عليه حتي تصادفهما ، وتستميح الصفح منهما ، فهما اللذان سلباك ذكر الـكلمات ، وعاملاك بهذا الاعنات

قلت : ءابقي علي ماانا عليه عصفورا، فربما استمر ذلك شهورا

---

(١) حذق الرجل في صناعته أي مهر فيها (٢) المردة الملسة

قال : ولعله استمر سنين، أو دام أبد الآبدين

قال الوجدان : فأصابني من الوجوم والسكد ، مالم يتفق لغيري أحد.

فلما رآني العصفور علي هذه الحال ، قال لابأس عليك ، اني أعرف وليا يهديك الى الطريق ، ويخرجك من هذا الضيق

قلت : من هو رعاك الله ، واتم عليك نعماه

قال : هو الاستاذ المنجد، الحكيم بن مرشد

قلت : رُحماك هو استاذي الاول ، وعمدتي الذي عليه المعول . أين هو لأذهب اليه ، واستندى راحتيه ؟

فرفرف العصفور بجناحيه ، وقهقه بملء شدقيه . ثم قال اتل الكلمات وعجل بالاملات

قال الوجدن : فعادت الي ذا كرتي ، وكأني لم أنسها في ليلتي

فصحت به : هو انت ؟

فقال : أنا هو ، فارجع من حيث اتيت ، وانتفع بما عانيت

البيوت المسكونة

العلم لايأنف من بحث كل مايصادفة في طريقه مهما احتقره العامة أوعده المغرورون غير جدير بالنظر لأنه قد يكون وراءه سر من أسرار الكون يفتح بابا الى سواه من المعارف التى لاتقف عند حد

والبيوت المسكونة بالارواح اشتهر أمرها في كل مكان وزمان ولكنها لم تبحث علمياً الا منذ نحو سبعين سنة ، وقد ثبت من بحثها بعد أخذ كل مايمكن أخذه من الحيطة لتمحيصها انها مأهولة حقيقة بكائنات روحانية لها عقل وارادة وقوة علي احداث حوادث مادية مرئية . وقد افرد العلماء هذا الموضوع بالتأليف . واحدث كتاب ظهر في الشهر الماضى هو للباحث المشهور (بوزانو) الايطالي جمع فيه ٥٣٢ حادثة محققة وقد ترجمه الي الفرنسية الكاتب المشهور (س . دوفيسم) ووضع عليه العلامة الدكتور ماكسويل النائب العموى بحكومة فرنسا مقدمة بديعة وسنتحف القراء بشذرات منه

الوجدانيات

ثمن العدد الواحد خمسة مليات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩

(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب

(٣) مكتبة الهلال بالفجالة

(٤) « التأليف بشارع عبد العزيز

(٥) « الأهلية « «

(٦) « المليجى بالسكة الجديدة

(٧) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي (٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان . بباب سدرة

(٣) المكتبة المليحية بشارع الشمرلي

(٤) حضرة آدم افندي كومي ببني سويف

(٥) محمود افندى أحمد مراسل الأمة بالمنيا

(٦) عبد الحميد افندي حسين بمعمل سالم وخليفه بالمنصورة



هي دائرة معارف كاملة فيها كل مايسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم، والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم علي اختلاف فروعه من الملك وطبيعة وكيمياء، وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص، وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل مايهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد علي حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة فى عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشاً ومجلدة ٦٤٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا في أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ فى كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

فمن شاء أن نرسل اليه كل شهر خمسة منها حولناها اليه بثمانية وعشرين قرشاً ومن شاء عشرة أجزاء حولناها بثلاثة وخمسين قرشاً ونوالى الارسال اليه شهريا حتي يستكمل جميع مجلداتها

ظهور ابن لأمه بعد موته
(بثلاث سنين وثمانية أشهر)

مسألة ظهور الميت ساعة موته لبعض ذويه لاخبارهم بما طرأ عليه من هذا الحادث أو لسبب آخر اصبحت اليوم بديهية في أوربا عند العلماء المشتغلين بهذا الأمر وقد نوه العلامه جان فينو مدير المجلة العالمية بها وأيد بها صحة البقاء بعد الموت وضرب لذلك مثلا بما حدث لامرأة الجنرال ريتشاردسون من سماعها صوت زوجها وقد جرح في ميدان الوغي وهو يقول لمن تولوا أمره: (احلعوا هذا الخاتم من أصبعي وسلموه لامرأتي) وكان على بعد مئتين وخمسين كيلو مترا . وهي حادثه على مايقوله العلامة جان فينو لاتحتمل أقل ريب نظراً لكثرة شهودها وتطابقهم في روايتها

وقد سجل العلماء من هذه الحوادث ألوفا مؤلفة وكلها ممحصة أعظم تمحيص ومسندة أوثق اسناد . ومن هذا القبيل ما نشره الاستاذ الكبير (كاميل فلامريون) الفلكي الفرنسي الطائر الصيت في المجلة الروحية الصادرة في ابريل سنة ١٩٢١ وهي حادثة كما يقول لاتقبل الشك ظهر فيها ابن قتل في ساحة الوغى لأمه بعد ثلاث سنين وثمانية أشهر من موته

وذلك ان الضابط (كلارينفال) قومندان أورطة بالمعاش كان له ولد في قسم الطيران في ساحة الحرب ، فحدث ان أمه في الساعة ١٠ أو ١١ من يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩١٦ شعرت فجأة بكرب عظيم وغم واختناق فأسرعت الى الخروج من حجرتها وصاحت بابنتها ادركيني فاني أكاد أختنق . فأدركتها وأسعفتها بالمهدئات فلما تمالكت نفسها صاحت قائلة : ياويلتي لقد أصاب ابني رينيه خطر عظيم

فلم يمض يومان حتى جاء خبر من وزارة الحرب بأن ابنها قد سقط في الخطوط الالمانية

فلما عقدت الهدنة علمت من مصدر ألماني بأن ابنها مات في (ديب) بقرب فردان ودفن بالمقبرة رقم ٥٦ فشخصت هي وزوجها الي تلك الجهة أربع مرات وعملت من أعمال الحفر مالا يتفق لسواها فلم تعثر الا على جثة جنديين فرنسيين وكان الباقون كلهم من الالمان فعادت الي باريز يائسة من وجود جثة ابنها وكان قد مضي على موته ثلاث سنين وعدة أشهر

فلما كان يوم ٢٥ مايو من سنة ١٩١٩ في منتصف الساعة التاسعة أحست مدام (كلارنفال) بضيق عظيم وكدر كبير بلا سبب معروف فأرادت أن تسري عن نفسها باستنشاق الهواء من النافذة وما كادت تفعل حتي رأت ابنها بجانب طائفة من الاشجار ماثلا أمامها وعن يمينه ويساره رجلان أحدهما الماني والآخر روسي وهو في حالة كدر وشحوب . فلم تخف من هذا المنظر المجسم ولكنها رجعت الي داخل الغرفة وأمسكت رأسها بيديها قائلة في نفسها سأجن . ثم قامت فمشت في حجرتها ثم عادت الي النافذة فرأت ابنها لايزال مكانه بين صاحبيه فأخذت تتأمله ثم عزمت على أن تخبر زوجها وقصدته حتي وصلت الى حجرته ولكنها لم ترد أن تخبره خشية أن يتهمها بالجنون فعادت الى النافذة فرأت ابنها لايزال قائما عند الشجر فجلست في قاعدة النافذة تتأمله حتى غاب عن بصرها وكان الوقت منتصف الساعة الحادية عشرة أي ان شبح ابنها استمر ظاهراً لها ساعتين كاملتين . فحكت ذلك لثلاثة من أصدقائها وبعد مضى ثلاثة أشهر حضر لهما كتاب من الضابط الموكل بأمر المقابر في فردان أن جثة رينيه ابنها لم توجد رغماً عن مجهودات عظيمة بذلها في ذلك . فكان هذا الكتاب داعياً الى ذهاب الأم وزوجها الي تلك الجهة. وتحصل الأب لمكانته العسكرية على اذن من السلطات العليا لزيادة البحث . فسألا الضابط عن موعد بحثه في تلك المقابر فأخبرهم بعد مراجعة الدفتر بأنها ابتدأت في ٢٠ مايو وانتهت في ٢٥ منه ، فتعجب الزوجان لأن هذا التاريخ ينطبق على يوم ظهور شبح ابنهما ثم أخبرهما الضابط ان في تلك المقبرة مئة جثة وعشرة جثث وانه قد فحصها كلها ومن المحال أن يجدا شيأ بعد هذا

فلم يعبأ الأبوان بهذا القول وأخذا في طريقهما الي المقبرة وكانت على بعد خمسة كيلو مترات . وبينما هما في الطريق قالت الأم ماذا عسانا نجد هنالك بعدما قام به الضابط من التفتيش ، فلما انتهيا الي تلك الجهة شاهدت حفرة قذيفة فأمرت الرجال بالبحث فيها، فشرعوا يعملون وبعد قليل ظهرت لهم نظارة طيار فتشجعوا على العمل ، وظنوا انها مقبرة ابنها ، ولكن خاب ظنهم فانهم بعد الجهد لم يجدوا شيئاً . وكان من بينهم جندي عظيم الذكاء نظر في الخريطة التي معهم وسار متتبعاً خطا معينا حتى وصل الى حفرة وهنالك وجدوا قفازين وحمالة من حرير بنفسجي وكانا لابنها (رينيه) فلم يبق لديهم شك في وجوده هناك وكانت المقبرة المانية محضة فكيف الوصول الى معرفة جثة ولدهما من بين ٢٠٠٠ دفين فأصرا على فتح التوابيت فلم يقبل الضابط حتي حصلا له على تصريح من رئيسه وحضرا في الصباح في الساعة الخامسة ومعهما تسعة رجال وعدة جنود فلم يكشفوا الى الظهر غير ٢٠ تابوتا وذهب الرجال للغداء فجلست الأم تفكر وهي يائسة فتذكرت ان ابنها ظهر لها وهو بين ألماني وروسي فأدركت من ذلك انه لابد أن يكون هنا بين ميتين من هاتين الأمتين . فلما حضر الرجال بعد الغداء أخذت تبحث عن جثة الروسي حتى وجدته فأمرت بكشف التابوت الذي بجانبه فاذا فيه جثة ابنها (رينيه) فنقلتها الي باريز

وقد شهد الدكتور فيركور بأن أم رينيه لم تشك عمرها من اضطراب عصبي ولا من اختلال في قواها العقلية . وشهدت البارونة دو بوناه والمسيو دومابيه والمسيو برنييه بأنها أخبرتهم بهذه الحوادث قبل ظهور آثارها. فعد الناقدون هذه الحادثة من أصدق الحوادث التى تقع من نوعها كل يوم

متفرقات وفوائد شتى

(فتح علمي)

الروح خالدة

(تابع مبحث العلامة جان فينو مدير المجلة العالمية)

ان حوادث لايحصى لها عـدد ، مستقاة من جميع مجالات العلوم الباطنية تميل للبرهنة على صحة البقاء بعد الموت . هذه الحوادث اذا نظر اليها وهي منفصلة بعضها عن بعض لاتنجح بلا مشاحة في ازالة الشكوكنا واقامة صرح من عقيدة ثابتة لنا . ولكن اذا وضع الانسان نفسه فوق هذه المشاهدات الفردية ونظر اليها في جملتها فلا محيص له من ان يخضع امام قطابقها الذى يحير اشد العقول استعصاء و عناداً . ومن هنا فان هذا المذهب يأخذ علي الاقل ، حتى في نظر أبعد الناس عن التصديق ، هيئة فرض علمي محترم على وشك الصعود الي مرتبة حقيقة تجريبية

انه لتعوزنا مجلدات عديدة لأجل تدوين ادلة البقاء بعد الموت المسجلة في المجاميع الضخمة لجميات المباحث النفسية التي تأسست في كل مكان ، وفى المؤلفات الصادرة من علماء مشهورين ذوي شهرة عامة

فلنكتف على سبيل المثال وعلى عجل بذكر ظواهر تستطيع العقول المحبة للاطلاع ان تجد منها عدداً لايقف عند حد اذا لجأت الى مطبوعات العلوم الباطنية . وهذه المطبوعات التى تزداد كل يوم نماء وتنوعا تلفت نظر الرجال المتعطشين لادراك الحقيقة

لنقف هنيهة أمام الظواهر التي لاتدركها حواسنا ولا آلاتنا المتقنة ، وتدركها طائفة من ذوي التراكيب الاستثنائية ، فانهـا لتمتعها بخصائص خاصة تستطيع ان تراها وان تعرفها مشفوعة بأدلة على وجودها لاتقبل النقض

فصاحب الانتقال النومى من ذوي الكشف يري الجو المغناطيسي المحيط بأجسامنا ويميز بين الوانه المختلفة . وقد امكن تقرير هذه الحقيقة التي كانت مجهولة في الازمان الماضية ، وهي ان لكل انسان جوا خاصيا محيطاً بجثمانه يختلف في لونه باختلاف صاحبه . وقد اخترع نوع من الآلات المصورة الآن لاظهاره للعين المجردة بوضوح تام

ويزعم أطباء من الذين درسوا العلوم الباطنية انمن الجواء الانسانية مافيه نقط عجيبة تنم عن امراض كامنة فى أصحابها

وقد أكد لى طبيب معروف في لوندرة بانه استطاع بفضل ارشاد الجو المغناطيسي الانساني اكتشاف امراض كامنة فيمن سمحوا له بفحصهم على هذا الاسلوب وتمكن من شفائها وكانت لاتقبل الشفاء بأية وسيلة أخري . واني أنقل هذا التأكيد بكل تحفظ لأني لم أتأكد منه بنفسي

أما الكتابة (أى كتابة الوسيط بدون ارادته) فلا يمكن التشكك فيها في ايامنا هذه . وماهيتها معلومـة : وذلك ان شخصا متمتعاً بهذه الخاصة المجهولة قد يكون غالباً منقاداً لأمر لايمكنه تعليله يضطره للقبض على القلم والمضى في الكتابة عدة ساعات احيانا معربا عن حوادث وآراء خارجة عن دائرة تعقله الشخصي . وقـد تكتب هذه الحوادث والآراء عكسا ولا تمكن قراءتها بدون عكسها بواسطة مرآة

وقد اتفق لى حضور جلسات لتجربة هذه الكتابة الآلية كانت فيها الوسيطة شابة صغيرة تربيتها العلمية أولية فكانت تكتب آراء فى علم ما وراء الطبيعة في درجـة نادرة من السمو تفوق خصائصها العقلية فوقاً كبيراً . وكانت تكتبها أحيانا بلغة أجنبية تجهلها جهلا تاما

هذه الموهبة العجيبة قدتظهر فى صورة أشـد غرابة مما مر . فان الحفار (دوملان) كان أراني نحو مئة من الصور غاية في الجمال صورتها يده وهو في حالة لاشعورية . لم يكن مصورا قط في عهد من عهود حياته ، ولكنه رأي نفسه ذات يوم مدفوعا بقوة لا يمكنه تعليلها الي رسم مناظر بلاد اجنبية لم يزرها عمره . وقد عمل وهو على هـذه الحالة أيضا صورا غاية فى الضبط لأشخاص لم يقابلهم قط

كان هذا الحفار صديقا حميا لأميل زولا ، وقد كلمني عنه هذا الصديق العظيم كثيراً باعتباره حاصلا علي فطرة سليمة نادرة وبعيدة عن كل تأثر بالآراء الباطنية

فحدث في حين من الاحيان ان وقع تحت تأثير هذه العوامل الخفية التي كان يجهلها وأخذت يده ترسم على غير شعور منه فأتتنا بمجموعة من صور ذات قيمة نادرة دالة على صناعة مجهولة تؤثر على النفوس تأثيراً يفوق تأثير التصوير المعهود بين الناس . ولاعتقاد هـذا الحفار اعتقاداً راسخا بأن هذه الصور لم تصدر من شخصيته العادية لم يرد ان يبيع صورة منها رغما عن القيم المغرية التى كانت تعرض عليه من كل صوب مع ان ثروته المتوسطة كان يجب ان تسول له قبول هذه المكاسب

وقد تظهر هذه الموهبة علي صورة ميـل للموسيقي تستولي على شخص ليس له أقل المام بهذا الفن

وقد نشر الاستاذ (هيزلوب) عدة احوال من هـذا القبيل تابعة لتعدد الشخصية

من هذا القبيل ماذكره من ان احدي الشابات ممن لاعهـد لهن بكتابة ولا نشر أخذت في يوم من الايام تنشئ أقاصيص على اسلوب (فرنك ر. ستوكتن) ولقد كان تشابه الكتابتين تاما لدرجة جعلت النقادة

الامريكي الشهير (هنري الدن) على ان يفرد لهذه الحادثة بحثا خاصا .

وذكر ان شابا آخر كان يجهل التصوير جهلا تاما عمل صورا عظيمة القدر على أسلوب أستاذ كبير في التصويرمات قبل هذه الحادثة بسبعة أشهر وهو (و . س جيفورد)

وقد سرد (هيزلوب) المذكور عدة حالات أخرى مشابهة لهذه وانه ليصعب علينا ان نقبل تعليلاته التي ترمي الى القول بحدوث انحلال في شخصية الوسطاء وتدخل شخصيات أخرى محلها من اهل العالم الآخر

وكثيراً ماحدث ان الشخص الذي يزاول الكتابة الآلية يكشف أسرار جرائم مجهولة ويدل على امكنة أشياء مسروقة كما يأتي احيانا بمعارف تفوق درجة الحاضرين العقلية

وتدل المستندات التي جمعتها الجمعية الجدلية بلوندرة على ان الخصائص الحديثة المحركة في هذه الاحوال قد تستولي في الوقت ذاته على حاسقنا السمعية وعلى أعضاء أخري فتقوي قابلياتها العادية

وماذا يقال أيضا عن كشف الوسيط الحوادث التي يجهلها هو والحاضرون معه ؟

بماذا تعلل هذه الحوادث ؟ يعللها أقطاب الروحيين بأن عقلا من العقول المجردة عن المادة من سكان العالم الاخروي استخدم تجرد الوسيط وآتانا برسالة

وقد كثرت حوادث تجسد الارواح والموتي الى حد ان المطلعين على تلك الاسرار الروحية أصبحوا لايشكون في حصولها

والتجارب التي يسردها الاستاذ (جس هيزلوب) بوساطة (مدام بيبر) والاستاذ (كروكس) الكيماوي المشهور بوساطة (ميس كيتي كنج) الخ لايمكن ان يضرب بها كلها عرض الحائط(١)

وهناك طائفة من العلماء من أعصاهم شكوكا كانوا ينكرون كل هذه الحوادث بدون تجربة ثم قبلوها جملة ، يسلمون على نحو مايسلم به هيزلوب بأن الارواح التي تتصل بالاحياء هي شخصيات انسانية بقيت حية بعد ماحدث لاجسادها مايسمي بالموت ولا تزال تهتم بالامور الارضية

قد يكون هذه التعليلات صحيحة او باطلة . ذلك لايهم . أما الذي يهمنا فهو صحة الحوادث ذاتهـا . فاذا اعتبرت تسعة اعشار الحوادث المحصة والمحققة بواسطة الجميات الموثوق بها جداً مشكوكا فيها بعد درس دقيق آخر ، فان المشاهدات الصحيحة القليلة التي تبقى تضطرنا لعدم الطيش في رفض القول بوجود هذه القوة المجهولة

(١) الوجديات : كيتي كنج اسم الروح التي كانت تتجسد امام الاستاذ كروكس لا اسم الوسيطة . أما هذه فاسمها ميس كوك . ويظهر ان كاتب البحث وهم في ذلك

١٢ — (لننحن اجلالا للحقائق)

ان حادثة واحدة من الحوادث الدالة على البقاء بعد الموت تمحص بحيث لايمكن مقابلتها باعتراض وجيه تكفي لكسر اصرار المادية التي فات وقتها وتصوحت زهرتها

مما لامشاحة فيه انه من الصعب تحديد معني التلباتيا (التأثر عن بعد) . فان خصائصهـا وصورها لايمكن احصاؤها كما لايمكن احصاء المساتير التي تحيط بآثارها المعقدة المتنوعة

ومجاميع الجميات النفسية التي تنشر الآن في اكبر المراكز العقلية للعالم المتمدن تؤتينا بمئات ألالوف من المشاهدات تعارض اصولنا المقررة التي تعتبر شبه علمية . فاذا لم يبق منها بعد التمحيص الا عدة حوادث لا يمكن دحضها نهل نستطيع بعد ذلك أن نبقى جامدين على مقرراتنا القديمة

اذن فلا محيص لنا من دراسة هذه المذاهب الجديدة دراسة منزهة عن الهوى . مع العلم بأن أدق العلوم كانت مجالا للاخطاء في ملاحظة حوادثها وتعليلها حتى بالنسبة لأعم تلك الحوادث واكثرها وضوحا . فالتواضع هنا والحالة هذه لايعد فضيلة فقط يجب الاخذ بها بل يعتبر شرطا ضرورياً للبحث الموافق لقوانين العقل

يكفي الانسان ان يلقي نظرة على الشواهد التي لايحصى لها عدد مما قد درس بعنايات مضاعفة ومراقبات شديدة للغاية ونشر في مطبوعات الجمعية الجدلية بلوندرة ، لينحني اجلالا « لهذه الحقيقة الجديدة » . لنضرب لذلك مثلا بمشاهدة واحدة من مشاهدات لاتدخل في حصر حدثت في عهد هذه الحرب العامة وقد شوهدت وحققت بواسطة ناس لاعلاقة لهم بالدين ولا بالاعمال الباطنية

هذا المثال هو حالة مدام ريتشاردسون امرأة الجنرال الذي كان على بعد ٢٥٠ كيلو متراً منهـا فلما جرح سمعت صوته وهو يقول : « اخلعوا خاتمي هـذا من اصبعي وارسلوه لامرأتي » وقد شهد من حضروا جرح الجنرال المذكور مباشرة وأكدوا صحة سماع امرأته لصوته عن بعد عدة مئات من الكيلو مترات

والبراهين متظاهرة على انه يوجد بين الاحياء اتصال سري يحمل شعورهم من خلال المكان والزمان ، فهل يوجد مثل هذا الاتصال بين الاموات والاحياء ؟

يظهر ان تجارب عديدة في هذا الباب تثبت صحة ذلك الاتصال

وعلى هذا فهذا النوع من التلباتيا يستطيع وحده ان يثبت عقيدة البقاء بعد الموت . ولكن لندع هـذه الظاهرة جانباً الآن ، ولننظر في امكان معرفة الحوادث عن بعد وفي خلال المكان والزمان ، وهي خارج مرمى خصائصنا الطبيعيـة لان هذا وحده يثبت وجود عالم فوق المادة

مستقل عن المخ وعن اعماله

فالمنكرون حتى الصامم قياداً لايستطيعون ان ينكروا وهم مخلصون في انكارهم بأنه توجد قوة نفسية تحدث ظواهر خارقة للعادة تزداد عددها يوما بعد يوم ولا يمكن النزاع في صحتها

فلتكن علة هذه الحوادث هي التلباتيا أو العقل الباطن أو أرواح الموتى فان صحة تلك الحوادث نفسها تبقى لاغبار عليها رغماً عن المناقشات التى تدور حول الاصل المولد لها

فالذين ينتسبون للعلم ليس لهم ادني حق في تقليد المتعصبين الذين الذين يرفضون التسليم بكل ماينافض آراءهم المقررة

وقد روي (كارل دو برل) حادثة مضحكة عن واعظ من فينا أراد وهو على منبره ان يدحض التنويم المغناطيسي بهذا الاسلوب وهو قوله :

« أنا لاأصدق بصحة التلقين المغناطيسي الا اذا رأيته بنفسي ، ولكنني لن أراه لأن ديدني أن لاأحضر مثل هذه التجارب »

واننا لنستطيع ان نزيد في الامثلة الي مالانهاية له عن حوادث الاخبار بالمغيبات ، والنظر بدون الاعين ، وقراءة حوادث تقع بعيدا عن الشخص في خلال المكان والزمان الخ الخ ...

فاذا اعتبرنا ، ولو على حالة سطحية ، ظواهر التلباتيا ندرك بسهولة بأن مدركاتنا في هذا الباب ستكابد في مستقبل قريب تحولا أساسياً . واذ ذاك سيتلم الناس عن البحث عن العالم الآخر وعن الجنة والنار في السماء المزدانة بالكواكب ، لان علم الطبيعة السماوية يمنعنا من التسليم بوجود سماء فوقنا ، ولكنا سنجعل العالم الاخر في ذاتنا وعامل حولنا . كيف نقول العالم الآخر ، ونحن لم نخرج منه قط ، بل نحن فيه وسنبقى فيه الى الابد . لان أفكاراً وعواطف ، وآراء واحساسات ، تربطنا فيه بسلاسل . والذي يتغير هو فهمنا اياه ، وهذا الفهم يعلو و يسفل على قدر قيمة قوتنا النفسية وروحنا وعقلنا الباطن ، ودرجتنا الخلقية

ووجود التلباتيا بين الاحياء لايسمح ببقاء ادني شك فيما يختص بوجود قوة روحية تزيد عن القدر المقرر لارواحنا وعقولنا (أي ان هذه القوة الروحية فينا أكبر واكثر خصائص مما يعتقده الناس قديماً وحديثاً)

ولكن التلباتيا بيننا و بين الموتى تثبت استمرار وجود روحنا اوعقلنا الباطن ، ان لم نقل بقاءها بقاء غير محدود أي خلودها وعدم قبولها للفناء

هذه الظواهر الجديدة تناقض ، مؤقتاً ، مدركاتنا الطبيعية ومقرراتنا النفسيه المؤسسه على الفزيولوجيا ، وما نعلمه عن الزمان والمكان ، ولكن العلم الذي اوجعنا عن ضلالات كثيرة سيرجعنا في مستقبل قريب ، فيما نؤمل عن اغلاطنا فيما يختص بالنظر والتعقل ؛ والذي على هذا العلم من الآن أن لايحتقر الحوادث المعزية الدالة على بقاء النفس بعد الموت

اذن فالانسان لايموت . وحياته مستمرة رغما عن محضر الوفاة الذي يشهد بزوالنا زوالا مطلقا . والعقل الباطن ، وهو المجهول الخطير في وقتنا الحاضر ، سيصبح هو نفسه شعورنا الذاتي العالي في اليوم الذي تزداد حقيقته علما

(البقية تأتي)

(الوجديات) يتبين للقاريء مما مر في هذه الفصول ان العلامة جان فينو لم يقدم أمام بحثه تلك العبارات الشديدة ضد كثير من العلماء والمجربين قبله الا ليبريء نفسه من الجرى مع الاوهام ومن عدم اتخاذ الحيطة الكافية ضد الخدع والانخداع ، والا فكيف يوفق القاريء بين أقواله هذه وتلك الاقوال

وعلى أى حال فان المباحث الروحية جمعت من أشداء الشكيمة من أمثال جان فينو ألوفا مؤلفة ، ولم تمنعهم شدتهم من الخضوع للحقائق الجديدة فماذا يبغى بعد ذلك أولئك المتوقفون هنا عن قبولها بعد ان جازت كل هذه العراقيل واقتحمت كل هذه العقبات وخرجت فائزة خروج الحقائق بعد ضروب التمحيص والتحقيق ؟

على ان هذه الخوارق لغرابتها وشدة عداء الناس لها قد لقيت من التمحيص اضعاف اضعاف مالقيته المعارف الطبيعية وكان المجربون لها يزاولون عملهم فيها لابقصد اثباتها كما هو الشأن في بقية العلوم بل بقصد دحضها وكشف احابيل التدليس فيها فلم تزد الا وضوحا وثبوتا . فلو كان عليها غبار من ضعف لظهر ظهور الشمس في رابعة النهار ولم تقو على هذا التمحيص المتوالي اكثر من سبعين سنة

وهناك أمر آخر جدير بالنظر وهو ان الحقيقة العلمية يكفي في تقررها ان يشاهدها عدة علماء فيأخذ بها سائرهم بدون تردد ، ولكن الحال جري على خلاف هذه السنة في التجارب الروحية فارتفعت الثقة من بين العلماء فيها وصار كل منهم يربأ بنفسه عن الاعتماد على تجارب غيره حتي يكررها بنفسه فان كرر بعضها ووجده صحيحا أخذ به وتوقف في قبول غيره، وان كان يقول به المئات من أمثاله . لهذا السبب كان عدد المجربين من العلماء في هذا الفرع العلمي يربو على عدد المجربين في كل فرع آخر من فروع العلم. وفي هذا ضمان آخر على صحة هذه الظواهر

فهل يريد المتوقفون هنا عن قبولها ان يجربوها هم أيضاً بأنفسهم؟ ولو فعلوا فماذا تكون قيمة شهاداتهم بجانب شهادات ألوف العلماء وملايين الفضلاء في مدي سبعين سنة متوالية وفي أشد الامم بعداً عن الاغترار بالظواهر ، والانخداع للاحابيل ، والتأثر بالتقاليد

نحن لانطلب اليهم ان يسلموا بهذه الحقائق، فان ذلك يعنيهم وحدهم ، ولكنا نريد ان نثبت للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أن تشكيكات أولئك المتوقفين لايصح أن يقام لها وزن بعد دخول هذه الحقائق في هذا الدور العلمي و بعد ما أصبح يقول بها أعلم علماء الطبيعة وفطاحل الكاتبين والمؤلفين.



الوجدانيات هي مقالات [illegible] الغرض منها [illegible] حبا للحياة [illegible] النفوس بالقوى الادبية [illegible] وقد اخترنا [illegible] في النفوس [illegible]

الوجدية الثامنة

حاسب الوجدان قال :

خرجت في يوم رق [illegible] نسيمه ، وراق [illegible] في شوارع القاهرة ، وأستجلي [illegible] بطلعة من الشبان ، [illegible] من الحد [illegible] من صبوة وخلاعة ، وتهتك برقاعة (٣) [illegible] سكارى [illegible] بسكارى ، ويصطخبون [illegible] الخمر [illegible] كل ذلك [illegible] لا تثور لهم [illegible] لأنه [illegible] نستكبره ، وأنسا [illegible] فما راعني الا رجل كبير الجثمان ، قوي الاركان ، [illegible] كأنه من بلاد الافغان (١) اعترض أولئك [illegible] فاستوقفها بصيحة جبار ، وكنت على مقربة [illegible] به يقول :

الى الحد أيها المفتونون ، يصل بكم المجون (٨) [illegible] السفهاء ، تطوح بكم الاهواء ، لقد ضارعتم [illegible] الحمير في بلادها ، ولا أعم نوع الحيوان ، فقد [illegible] في مثل هذا الشان ، أما أنتم أيها الانذال [illegible] حشمة ، ولا تعرفون حدا ، ولا تحترمون عهدا ، [illegible] رأسه ، فطوف الأزقة كالكلب الضال ، [illegible]

[illegible] كانت يدها في [illegible] فيشتمنا [illegible] فما [illegible] صاحب هذه الدور [illegible] الحال ؟ أليس [illegible] لا يزجرهم [illegible] فلا يحرك [illegible] حملت [illegible] الاسترجاع [illegible] المنكر [illegible] أو [illegible] (١) [illegible] لي : « ارحموا من في [illegible] في السماء أن [illegible] حاصبا [illegible] ».

ثم تركهم والخزي يغشاهم ، والدهش [illegible] والاطرف [illegible] والقلوب [illegible] والاسى [illegible] من [illegible]

قال الوجدان فلم أشأ أن [illegible] هذه الفرصة السانحة ، والنهزة اللائحة [illegible] حتى اجتاز النيل ، وسار صوب الاهرام (٥) فبلغ مني التعب [illegible] أن أخطب وده ، وكأنه أدرك [illegible] فالتفت إلي ، وأجال [illegible] ثم [illegible] وقال : أتعبت يا وجدان ؟

[illegible] كان لا يبالي بما قال وما فعل

(١) الاديم أصله الجلد المدبوغ وأديم اليوم [illegible] أوغاد الناس الواحد والجمع سواء . والسرب [illegible] (٣) [illegible] الفتوة . والرقاعة الحماقة (٤) يصطخبون يتصايحون [illegible] المشردة . وقسورة أي أسد (٥) الخنى الفحش [illegible] من أغطية الرأس . والطيلسان كساء كان يلبسه [illegible] الحياء ويخلع العذار معناه تهتك (٨) المجون أي الهزل [illegible]

(١) ركوب الرأس كناية عن الامعان في الضلال والقامة الزيلة . [illegible] (٢) الحوقلة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله . [illegible] الاسترجاع حكاية قول انا لله وانا اليه راجعون . والملاذ الملجأ ومثله الملاذ [illegible] والسموم الريح الحارة [illegible] (٤) تمور أي تضطرب [illegible] صوب الاهرام أي جهة

فأدهشني أن أكون معروفا لديه ، بقدر ماسررت من وصولي اليه ، فسلمت عليه بابلال ، فرد بأحسن مايقال ، ثم هش وبش وأظهر من العطف مايظهره الصديق القديم ، لصفيه الحميم ، فازددت تحجباً علي عجب ، وجرأة عليه فقلت :

يذكرني مولاي ولا أذكره ، فهل له أن يعرفني بنفسه فأشكره ؟ فقال : لقد جبت معك الاقطار ، وتدارسنا المعالم والآثار ، ألا يبقى لديك من كل هذا ذكرى ؟

قال الوجدان : فأخذت أتفرس فيه لعله كان من أصحابي المطار بشين ، فصار من المتقلدين ، أو كان ممن يحلق فصار من الملتحين ، وأخذت أجهد ذاكرتي ، فلم أهتد لأثر له في زاوية منها ، فخجلت والله أن اقر له بعجزي عن ذكراه ، فتظاهرت له بسروري من لقياه ، وشدة شوقي الى اجتلاء محياه ، رجاء أن أذكره بعد أمة ، فتنقشع عني تلك الغمة (١)

ففطن لها فضحك وأطال ، ثم قال لك العذر على كل حال ، وستعرفني في غير هذا المجال ، فهل لك فيا هو خير لك من ذلك ؟

قلت ماهو ؟

قال : أن تشهد مؤتمر الحيوانات ، فقد تآمرت أن تجتمع في بعض هذه الفلوات

قلت : هذا من أحب الأشياء الىّ

قال : ولكني أخشى أن تراك علي صورة آدمية ، فتصيبك بلية

قلت : لقد لقنني شيخي سر الاستحالة ، فسأتقنع به فى هذه الحالة

قال لا يمكنك أن تتقنع به فى حضرتي ، ثم أمسك بيدي ، وأمرني باغماض عينيّ ثم فتحهما ، فوجدتني بعيراً ذا سنام عال ، وعنق طوال (٢) فأخذت أجرب كلماتي لأستحيل الى ما كنت عليه فلم تفد ، فضاق صدري وتطلبت صاحبي لأرجوه أن يحيلني الي سيرتي الأولى فلم أجده ، فيئست من حالتي ، وتمنيت لو لقيت منيتي ، وكنت كلما نظرت الي عنقي الطويل وسنامي الثقيل ، وجلدي المجعد ، ووبري الملبد ، وفكرت اني لا اخلص لي من هذه الحال ، ازداد انقباض صدري ، وتحكم القنوط من نفسي

وبينما أنا علي تلك الحال ، واذا بطوائف من الحيوانات أخذت تفد أرسالا أرسالا (٣) ما بين أسود وفيلة ، ونمور وثعالب ، وخيول وحمير ، ودجاج وسلاحف ، وخراف وذئاب ، وعقارب وثعابين ، فربضت ذوات المخالب والانياب فى الصدر ، ثم تلتها ذوات الحوافر ، فذوات الخفاف فسواها وسواها حتى غصت الفلاة ، ولم يبق فى سعف نخيلها سعفة ليس عليها عشرات من مختلف الطيور ، فلما استقر بها المقام ، وانتهى تبادل السلام ، ساد السكون ، وشخصت العيون

أما أنا فحشرت نفسي في زمرة الابل فبركت حيث بركت ، وبينما نحن علي تلك الحال ، واذا بأسد مفتول السواعد ، مطرور الأنياب ، تقدم الي نشز من الارض وسط هذا الجمع ، فأنصت اليه كل سمع (١) فزأر زأرة رددت اصداءها التلال ، ثم بسمل وحمدل وقال :

يامعشر الكائنات المباركة ، لقد علمتم ما حدانا لعقد هذا المؤتمر اليوم (٢) واني معلنه رسمياً ورافع به صوتي عالياً ، هو جور الانسان ، وبغيه علي الحيوان

لم يكف الانسان ، أن يأكل الحيوانات ، اذا عدم النبات ، وخاف الممات ، فتراه يسرف في سفك دمه فينحره تحية لقادم ، أو تيمناً بعروس (٣) أو تظاهراً بجود ، ولا يبالى مع ذلك بما يصنع ، كأنه لم يأت عملا يحتمل الكلام ، فضلا عن الملام ، فان لفته لافت الى السرف ، فى أكل الجيف ، دهش من أن يكون في العالم من يفكر في هذه الصغريات ، واعتبر المناقشة فيها من الترهات (٤)

قال الوجدان : هنا ثارت ثائرة الثيران والاغنام ، وتلتها صنوف من ذوات الاجنحة كالاوز والدجاج والحمام ، وتقدموا للأسد فقالوا :

أيها الملك علا جدك ، وعم رفدك (٥) لقد رضينا أن يرتع الانسان في أجسادنا ، حتى يحكم الله في أمرنا ، ولكنه يذبح بعضنا أمام بعض ، فيسوقنا شراذم شراذم ، فيتسلط علي الواحد منا رجل متين ، بيده سكين ، فيتله للجبين ، ثم يقطع منه الوتين (٦) ونحن اليه ناظرون ، فلا ندرى أيحسب اننا جمادات مجردة من الشعور ، أم هو الذي رانت علي قلبه الشرور (٧)

قال الوجدان : فسمعت ضجة في المؤتمر ، ترنح لها الشجر ، وماجت لها ذوات الصوف والوبر ، ثم حدث سكون فاندفع رئيس المؤتمر يتمم خطبته فقال :

أحل للانسان صيد البر والبحر دفعاً للحاجة وتداركا للضرورة ، الى حين ، ولكن الانسان ظن ان هذه الاباحة تحل له كل محظور ، فأخذ يصطاد الحيوانات تلهياً ، ويفتك بها تسلياً ، ان هجس بقلبه هاجس أزعجه (٨) أو ألم به هم شغله ، فأول مما يخطر بباله ، أن يجوس خلال الغابات ، فيورد بعض كائناتها موارد المات ، فيعود وقد سرّي عنه الهم ، وزايله الغم ،

(١) اجتلى الشيء نظر اليه . والامة الحين . والغمة الغم (٢) طوال أى كثير الطول (٣) ارسالا أي جماعات جمع رسل بفتح الراء والسين

(١) مطرور الانياب أى محددها والنشز بفتحتين المرتفع من الارض (٢) حدانا ساقنا (٣) التيمن هو طلب اليمن بضم الياء أى البركة (٤) الترهات بضم التاء وفتح الراء مشددة الطرق المتشعبة من الطريق الكبير وتستعار للأباطيل (٥) الرفد العطاء (٦) تله صرعه يقال تله للجبين يريدون صرعه . والوتين عرق مجاور للقلب هو المسمى الآن بالأورطي (٧) رانت غلبت (٨) هجس أى خطر . والهاجس أي الخاطر

فانظروا يارعاكم الله الي هذه النفوس الجامدة ، والقلوب الجاحدة ، واعجبوا حين تسمعون ان هذا الانسان يفرق في فلسفته انه المختص بالرحمة والحنان، دون أصناف الحيوان ، ثم هو يسفك الدماء لهواً ولعبا ، ويقتل الاحياء سروراً وطربا ...

هنا ثارت المهى والغزلان ، واضطربت الطيور على الافنان(١) وصاح الجميع واغوثاه من قسوة الانسان، يرمي الوالدة منا وهي تزق صغارها(٢) أو تحضن بيضها ، فيقتلها ويهلك بقتلها عدة أحياء بعد أن يذوقوا ألوان الآلام بضعة أيام ، وقد حظرت عليه صيد أكثرنا الحكومات ، وأرته وجه الضرر في هذا الاجتثاث ؟ ولكن هيهات

ثم اندفع الأسد يتم خطبته فقال :

صُرّح للانسان أن يستفيد من أصواف البهائم وأوبارها ، فيشاركها في دِثارها وشِعارها ، ولكنه شط في هذا الباب فأخذ يوسعها اهلاكا ، ليتخذ جلودها اكراكا ، زيادة في الترف ، لا خوفا من التلف

ثم أمعن في هذه البوائق فعدا على الفيلة لأنيابها ، وعلي النمور لفرائها(٣) وعلي النعام لريشها ، وعلى الأيائل لقرونها ، وعلى السلاحف لعظامها ، وهلم جرا مما لا يحصي كثرة ، ولو كان هذا العدوان تداركا لخطر ، أو اتقاء لضرر ، لكان له بعض العذر ، ولكنه انما يبيد هذه الاحياء ، ليجعل من قرونها محالي لعصيه ، ومن عظامها خرزا تحليه ، وغير ذلك مما يضره ولا ينفعه

ولقد تواعدنا على الاجتماع هنا اليوم بعد ما نفد الصبر ، وضاق الذرع، لنبحث عن حيلة تنجينا من شر هذا الكائن الظلوم العاتي الغشوم الذي ستر بدعواه المدنية ، وجه كل دنية ، وأخفى تحت ظاهر من الدين ، خبث الشياطين ، وعدوان المرَدة والابليسين (٤)

قال الوجدان : فما أتم الأسد خطبته حتى نهض افعوان كأنه سارية سفينة (٥) تلوح علي عينيه آثار الضغينة ، وقال أيها الرئيس الرأى عندي أن تتألب علي ابادته ، لتخليص العالم من اساءته (٦)

فنهض قرد قد جرِب ، وأكل الدهر عليه وشرب ، وقال :

من تقصد بالابادة أيها الافعوان، أهذا الانسان ، الذي يحوّل القطن كالمقذوف على نار تحصد الصفوف ، ويحيل الماء السلسال ، الي بخار يرفع الجبال ، فان كنت تستعظم عليه مخالب الاسود الضارية ، وأنياب الأساود المردية(٧) فقد استعظمت عليه مالا يحرك له ساكنا ، ولا يزعج منه آمنا ، لاتساع مجال أحابيله ، وبعد مدى أفاعيله ، أما تري اخواننا الميكروبات على دقة أجسادها بعد أن أمعنت في اجتياح الملايين من أفراده ، حتي كدنا نعتقد بأنها ستكون القاضية علي عناده ، وقعت الآن تحت سلطانه فسلط عليها أسلحة عرفانه ، فابتكر ما يبيدها ويلاشيها ، ولم يرقب الله فيها ، فهل تريد أن تقفنا في مهابّ غضبه ، ومساقط شهُبه ، نعوذ بالله من هذا الرأي الفائل ، وكفانا ما وراءه من الغوائل (١)

فوقف نسر حيال الأسد ، كأنه من ذرارية لُبد (٢) وقال لقد وجدت حلا وسطا ، وأرجو أن لايكون شططا (٣) أرى أن نهجر المواضع التي يسكنها الانسان ، ونرحل الى ما ليس له عليه سلطان ، من مجاهل الاودية ، وأغفال الاقطار المترامية(٤)

فصاح به القرد قائلا : مهلا ياأبا المنهال لقد نصحت بالمحال(٥) أيخيل اليك ان في الارض موطئ قدم لم يَرِده هذا الانسان ، ولم يَجُس خلاله بأسلحة العرفان ، فأين المهرب وقد ملك أبعد قعور البحار ، وقبض على الهواء السيار ، وسيطر على القوى الطبيعية فصار يصرفها على ما يحب ويختار ؟

هنا نهض بعير قشعم ، كأنه من ذرية شدْقم (٦) فقال يامعشر الاخوان ، لقد صبرنا على جور الانسان قرونا ، أفلا نصبر عليه قرنا آخر ؟

فصاحت الحيوانات من جميع الجهات ، وماذا يكون من بعد ذلك القرن ؟

قال الجمل : سيتم له تسخير الهواء ، ويزداد سلطانا على الماء ، ويدين له المغناطيس والكهرباء ، فلا يحتاج للخيول تجر مركباته ، ولا للثيران تعمل في زراعاته ، ولا للابل تحمله في صحراواته

هنا صاحت الحيوانات البيتية والحملان ، صيحة يأس وأشجان ، نادبة خلودها تحت ارهاق الانسان(٧)

فقال الجمل : مهلا أيتها الكائنات المستضعفة ، فوالله لتنتصرن لكم العلوم والفلسفة ، أبشروا فقد تأيدت نظريات النباتيين ، وظهر خطر اللحم للعلماء الفزيولوجيين ، بما لا يدع مجالا للمكابرين ، وانتشر مذهبهم بين الكثيرين ، ولا يمضي غير جيل ، حتي يعم الناس الا القليل

فارتاح المؤتمرون لرأي أبي صفوان ، وهنأوه على ما أوتي من البيان(٨) وبينا هم يظهرون اعجابهم بما سمعوا ، واذا بجلبة أوتوموبيلات أقبلت تهد الارض هدا ، فذعر المؤتمرون ، وابذعروا وهم يجمحون(٩)

(١) المهى جمع مهاة وهي البقرة الوحشية (٢) تزق صغارها أى تطعمهم بوضع منقارها علي مناقيرهم (٣) الدثار الثوب الذي فوق الشعار . والشعار هو الثوب الذي يلي البدن البوائق جمع بائقة أى المهلكات والفراء جمع فرو(٤) المرده بفتحتين جمع مارد (٥) الافعوان ذكر الأفعي (٦) تتألب أي تجتمع (٧) الاساود جمع أسوَد وهو الثعبان العظيم فيه سواد

(١) الفائل أي غير السديد (٢) لبد بضم ففتح اسم آخر نسور سليمان عليه السلام (٣) الشطط تجاوز الحد . الاغفال من الارض جمع غُفل وهو مالاعمران فيه (٤) ابو المنهال كنية القرد(٥) قشعم أي مسن (٦) وشدقم فحل مشهور من ابل العرب ينسبون اليه الابل الكريمة (٧) ارهاق أى ظلم(٨) ابو صفوان كنية الجمل عند العرب(٩) ابذعروا تفرقوا ويجمحون يسرعون

متفرقات وفوائد شتى

(فتح علمي)

— ١ مر خلافة —

(تابع مبحث العلامه جن فة مدر الجة ماضا)

١٣ — (مسة الروح)

كثيراً مايصادف الاسبراسي بلا عم من ... القديمة للشعوب الأولية . وقد شبه الناس في كل زمان ... لا ان ... ملازمة ... الجسد ، ولكنها تتركه بالليل لمدة قصيرة ثم تعود ... لا حد ... علم النفس والحالة هذه يجد له عونا سطيا في ... (...) ... العامية وقد أدخلها (هوربرت سبنسر) الى علم ... . وله ... در ... (الفولكلور) من أهم الاشتغالات في هذا الباب وهي تعطي ... لا ... قيمتها لدراسة النفس الانسانية في صورها الأولى العصرية . وتأكيد (الشكل) بأن الجسم هو مسكن النفس يدل ... كانت لدى مؤمني كل العهود الانسانية ولا تزال لدى أكثر العلماء في أيامنا هذه

هومير وأهل المذهب الرسمي من اليونانيين والرومانيين متفقون ... هذه الوجهة مع أحط الشعوب الأوليه . وفي رأى مؤلف الالياذة ان ... (وهو الموت) وهينوز (وهو النوم) اخوان توأمان . وهما شبيهان ... وفى نظر الفيدا (كتاب الهنود المقدس) لروح تزايل الجسم في اثناء ... وتتحادث مع (الديفا) وهم الآلهة الخالقة . والحامية للكائنات . والاحلام دلائل تدلي بها الروح لاثبات وجودها

ويعتبر (الأيبون) أهالي ... (بأمريكا الجنوبية) ان الموت يمر بشيء غير نوم طويل المدة . والعقائد العامية تختلف ... من مستقر الروح من الجسد . فبعضهم يجعلونها في المخ وبعضهم يعتبرونها في القلب ولكن أكثر الناس يقررون بأن الروح مستقرة في النفس وان الموت هو خروج هذا النفس من الجسم . وعلى هذا الاعتبار كان الرجل من الرومانيين اذا حضرته الوفاة استدعى أصدق أصحابه اليه ومال عليه وقال له قبل أن يلفظ النفس الأخير « خذ روحي من فمي »

وبما ان النفس فى اعتبارهم أبيض اللون فتكون الروح بيضاء كذلك . ومن هنا جاء التعبير (بياض الروح) الذي يستعمله المؤلفون الدينيون والشعراء ورجال العصور الماضية والعصر الحالي

لنذكر هنا في هذا المقام موت (كانت) الفيلسوف الألماني كما رواه أقرب مترجميه اليه قال :

... بين حوله ... يقول ... روح (كالله) صاعدة الى الله »

كان كثير من الشعوب الأولية تعتقد بأن الجسم قد يحتوي أرواحا كثيرة فى وقت معاً فيمن الملاجشيون والصينيون عدد تلك الأرواح ثلاثة ويشاركهم في ذلك سكان أواسط أفريقا . ولكن الاسكيمو يقصرونها ... ثنتين . والداكوتاس يرفعونها الى أربعة منها واحدة تبقى بعد موت صاحبها في قريته ، وثانية تمكث في جسده ، وثالثة تضيع في الهواء ، وأما الرابعة فتنضم مع الارواح . وكان المصريون قدماء يقولون بعقائد تشبه بطريقة ربية العقل البالغ التعدد . فكانت الروح في نظرهم تتألف من مجتمع عناصر نفسية تعيش مجتمعة مدة بقائها على الأرض ولكنها تفترق بموت صاحبها . وفي هذه العقائد كنوز من معارف تخدم الموسوعيين من كل العصور . وعند المصريين (اوزيريس) هو العنصر الأصلى للروح ، فيترك الميت بعد تصبيره ويصعد بعد ذلك لينضم الى الله وهو محتده الأول

وقد أخذ أرسطو كما يلحظ ذلك بوضوح قوله بتعدد الروح من المذهب المصري . فعنده ان الارواح الثلاثة الغاذية والشاعرة والعاقلة تعمل معاً فى الجسد مدة الحياة ولكن بعد الموت لايبقى فى حالة كمال الا الروح الأخيرة

١٤ — (ميراث الماضي)

الشعوب الأولية تذهب الى ان الميت لايعوزه شيء في انفصاله عن الاحياء وبقاء قصارى جهده ، ... . ويقولون بأن الأرواح لا تنسى شيئاً مما علمته أثناء ... على الأرض وعلم أسرار الاحياء فلا يغيب عن علمها ونظرها شيء . ومذهب ... قد اشتقت من هذا الينبوع . لأن الروح بعد ... من الجسم ... تعود الى الارض في خلال وجودات جديدة ومتتالية . ومن هنا نشأت مذاهب التناسخ على اختلافها وغرابتها على ... خاصة والمذاهب الباطنة

هذه المدركات التي للشعوب الأولية أثرت في المؤمنين والفلاسفة واتباع المذاهب الصوفية المختلفة . والروح عندهم قد تكون نفساً وقد تأخذ شكلا ماديا انسانياً أو حيوانياً

وقد قالت الكنيسة المسيحية بمكان تجسد الروح قبل أن يقول بذلك المذهب الباطني الراهن بزمن بعيد

ذكر تيرتوليان في رسالتــه عن الروح انها جثمانية الأصل . قال والا فكيف تكيد المذنبين عذاب جهنم اذا كانت الروح معني محض « فان لهب الجحيم لاسلطان له على ما ليس بجثماني وما كان كذلك لايمكنه أن يفنى فيها راهبهم »

وقد ألم (دودانتى) في روايته المزلية الموسومة بالكوميديا الالهيــة

بالحركات الدينية القرون الوسطى فيما يختص بالبقاء بعد الموت على أساليب كهانية في الاتقان . فاذا ماتدبرها الانسان وجد الصلة المتينة التي تربط بين مخاوف الانسان الأولى وأمانيه وبين مخاوف خصة النـــاس وأمانيهم في العصر الراهن

فالأديان والمذاهب الباطنية ونُظُم ماوراء الطبيعة وعقائد أو شكوك المثاليين من الفلاسفة (نسبة المثل الأعلي) كلها مرتبطة كل الارتباط أو بعضه بأساطير وضعت في زمان عريق في القدم ولكن بقيت حقيقتها الي اليوم علي ما كانت عليه

ان واجباً أولياً أصبح مفروضاً على جميع الذين يودون ترقية علم البقاء بعد الموت وذلك أن يتخلصوا من جميع الضلالات التي تكاد تكون فطرية، واعادة درس الحوادث الروحية في مظاهرها المتعددة وهم بعيدون عن الاوهام وعن التعصب . هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن يوصلنا الي حقائق معززة

أضعف جهة في المباحث التي من هذا القبيل هي عدم امكان استخدام الاسلوب التجريبي فيها ، وهو الاسلوب الوحيد الصالح لإيتائنا بالحقائق الحسية . والحوادث المتعلقة بما وراء الطبيعة والحوادث الباطنية تستعصي عن طرق التحليل والتجارب المعروفة . فيجب والحالة هذه معاملتها بطريقة مناقضة للطرق العادية

واذا كنا نلح في التنويه بهذه الحوادث فما ذلك الا لنثبت مع مقتنا ومكافحتنا التدليسات في صورها المتعددة ، بأنه يجب التسليم علمياً بصحة الظواهر المتنوعة لهذه القوة المجهولة

١٥ — (الحقيقة الجديدة)

بما ان الزمان من المسلمات المتفق عليها ، وصورة ذهنية ليس الا فلا نستطيع أن نقتصر من وجهة فلسفية على الحدود الضيقة التي يعينها لشخصيتنا

فالذي يحدث في اعماق هذه الشخصية يملأنا ذعراً أو تعجباً . وبعد استكشافنا لعقلنا الباطن فليس في مكنتنا أن نهمله. واننا لنترقى في التحقق من ان العالم الخارجي علي مايدركه العقل ليس هو الا ظاهرة أو مُدرَك محض وتفسيره ان لم نقل حقيقته مستقرها هذا العقل الباطن وهو الموجود الأصلي علي حسب مذهب «كانت» (١)

الانسانية لم تأبه بعالم الميكروبات الذي يساور الجسم ويحتله حتي قام العلم باستكشافه. فهل من ينكر قيمة هذا الاستكشاف اليوم ؟ والنواميس البيولوجية الفزيولوجية المدركة بصرف النظر عن وجود هذا العالم الميكروبي تصبح لهذا السبب وحده باطلة ومناقضة للحقيقة الجديدة

فما أشبه هذه العلاقة بعلاقة العقل الباطن بعلم النفس

من الخطأ القول باستحالة التقدم في مجال زياده العلم بالمجهول . واننا لنذكر هذا العلم الميكروبي الذي كان مهملا قديما وخصوصاً علم الميكروبات الدنيا كلما بحثنا في ظواهر العقل الباطن التي لاتقبل التقييد والمراقبة

بجانب الميكروبات التى يستطيع الميكروسكوب أن يدرسها توجد الميكروبات الدنيا التي تستعصي علي أقوى المنظارات المكبرة . فهى كائنات غاية في الصغر بحيث ان حجومها تبقى أقل كثيراً من طول الامواج الضوئية المرئية وهي ٧٥ جزء من مئة مليون مليون جزء من الاشعاعات البنفسجية القصوي . ومن هنا كانت الصعوبة في دراسة تلك الكائنات على أى صورة من الصور . وهنالك صعوبة أخري وهى استحالة الحصول على هذه الميكروبات الدنيا على حالة نقية . اذ لايمكن فصلها عن العناصر الخلوية التي تنمو فيها ، أو عن الميكروبات الأخرى المقيمة في السوائل . من الميكروبات الدنيا المميزة من هذه الوجهة ميكروب الكلب . فلسم المعدي من هذا الداء يمر من خلال المصافي الخزفية أو المصافي الطينية المسامية التي تمنع مرور أصغر الكائنات المعروفة . ومع هذا قد نجحنا في الحصول علي نتائج علمية لايمكن النزاع فيها في هذا المجال الذي كان يظن انه موصد في وجه كل تحليل علمي وكل أسلوب تمحيصي

وقد حظي العلم في هذه العشرين السنة الأخيرة باستكشاف عدة دوزينات من هذه الميكروبات الدنيا (الدوزينه عندهم تعني اثني عشر) والعلم يستفيد من هذا الاستكشاف الآن في معالجة بعض الامراض . لنذكر من هذه الميكروبات لدنيا الجرثومة غير المرئية للحمى الصفراء وطاعون الطيور والطاعون البقري وجدرى الدجاج وتيفوس الطيور والتيفوس الطفحي وجدرى الخراف الخ

ولكن رغماً عن عدم امكان رؤيتها حتي باستخدام أتمن الآلات المكبرة فقد امكنت دراستها بفضل تأثيراتها الخارجية . وقد علمنا من ذلك بأننا نستطيع ابادتها في دقائق معدودة اذا سلطنا عليها درجة من الحراة تعلو عن ٥٥ وانها كلها معدية تسبب اضراراً تشريحية مرضية على صورة تغييرات تطرأ على النواة الخلوية الخ . ولكن لايزال أمرها محاطا بعالم من المساتير . واذا كنا نعلم انها سامة فاننا لانزال نجهل التأثيرات الحسنة التي تستطيع أن تحدثها حولها مما سيؤدي العلم به في يوم من الايام الى انتقال ذريع لعلم معالجة الامراض الحالي . فأى ضرر كنا نجنيه على أنفسنا اذا وقفنا أمام عدم امكان رؤية هذه الميكروبات الدنيا وامام استحالة دراستها على الاساليب المقبولة لدى العلم فرفضنا البحث فيها أو أنكرنا وجودها؟

(١) كانت فيلسوف ألماني توفي سنة ١٨٠٤ كان يذهب أن لكل موجود أصل معنوى هو الموجود بحق وأما مظاهره المادية فصورة تناسب تركيب عقلنا . وكان يسمى ذلك الأصل المعنوى (نومين) ومعناها الأصل

ولكن الذي يحدث لنا من تأثيرات الناجمة عن هذه العوامل المتناهية في الصغر والاستقرار على حياتنا اليومية قد أصبحوا في ايجاد علم من أكثر المعارف قياماً على الاسلوب الحسي وأكثرها نفعا للعالم

أليست الحال هي هي ، مع حفظ الفرق بينهما ، فيما يختص بالعقل الباطن وهو غير مرئي ويستعصي على الابحاث التي تحاول أن تجد مستقره المادي، ولكن آثاره الكثيرة والمعقدة معاً تلفت نظرنا وتفرض علينا بحثها على صورة لايمكن النزاع فيها .

انه مما يناقض العلم ارادة انكار أو اطراح ظواهر العقل الباطن كما يناقضه أيضاً احتقار مسألة وجود الميكروبات الدنيا وهي غير مرئية وغير قابلة للتمحيص

ومع هذا فما أبعد الفرق بين ظواهر العقل الباطن وبين تأثيرات الميكروبات الدنيا من جهة سمو طبيعتها ومؤداها معاً

فاذا صعدنا من عالم الكائنات المتناهية في الصغر الي عالم الكائنات المتناهية في الكبر نجد فيها دليلا لا يدحض لتأييد الموضوع الذي نحن بصدده ويكفينا أن نعيد الي ذكرنا التأكيدات المتطرفة لاجوست كونت التي كان يقول بها جميع علماء المعدمين وعلماء عصره أيضاً وهي انه يجب قطع الأمل في امكان معرفة التركيب الكيماوي للأجرام العلوية حتى ولا في مستقبل بعيد جداً . فكانت الفطرة السليمة مضافة الى أدق المقررات العلمية تؤيد آراءه التي ترمي الي تثبيط كل المحاولات التي تتجه الي هذا الغرض

ولكن لم تمض غير سنوات قليلة حتي استكشف التحليل الطيفي الذي سمح بمعرفة تركيب مادة النجوم معرفة أتم من معرفتنا لنواميس تطوراتنا الاجتماعية والسياسية

ونحن بدون التعويل على الأدلة العديدة التي تدلي بها الفرق الروحية نستطيع ، وكل منا في دائرته ، أن نستجمع أدلة لاتقبل النقض علي صحة وجود ظواهر خارقة للعادة تفوق آراءنا الخاصة بحدود الزمان والمكان . ولسنا في حاجة اذا أردنا ذلك الي تعلم خاص ولا وسطاء ذوى شهادات أو من يجري مجراهم . بل الذي علينا هو أن ندون ونمحص كل الظواهر الباطنية بمثل المعاناة التي نبذلها لتدوين حوادث الطبيعة

فقد صادف كل منا في مدى حياته حوادث محيرة من إخباوات بالمستقبل، وانتقالات للفكر الي مسافات بعيدة ، ورؤية الحالي والمستقبل علي درجات من القرب والبعد وذلك بدون الاعتماد على أى حاسة من هذه الحواس

نعم يجب تمحيص هذه الحوادث خصوصاً وهي تتعلق بحوادث تزعزع غالباً آراءنا المقررة

ومع هذا فلو بحثنا الألوف المؤلفة من الحوادث المدونة في السجلات الضخمة المسماة (برو سيدنجس) للجمعية الجدلية بلوندرة وما يقدمه لنا كاميل فلاماريون في كتابه المجهول والمسائل النفسية وكتابه القوى الطبيعية المجهولة أو في كتابه الموت وغامضته وفى نحو مئة مؤلف من هذا النوع ، قلنا لو بحثنا في هذه الحوادث يكاد يكون من المستحيل أن نرفض رفضاً جلياً الاعتراف بتلك القوة الخفية التى تعمل فينا وبنا أو بجانبنا ، وتسمى العقل الباطن أو الروح أو المجهول العظيم . ومما لاشك فيه ان هذه القوة موجودة وانه لا وجه لنا في عدم الاعتداد بها فى بحثنا عن الاسباب الأولية والثانوية لحياتنا الطبيعية أو الروحية

(انتشار المذهب الروحاني)

بين علماء الكون

جاء فى المجلة الروحية الفرنسية في عددها الصادر في فبراير الماضي ماتعريبه :

ان المجلات الروحية في العالم أجمع أجمعت وهى في فجر هذه السنة الجديدة على عظم قدر الوقت الراهن لدلالته فى تاريخ النوع البشري على دور من الادوار الخالدة الذكر . ليس فى العالم مايمكن أن يكون عقبة لصد مايجب أن يكون أو منع ماسيكون . فالعين الروحانية الصغيرة التي نبعت من الأرض الأمريكانية من البيت الخاوى للمستر فوكس سنة ١٨٤٨ (راجع ماكتبناه في العدد الثاني من الوجديات) والغدران العقلية التى استحالت شيأ فشيأ الى جداول قرّب مابينها (اللان كاردك) ليتكون منها نهر عظيم ، وهو سيتسع ويتحول الي تيار لايمكن مقاومته . علي ان أمواج هذا التيار أصبحت تضرب قواعد القلاع المادية وتزعزع جمود التقاليد الكنائسية .

وألوف من جمعيات روحانية في العالم كله تتقدم فى ذلك البحر الواسع كأنها سفن مزدانة بالرايات والاعلام تحمل في أجوافها العلماء العظام وقادة الأنوار العقلية وأمة برمتها من المجربين والمصدقين . وسنة ١٩٢١ ستزيد عدد سفن هذا الاسطول وتضاعف المعتقدين وهؤلاء في العالم كله يبحرون بثقة تامة قاصدين الشمس المشرقة ، شمس المونى ، وهم يعلمون ان الرياح تواتيهم .

وقد نشر المستر (شاست هيد) بالمالك المتحدة جدولا بأسماء أشهر المعتقدين بالاسبرتسم في العالم ووضع إزاء كل واحد جملة من كلامه فيه . ونحن هنا لانستطيع أن نأتي الا على موجز تافه من ذلك العمل الجليل لأن من الخسار أن لانتنوه به . وهو موجود في العدد الصادر فى ٢٧ نوفبر من مجلة (ذي بروجر سيف سينكر) وهو يملأ أعمدة طويلة من تلك المجلة يرد أفصح رد على أولئك المستهزئين الذين يميلون لأن يتوهموا ان أهل الجد من أبناء هذا العالم لايصدقون بوجود حياة بعد هذه الحياة

فذكر بعد كاميل فلاماريون .أوليفر لودج وكونان دويل وهيزلوب

وبارت العلماء الآتية أسماؤهم :

روبرت تشامبرس مؤلف دائرة معارف الآداب الانجليزيه

وروبرت ماير العالم بالتشريح

ولوكاس روبرتس محرر الجريدة الانجليزية للعلوم الطبيعية

والفرد روسل ولاس ([illegible] داروين)

وجيمس تشاليس الفيلسوف والفلكي

ودو مورغان الذي كان رئيساً للجمعية الرياضية

ووليم دنتون العالم بطبقات الارض

واليوت كويس العلامة الشهير في علم الحيوانات

وروبرت هير الكيماوي أستاذ المحاضرات في جامعة بانسلفانيا

والاستاذ تورنبوم من بلاد السويد

وزولنر أستاذ علم الطبيعة الفلكية في جامعة ليبزيج بألمانيا

والدكتور اشبرنر مؤلف كتاب المغناطيس الحيواني والاسبرتزم

والطبيب الجراح جاللي من لوندرة

والعلامة الانتروبولوجي ف . ل : نيكولس

واللورد بروغام السياسي الانجليزي

وأوجين نو الشاعر الفرنسي

وعدد عظيم من الأساتذة

وو . ه . ميرس (الاستاذ بجامعة كمبردج)

وا . ب . هايد أستاذ التاريخ اليوناني

وجون ويسلي مؤسس فرقة الميتوديست (هم طائفة من البروتستنت لهم مذهب خاص وأصول خلقية في غاية الشدة)

والسر جان جوكس الذي كان رئيساً لجمعية علم النفس البريطانية

واكزاكوف (الوزير الروسي المشهور)

وكيابارلي (من أساتذة جامعة تورين بايطاليا)

والفيلسوف بروفيريو الايطالي بميلان

ولومبروز (واضع علم الجرائم وهو ايطالي)

وشارل ريشيه (العضو بالمجمع العلمي الفرنسي والمدرس بجامعة الطب ومدير المجلة العلمية)

ودو روشاس (مدير مدرسة الهندسة الفرنسية)

وسان بنيتو . وبيكتيه . وا وكورو وبكز . وهنري و . لونجفلو .

وهوجو (الشاعر الفرنسي الأكبر)

وثاكيري . وتنيسون . وابراهيم لنكولن . وجون روسكن

والكسندر دوماس . وتاكوربه . والفيلسوف الالماني فيخت

وغوث : وتيبيرس الذي كان يقول :

« وأنا أريد أن أخزي المذهب المادي وأخزيه باسم العلم والفطرة السليمة »

وأنهى الكاتب بحثه الى الخصوم هنا تلخيصاً حظيا بالتنويه بأسماء جان هوس وجان دي باتموس وسقراط وافلاطون

الازوت في الاغذية

[illegible] اختلاف العلماء في مقداره

كان [illegible] يقررون أن الانسان يحتاج في اليوم الي نحو [illegible] من الازوت يتناولها في الأغذية ليستطيع أن يعيش معيشة [illegible] الاستزادة من هذا القدر كثير فأنزلوه الي ١٦٠ غراماً ثم الي ٢ [illegible] الي ٢ وأخيراً رأى الباحثون ان الأولى [illegible] الاستبداد بهذا العنصر فوق [illegible] قيمة تحتوى على المقدار [illegible] يكفي [illegible] سموماً قتالة تولد عضل الامراض [illegible] والسرطان والروماتيزم وغيرها مما لا يدخل تحت حصر

هذا الاستكشاف الخطير أدى الي اصابة التغذي باللحم بضربة قاضية [illegible] أصبحت [illegible] من [illegible] . ذلك انه كثير الاحتواء [illegible] المادة الازوتية وأملاح أخرى ذات خطر على سلامة الاعضاء الباطنية

[illegible] والفاصوليا والبازلاء والعدس فانها أكثر احتواء [illegible] الازوتية فهي مثله في توليد تلك الامراض المضلة

[illegible] الأمر في [illegible] العلمي حتي أصبح كثير من الاطباء ينصحون مرضاهم بعدم تعاطى اللحم والبقول فان لم يمكن حذفها بتاتاً فيجب التقليل منها الى أقصى حد مستطاع

وعرف بالنظر الى تركيب أسنان الانسان وأعضائه الهضمية بأن أغذيته يجب أن تكون من الفواكه وهي حاوية لكل المواد الضرورية للبنية على نسب تنطبق على حاجة الاجسام البشرية ومولدة لقوة عظيمة جداً فيها بدليل ان القرود التي هي أشبه الحيوانات بالانسان لا غذاء لها الا الفواكه وهي من القوة بحيث يستطيع القرد الواحد أن يتغلب على عدة رجال بقوته العضلية

ولكن الانسان أنس بهذه الأغذية التي يتخذها من بعض النباتات ويخلطها باللحم ويعاملها بالتوابل والأفاويه ويعالجها بالنار الى حد محدود ثم يسمه بالطبخ وكان بها الي درجة انه جعلها غذاءه الوحيد ناسياً في سبيلها الفواكه التي هي غذاؤه الطبيعي الأصلي فلا غرابة ان استتبع هذا الانحراف منه ما نراه من كثرة أمراضه وتنوعها وقصور حياته عن بلوغ حدها الطبيعي المقدر بمئتي سنة

الوجدانيات
هي معان تشف عنها لبة
النفس من تأثرها بالصور التي تشف
عنها الحياة الفاضلة وامداد
النفوس بالصور الادبية
الضرورية لها . وقد اخترنا
لها الأسلوب الذي اعتقدنا انه
افعل في النفوس من سواه



الوجدانيات
الامم لا يستقيم امرها الا
بتكامل آدابها تتنزل منه
منزلتها وتتحكم في اهوائها
وقد ثبت للعلم ان الآداب
كانت دائما السبب الرئيسي
لكل انحطاط او رقي المدنيات القائمة

(الوجدية التاسعة)

قال الوجدان :

أجمعت وأصحاب لى في يوم العروبة (١) على أداء رياضة محبوبة ، فأخذنا نتشاور في أى الرياضات أجلب للأنس ، وأروح للنفس ، فانتهى رأينا الى أن نمتطى صهوة النيل (٢) لنستفيد من نسيمه البليل ، فاكترينا زورقا جمع بين جمال المظهر ، وكمال المخبر ، فلما همنا بالنزول اليه ، لاح لنا على الشاطىء شيخ ذو سمت مهيب (٣) قد جلله المشيب ، عليه عباءة يمانية ، وعمامة كردية ، فقال أحدنا يلوح لى ان هذا الرجل غريب الوطن بعيد عن الأهل والسكن ، ولا يخلو أن يكون من أولى الفهم ، والضاربين في العلم بسهم ، فهل لكم أن نكرم وفادته على بلادنا ، بدعوته الى مصاحبتنا؟

فقلنا أصبت شاكلة الكرم (٤) وحققت بأننا أكرم الأمم ، فتول أمر دعوته ، وتلطف في تكرمته

فما لبث أن تقدم اليه ، وسلم عليه ، ثم قال له : يلوح لنا أيها الشيخ انك غريب ، وتود أن تقف من بلادنا على كل عجيب ، فهل لك أن تصاحبنا اليوم في نزهتنا النيلية ، لتقف على بعض مالدينا من المواهب الطبيعية ؟

قال الوجدان : فتهلل وجه الشيخ بشرا ، وأخذ يوسعنا شكرا ، ثم مال نحونا ، ونزل الى القارب معنا . فلما استقر بنا الجلوس ، وأرخيت له القلاس (٥) سمعنا ضيفنا يقول :

باسمك اللهم وعلى بركتك ، وفي حفظك وكلاءتك نستدر قراراً أرضيا ، ونستقبل سيالا لجيا (١) فأرعنا بعينك ، وراعنا بعونك ، واجعل هذه النزهة لنا مقرونة بنفحة من نفحاتك ، وآية من آياتك ، حتى يجد الروح منها مايجد الجسد ، فنحظى لكل منهما منك بمدد

قال الوجدان : فأدركنا ان الرجل واحد من أهل الكمال ، فتوقينا أن نخرج أمامه عن ذاك المجال ، ولبثنا معه كأننا في مسجد ننتظر الشأذين ، لا في رياضة نفتن (٢) في ضروبها مرحين (٢) وكأنه شعر بهذه الحال ، فخشى أن نرميه بالاثقال ، فنظر الينا وقال :

يا أيها الاخوان الأجاود ، السباقون الى المحامد (٣) لقد وصل الي بركم ، فوجب على شكركم ، وحق على مدى الدهر ذكركم ، فأبدأ بتقديم نفسي اليكم ، وعرض حالى عليكم ، أنا الجوال بن حمدان ، من أهل خراسان ، حببت الي السياحة فلم أدخرلها وسعا ، ولم أضق بها ذرعا ، لم أدع قطرا الا زرته ، وما غادرته حتى رزته (٤) وقد أدانى التطواف الى بلدكم عاصمة العلوم الدينية ، وملاذ اللغة العربية ، فأسعدني الحظ اليوم بوجودي معكم ، فأنا الآن لكم ، فأعطوا الرياضة حقها من اللهو والمرح ، أشاركم بما سنح (٥)

فقال أحدنا ان خير اللهو عندنا أن نتذاكر الادب ، ونخوض في لغة العرب

فقال ضيفنا وأنى ماحدا بي اليكم ، الا أخذ العربية عنكم (٦) فما حسن ما رويه الرواة عندكم لشعرائها المقدمين ، وأدبائها المتقدمين ؟

---

(١) العروبة يوم الجمعة . قال سيبويه العروبة يوم الجمعة ومن قال (عروبة) أى بدون أل فقد أخطأ . وبلغ ذلك يونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه (٢) الصهوة مقعد الفارس من الفرس أى ظهره استعير هنا لسطح البحر (٣) السمت أصله الطريق والمحجة ويستعار لهيئة أهل الخير فيقال ما أحسن سمت فلان (٤) الشاكلة الطريقة والمذهب والخاصرة (٥) القلاس جمع قلس وهو حبل السفينة

(١) كلاءته أى حفظه . من كلأه الله يكلأه كلأ وكلاءة وكلاء أى حفظه وحرسه . واللجى نسبة للج وهو معظم الماء .

(٢) نفتن . يقال افتن فلان في حديثه وخطبته أخذ في فنون من القول وجاء بالأفانين . مرحين أى شديدى الفرح والنشاط

( ) أجاود أى كرام جمع جواد (٥) رزته أي جربت ماعنده وخبرته (٦) سنح عرض أو تيسر . وحدا بي أى ساقني

فقال واحد منا [illegible] من أحسن ما رويناه [illegible] أبي الطيب في خلق المرأة [illegible]

اذا غـدرت حسناء وفّت بعهدها ... فمن عهدها أن لايدوم لها عهد

وان عشقتْ كانت أشد صبابة ... وان فركت فاذهب فما فركها قصد

وان حقدتْ لم يبق في قلبها رضي ... وان رضيت لم يبق في قلبها حقد

كذلك أخلاق النساء وربما ... يضل بها الهادي ويخفي بها الرشد

فصاح صديقنا الجوّال ، قائلا ما أعجب هـذه الحال ، ان لدينا شاعرة تدعى أم الطيب قالت من هذه القافية ما يصح أن يعد في باب توارد الخواطر ، كوقوع الحافر علي الحـافر

قلنا ماذا قالت ؟

قال : قالت في خلق الرجل :

اذا رجـل يغـدر بك وفي بعهده ... فمن عهـده أن لايدوم له عهـد

وان هام عشقا كان أقوى صبابة ... وان رام هجرانا فما هجره قصد

وان يحتقد لم يُبق في قلبـه رضي ... وان هو يرضي لم يُصب قلبَه حقد(٢)

كذلك أخـلاق الرجال وربما ... يضل بها الهادي ويخفي بها الرشد

قال الوجدان : فعجبنا من تخالف الشاعرتين ، في الحكم على الجنسين ، وأخذ بعضنا ينتصر لأولها ، وبعضنا يؤيد ثانيتهما ، وجرّنا الجـدال الي مطاوح شتى من العلوم النفسية ، والفلسفة الاجتماعية . ثم بدا لنا أن ننزل الي الشاطيء لترويض الاعضاء ، والتمتع برؤية الزروع في الفضـاء ، فأطللنا من مظلة الزورق فاذا بنا وسط لجة من البحر ليس لها نهاية ، ولا لمـداها غاية ، واذا الزورق يشق الأمواج بقوة ، كأنه مسير بآلة مخبوّة ، فبلغ منا الدهش حده ، وأصاب منا الهلع جهده ، فنظرنا الي صاحبنا الجوّال ، فاذا به علي مانحن عليه من الحال ، فتكاثرنا على المجدافين لنقف الزورق عن الاندفاع ، و بذلنا في ذلك المستطاع ، فلم يزدد الا سرعة ، ولم نجن نحن من ذلك الا روعة علي روعة ، فأيقنـا بشدة الخطر ، وجلسنا ننتظر القدر ، وبينا نحن كذلك اذ لاحت لنا جزر منثورة ، فيهـا مرافيء معمورة ، فحيي فينا الأمل ، وقلنا عسي ولعل ، ولكن مما زاد هلعنا اننا كنا نمر بتلك الجزر مرور البرق الخاطف ، أو الريح العاصف ، فلا نكاد نشارف جزيرة منها ، حتي نبتعد عنها ، وعلمنا من كثرتها وصغرها انهـا جزر الارخبيل اليوناني ، ثم لاحت جزر كريد فمالطة فسردينيا فكناريا ثم اجتزنا مضيق جبل طارق ، وكان كل ذلك بسرعة تفوق كل تقـدير ، ولا يبلغ مداها التعبير ، فخرجنا الى المحيط ونحن علي أسوأ حال ، من الهلع والاجفال ، فلاحت لنا القارة الامريكية ، بشواطئها الجبلية

فقال صاحبنا الجوّال : اسمحوا لى أيها الاخلاء . أن ألقي بنفسي الى

(١) فرِكه يفركه أبغضه . قيل هو خاص ببغضة الزوج لزوجه تقول فركها وفركته (٢) يحتقد أى يحقد

[illegible] الجليلة ، [illegible] أصل الي [illegible] ، وأعجوبة [illegible]

فقلنا ان كنت تحسن العوم ، فليس عليك لوم

فصاح عطي بركة الله وألقي بنفسه في اليمّ ، ومرق من الزورق [illegible] السهم ، وغاب عن أعيننا فلا ندري أبلغ معتصما ينشب ، أم خانته قواه فطيب (١) وبقينا نحن نمخر في البحار ، بسرعة كوكب سيّار حتي انتهينا الي الاوقيانوسية ، وجزنا جزائرها القصية . وما هي الا لحظة حتي رأينا زورقنا قد رسا الى ساحل صخري ، كأنه سفح جبل علي ، انتباشرنا بالنجاة ، وعاد الينا الأمل في الحياة ، ونظرنا في ساعاتنا فاذا نحن لم نقض في هذه السياحة السحيقة ، أكثر من سبعين دقيقة ، فبلغ منا الدهش حده ، وكاد أثبتنا يفقد رشده ، فاخـترقنا الجبل الى مادونه فاذا بنـا في صحراء جرداء ، وفيفاء مرداء(٢) فسرنا فيها فلاح لنا بناء ، حواليـه شجر وماء ، فقصدناه متلهفين ، لعلنا نجد فيه بعض الآدميين ، فاذا به مسجد من أجمل ماوقعت العين عليه ، مما انتهت الفخامة اليه ، قد بني من المرمر الناصع ، وجصص بالشيد اللامع (٣) ولكنه على فخامته ، ودقة صناعته ، قد خلا من النقوش والتلوين ، فكان على ما أمر به الدين . وقرأنا على بابه هذه الجملة «هذا مسجد الغرباء» فعجبنا من وجود هذا البناء العظيم ، في هذا المكان العقيم ، و بينما نحن نجول فيه ، ونتأمل إحكام مبانيه ، واذا برجال قد أقبلوا شتى وجماعات ، ووحدانا وزرافات(٤) وهم من أجناس مختلفات فمنهم هنديون وصينيون ، وعرب وجركسيون ، وتتريون وبخاريون ، وسودان وسوريون ، ومغاربة ومصريون ، وأقوام آخرون ، لم نعرف أجناسهم ، ولم نتحقق أصنافهم ، فاصطفوا على أتم حالات الوقار ، يلهجون بالتوبة والاستغفار ، فجلسنا في صف من الصفوف ، وأخذنا نجيل أنظارنا في هذه الالوف ، فلم ندرك كيف وصلت الي هذا المكان السحيق ، ولا هديت اليه من أى طريق ، ثم ماهي الا لحظة حتي أذن المؤذن بالصلاة ، فقاموا لتأدية سنتها ثم جلسوا ينتظرون الخطبة ، فلم تمض الا ثوان حتي صعد المنبر رجل وضيء الطلعة ، جليل الهيئة ، فسلم على المصلين ، ثم جلس ينتظر التأذين ، فلما تمت هذه الرسوم ، وحان الوقت المعلوم ، نهض نهضة سحبانية ، وقال بلهجة خالصة عربية :

الحمد لله على ما أسدى من الآلاء ، وأفاض من النعماء ، حمداً يستوجب لنا المزيد من امداده ، و يستدر علينا شآبيب ارفاده (٥) وأصلي وأسلم علي خاتم أنبيائه ، وصفوة أصفيائه ، محمد الذي أرسله رحمة للعالمين ، وهدى

(١) نشب به تعلق به (٢) جرداء أى لا نبات فيها . والفيفاء المكان المستوى من الارض . والمرداء الرملة لاتنبت (٣) الشيد ماطلى به الحائط من جص وغيره . وشتى أى متفرقين جمع شتيت . وزرافات جمع زرافة وهي الجماعة من الناس (٤) شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والارفاد العطايا

[illegible] ، و[illegible]
[illegible] وشجون غمارها ، إما [illegible] (١) فابذروا ما تطيب لكم ثمراته ، وتخف عليكم تبعاته ، بالعمل الصالحين

أيها الناس : الحياة مضمار تتسابق فيه جياد الهمم الى غاياتها ، فتدفع مقودة بما أكتسبته من خلالها ، فمن سقط دون الغاية فلا يتهمن القدرة ولا يحسبن عن اليمين ، فانما يصل الى غايته من أعد لها عدتها ، واتخذ لها أهبتها ، من علم يكشف له عن مكانها ، وحكمة تبين وجوه امكانها ، فمن خبط خبط العشواء أخطأه أقرب المطالب اليه ، فما بالك بما يبعد عليه ؟

اذا كان أحدكم لايبلغ أمنيته من صحفة طعام ، الا اذا سعى لها سعيها ، وأعد لها ما يجيد طهيها ، فكيف يترقى الى مرتبة من مراتب الحياة الكاملة ، أو درجة من درجات المدنية الفاضلة ، بغير علم يتيه على طريقها ، وأصول توجيه الى تحقيقها ؟

ألا ان الكمال جنة مضحكة ، وسعادة مكملة ، ولكن دونها طريقاً محفوفاً بصنوف القواطع ، لايجتازه أحدكم الا بدليل من العلوم العالية ، ومشكاة من الأخلاق السامية ، ودافع من همة لاتعرف الملل ، ونهمة لايقنعها نهل دون علل (٢)

اتقوا الله في أنفسكم أيها الناس فلاتقصروها على المطالب الحيوانية ، والرغائب البدنية ، فتنحطوا عن مستوى العجماوات ، وتنزلوا الى أسفل الدركات واعلموا ان بين جنبي كل واحد منكم مجموعة قوى لو يستخدمها فيما أعدت له عرجت به الى عوالم من الكمال يقصر عنها التعبير ، ويرتد عنها الطرف خاسئاً وهو حسير

يبحث أحدكم عن مال يغنيه ، ليحصل على عيش يستطيبه ، فيخوض غمرات الخبائث لتحصيله ، ويتسكع في متاهة الشبهات لتحليله ، وربما هلك دون قليله فضلا عن جليله ، وبين أحناء ضلوعه كنز لاتفنى ذخائره ، ولا تنضب موارده ، من قوى تسخر له الوجود ، وتخضع له كل موجود ، فيتحكم في اختيار ما يليق بجلاله ، ويلفظ ما يبدو على كماله ، فما أقصر الهمم عن بلوغ هذه الغايات القريبة ، وما أعمى البصائر عن هذه المواهب العجيبة

الدين لايكلفكم لتحصيل هذه القوى أن تخوضوا النيران ، أو تسكنوا القيعان ، أو تنقطعوا عن الأهل والخلان ، ولكنه يكلفكم أن تعلموا انكم مظهر أسماء الله وصفاته ، وخلفاؤه في مخلوقاته ، وان قلوبكم مهبط أسرارها ، ومشرق [illegible]
ما يؤدي الى الاختلاط ، سواء في المحيط الشخصي ، أو في المحيط [illegible] وهو بعد ذلك يتولاكم فيأخذ بأيديكم الى معالم الكمال الصوري والمعنوي ومراتب الجلال الجسدي والروحي ، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً

يقول قائل قد عرفنا فلانا وفلانا ، فقد كانا ممتلئين ايمانا ، وبالعلوم وردهما حديثاً وقرآناً ، فعاشا مستضعفين ، ثم ماتا ولم يتركا أثراً أو عملاً ، فلماذا لم يصلا الى ما تصفه من المراتب العلية ، في حالتيها الصورية والمعنوية ؟ ثم ماذا يكون من أثر أمة يستن أفرادها بسنتهما ، ويمشوا على شاكلتهما ؟

الله أكبر ، هذه شبهة يدلي بها أعداء الدين ، ويقصدون بها تشكيك المؤمنين

يقال ان فلانا وفلانا عاشا مؤمنين مستضعفين ، وماتا ولم يخلفا أثراً ولا عيناً ، نعم لأنهما لم يعملا بما طالبهما به الدين من دوام طلب العلم والعمل به ، والأخذ من كل كمال بسببه ، والدأب على استشراق نوريها ، والاجتهاد في استثارة قوى روحيهما

أقول العلم ولا أقصد به مجرد العلم بالشؤون الدينية ، فانه يكفي منه ما يصحح لك الأمور التعبدية ، ولكني أريد بالعلم علم الكونيات وأسرارها ، والروح ومطالع أنوارها ، فبالأول يبلغ الانسان من بسطة الحياة الأرضية ، ما يكفيه الحاجات الجسدية ، ويمكنه من بلوغ أبعد شأو من المدنية المادية ، وبالثاني يطل على حظائر القدس فيستمد من نوره الالهي ، وروحه العلي ، ما يعرج به الى أوج الكمال النفسي ، وذروة الجلال السماوي

ولا أريد بقولي الاخلاق العالية ، أن يقبع أحدكم في كسر داره قبوع القنافذ ، وينقبض في زاوية مصلاه انقباض العواجز ، لايقوم لحاجته الا كما يقوم من أثقلته الأدواء ، وبهظته الأرزاء ، لايتكلم الا همساً ، ولا ينظر فيما حوله الا خلساً ، قد انصرف همه عن كل مطلب يتطلع اليه الأحياء ، الا ركيعات يعددها ، وألفاظ يهمهم بها ، وسبحة طويلة يحملها

كلا ان الاخلاق العالية ، أن يكون أحدكم على مثل ما يكون عليه الأروع الأريحي في نفسه وبين قومه ، على حال يجمع بين أدب النفس وعزتها ، ولين العريكة وشدتها ، فيصلح أن يكون لغيره في المكارم أسوة ، ولسواه في حسن السيرة قدوة

فراقبوا الله أيها الناس في أنفسكم ، وحاسبوها قبل أن يحاسبكم ، وانتهزوا فرصة المهل ، قبل أن يحال بينكم وبين العمل ، بحلول الأجل ، فستسألون عن مواهبكم التي أهملتموها ، كما تسألون عن ذنوبكم التي اجترحتموها

قال الوجدان : فنسيت لجلالة هذه الخطبة ، ما أنا فيه من السكرة ،

«١» وبية مخففة عن وبيئة أي موبوءة «٢» النهل الشرب الأول والعلل الشرب الثاني

ثم نزل الخطيب فام هلوا إلي المجهود، وصلينا صلاة ماصليت مثلها في حياتي خلف امام، ولاخشوعاً كخشوعنا ، وتحقرت بها من الاحلام ، فلما سلم وانتهت رسوم الصلاة نهض القوم كلهم ، فتصافحوا مصافحة الاخوان ، وتعانقوا تعانق الخلان ، ثم أخذوا ينصرفون، وفاتنا أن ننظر الي أين يذهبون ، فبقينا في المسجد نتأمل في بنائه ، ونعجب من مهارة بنائه ، وكرم الآمر بانشائه ، حتى لم يبق في المسجد غيرنا والخطيب ، فتقدمنا اليـه ، مسلمين عليه ، فرد علينا التحية ، ونفحنا بالدعوات الزكية ، ثم قصصنا عليه قصتنا فأظهر الارتياب ، وقال ان هذا لعجب عجاب ، فاسمحوا لي أن أرى ذلك الزورق السحري الذي قطعتم عليه البحر اللجي ، الي هذا المكان القصي

قال الوجدان : فذهبنا به اليه ، فلما عرضناه عليه، أظهر الدهش والحيرة، وأطال في إعمال الفكرة ، ثم نزل اليه وتبعناه ، وما كدنا نغشاه ، حتي انساب انسياب الحوت في المـاء ، واندفع اندفاع الشهاب في السماء ، فقال لنا الخطيب لقد نعلتم فعلتكم وموهتم علىّ حيلتكم ، قلنـا والله ماعلينا في هذا الأمر من لوم ، فانج بنفسك ان كنت تحسن العوم ، قال معاذ الله أن أتعرض للخطر ، فلا تنظر معكم أحكام القدر

قال الوجدان : فما هيَ الا سويعة حتي صرنا في البحر الأبيض المتوسط فتباشرنا بالنجاة ، وأخذنا نحمد الله ، ثم مامضت الا دقائق حتي مررنا من مصب رشيد ، الى نيلنا السعيد ، فلما شارفنا القناطر الخيريه ، وقربنا من القاهرة المحميه ، التفتنا فلم نر الشيخ الجليل ، فتحققنا انه سقط في النيـل ، فاشتد حنيننا اليه ، وأخذنا نترحم عليه ، وما كدنا نفعل حتي سمعنا صفرة بلبلية ، ونغمة شجية ، فالتفت فاذا بصديقي البلبل النجيب ، فحييته تحيـة الحبيب ، وقلت لقـد أبدعت هـذه المرة في الأعاجيب . فأنت والله الحكيم بن مرشـد ، وأنت خطيب مسجد الغـرباء ، ولكن ما اسم تلك الجزيرة ، ومن أين أتت تلك الجموع الغفيرة

فصفر صفرة مُوَرَّح وقال : كفاك اليوم مارأيت، فاذا التقينا حدثتك بما اشتهيت ، ثم اندفع في الجو اندفاع الشهاب ، وتركنا دهشين من هـذا العجب العجاب

الوجدانيات

ثمن العدد الواحد خمسة مليمات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القـرن العشرين شارع الخليج رقم ١٢٩

(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب

(٣) مكتبة الهـلال بالفجالة

(٤) « السعادة بدرب الجماميز

(٥) « الأهلية « «

(٦) « المليجي بالسكة الجديدة

(٧) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي (٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان عند بباب سدرة

(٣) المكتبة المليحية بشارع الشمرلي

(٤) حضرة آدم افنـدي كومي ببنى سـويف

(٥) محمود افندى أحمد مراسل الأمة بالمنيا

(٦) عبد الحميد افندي حسين بعمل سالم وخليفه بالمنصورة



هي دائرة معارف كاملة فيها كل مايسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم علي اختلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص ، وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل مايهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد على حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة فى عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشا ومجلدة ٦٢٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا فى أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ فى كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

فمن شاء أن نرسل اليه كل شهر خمسة منها حولناها اليه بثمانية وعشرين قرشاً ومن شاء عشرة أجزاء حولناها بثلاثة وخمسين قرشاً ونوالى الارسال اليه شهريا حتي يستكمل جميع مجلداتها

(فتح علمي)

الروح خالدة

(تابع مبحث العلامة جان فينو مدير المجلة العالمية)

قد أخطأ الناس خطأ جا في كل زمان بسوق الفكر المستقل مساق الأماني والعقائد المسادية

وكان العلماء السابقون يظهرون متشبعين غالباً بهذه الفكرة ، وهى انه يجب عليهم أن يضعوا أنفسهم في الطرف المضاد للطرف الذي فيه الديانة والمتدينون . ونرى تلاميذهم وأشياعهم أكثر تطرفا من أساتذتهم فى هذا الشأن ويظهرون شديدي الجفاء لكل تدخل روحاني في مجال الفكر . فان أشباه (هومى) لايقتصر على عهد فلوبير ، فهو موجود فى كل زمان وفي جميع البلدان

(المترجم : هومى هو المسيو هومي الصيدلاني شخص قصصي اخترعه الكاتب الفرنسي فلوبير في قصته (مدام بوفاري) جعله مثالا للحمق المصبوغ بصبغة الآداب والعلم . فأصبح هومي علماً لكل مغفل يعده في غفلته ظاهر من العلم) . نعود الي مانحن بصدده من نقل مبحث المسيو جان فينو :

فالعقل الحسى الصحيح المستند علي الاساليب الاستنتاجي وعلي التجربة قد أحدث شيأ فشيأ ثلمة كبيرة في سياج العقيدة المادية . فرأينا من هذا القبيل ان أعاظم المجددين وأكابر ذوي القرائح العلمية يتخذون لهم سبيلا مع المذهب الروحاني اليوم

وزيادة علي هذا فقد أصبح يعتبر اليوم مناقضاً للعلم نبذ وانكار الحوادث الكثيرة التي لاتفتأ تطرق علينا الباب ونلفت نظرنا اليها بقوة لا تغالب

ورجل العلم الصحيح يبتسم برحمة وصفح عند مايحاولون اعتبار علمه وأساليبه وفتوحات فكره من المذهب المادي المنفق عليه وظنهما شيأواحداً. كلا، فقد يمكن أن يكون الانسان متقدماً جداً من وجهة المحصول والمرمى العقلي مع اعلانه علي رؤوس الأشهاد بأنه من الروحانيين .

فلا ينسين المعاندون وخصوم الايمان ان المذهب الروحاني لايعني الخضوع للتأكيدات غير المحققة والايحاآت المريبة . فالذي يهمنا قبل كل شيء هو ضرورة عدم حبس فكرنا في دائرة مصنوعة يحيط به فيها المذاهب الضيقة . لان العقل خلق لتكميل هذه المذاهب واجتيازها الى مابعدها . فاتفاق هذه المذاهب والعقل وتساعدهما بدون انقطاع يمكنه

[illegible]

فتحات فسخها هو، واتضح أنها ضارة [illegible] .

فالفكر الحر الصحيح وعلماء الاجتماع الذين يتعالون عن مستوى الأخلاق التي ولدتها اختلافات الاديان والألوان والأجناس والاقوام لايستطيعون أن ينبذوا جملة تلك المقررات المؤسسة علي خير الانسانية التي تقدمها إليه التيوسوفية الراهنة وفتوحات أخرى باطنية تعد أعلى الفتوحات وأجدرها بالثقة

فاذا كان القول بالتناسخ وبأصول أخري كونية تستوجب شكوكا عميقة فليس الأمر كذلك من ناحية مايدعو اليه ذلك المذهب من الاخوة العالية العامة الموقظة للروحانية . أىشيء أعلي كعباً في الحرية من الأصول الأولية للتيوسوفية التي تكتفي بيعث الآخذين بها مجتمعين للبحث عن الحقيقة لا بتكليفهم بقبول عقيدة أو عقائد جديدة

فالتيوسوفية ليست فى الجملة الا تأييد الأصول التى هي القواعد الجليلة لكل الأديان ولجميع المذاهب الخلقية . وجريا على أوسع مذاهب التسامح الديني قد صارت التيوسوفية معددة للآلهة في الهند وموحدة لله في جميع البلاد الأخرى

ان القول بالكارما تجعلها مناقضة للعقائد المسيحية وكذلك طريقتها في ادراك شخصية المسيح . فمسيحها الصوفي لاينطبق علي مايصوره الانجيل والمخلص المنتظر للعالم يشبه (ميتريا) المذكور فى الأساطير البوذية . وتجسده في صورة الشاب تاميل الذي يعيش الآن مختفيه بالهند باسم كريشنا مورتي تبعدنا بلا شك عن الترجيح الذى تقبله الفطرة السليمة العادية

أما المذهب الكونى الذي يعتبر أخاً للتيوسوفيه فينشر هوأيضاً حقائق إلهية مما يؤدي تطبيقها الي ترقية الانسانية من الوجهة الخلقية والعقلية

نعم انه يعتد بظهورات روحانية ترفرف بين السماء والارض وليس لها من أصل ثابت لا في العلم ولا في العقائد العادية ولكن ما أوسع وأروح الآفاق التي فتحها أمام الناس مساعداً اياهم علي ازدراء الشدائد التي تصدنا عن السبيل في حياتنا الأرضية

لقد انتشر المذهب الروحانى كما كان منتظراً انتشارا عظيما بعد تلك الزوبعة الهائلة التى ثارت عليه . وقد زاد عدد المجلات الباطنية في كل بلد وزاد كذلك عدد الجمعيات الروحية وعدد أعضائها . ومظاهرات من كل نوع تقوم فى هذا المجال بكثرة وتأخذ أشكالا غاية في التنوع

فاذا لم يصادف المذهب الروحانى مايقفه فلا يمضي غير قليل من الزمن حتى يصبح أكثر من نصف البشر تابعين لفرقه المختلفة

في مؤتمر الأساقفة والمطارنة للكنائس الانجليكانية الذي عقد في

قصر لامبيث في ٥ يوليو الى ٧ اغسطس سنة ١٩٢٠ وحضره ٢٥٢ من رؤوس الكنيسة منهم مطارنة كنتربوري و يورك وسيدنى وكيبتاون والهند الغربيه وميلبورن وامارة بلاد الغال الخ هذا عدا أكثر من مئة أسقف من أكبر الأساقفة تقرر النظر بنوع خص في أمر الاسبرتسم والعلم المسيحى والتيوسوفية نظراً لتأثيرها العظيم في عقلية أهل العصر الراهن

ومع تحذير هذا المؤتمر للمؤمنين عن مزاولة أعمال الفرق المختلفة المذهب الباطني اعترف مؤتمر لامبيث المذكور بقيمة هذه الميول الروحانية التي تكافح المادية بنجاح عظيم . ولكن تفاديا من أن يفضى شدة انتشار هذه المذاهب وسلطانها الآخذ في الازدياد الي هدم سلطة الكنيسة وأصولها الاعتقادية استحسن كبار الاساقفة المؤتمرين وضع معالم جديدة للنصرانية لتكسب ثقة العناصر التى تشذ كل يوم عن الايمان الرسمى

فيخطىء الفكر الحر خطأ جسيما اذا ظهر أقل تسامحا من الكنائس النصرانية التى تفقد شيأ كثيراً بغلبة المذهب الروحاني الكامل لأن مذاهبه المختلفة قد أعلنت منذ الآن حرباً ضروساً على الأديان ذات العقائد الجامدة وخصوصاً ضد مدعى الوكالة عن الله في الارض

و بعد كل هذا فالحقيقة ستتغلب علي كل هذه الاعتبارات . ونحن باسمها نطالبه احترام هذا (الوحي الجديد) وبحث ظواهره بحثاً علمياً في حدود الامكان

اننا لم نعرف للاوكسيجين وجوداً الا منذ قرن ونصف قرن وهو العنصر العام والأصلي لاقامة حياتنا . فلقد كان فينا و بيننا وفوقنا وتحتنا ولم يكن أحد يحلم بوجوده . فهل الأمر كذلك بالنسبة للقوة النفسية وظواهر العقل الباطن والحوادث الروحية التي يقال انها حادثة بتأثير سكان العالم الآخر ، و بتأثير الروح وهى تلك القوة العاملة لا مجرد وظيفة من وظائف الجسم

وغير هذا فان طريقة فهم الروح بوساطة العلم العصرى ليست الا وراثة نية من علم ماوراء الطبيعة الشائخ وهو لا يتفق والمستكشفات الحديثة ولم يستطع قط أن يلائمها . فقد خلق هذا العلم أيام كان علم التشريح والبيوفزيولوجيا والسيكولوجيا أيضاً في دور الطفولة . في ذلك الحين نفسه قرروا هذه الثنوية المعرّجة وهي الجسد والروح وقرروا تعلق أحدهما بالآخر تعلقا مطلقا ونتج عن ذلك المذهب الذي مؤداه ان الروح ليست الا مظهراً تابعاً للمخ والجسم

ولكن في نور المستكشفات الحديثة صار مما يناقض العلم ان لم نقل من الطفولة الخضوع لعلم (يريد علم ماوراء الطبيعة الرسمى) تهدمه التجارب كل يوم في مجموع بنائه بل في تفصيلات تركيبه

يصعب علينا أن نحيل الوجود كله الى النظام الذي وضعناه مستعينين بمدركاتنا ولم يمكن تفسيره تفسيراً كافياً بمعارفنا الناقصة و بعلم لايزل في حالة تكوّن

فلا يجوز للعلماء الجديرين بهذا اللقب الذين يبحثون في الطبيعة جملة أن ينبذوا العقيدة الروحانيه أما الاخصائيون حتى ذوى القيمة العالية منهم ممن يمكن تشبيه مخهم بالمحتويات الناقصة لدرج خزانة (دولاب) فان الاسلوب الذى يصغرون به العالم حتى يبلغ ابعاد مساعاتهم أو معوجاتهم أجدر أن يوافق تركيب عقولهم من أن يوافق الحقيقه

فالعلم القديم المتأخر يكره هذه الفتوحات الجديدة . ولكن من الظلم ومما يؤسف له اغلاق النوافذ التي فتحت أمام أعيننا فبهرتها الانوار

ان الحوادث التى تواجهها اليوم تحت ضوء العقل الباطن يكون منها غالباً كما يكون من انسان ترفع عن عينه غشاوة

ونحن بدون ان نتابع الشكاك الكبير (شوبنهور) الذي كان يقول بأن الانسان يحمل في باطنه أسراراً عصيمة ومفتاح هذا الطلسم العالمي ، نستطيع أن نسلم بأن جهود الزمان ستكشف فيما نرجحه فى أبعد ثنيات ذاتنا سر العالم الأخروى المبحوث عنه منذ وجد الانسان

الفروع الكثيرة المذهب الباطني التى تورينا من أسرار العقل الباطن مالا يوريناه سواها هي التى يعول عليها اليوم لهدايتنا في متشعب التجارب النفسية

يوجد بجانب البسيكولوجيا التى تدرس الجانب الظاهري لحوادث النفس محل للمذهب الروحاني الذى يدرسها من الجانب الداخلى . فالعلمان يستطيعان أن يتعاونا في ترقيهما مكملا أحدهما نقص الآخر . ولكن أهل الجمود العلمى سيستمرون بلا شك على رفض هذه الحقائق الجديدة عن شخصيتنا . فالأمر كما قال ج . ب . لامارك مهما تكن شدة المصاعب التى تعترض العاملين لاستكشاف الحقائق الجديدة فان مصاعب تعريفها للناس أشد وأعظم . ولكن العهد الذي تتغلب فيه تلك الحقائق قادم لا محالة .

وكثرة الاسباب التى تحملنا على التأميل تساعد في زيادة سعادة البشرية . فلندع جانباً الشكل الشعري الغريب أو الطفلي للبقاء بعد الموت ، وهو الشكل الذي يحرك أرواح المؤمنين السذج أو الاتباع غير المفكرين للاسبرتسم ولنكتف بأن نخرج من مضطرب الشكوك الكلاوية صحة تلك الحوادث الباهرة . فسيقيم المستقبل علي هذا الاساس صرحاً أكثر طمأنينة للنفس على الخلود . فالذي يهمنا الآن هو أن نخطو خطوة الى الأمام لأجل تخليص سيادة الروح الذاتية واستقلالها عن المخ والاعضاء فان هذا سيكون فاتحة عهد يشرق فيه شعورنا الباطن شيأ فشيأ وان كنا لانستطيع منذ الآن تحديد شكل تلك الحال

١٦ — (مزايا الحقيقة الجديدة)

الأخاء العام ، وتزايد حب الانسان لأخيه ، والتضامن بين الكائنات والعروج باستمرار نحو قمة الكمال الخلقى ، كل هذه المزايا تنتج من أول وهلة من انتشار الفتوحات الروحية الجديدة بأن تغير حال الانسانية تغييراً كلياً ونحن نترك على أقدار متفاوتة مبلغ الترقيات التي تحققت بسببه الآن

من الوجهة الاجتماعية ولهذا نحول كل الجهل مايحدث من الترقيات المثوية في أرواحنا لأنها رقت وستترقى في الكمال. فاذا أردنا أن نقدر أقدار الصور التي تتسامى على الادراك أضطررنا الى البعد عن الغاية التي نرمي اليها في هذا البحث

والمعتبر على وجه عام اننا لا نملك وسائل لتقدير قدر الترقي الأدبي الذي تم في خلال القرون. ولكني حاولت في كتابي (التقدم والسعادة) أن أضع أسلوبا جائزاً لكل الضمانات العلمية يسمح بتجلية قانون التكامل الأدبي. فظهر منه ان الانسانية في أيامنا هذه أرقى في الوجهة الأدبية كثيرا مما كانت عليه في القرون الماضية

ولا بد أن نصل الى مثل هذه النتيجة اذا امتحنا تطور ذاتنا الداخلية بعد مضي العهد اللاشعوري لأسلافنا وهو ميزة يميز الحياة الحيوانية، دخلنا في دور الشعور بمنافعنا الأدبية والمسادية المباشرة، فحدث لنا بذلك شعور شخصي. وهذا الشعور الشخصي يتمشي الآن نحو شعور عالمي ينتج للأجيال المقبلة آفاقاً من الجمال والهناء لا حد لها

اليك أمثلة تدل على ذلك: منذ قرون كان الذين يفتدون لتخلص البشر والعقول العالية تشتغل لأجل أن توجد على الارض الاخوة السامية ولكن رغماً عن دور المحنة العظيمة (يريد دور الحرب العالمية الأخيرة) فاننا نعمل أكثر مما كنا نعمل لابطال الحروب وتغليب أصل التقرب الأخوي بين الشعوب، ولمحق التفاوت الاجتماعي والسياسي. والمذهب الروحاني الذي يفتح الآن أركان الارض سيساعد على صورة مؤثرة في اقامة هذا التضامن الجديد بين الكائنات. فان حوادث التلباتيا (التأثير والتأثر عن بعد) قد أعطى للحياة معنى جديداً. فقد صارت الحياة إلهية حقيقة. وهي متى تشبعت وتأيدت بروح التضامن بين الكائنات وبعاطفة حب الخير النير فانها تملأ مايحيط بها روحاً سماويا. وهذه العوامل التكميلية الجسمانية التي لايحصى لها عدد في أطواء (هذا الوحي الجديد) يجعله ذا قيمة لاتقدر. فيجب علينا أن نستقبله باقبال عظيم ولنلجأ اليه في انجاز الوعود السماوية التي يعدها أرواحنا المتململة. لا أن نصارحه العداوة ونكاشفه الجفاء. ولنفكر في القيمة العظيمة التي يعطيها لترقينا الروحاني. واتخاذنا أسلوبا عملياً حسنا في دراسة هذه الظواهر يفرض علينا الايمان بهذا الترقي الجديد للناس وهو ترق يتابع طريقه في وسط غياض ملأى بزهور إلهية

فلنُعِد ذكرى هذه الكلمات الحكيمة لمونتسكيو وهي:

« اذا استطعت أن أجعل الناس يشعرون ببواعث جديدة لمحبة واجباتهم وأوطانهم وشرائعهم لاعتبرت نفسي أسعد الخلق»

« وأنا اعترف بكل اخلاص بأن اقتناعي التام بنجاحي في خدمة الحقيقة وسعادة اخواني الآدميين بهذه المباحث يحثني ويشجعني على نشر المقررات المزية لهذا الوحي الجديد ويحمل الناس على تحسين طرق البحث فيه

(جان فينو)

المجمع العلمي للمباحث النفسية

تجاربه الحديثة

في الغرب مئات من الجمعيات لبحث المسائل الروحية يتولاها جماهير من العلماء والباحثين ولكن لم تكن تنطبق صفات المجامع العلمية الا على اثنتين احداهما جمعية المباحث النفسية المؤسسة في لندرة منذ سنة ١٨٨٢ ولا تزال قائمة الى اليوم تحت ادارة أكبر علماء الانجليز والأخرى مثيلتها بامريكا وقد تأخرت فرنسا الى هذا العهد عن لحاق شأو أمريكا وانجلترة في هذا الشأن رغماً عن أنها تملك عشرات من الجمعيات ذات الدرجة الثانوية

المسألة تحتاج لمال ورجال. أما الرجال فكثيرون في فرنسا ومنهم جم غفير من أكابر العلماء. وأما المال فتبرع به رجل نرى اسمه المسيو دو موا فانتدب جمهور من العلماء لتأليف مجمع علمي للمباحث النفسية لتسويغ دخوله الى العلم الرسمي فتألف هذا المجمع من الاستاذ (شارل ريشيه) العضو بالمجمع العلمي الفرنسي والمدرس بجامعة الطب. والعلامة (دو غرامون) أحد وزراء فرنسا السابقين. والدكتور (كالمت) مفتش صحة باريز. والفلكي الطائر الطائر الصيت (كاميل فلامريون) وغيرهم تحت ادارة المحقق المشهور الدكتور (جوستاف جوليه) واستصدر هذا المجمع أمراً عالياً من الحكومة باعتباره من المنافع العمومية وهو قائم في بناء فخم بشارع نيل بباريز نمرة ٨٩ الغرض من تأسيسه بحث الظواهر النفسية على الاساليب العلمية المحض لتتقرر انها مقررة نهائيا وقد أصدر هذا المجمع مجلة كبيرة اسمها (نشرة المجمع النفساني الفرنسي) وقد صدر منها الى الآن أربعة أجزاء في الرابع منها سلسلة تجارب قام بها أعضاء المجمع في الغرفة المخصصة للتجارب. وهي حجرة مستطيلة (٩ في ٥ أمتار) لا نوافذ لها الا بابين يقفلان باحكام أثناء التجارب

وقد جاء في تلك المجلة أن أعضاء المجمع حصلوا على وسيط بولوني اسمه (فرانك) ليست مهنته الوساطة فحدثت بوجوده تجسدات رآها جميع الاعضاء وأحسوا بها

وقد ثبت علمياً الآن ان هذه التجسدات تحصل على النظام الآتي: يخرج أولا من فم الوسيط وأنفه وجميع أنسجته مادة أولية قد تكون سائلة أو غازية وفي النادر تكون جامدة. فتراه عند حدوث التجسد محاطاً بجو غازي تتخلله أضواء ذات أشكال معينة كأيد وأرجل ووجوه تعتبر مبادىء للتجسد ثم تأخذ المادة الأولية الغازية أو السائلة في التشكل شيئاً فشيئاً تحت نظر المجربين ولمسهم فتصير ذراعاً أو ساقاً أو رأساً أو نصف شخص أو شخصاً كاملا وفي كل هذه التشكلات تجد لتلك الصور كل ما

الجسد الحي من الخصائص . ومتي تم تكونها حلت بها روح فاستخدمتها للظهور بها أمام الحاضرين فتكلمهم ويكلمونها وتسلم عليهم بيدها وتسمح لهم بفحص جسدها ووزنه وقياسه وبحث رئتيها وقلبها فتوجد على أكمل ما يمكن أن يكون عليه الحي من الخصائص الجسدية الا في ثقل الجسم فتكون في نحو نصف ماعليه الانسان العادي . فاذا سئلت في ذلك قالت ان مادتها مأخوذة من مادة وسيطها . وقد وزن وهي متجسدة فوجد قد فقد نصف وزنه و يضم وزنه علي وزن جسد الروح المتجسدة يكون المجموع مساويا لثقله العادي . واذا وضع علي ميزان وخف وزنه أثناء التجسد ظهر ذلك في الميزان لكل ناظر

والمذكور في الجزء الرابع من نشرة المجمع العلمي النفسي ان التجارب مع الوسيط (فرانك) أسفرت عن تجسدات جزئية لأيد وأرجل ورؤوس تامة الخلقة عملت كل مايعمله الاحياء . وقد جاءت تلك الأيدي فحيت الحاضرين واحداً واحداً ولاطفتهم باللمس جميعاً بلطف لا بعنف

وكان الاستاذ شارل ريشيه ممسكا طول مدة التجربة باليد اليسرى للوسيط والكونت دوغارمون قابضاً علي يده اليمني وكان مقرراً علي كل منهما أن يجهر من حين لآخر بقوله (أنا واثق من قبضي علي يده اليمني . أنا واثق من قبضي علي يده اليسرى) حتى يشعرا الباقين انهما لم يسهوا طرفة عين . فجاءت هذه التجارب محققة لما سبق رؤيته منها ملايين الدفعات

رؤية الموتى

جاءنا من فاضل ما يأتي :

جاء في التلغرافات ان قاتل طلعت باشا الصدر العثماني في برلين زعم أن الذي دفعه لقتله طيف والدته المقتولة . فما هو هذا الطيف وما هو تعليله؟

مصطفى رشدي

سكرتير نيابة ميت غمر

(الجواب) ثبت بالاستقراء العلمي منذ نحو سبعين سنة بعد دخول المباحث النفسية في طورها العلمي ان من الناس من فيهم استعداد خاص لرؤية أرواح الموتى في أجسادها الاثيرية. وهذه الاجساد الاثيرية تلازم الارواح وهي على ماديتها لاتبلى ولا يسري عليها مايسري على المادة المعروفة من التحلل والفساد . وقد عرف في أوربا وأمريكا الآن جم غفير من الا... فيهم هذه الخاصة ولا تخلو منهم أي بلد من بلاد العالم

فان كان قاتل طلعت باشا من هذه الطائفة الممتازة فليس بعجيب أن يرى طيف أمه المقتولة

ولكن يظهر لنا ان كلامه هذا خطابي محض أراد به التأثير على نفوس المحلفين في المحكمة ليقرروا عدم ادانته . اذ لو كان صادقا لكان هداه طيف أمه الي من باشر قتلها بيده فقد كان هو أولى بأن ينتقم منه

ويحتمل انه صادق في دعواه رؤية طيف أمه ولكن هذا الطيف ليس بشيء غير طائف من خياله يجسده امام عينيه شدة تأثره مما أصاب والدته من الاهانة والقتل وهو مشهد لو أداه الى الجنون لكان له عذر مقبول يستبعد عليه أن تتراءى له الخيالات فتدفعه لارتكاب ما أقدم عليه



تأليف كاميل فلامريون

أصبح اسم الاستاذ الفرنسي الكبير (كاميل فلامريون) من الاسماء العالمية فلسنا في حاجة الي تقديمه للقراء . وقد نشر قبل بضعة شهور كتابا أسماه (الموت وغامضته) بحث فيه عن الروح الانسانية من الوجهة التجريبية المحضة ثم عقبه بجزء ثان له ووعد بتعزيزه بثالث ذكر ان هذه الكتب الثلاثة هي خلاصة مباحثه في المسألة النفسية منذ أكثر من خمسين سنة بذلها في التجربة والتمحيص. ولا نذكر عن مكانة هذا الكتاب أكثر من انه تكرر طبعه في بضعة شهور أكثر من عشر طبعات وتناوله المترجمون الى كثير من اللغات باعتبار انه رأى العلم العملي وخلاصة التمحيص التجريبي في موضوع لا يوجد أهم منه في نظر الانسان منذ خلق الى اليوم

وقد رأينا ، بعد أن أتممنا ترجمة مبحث العلامة جان فينو مدير المجلة العالمية ، أن نبدأ في ترجمة كتب كاميل فلامريون تباعاً في الوجدانات فانها حجة دامغة ، وآية باهرة لا يصح لرجل من أهل هذا العصر أن لا يشهدها مع الشاهدين ، وأن لا يجعلها نبراساً له يدرك به سفسطة الماديين ، وقصر نظر الملحدين

موعدنا العدد التالي لهذا ان شاء الله



الوجدانيات
هي مقالات خيالية
الغرض من نشرها تصوير شكل
عليا للحياة الفاضلة وامداد
النفوس بالقوى الادبية
الضرورية لها . وقد اخترنا
هذا الاسلوب لمواعظنا لانه
افعل في النفوس من سواه

الوجدانيات
نعم لا يستقيم امرها الا
بتكاتف ادبية تتنزل من
عقولها وتتحكم في اهوائها .
وقد اثبت العلم ان الاداب
كانت دائما السبب الرئيسي
لتطور الامم الى المدنية الفاضلة

(الوجـــدية العاشرة)

قال الوجدان :

قصدت ذات يوم حلوان ، لأسرّي عن نفسي بعض الاشجان ، ومن هنالك امتطيت صهوة كُمَيْت يعبوب . وأخذت أجول فيما حولها من السهوب (١) كان هذا في معمعان الشتاء ، والبرد في عنفوان الفتاء ، فراقني ذلك الهواء المدفأ بأشعة الشمس ، المواتي لاهواء النفس ، فأمعنت السير غير حاسب لتقلبات الجو حسابا ، ولا متخذاً لأعاصيره أسبابا ، وبينما أنا أداول في تلك الفيافي بين الخبب والتقريب (٢) وأختبر ما بلغه فرسي من الترويض والتهذيب ، واذا بالسماء قد تلبدت بالغيوم ، والامطار قد آذنت بالهجوم ، أجمعت الرجوع على الادراج ، دافعاً حصاني الى الإهماج (٣) غير ان هاطل الغيث حال بيني وبين النظر ، فخشيت أن أرتطم في الخمر ، أو أتردى في بعض الحفر (٤) فوقفت أرتاد لي ملجأ يعصمني من المطر ، فلم أجد غير مغارة في تلك الاحناء (٥) فقصدتها على عجل ، ثم دخلتها على مهل ، فرأيتها فسيحة الجوانب ، طويلة المسارب ، فلم أر من الحكمة أن أدخل اليها ، دون أن أبلغ طرفيها ، تمادياً من أن يكون قد كمن فيها بعض الضواري ، من قطان البراري ، فسرت مستعيذاً برب الفلق ، من شر ما خلق ، فكنت كلما سرت لاحت مسارب ، وتفرعت مذاهب ، فخرت في أصبع واكني أمعنت المسير فلاحت لي عن بعد أشعة شمسية ، فملت قد انجلت لبلية ، فرجعت أدراجي ، لأمتطي هملاجي (٦) فاذا بالخال ....

.. كانت عليه ، واذا بالغار قد تسرب الماء اليه ، فعدت لما كنت قصدته من سبر غور الملجأ الذي دخلته (١) حتى اذا وصلت الى مكاني الاول ، وجدت الأشعة لم تتحول ، فعدت الى باب الغار ثانياً ، فرأيت المطر لا يزال هامياً (٢) فعجبت من هذه الحال ، التي تمثل المحال ، وآليت على نفسي أن أنتهي لمساقط تلك الانوار ، لأقف على ما وراءها من الاسرار ، فأمعنت السير مجداً وقد ألم بي الدهش جداً ، حتى قطعت نحو ميل ، في ذلك السرب الطويل (٣) فانتهيت الى فوهة رأيت منها الشمس في رائعة النهار ، ولم أجد على الارض من أثر الأمطار ، فزاد دهشي مما رأيت ، وكدت أن أرجع الى حيث أتيت ، الا اني تجلدت حباً في استطلاع الخفيات ، وخرجت الى تلك الفلوات ، فاذا أنا في موامي يضل فيها الوهم ، ويحار في تصورها الفهم (٤) وحرت بين أن أرود أنحاءها أو أؤوب ، فدفعني حب الاستطلاع على الدؤوب (٥) فما سرت فيها غير قليل ، حتى لاح لي ظل ظليل ، ونهر يشبه النيل (٦) فقصدتهما محفوزاً بوافر العجب ، وان كنت مثقلا بالرعب (٧) فلما قاربتهما تبينت غابات فيحاء . ورياضاً غناء (٨) ونهراً ثامراً من الماء الثمر تحف به أنواع الازاهير (٩) فراقني هذا المظهر الجميل ، ونويت أن أتفيأ ظلالها لأقيل (١٠) الا اني ما كدت أصل اليها ، حتى رأيت على دوحاتها من أنواع الاطيار ، ما يحير الانظار ، ويبهر الافكار ، ما بين بلابل وقماري ، وهداهد وكراكي ، وحمائم وغربان ، وطواوس وعقبان ، وما لا يحصيه الا معاجم علم الحيوان ،

(١) الصهوة ظهر الحصان . والكميت الفرس الذي خالطت حمرته سواد . واليعبوب السريع الجري . والسهوب الفلوات (٢) الخبب والتقريب نوعان من سير الفرس . الأول أن يستقيم بهاديه في جري و يراوح بين يديه والثاني أن يرفع يديه ويضعهما معاً (٣) الاهماج أقصى ما يكون من ركض الفرس (٤) الخمر ما سترك من أكمة أو شجر . وأتردى أي أقع (٥) الاحناء جمع حنو وهو الجانب (٦) يقال فرس هملاج أى سريع العدو

(١) الغور العمق (٢) هامياً أى هاطلا (٣) السرب بفتحتين الحفير تحت الارض (٤) موامي جمع موماة أو موماء الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس (٥) الدؤوب مصدر دأب على الشيء أى استمر فيه وأدمن (٦) الظليل ذو الظل يقال مكان ظليل و (ظل ظليل) أى دائم وقيل على المبالغة (٧) محفوزاً مدفوعاً (٨) فيحاء واسعة ، وغناء الروضة الكثيرة العشب تخفق الريح فيها (٩) النمير الزاكي من الماء والحسب . أى الكثير والازاهير جمع أزهار (١٠) لأقيل أى لأرتاح وقت القيلولة

وهي ذات ألوان تعجز الشاعر ، وتعيي المصور الماهر ، فقلت يالله ما أجمع هذه الا يكات لملكات الهواء ، وأين عشاق الطيور من هذه الانحاء . الا اني ما كدت أقترب من مدخلها حتى تصدت لي أسراب من النسور ، وأخرى من البُزاة والصقور ، فراعني منها انها من تَضخم الجثمان ، بحيث يستصغر بجانبها الانسان ، فلزمت مكاني وهلعت مما دهاني ، فأحاطت بي احاطة السوار بالمعصم ثم تقدم اليّ منها نسر قشعم (١) فسألني بلهجة تشف عن الكبرياء ، وتشعر بما وراءها من البلاء ، قائلا من أنت أيها الآدمي ، ومن هداك الى هذا المكان الخفي ، قلت رُحماك يا أمير النسور ، وحامي هذا المكان المعمور . اني لم أغشَّ مدينتكم لشر نويته ، ولا لكيد بيَّتّه . ثم كشفت عما جرى لي لم أكتم منه حرفا ، ولا تعمدت لحقيقته صرفا ، وختمت ذلك بقولي: هذه قصتي ألقيها اليك ، بارك الله فيك وعليك ، فدعني أعود الى حيث جئت ، ولك أن لا أبوح بهذا السر ما بقيت .

فقهقهت النسور مما قلت قهقهة استهزاء ، قائلة مني عهد من بني آدم الوفاء! ثم مازاد قائدهم على أن قال لي سر خلفي الى حيث أريد ، واياك أن تحيد ، فأطعت أمره على الرغم ، وصرت يحدوني الوجل والغم ، فاخترق بي من الغابات والايكات ، ما يعد من عجائب الموجودات ، وقد عمرت افنانها بمختلف الطيور ، وأنواع الوكور (٢) فاتخذ كل جنس منها قسما لا يشاركه فيه سواه ، ولا يحله الا اياه ، وكنت كلما مررت بطائفة منها صاحت صيحاتها العاديّة ، ورشقتني بألفاظ سخرية ، فكنت أسمع بعضها يقول : (أنعم بك من صياد ، قد هداك للفرائس هاد) وبعضها يقول : (نهنئك بالظفر والاقدام ، أيها القائد القمقام(٣) وبعضهم يصفر صفير المرح وهو يقول: (لا يغرنكم تواضعه واستخذاؤه الآن ، فانه يفكر في أن يجعل مدينتكم خبراً لكان) وبعضها يضرب بأجنحته صافرا . و يقول ساخرا : (احنوا رؤوسكم لهذا الجسور . قد فتح مدينة الطيور)

قال الوجدان فلم أزل أمشي خلف ذلك النسر الهائل ، وأنا عرضة لكل هازىء من الطيور وهازل ، حتى انتهيت الى ميدان قد أظلته الادواح . وعطرته الازهار بأريجها الفيّاح ، وفرشته الاعشاب بيساط أخضر ، وزركشته الانوار (٤) بطراز أزهر ، فخيل لي فيه اني وسط بهو من أفخم ما شيدته الصناعة ، وأحكمت ابداعه (٥) فالتفت واذا في صدره قد جَثم نسر من ضخام النسور ، كأنه في مكانه ملك وقور ، وعن يمينه و يساره عدة من أمثاله ، تمثل مجلس الحكم في جلاله ، ومن خلفهم جماهير قائمة كالجنود ، تزيد في جلال هذا المحفل المشهود ، وعلى ما يحيط بتلك الباحة من الدوحات من مختلف الطيور عدد لا يحصيه حاسب ، ولا يستقصيه كاتب ، كأنها نظارة تشهد المرافعة في قضية (١) وتترقب صدور حكم في جناية ، وقد ساد السكون ، وشخصت العيون ، فقدمني النسر حتى وقفني حيال القاضي ، وعرضني للتقاضي ، فلما وقعت عينه عليّ ، توجه بكليته اليّ . وقال :

كيف تجرأت على انتهاك حرمة هذه المدينة ، واقتحامك معاقلها الحصينة ؟ وأي دافع دفعك لازعاج أمننا ، وتكدير صفونا ؟ أما كفاكم معشر الآدميين أن توغلوا فيمن يساكنكم منا قتلا وتعذيبا ، لا تخافون حسيبا ، حتى جئتم تزعجوننا في مخابئنا ، وتقلقوننا في مآمننا ؟

قال الوجدان : فقلت أدام الله دولة مولاى القاضي ، وأنصف بعدالته المتقاضي ، انني وصلت الى هذا المكان اتفاقا ، وما قصدت لراحتكم اقلاقا

فتبسم تبسم المرتاب ، وقال يالهذا العجب العجاب ، انقضت علينا ألوف من السنين في هذا المكان ، لم يزعجنا فيه انسان ، فكيف اتفق لك ما لم يتفق لسواك ، والله لتلقين جزاء ما جنته عليك قدماك

ثم التفت عن يمينه باهتمام ، وقال ليبسط المدعي العام . وجوه الاتهام

فنهض عند ذلك بازيّ أشهب ، وهو حَنِق مُغضَب ، وأخذ يجلي التهمة عليّ قال :

هذا يامولاي القاضي واحد من الذين يزعمون ان الله خلق الارض لهم ، وجعل كل ما فيها ملكهم ، لا ليقوموا فيها بحقوق خلافته ، واعباء وكالته ، بما يقتضيه العدل الطبيعي ، والحق الالهي ، ولكن بما توحيه اليهم شهواتهم ، وتوجبه عليهم نزغاتهم ، فتراهم يستثمرون الارض لا لكفيهم المؤونة ، وتمكينهم من المعونة ، بل ليبغي بعضهم على بعض ، ويستأثر دونه بكل عَرَض (٢) فيشبع القوي حتى يتخم ، ويحرم الضعيف حتى يُعدم ، فترى في كل مدينة من مداينهم أفرادا قد استأثروا بالملايين ، واحتكروا ألوف الفدادين ، بوسائل شنيعة ، لا تسوغها شريعة ، فصرفوها في نقع غُلة شهواتهم بل صدي رعوناتهم (٣) ونرى بازائهم ملايين لا يملكون بيت ليلة ، وقد أثقلت كواهلهم العَيلة (٤) ولم يكفهم ذلك حتى امتد بغيهم على من يساكنهم الارض من صنوف الحيوانات ، وأنواع العجماوات . فأوغلوا فيها قتلا ، وأذاقوها من أنواع التعذيب ويلا ، وكان اشد أنواعها بلاء بهو الطيور ، فحبسوا بعضها في الدور ، وعرضوا البعض الآخر للذبح والتنور ، ولو كان ذلك منهم لدفع متربة أو اتقاء مسغبة (٥) لقلنا الجوع كافر ، وكان لهم منا عاذر ، ولكنهم يأتون ذلك الى الحد الذي يضر بصحتهم ، و يفضي الى هلكتهم ، ومما يزيدنا من قساوتهم عجباً ، انهم يقتلوننا لهوا ولعبا ، و يجعلون افناءنا

---

(١) قشعم أي مسن (٢) الوكور جمع وَكر وهو عش الطائر (٣) القمقام بفتح القاف الأولى وضمها السيد الكثير العطاء (٤) جمع نور وهو الزهر المسمى بالنوار (٥) البهو هو المسمى الآن بالصالون

«١» النظارة المتفرجون والجنية بوزن عطية الجناية «٢» العرض المتاع «٣» الغلة العطش ونقع الغلة ارواؤها. والصدى العطش «٤» بيت ليلة أي قوت ليلة والعيلة هي الفقر (٥) المتربة هي الفقر الذي يلحق صاحبه بالتراب. والمسغبة الجوع

السرور ومهم سببا

وقد فاق هذا المتهم بني جنسه في الظلم بشنيان مدينتنا ، والوقوف علي ملاجئنا ، ليعود فيخبر قومه بما تهدى اليه ، وعثر عليه ، فلا يمضى يوم أو بعض يوم ، حتى يتراكض الينا غواة القوم ، فيسلبونا العافية ، ولا يتركوا منا باقية(١)

وعليه فنطلب من المحكمة أن تنزل بهذا الواغل أشد العقاب، لاتقاء مايستتبعه إفلاته من التباب (٢)

قال الوجدان . فما أتم المدعى خطبته ، حتى جاشت الطيور علي الاغصان ، وصفرت لها صفير استحسان(٣) وما بقي الا أن يلفظ القاضى بالجزاء ، فأتعرض للبلاء

فقلت أيد الله دولة الطيور ، وخلد ملكها مدى الدهور ، وحاط كيانها بقادة النسور ، انى رجل ممن ينتمون للحكمة يكشفون أسرارها ، وللاخلاق يرفعون منارها ، وللانسانية يبنون آثارها ، و يزيلون عارها ، ولكم كتبت أستعطف عليكم القلوب ، وأرد اليكم حقكم المسلوب ، وان يزيدني الوقوف على مدينتكم ، الا مضياً في تأييد قضيتكم ، والدفاع عن حقيقتكم ، فان شئتم أن ...

قال الوجدان : فقطعتني عن الاتمام جلبة تصم الآذان ، أحدثها الطيور على الاغصان ، علامة على السخط والشنآن(٤) وما لبث أن قام المدعى العام فقال :

ان مايقوله المتهم ياحضرات القضاة من الخدع التي مرن هذا النوع على استخدامها ، بعد أن بلغ الغاية من إحكامها ، فهو يقسو ويلين ، ويتنمر ويستكين ويعتز ويذل ، ويكثر ويقل ، علي مقتضى الاحوال والشؤون ، وبحسب مايود أن يكون ، فان رأيتموه قد زهد حتى تبلغ بالاعشاب ، ونسك حتى لازم المحراب ، فلا تأمنوا أن تروه قد طمع حتى لاتشبعه الممالك ، وفسق حتى لاتزعه المهالك

وهذا المتهم يريد أن يوهم المحكمة بأنه امام من الائمة ، وزعيم من زعماء الحكمة ، وولي من أولياء الفضيلة ، وعدو من أعداء الرذيلة ، لكي تعطفوا عليه وتستنيموا اليه ، حتى اذا أفلت عد افلاته ضربا من ضروب المهارة . وعاد فشن عليكم الغارة

قال الوجدان : فسمعت ضجة بين الافنان ، تشعر بالاستحسان ، وظهر علي القضاة ميل للادانة ، وفاء لحق الامانة ، ولكني أظهرت الثبات ، ولم أنثن أمام هذا الإعنات ، فقلت :

من الجور أن يعم هذا الوصف الشائن ، نوعاً فضله الخالق علي كل كائن ، وخصه بجميع المحاسن . أجل ! أنا لا أنكر ان فينا أفراداً بل طوائف ألفوا العصيان والدعارة ، وعدوا الأحابيل مهارة ، واتخذوا الشرور تجارة ، ولكن ذلك لايقدح في ان منا المصطفين الاخيار ، والصالحين الابرار ، والعاملين علي احياء معالم العدل ، ورفع منار الحق والفضل ، فهل تسمحون لأنفسكم وأنتم تنشدون الانصاف وتكرهون الاجحاف . ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ؟

قال الوجدان : فنهض المدعي العام وقد احمرت عيناه ، وضاع نهاه «١» وقال :

ياحضرات القضاة العدول ، والجهابذة الفحول ، اياكم والانخداع لهذا المين المزوق ، والباطل المنمق «٢» فان هذا النوع شديد المحال ، كثير الاحتيال ، فلا يكبرن شرتكم بنفثاته ، ولا يسحرنكم بترهاته . فعجلوا عليه العقاب ، وفقتم للصواب

قال الوجدان : فنظر القاضي لمن حوله من العقبان . وقال : لقد بدا من أمر هذا الآدمي مايوجب المظنات ، وليس في عدلكم سعة للأخذ بالشبهات ، فهل تقبلون أن أنزله على حكمي ، وأبوء دونكم بأثمي ؟

قالوا قبلنا ماتقول راضين ، لا زلت فينا من الموفقين

قال الوجدان : فسرعان ما انشر جناحين ، كشراعي سفينتين وتقدم الي فحملني بمخلبه وطار ، فأيقنت بالبوار ، فصحت به رحماك ، وأنا أصبح معه في السكاك «٣» فضحك مغربا ، ثم قال متعجباً ، كشد ما أضر بك الجولان ، ياوجدان ؟

قلت : أما وقد عرفتني ياأمير العقبان ، فلا أيأس من الأمان

قال لابأس عليك الآن ، وسأحملك الي ضاحية حلوان

قلت وما أدراك باسمي أيها الطائر الكريم ، بل الحاكم الحكيم ؟

قال ما أشد مابلغ منك حب التنقيب ، وطوح بك الى كل أمر مريب

قال الوجدان : فسكت خجلا ، وان كنت أود أن يجيبني عجلا ، وما هي الا دقيقتان ، حتى بلغ بي ضاحية حلوان ، وقال هذا حصانك فاذهب بأمان

قلت : شكراً لك على مامننت ، وثناء علي ماتفضلت ، فأنشدك الله ما أنت ؟

قال ألست كما ترى عقابا من العقبان ؟ قلت أيبلغ العقبان هذا الحجم ؟ ويكون لهم مثل مالك من الفهم ؟

قال ألا يجوز أن تكون في منام ، وان ماتراه حلم من الاحلام ؟

قلت : كيف يكون ذلك وأنا حاصل علي كل الشعور ، ومميز بين

(١) العافية الصحة التامة (٢) الواغل هو الذي يغشى القوم بغير اذن (٣) التباب الهلاك . وجاشت اضطربت «٤» الشنآن العداوة

(١) النهى جمع نهية أى العقل (٢) المين بوزن العين الكذب (٣) السكاك هو الهواء الملاقى السحاب

الظلام والنور

قال أتستطيع أن تثبت لي انك يقظان ، وان ماأرأيتـه وتراه صـحيح ببرهان ؟

قلت : اليقظان يرى الأمور جلية، ويحس بترابطها وتسلسلها على حال طبيعية ، ولـكن النائم يرى مرائى غير مترابطة ؟ فهو كخابط ليل ، يمـر من غور الى نجد ومن نجد الى غور على غير نظام ، ولا سبق المام(١)

فضحك العقاب مغربا . ثم قال مداعباً : وما دليلك الحسى على انك لست تقرر ماتقول وأنت نائم ، وعلي ان لا فارق بين مرائى اليقظان وحلم الحـالم ؟

قال الوجدان : فصحت به رُحماك رُحماك ، لقد جعلتني فى ارتيابـ ، فأى دليل حسي أستطيع أن أقدمه ، وآمن أن لا تهدمه ؟

فقهقه العُقاب مليـاً ، ثم انتفض فصار بشراً سويا ، فمـا كدت أن أتعرفه حتي انتفض ثانية فصار بلبلا ياقوتيا ، فتأملته فاذا هو والله أستاذي الحكيم ابن مرشد ، فقلت هو أنت ، شكراً لك عـلي مافعلت ، فلولاك لهلكت ،

ثم قلت هل لك في مزاملتي بقيـة نهاري ، لأطفيء بحكمتك ناري ، وأخفف آصـاري ؟

قال لقد تركت قومي ينتظرون أوبتي ، ليقفوا عـلي حكومتي (٢) ثم ودعني متحفزاً للطيران ، مولا عـلي الرجعى الأوطان ، فقلت ان كان ولا بد فواحدة ؟

قال ماهيه ؟

قلت أن تثبت لي انى لست بنائم ، وان مارأيته ليس بحلم حالم

قال انتظر حتي تفيق من نفسك ، وترجع الى حسك ، ثم مرق مروق السهم ، واندمج بسائق الوهم ، فركبت حصانى وقد أنضاه السغب ، وعدت مزوداً بالعجب

الوجديات

ثمن العدد الواحد خمسة مليات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهى تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩
(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « السعادة بدرب الجماميز
(٥) « الأهلية « «
(٦) « المليجى بالسكة الجديدة
(٧) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي (٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سارة
(٣) المكتبة المليجية بشارع الشمرلي
(٤) حضرة آدم افنـدي كومي ببنى سـويـف
(٥) محمود افندى أحمد مراسل الأمة بالمنيا
(٦) عبد الحميد افندي حسين بمعمل سالم وخليفه بالمنصورة

دائرة معارف القرن العشرين

هي دائرة معارف كاملة فيها كل مايسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم علي اختلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل مايهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد على حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة فى عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشا ومجلدة ٦٤٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا فى أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ فى كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

فمن شاء أن نرسل اليه كل شهر خمسة منها حولناها اليه بثمانية وعشرين قرشاً ومن شاء عشرة أجزاء حولناها بثلاثة وخمسين قرشاً ونوالى الارسال اليه شهريا حتي يستكمل جميع مجلداتها

«١» الغور الارض المنخفضة والنجد الارض المرتفعة

«٢» حكومتي أي حكمي

حل مسئلة الموت

(الموت وغامضته)

للعلامة الأشهر (كاميل فلامريون) الفلكي

الفيلسوف الفرنسي

المؤلف الذي نحن بصدده للأستاذ كاميل فلامريون يقع في أكثر من ١٢٠٠ صفحة موزعة بين ثلاثة مجلدات لو ترجمت كلها الى العربية يصعب أن يوجد لها قراء فرأينا أن نلخصها حتي يسعها نحو أربع مئة صفحة ولكننا لانتبع في هذا التلخيص السنة المعروفة من قراءة كل فصل واعطاء فذلكة عنه ، فاننا نعتبر مثل هذا الاسلوب مسخا لا تلخيصاً ، فأسلوبنا هو أن نغفل من الترجمة صحفاً منه برمتها لايخل حذفها بجوهر الكتاب وسننبه الي الصحف التي نحذفها وأما مانختاره منه فسنترجمه ترجمة حرفية منزهة عن كل تصرّف حتي يكون رأي المؤلف ممثلا تمثيلا كاملا

مثال ذلك اننا الآن أمام مقدمته وهي تقع في ٣١ صفحة كتبها الفيلسوف بتوسع لقراء لايسأمون المطالعة . ولكنا نخشى أن يستطيلها قراؤنا لذلك عولنا على أن نترجم لهم منها الصفحة الأخيرة منها فهي ملخص كل ماتقدم منها

فاذا وصلنا الى لب الكتاب وجدنا المؤلف يستشهد علي مايقوله بحوادث ومشاهدات كثيرة ، أما نحن فسنكتفي بحادثة أو حادثتين فقط من كل نوع . وهذه السنة متبعة في أوروبا في تلخيص الكتب الضخمة .

فلنبدأ فيما تصدينا له والله المستعان :

قال العلامة كاميل فلامريون في مقدمة كتابه صفحة ٣٠

« ان موضوع هذا الكتاب محدد بالغرض من وضعه وهو : تحقيق البراهين الحسية علي البقاء بعد الموت . فلن يجد فيه القراء لا مباحثات أدبية ، ولا عبارات جميلة شعريه ، ولا نظريات تختلف في قوة تأثيرها على الأذهان ، ولا افتراضات علمية ، ولكنهم سيجدون حوادث مرئية فقط مقرونة بنتائجها المنطقية

« هل سنموت موتاً نهائياً ؟ هذه هي المسئلة . وأي شيء سيخلد منا؟ ان قيل ان خلودنا قائم بتعاقب أخلافنا ، وبما تتركه وراءنا من أعمالنا ، وبما نحليه للانسانية من الرقي بجهودنا ، فهذا يعتبر مزاحاً محضاً . لأننا ان متنا موتا نهائياً فلن نشعر بشيء من خدماتنا الباقية بعدنا ، وستتأدى الارض ومن عليها الى اللاشي . إذن فكل شيء فان

« لأجل معرفة ما اذا كانت الروح تبقي بعد الجسد يجب أولا معرفة ما اذا كانت هذه الروح ذاتها موجودة مستقلة عن هذا التركيب المادي . علينا اذن أن نؤسس القول بوجودها علي قواعد علمية من المشاهدات الحسية ، لا على العبارات الخلابة أو على الأدلة الكونية التي اكتفت بها العلوم الكلامية في كل زمان الى هذه الايام . وقبل كل هذا يجب علينا أن نتحقق من نقص النظريات الفزيولوجية المسلم بها تسليما عاماً والتي تدرس على حالة رسمية

{ المادة }

مذهب ضال ناقص (١)

« لنحذر خدع الظواهر »
(كوبرنيك)

ليس في الناس من يجهل (الفلسفة الوضعية) لأوجوست كونت وأصالة ترتيبه للعلوم متنزلا تدريجياً من الكون للانسان ومن علم الفلك الى علم الحياة (البيولوجيا) . وليس في الناس من يجهل أيضاً (ليتريه) خليفة اجوست كونت ، فان قاموسه ماثل في جميع المكتبات ؛ ومؤلفاته منتشرة في كل مكان . وقد عرفت شخصه ، واقول انه كان عالي القيمة ، عالماً ، من مؤلفي دائرة معارف القرن الثامن عشر ومفكراً بعيد الغور ، ولكنه كان ماديا ملحداً عن اقتناع ، ومخلصاً للدرجة القصوى . وكانت سيماه لاتناسب جمال روحه . وكان ممن يصعب علي الناظر اليه أن لايفكر في أصلنا القردي . ومع هذا فقد كان عقله في أعلي درجات الأصالة ، ونفسه نادرة في الكرامة . وكان لايبعد عن مرصدي كثيراً ، وكانت امرأته تقية جداً . فكان يوصلها كل أحد للصلاة بكنيسة سان سولبيس مسوقاً بطيب قلبه ووفائه ولكنه ما كان يدخل معها اليها . والاستاذ (لوداتك) الذي خلفه وهو ملحد ومادي مثله مر بالكنيسة في جنازته مراعاة لشعور امرأته وهي أيضاً متدينة تقية ولكنهم يأسفون لحالتها هذه اذ يحبون أن يروا النساء مشايعات لآراء أزواجهن وقد كان أستاذ الاستاذ هذا طيب القلب جداً كسلفه . وهذا كله مخالف للرأي العام . وكان علي هذه الشاكلة (جول سوري) ، هذا (الملتهم القسوس) وقد دفنه هؤلاء بعد أن صلوا عليه صلواتهم المقررة . فما أبعد المنطق عن هذا العالم . ولكن المذاهب لاتتحكم دائماً في سير أصحابها ، فقد يكون الانسان كاثوليكياً عاملا بدينه ولا يمنعه ذلك من أن يكون كاذبا في حديثه وعاديا علي حقوق أخيه . ويمكن أن يكون ماديا وهو مع ذلك شريف للغاية . وقد عرفت أيضاً ارنست رينان العظيم يرفض الوظيفة الكهنوتية

(١) هذا الفصل مستوعب من الأصل ٢٣ صفحة ترجمناه كله لم نسقط منه حرفا

التي كانت تؤديه اليها مباحثه اللاهوتية مسوقا بإخلاصه الأصيل وبحبه للتنزه من كل رياء

هذه العقول العالية يجب أن يحترموا في اقتناعاتهم المخلصة كما كانوا يحترمون اقتناعات غيرهم ، ولكن يمكننا مناقشة آرائهم وهم لايدعون انهم معصومون عن الخطأ

وقد اشتغل ليتريه بالمسائل النفسية التى عولنا على بحثها هنا ، فنستطيع أن نعتمد علي براهينه كاعتمادنا علي براهين (تين) نديده باعتبار انها قواعد الحجج المادية الراهنة . فلا نخش أن نكافهم وجهاً لوجه وأن نقبض علي الثور من قرنيه

عقد (ليتريه) فصلا في كتابه (العلم من الوجهة الفلسفية) على الفيزيولوجية النفسية صرح فيه بما يأتي:

« يحتمل أن تظهر عبارة (الفيزيولوجية النفسية) مضادة للعرف ، وكان يكفيني استعمال كلمة (بسيكولوجيا) المستعملة للدلالة على الخصائص العقلية والخلقية . وأنا نفسى قد كتبت هذه الكلمة غير مرة بسبب استعمالها العام متي كان نص الكلام لايستوجب غموضاً ، وسأستمر على استعمال هذه الكلمة. نعم ان كلمة بسيشيك التى تركبها مشابهة لمذهب علم اللاهوت وعلم مابعد الطبيعة ولكن يمكن أيضاً جعلها مشابهة لعلم الفزيولوجيا باعطائها المعنى الجلي للخصائص العقلية والخلقية . فإن هذه العبارة الاخيره من الطول والتعقد بحيث يجب ابدالها فى أحوال كثيرة بعبارة أخرى أخصر منها

« ومع هذا فبما انه من المحقق ان البسكولوجيا وضعت في الأصل ولا تزال مستعملة للدلالة على درس العقل باعتباره مستقلا عن المادة العصبية فلا أرد ولا يجوز لي أن أستعمل عبارة خاصة بفلسفة مخالفة كل المخالفة للفلسفة التى استعارت اسمها من العلوم الحسية . فهناك ، أى في العلوم الحسية ، لايعترف بأى خاصة مجردة عن المادة ، لا لأننا نسلم بدون دليل بأنه لايوجد أصل روحانى مستقل ، ولكن لأننا لم نصادف بالتجربة القوة الجاذبة بدون جسم ثقيل ، ولا الحرارة بدون جسم حار ، ولا الكهرباء بدون جسم كهربائى ، ولا الألفة الكيماوية بدون مواد قابلة للاتحاد ، ولا الحياة والحس والفكر بدون كائن حى وحساس ومفكر

« وقد ظهر لى من الضروري أن تكون كلمة فيزيولوجية ماثلة في عنوان هذا المؤلف . وقد كنت أستطيع أن أستعمل له عبارة الفزيولوجيا المخية ، ولكن الفيزيولوجيا المخية تستدعي من المباحث مالم أعول على الاتيان به هنا

« المخ أعمال متنوعة لا أتصدى لها هنا مكتفياً بالقسط الذي له من التأثير في انتاج الشعور بالعالم الخارجي وبالذات

« لهذا عولت على اختيار عبارة فيزيولوجى سيشيك (أى الفيز يولوجية النفسية) أو (بسيكو فيزيولوجى) اذا أردنا الاختصار . فكلمة بسيشيك معناها خاص بالعواطف والافكار ، وفيزيولوجى معناها تكوين وتأليف هذه العواطف وهذه الافكار بالتناسب مع التركيب الجسماني والوظيفة المخية . وليس هذا مني طموحا الى ادخال عبارة جديدة الي العلم بل كل ما أريده هنا هو حصر موضوعي بوضوح ، ومن جهة أخرى أريد أن أطبع في ذهن القارىء ان وصف الظواهر النفسية في تسلسلها وتعلق بعضها ببعض هى من المسائل الفيزيولوجية المحضة وموضوع دراسة وظيفة الاعصاب وآثارها فعلى قدر تقدم البسيكولوجيا وعلى الأقل التابعة لمذهب (لوك) المنافية للآراء الغريزية تقرب من الفيزيولوجيا . وعلى قدر تحقق الفيزيولوجيا من سعة سلطانها يقل خوفها من لعنات البسكولوجيا التى كانت تحرمها من النظرات العلمية العالية . واليوم لا يمكن الشك في ان الظواهر العقلية والخلقية هي من الحوادث الخاصة بالنسيج العصبى ، وان الحالة الانسانية ليست الاحلقة ، بل أعظم حلقة في الواقع ، من سلسلة ممتدة ليس لها حد مقطوع الي آخر درجة من الحيوان وانه بأى عنوان يبتدىء الانسان على شرط أن يستخدم الاسلوب الوضعي والمشاهدة والتجربة يكون عاملا فى مجال الفيزيولوجيا لم يخرج عنه . وأنا لا أتصور فيزيولوجية لاتشتغل منها نظريات العواطف والافكار بكل مافيها من السمو محلا عظيما منها » من كتاب ليتريه العلم من الوجهة الفلسفية صفحة ٣٠٦ المطبوع سنة ١٨٧٣)

(مناقشة كاميل فلامريون لليتريه)

قال كاميل فلامريون بعد نقله هذه القطعة :

« هذه هى قاعدة المذهب المادي فى الروح . وأنا أدعو القارىء أن يزن بدقة هذا النوع من التعقل

قالوا : لايجوز لنا أن نسلم بوجود الروح « لأننا لانعرف أى خاصة بدون مادة ، ولأننا لم نصادف الجاذبة بدون جسم ثقيل ولا الحرارة بدون جسم حار ولا الكهرباء بدون جسم كهربائى ولا الألفة الكيماوية بدون مواد قابلة للاتحاد ولا الحياة والحس والفكر بدون كائن حي حساس مفكر ... »

والحال ان هذا التدليل معيب لابتنائه علي التسليم بأمر يحتاج هو نفسه الي دليل يثبته ، وذلك الأمر هو كلمة (الخاصة)

وتشبيه الفكر بالجاذبة وبالحرارة وبالآثار الآلية ، الطبيعية والكيماوية للاجسام المادية ، فيه تسوية بين شيئين مختلفين جداً لا تزال مسئلتهما معلقة وهما الروح والمادة

فارادة الكائن الانساني ، ولتكن ارادة الطفل ، هي شخصية شاعرة ، ولكن الجاذبة والحرارة والضوء والكهرباء فهي غير شخصية ولا شاعرة ، ثم هي آثار بعض الحالات المادية ، ضرورية عمياء ، وهي نفسها مادية محض.

فالخلاف شاسع بين ركني هذا التشبيه كما بين الليل والنهار

فهذا التدليل العلمى نفسه فاسد من أصله . فالحرارة مثلا لاتأتي دائما

من جسم حار، والحركة التي ليس فيها أدنى حرارة يمكن أن ينتج منها حرارة والحرارة نفسها شكل من أشكال الحركة. والنور نفسه شكل من أشكال الحركة. وطبيعة الكهرباء لا تزل مجهولة

واني لأعترف بأني لا أفهم ان رجلا في قيمة (ليتريه) زعيم المذهب الوضعي يكتفي بمثل هذا التعلل ولا يتنبه الي انه دائر حول التسليم بأصل هو نفسه يحتاج للدليل أو حول لعب بالالفاظ. لأن هذا التدليل معتمد على كله (الخاصة) والذي كان يجب اثباته بالحس أولا هو ان الفكر خاصة من خواص المادة العصبية، وان الشيء غير الشاعر يمكنه أن ينتج الشيء الشاعر، مما هو في الأصل متناقض

ان الانسان يتجاسر بصعوبة على تشبيه قطعة من الخشب بقطعة من الرخام أو بقطعة من المعدن، ولكنهم لايجدون بأساً من تشبيه الروح والعقل والفكر وعاطفة الحرية والعدالة والرحمة والارادة بوظيفة من وظائف المادة العضوية. قال (تين) Taine يؤكد بأن المخ يفرز الفكر كما يفرز الكبد الصفراء ألا يظهر من هذا ان محل التعقل لدى هذه العقول قد غُشي مقدماً بعماية لاتقل عن عماية اللاهوتيين؟ أليس فيه دلالة على ان هؤلاء العلماء كانوا منقادين لفكرة ليس لها دليل ولااقتناع مذهبي محض؟

يهمنا ونحن في بداءة هذه المناقشة أن لانعتمد على الكلمات الفارغة. فما هي المادة؟ هي في العرف العام ماندركه بحواسنا أي هي مايُرى وما يُلمس وما يوزن. نسلم بذلك. والصحف الآتية ستثبت ان في الانسان عنصراً مستقلا عن الحواس المادية، أي أصلا عقلياً شخصياً يفكر ويريد ويعمل ويظهر بعيداً عن جسده ويرى بغير العينين ويسمع بغير الأذنين ويكشف المستقبل الذي لم يوجد بعد ويبين أشياء مجهولة. فافتراض ان هذا العنصر النفساني الذي لا يُرى ولا يُلمس ولا يوزن خاصة من خواص المخ قول بلا دليل وتعقل متناقض، كما لو قيل ان ملحاً يستطيع أن ينتج سكراً وان السمك يمكنه أن يكون من سكان الأرض القارة

الذي نريد أن نبينه هنا هو ان المشاهدة الحسية نفسها (وليس لنا أسلوب غير أسلوب ليتريه وتين ولودانتك وأئمة المادية ونحن نرفض المذاهب البيزانتية في الاعتماد على الالفاظ فانها من الهذيانات) قلنا الذي نريد أن نبينه هنا هو ان المشاهدة العلمية والتجربة تثبت ان الكائن الانساني ليس بجسد مادي بحت متمتع بخصائص متنوعة ولكنه كائن نفساني أيضاً متمتع بخصائص تخالف خصائص الجسم الحيواني

كيف استطاعت عقول عالية من أمثال كونت وليتريه وبرتلو أن تتصور ان الموجود الحقيقي لايخرج عن دائرة تأثير مشاعرنا وهي الآلات البعيدة المدى في القصور والنقص؟ ان السمكة لتستطيع أن تعتقد بأنه لايوجد شيء خارج الماء. والكلب لن تتصدى لترتيب المعارف الكلية لايرتبها استناداً على النظر كالانسان ولكن اعتماداً على الشم. والحمائم السابحة تعول على الحاسة التي تهديها في سيرها، والنملة على حاسة عصبية المقدم الخ

الروح متسلطة على الجسد. فقواته ليست بقائدة ولكنها منقادة.

وهذا النظر العقلي نفسه ينطبق على الكون برمته وعلى العوالم الدائرة في الفضاء وعلى النباتات والحيوانات. فالورقة من الشجرة متمتعة بأعضاء ذات وظائف. والبيضة التي تفقس ممتعة بأعضاء كذلك. وهذا الابتداع يعتبر من الأمور العقلية

فالعقل العام ظاهر في كل شيء ومالئ الوجود، وهو كذلك بدون مخ. ومن المستحيل أن يحلل الانسان آلات العين والإبصار والاذن والسمع بدون أن يستنتج ان عضو البصر وعضو السمع مصنوعان بعقل. وهذا الاستنتاج يكون أكثر وضوحا اذا حللت مسألة تلقيح زهرة وحيوان وانسان. وتطوّر البيضة النسوية الملقحة ووظيفة المشيمة (الخلاص) وحياة الجرثومة والجنين، وتكوين هذا الكائن الصغير في بطن أمه والاستحالة العضوية للمرأة وتكوّن اللبن في ثديها وميلاد الطفل والارضاع وتطور الطفل جسدياً ونفسياً، كل هذه الأمور مظاهر لا تنقض لقوة مدبرة عاقلة ترتب كل شيء وتقود أصغر الجواهر المادية بمثل النظام الذي تقود به الكرات الكوكبية أو النجمية في هذه اللانهاية السماوية. وهذا العقل لم يتولد من مخ. ولقد قيل بحق انه اذا كان الله قد خلق الانسان على صورته فقد قابله الانسان على ذلك بمثله. واذا كانت الخنفساء تتخيل خالقا لم تتخيله الا خنفساء كبيرة. ولكن الإله الانساني الذي تخيله اليهود والنصارى والمسلمون والبوذيون لم يوجد قط. وعبارات الاله الآب وجبروته وجوبيتير ليست الا كلمات رمزية

فاذا كانت الذرية الآدمية مخلوقة في أحسن تقويم من الوجهة الفيزيولوجية فهى لاتزال بعيدة عن الكمال فيما يختص بآلام الأمومة. فلِمَ كانت هذه الآلام؟ وما حكمة الأوجاع القاسية التي تلازم نهاية الانسان؟ تراها الكنيسة عقوبة على خطيئة حواء. فيالمزاح؟ فهل وُجد آدم وحواء؟ ألا تتألم إناث الحيوانات؟

اننا نرى الطبيعة لاتأبه بالأدوار المؤلمة للمرأة ولا بالشدائد الملازمة للخروج مايخرج منها. فالطبيعة هنا مجردة حقيقة من الرحمة. ويلزم منه أن يكون الله الرحيم ليس برحيم نحو مخلوقاته، بل ليس له مثل عواطفنا الانسانية، ويكون العذارى المرهبات المنقطعات لتخفيف ويلات الانسان أفضل منه. هذه مسألة خطيرة الشأن رغماً عن ثقتنا في وجود العقل المدبر في الطبيعة.

اننا لم نفهم ماهو الله. هذا أمر من الوضوح بمكان، وماذا يثبت هذا؟

الجزء منا ؟ يثبت انحطاطنا الروحاني

أما من جهة وجود العقل المدبر والفهم والنظام العقلي في كل شيء فهذا أمر لا يمكن نكرانه . والعلم التجريبي يقف في الطريق اذا قرر أن جميع الحوادث الكونية تستحيل في نهاية تحليلها الى المذهب الثنوي المادة والحركة أو الي التوحيد الطبيعي المادة وخواصها . والتاريخ الطبيعي وعلم النباتات والفيزيولوجيا الحيوانيــة والانتروبولوجيا (علم التاريخ الطبيعي للانسان) تكشف للمشاهد عن عنصر متميز عن المــادة والحــركة هو الحياة . ألم يبين لنا (كلود برنار) الفزيولوجي ان الحياة ليست نتيجة الذوات المادية ؟

وزيادة على هذا فان الوجود ينكشف لنا على حالة حــركة محضة ، لأن الحركة ملازمة للذوات أنفسها وهذه الحركة ليست من العلم المــادي لوجود النظام في الــكل من كائنات وأشياء

«البقية بعد»

متفرقات وفوائد شتى

مؤتمر جديد للمباحث النفسية (في الدانمارك)

المطلع علي الحركة العقلية في أوربا يجدها متجهة نحو المباحث النفسية بقوة اندفاع لا يمكن مقاومتها . ففي كل أمة وكل مدينة تؤسس مجامع علمية لبحثها ومجلات لنشر تجاربها . هذا فضلا عما ينشر منها في المجلات العلمية والجرائد الــكبرى كالمجلة العالمية الفرنسية والديسباتش الانجليزية والتيمس والطان والماتان وغيرها حتى ان جريدة السيكولو الايطالية اليومية المشهورة خصصت شهرين من أشهرها كل يوم لنشر أخبار المباحث النفسية

واليوم قرأنا في المجلة الروحية الفرنسية التي تنشر في فرنسا منذ سنة ٨٥٨ أي منذ ٦٤ سنة خبراً عن الدانمارك نود أن ننقله برمته عنها وهو بصفحة ١٨٥ من جزئها الصادر في شهر يونيو من السنة الراهنة قالت :

« ان جمعية المباحث النفسية في كوبانهاج التي يربو عدد أعضائها علي ثلاثة آلاف قد دعت بكتب خاصة شخصية المهتمين بالمباحث النفسية من عدة ممالك لحضور مؤتمر سيقام للمباحث النفسية بكوبانهاج من ٢٦ أغسطس الي ٢ سبتمبر المقبلين

« واليك عبارة الدعوة التي أرسلتها لجنة المؤتمر موقعاً عليها من خمسة عشر عضواً جليلا كثير منهم أعضاء في المجمع العلمي الملكي الدانمركي ومنهم أساتذة ودكاترة في العلوم والآداب والطب ومهندسون الخ : « واليك نص الدعوة » :

« يشتد اهتمام الناس منذ عدة سنين بالحوادث الخاصة بمجال المباحث النفسية . ولا سبيل الي الشك في قيمة وخطورة هذه المباحث . فمما يجب أن يوضع في المكان الأول من الاعتبار هو مكانتها من الوجهة العلمية . فايضاح طبيعة هذه الحوادث المزعومة ، فاذا تقررت فلا مشاحة في ان آثار هــذه الحوادث ستؤثر أكبر تأثير علي الآراء العامة للانسانية وعلي النتائج النظرية والعملية المتعلقة بها

« وبما ان هذه الحوادث لم تــكن قط موضوعاً لمباحث علمية منزهة عن الاغراض ، بما ان نفعها لا يمكن النزاع فيه وهي مع ذلك عرضة لأن تختلط بالصوفية الغامضة والأوهام الغليظة والمادية الساذجة ، فقد رأينا نحن الموقعين على هذا ان من فائدة هذه القضية أن يجتمع رجال من ذوي الجدارة والاختصاص من بلاد عــديدة وآراء متضاربة لمناقشة وامتحان أساليب بحثها والنتائج التي تبتني عليها . ونعتقد ان مثل هذا الاجتماع يكفى مؤونة بذل جهود كبيرة لا محل لها ، لأنه سيكون من ورائه الانتفاع بالتجارب التي عملت سابقاً وانتشارها . ونرى كذلك ان عرض النظريات والاصول الخاصة بالادراك الجلي للكون الذي تعتبر هذه الحوادث النفسية جزءاً منه من قبل الطبيعيين والبسيكولوجيين والمفكرين يمكن أن يهدي هذه المباحث الي أقوم الطرق ويبعد عنها الارتباك والتهويش » انتهت الدعوة

ثم عقبت المجلة الروحية عليها بما يأتي فقالت :

« نحن مع نشرنا هذه الدعوة نرى ان من واجبنا لفت نظر كتابها انها أخطأت في زعمها ان الحوادث النفسية لم تــكن موضوعا لمباحث علمية نزيهة . ولاجل التحقق من انها تعدت هــذه المباحث يكفي الانسان أن يذكر التجارب التي عملتها الجمعية الجدلية بلوندرة والتجارب التي عملها بعد ذلك العلامــة وليم كروكس والاستاذ كراوفورد والتجــارب التي يديرها الدكتور جوستاف جوليه بمساعدة الاستاذ شارل ريشيه وهي التجارب الجارية في الوقت الراهن في المجمع العلمي الدولي للمباحث النفسية بباريز وهي قد اعتبرت رسمياً من المنافع العمومية » انتهى

(صفوة العرفان في تفسير القرآن)

هو مصحف مكتوب بخط اليد على ورق نباتي صقيل في أسفل كــل صفحة تفسيرها وقد راعينا فيه تفهيم معــاني الــكتاب الكريم لمن لا يتسع وقته لمراجعــة المطولات وقد عنينا باللغــة فاحسنا شرحها وبأسبــاب نزول الآيات وأتينا عليها من مصادرها . فهذا الــكتاب يصلح أن يكون مصحفا للتلاوة وتفسيراً في آن واحد . ثمنه غير مجلد ٤٠ قرشاً ومجلداً ٥٠ قرشا

(العدد ١١ — في ١٥ يوليه سنة ١٩٢١)

الوجدانيات

هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير شيق ... للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لها . وقد اخترنا هذا الأسلوب ...



الوجدانيات

(الوجـــدية الحادية عشر)

قال الوجـدان :

قصدت مدينة الفيوم ، وقد ساورتني الهموم(١) رجاء أن أسرّى عن نفسي بعض كروبها ، برياضة أمتع في ضروبها ، وأجيل الجسم على ركوبها (٢) فوصلتها بكرة يوم رق هواؤه ، وصفت سماؤه ، فأخذت أجول فيما اشتهر عن غياضها ، وطاب ثمره من رياضها(٣) ، فلم تزدني تلك المناظر الشائقة ، والمظاهر الرائقـة ، الا انقباضا على انقباض ، وامتعاضاً عـلي امتعاض ، فقلت في نفسي ياسبحان الله ، ماذا عسى أن يخلصني من مزعجات الهواجس ، آنق من هذه النفائس ؟ ثم عدت فقلت ان لله في هذا الأمر لحكمة ، سأجد منها هذه الغمة ، فخرجت أطلب الصحراء ، مستعيضاً عن الرياض الخلاء ، فما سرت غير ميلين ، حتي لاح لي شبحا انسانين ، فقصدتهما فاذا بأحدهما اعرابي قد جلله المشيب ، وثانيهما غلام عليه برد قشيب (٤) فسلمت عليهما ، وجلست قريباً منهما ، فبعد أن أحسنا رد السلام ، سمعت الشيخ يقول للغـلام :

« أى بني ان من أصول المدنيـة ، التي نحن أئمتها على ظهر الـكرة الارضية ، وحفظة أسرارها من دون البرية ، أن تتفق سريرتك وعلانيتك ، وتتحد معارفك وسيرتك ، فلا يتناقض فيك خاطر وعمـل ، ولا ينعاكس منك مجهود وأمل ، فان حدث لك شيء من هذا المحذور ، وخشيت أن تختلط أمامك الأمور ، فحكم العقل فيما شجر من هذا الخـلاف ، وأعط العلم قسطه من الاشراف ، فما حكم به العقل وأقره العلم فامضه ولو خالف هواك ، وباين مشتهاك ، غير ناظر لما قيل أو يقال ، ولا آبه بما يموهه الخيال ، ويغرر به الجهال ، فان العقل أهدى هاد للانسان ، والعلم أقوم سبيل للاحسان . فان تنكبت هـذه الخطة هجم بك الهوي على الضلالات ، وخبط بك في متاته العمايات ، ودفعك من مضطَرَب فتنة ، الي مزدلف محنة ، وجـذبك من مفازة غيّ ، الي هاوية بغي ، وما زال بك حتي يفقدك مزية وجودك ، فتصبح و بينك وبين أحكام عقلك حوائل ، ودونك ودون مقتضيات علمك غوائل . فتجدك مضطرا للسير علي غير هدى ، مدفوعاً لما تعتقد انه سدى ، أو فيه ردى ، ولا تزال كذلك حتي ينتهي وجودك وأنت لا بعقلك اهتديت ، ولا بعلمك اقتديت ، أحط من الحيوان في غفلته ، وأدنى من الجماد في رتبته ، آسفاً علي حيـاة أمضيتها حائراً ، وجهاد طويل خرجت منه خاسراً

« نحن حفَظَـةَ المدنية الانسانية ، والحاملين لأمانتها العلية ، لايجدر بنا أن نكون من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »

قال الوجدان : طرقت سمعي كلمة المدنية ، وتأملت في الذي يزعم انه من أئمتها دون البرية ، فأكبرت هذه المزاعم من أحد أعراب البرّية ، ليس عليه شيء من دلائلها الصورية ، فهو مشتمل برداء ، وملتحف بكساء وعلى رأسه عمامة لطيفة ، وبيده مخصرة خفيفة، وفي رجليه نعلان صفيقان، علي نحو نعال العربان ، وهذه الهيئة لاتشف عن علم ولا صناعـة ، ولا تجارة ولا زراعة ، فأى مدنية يعتبر نفسه من حفظها ، وأية علوم يعد قومه من أئمتها ؟ فحملني حب الاطلاع على مخاطبته ، للوقوف علي حقيقته

فقلت له : ماذا تقصد أيها الشيخ بقولك المدنية ، في نصيحتك الابوية ، لعلك تريد بها الأخـلاق الملطفة ، والآداب المهذّبة ، تفرقة بينها وبين خشونة البدويّة ، وجشوبة الحياة الخلوية(١)

فهز رأسه متبسما ، ثم قال متجهما(٢)

« أريد من كلمة المدنية أكملَ مايسعه معناها ، وأتم مايشمله مغزاها »

فقلت له بلهجة تشف عن الاعتراض ، وتنم عن الامتعاض :

(١) ساورتني هاجمتني (٢) ضروبها أنواعها (٣) غياضها جمع غيضة وهي مجتمع الشجر فى مغيض ماء (٤) القشيب الجديد

(١) الجشوبة الخشونة (٢) متجهماً أي ناظر الوجه عبوس

أنها تسع العلوم الانسانية ، على ماوصلت اليه في الأيام الحاليّة ، والصناعات اليدوية ، على أكمل أحوالها العصرية ، فهي ذلك الحدث الفخم ، والابداع الضخم ، الذي تمثل في أكمل الصور ، لأهل القرن التاسع عشر ، ثم بلغ عليين ، في القرن العشرين ، فهل أنتم من ذلك على شيء ؟

قال الوجدان : فشعر مخاطبي بأني أنكر عليه ذلك لسذاجة ثيابه ، أو تعمقه في إعرابه ، فنظر اليّ نظرة استخفاف ، وقال ياضيعة الانصاف ، أتظن ياهذا ان المدنية وقف على من لبس السراويل المضيقة ، والمعاطف المزوقة ، وأحاط عنقه بالاقمشة المنشاة ، ودلى على صدره الأربطة المغشاة ، وحلى أصبعه بخاتم براق ، وأحاط خصره بنطاق لايطاق ؟

ان ظننت هذا فقد ركبت الشطط ، ومُنيت بالغلط ، ووقفت مع الظواهر فقط ،

اعلم ياهذا ان الناس من المدنية على حالين ، فبعضهم أخذوا بقشورها ، وتمسكوا بشرورها ، وهؤلاء لايعنيهم الا ماتنتجه صناعتها من فُرُش منضدة ، وآنية ممرّدة (١) وألبسة مفوقة ، وأغطية مزخرفة (٢) ولا يهمهم بعد ذلك حكم العلم بمضرتها أم نفعها ، وأمر بالأخذ بها أم دفعها ، فالعلم لديهم مقصور على دور العلماء ، وبيوت الحكماء ، ليس لهم منه الا ثمراته المادية ، ومموهاته الصناعية ، أما مايأمر به من الاخلاق الفاضلة ، والآداب الكاملة ، فهم بمعزل عنه ، وبنجوة منه (٣) وغاية ماينشئون به أنفسهم ، عبارات مرققة ، وجمل منمقة ، وهيئات في الجلوس والقيام ، واشارات في السلام والكلام ، اصطلحوا عليها اصطلاحا ، واتخذوها للتمويه سلاحا ، وما على أحدهم بعد ذلك ان كان بتفصيله وجملته ، خارجا على العلم وحَمَلته ، وغريباً عن الحق وشيعته

والبعض الآخر أخذ من المدنية بحقيقتها ، وعول منها على زبدتها ، وائتمر من العلوم بأوامرها ، وجال منها في سرائرها ، فقام على السمت الذي رَسَمته ، وأخذ بالمحصول الذي بلغته ، (٤) فبلغ رتبة تقصر عن تصورها الافهام ، ولا تحيط بجلالتها الاحلام

ياهذا ، ما الفائدة من ترقيق التعبيرات ، وزخرفة الهيئات ، وتمويه المشروبات والمأكولات ، اذا كان كل ذلك مخالفاً لما قرره العلم ونصح به ، ومعاكساً لمقتضاه وموجبه ؟ أيأمركم العلم أن تمنعوا الهواء الطلق عن أجسادكم الضعيفة ، بهذه الألبسة الكثيفة ، التي لايسمح ضيقها للرئة بأداء وظيفتها ، ولا للاحشاء بالجري على سننها ، فهل كانت المدنية في نظركم أصولا مهلكة ، وعلومها سموماً موبقة ، أم أنتم الذين لاتأخذون الا ظواهرها ، ولا تعولون الا على مظاهرها ؟

(١) ممردة أى مملسة (٢) مفوقة أى مخططة (٣) بنجوة منه أى بمعزل عنه (٤) السمت الطريق

ياهذا ماقيمة هذه المدن الشاهقة القصور ، والشوارع المتلألئة في النور ، والمركبات الغاديات الروائح ، والزخارف السوانح والبوارح ، (١) اذا كانت أعراضكم منتهكة ، وأخلاقكم مبتذلة ، وآدابكم منحطة ، وأموالكم ضائعة ، ونفوسكم عمرتها الهواجس ، وصدوركم عششت بها الوساوس ، ونياتكم فاسدة ، وأهواؤكم متغلبة ، وشهواتكم متحكمة ، ومجتمعاتكم بؤرات فسوق ، وبيوتكم مهابط عقوق ، وأنتم بين هذه العوامل أشباح تحركها الشهوات ، وتتقاذفها المخزيات ، وتتحكم فيها الغفلات ؟ فأى مدنية بها تفاخرون ، وأى علم عليه تعتمدون ؟

قال الوجدان سمعت منه هذا الكلام ، فخيل لى اني فى المنام ، فقلت من أى البلاد أنت يرحمك الله ؟

قال من المدينة الفاضلة

قلت لم أسمع بهذا الاسم من قبل ، وقد قرأت علم تخطيط البلدان ، وطفت أرقى المدن فى العمران

قال ان شئت أوصلتك اليها الساعة ، فوقفت على مافيها من البداعة ؟

قلت ان فعلت كان لك الفضل ، وعليّ الشكر

قال الاعرابي : ان لي ناقة نجيبة ، اسمها عجيبة ، تعرف الطريق اليها ، ويمكن التعويل عليها ، فرحلها وخلّ لها الزمام ، توصلك الى باب المدينة بسلام

ثم نادى بأعلى صوته ياعجيبة ، فحضرت مجيبة ، فاذا بها شمردلة شملال ، يوثق بها فى الترحال ، فأنختها ثم امتطيتها ، فقال لى صاحبي على بركة الله وفى ذمته ، فشكرت له جميل عنايته ، وأثنيت على مروءته ، وسارت الناقة بين الرسيم والذميل ، حتى جازت نحو ميل (٣) ثم اندفعت تنهب الارض نهبا ، وتخترق العوائق وثبا ، واشتدت عليّ مصادمة الهواء ، فسترت وجهى بغطاء ، فلم أعد أرى ماحولي من الاشياء ، ثم أحسست بأنها عادت الى الهوينا ، فكشفت عينا ، فاذا أنا بين رياض زاهية ، ومياه جارية ، فتأملتها فاذا هي على نسق لم تقع على مثله العين من الجمال ، وحسن الحال ، فهي على بسيط من الارض لايحيط به الطرف ، تتخللها شوارع قد اكتنفتها الاعشاب المختلفة الالوان (٤) وقامت فيها الآلات الكهربائية . مقام الحيوانات الزراعية ، وقسمت في داخلها الى تقاسيم هندسية ، غاية في الابداع ، ونهاية فى حسن الاختراع ، وقد أينعت شجراتها ، وتضوعت زهراتها ، وطابت ثمراتها ، حتى خيل لى انني وسط الجنان ، لا بين مزارع لبني الانسان ، فعجبت أن تكون البساتين التي

(١) السوانح التي تذهب عن اليمين والبوارح التي تذهب عن الشمال
(٢) الشمردلة الناقة الحسنة الجميلة الخلق والشملال الناقة الخفيفة السريعة
(٣) الرسيم والذميل نوعان من سير الابل (٤) اكتنفتها أحاطت بها

تكتنف المدائن ، على هذا الطراز الفائق ، فسرت في أحد تلك الشوارع الزاهرة ، فلاحت أسوار المدينــة الفاضلة ، فتأملتها فاذا هي كأمنع أسوار المعاقل ، تراصت عليها المدافع ذات الفوهات الواسعة ، مما لم أسمع بمثله في مخترعاتنا الرائعة ، فما وسعني الا أن أترجل ، وعمدت الى ناقتي فعقلتها ، ثم تركتها ، وسرت فلاح لى باب لم أر مثـله فخامة ، قد اصطفت الجنود داخله وأمامه ، وكلهم على زى صاحبنا الاعرابى ، فما وقعت أنظارهم علىَّ حتى أهرعوا الىَّ مندهشين ، وقادوني الى ضابطهم متعجبيــن ، فدخلت عليه من دهليز داخل ذلك الباب الضخم ، الى بهو فخم ، فلما مثلت بين يديه ، قال بصوت يشف عن كمال الأدب ، يصحبه شيء من الدهش والعجب ، من أي البلاد أنت . وكيف وصلت ؟

قلت أقبلت من مدينة الفيوم ، على شمردلة سعوم (١)

فنظر الضابط الى من حوله نظرة دَهَش عظيم ، وقلق جسيم ، ثم قال: في كم قطعت هذه المساوف ، وكيف نجوت مما صادفك من المخاوف ؟

قلت ياسيدي قطعتها في عـدة دقائق ، ولم أصادف في طريقي شيئاً من البوائق

قال الوجدان : فبُهت الضابط متعجباً ، ثم سألني مستغربا

وهل أخبرك أحد عن هذه المدينة ، وهداك الى طريقها الأمينة ؟

فحكيت له ماحدث لي في يومى ، وأخبرته عن الاعرابي ونصيحته لوالده ، وما دار بيني وبينه ، وكيف انتهى الامر باعارتى ناقته .

فكاد يصعق الضابط مما سمع ، وما زاد على أن قال لي هلم معى ، فخرجنا من البهو الى الباب وهناك ركبنا أرتوموبيلا لم تر عيني مثله في جمال الرواء ، ومتانة البناء ، وسرنا نخترق شوارع مارأيت في حياتي أوسع ولا أنظف ولا أجمل منها ، تقوم على جانبيها قصور في صفاء اللآلىء ، تحيط بها حدائق لا أجد في يراعتي قدرة على وصفها ، أحدقت بها سياجات من المعادن اللامعة ، ترصعها الزهور اليانعة ، فما شككت اني في جنـة الخلد ، وكنا كلما سرنا لاحت لنا مبان يعجز خيالى عن تصورها وكنت اقرأ على أبواب كثيرة منها بخطوط جميلة أمثال هذه العبارات (جامعة العلوم الدينية) (جامعة العلوم الكونية) (جامعة لعلوم الطبية) (مجمع علماء التاريخ) (مجمع علماء الاجتماع) (مجمع علماء الادب) (دار الكتب اللغوية) (دار الكتب الطبية) الى غير ذلك مما لايحصي كثرة ، وكلها على أشكال من البناء تُعجز وصـف الواصف ، وتُكل لسان الناعت ، وما زلنا سائرين حتى وصلنا الى قصر كأنه قطعة واحدة من المرمر الناصع البياض ، في وسط حديقة لاأجد في بياني قدرة على الاشارة الي صفة من صفاتها ، تحيط بهـا فرق من الجنود ، فدخلنا منها الى بهو انتهى اليه الابداع الخيالي ولا أقول الصناعي ، واذا في صدره شيخ قد جلله المشيب ، في شكل مَهيب ، وعن يمينه ويساره رجال لايقلون عنه جلالا ومهابة ، فسلم الضابط باحترام ، فرد الأمير السلام وأمرنا بالجلوس ، ثم أخذ صاحبي يقص عليه أمري ، فدهش الحاضرون ، وأخذوا يتهامسون ، ثم أدرك الأمير بسمة علمه ، وثقوب فهمه ، بأن وصولي الي مدينتهم لم يكن الا بأمر خارق للعادة ، وصرح بذلك لمـا بين يديه من القادة

ثم قال لايبعد أن يكون لهـذا الغريب تعلق عظيم بالفضائل ، وميـل شديد للخلاص من أسر الرذائل ، فتولاه روح كريم يحب أن يطلعه على مساتير الخليقة ، ويقفه على لباب الحقيقة ، ولا بد أنه يثق منه على كتمان الاسرار ، فقذف به الى هذه الديار ، ثم نظر الأمير الي أحد الجالسين عنده وقال اجعله في دارك يا أبا سليمان ، وأوله من عنايتك بمـا يسعه الامكان ، حتى يجيء الله له الرجوع الى الاوطان

فقال أبو سليمان : سمعاً وطاعة ، سأتولاه من هذه الساعة ، ثم أخذني وخرج من الحضرة

فقلت لمضيفي أين موقع هذه المدينة ياسيدي ؟ فقال: سل عما تشتهي غير هذا ، وكل ما أستطيع أن أقوله لك اننا قوم سئمت نفوسنا الأكاذيب المتفق عليهـا ، وأنفنا أن نعيش حياة تتناقض فيها قلوبنـا وعقولنا ، وتتعاكس أعمالنا وعلومنا ، فاتحدنا ونحن عدة آلاف ، من جميع الاصناف ، أن نرحل الى بقعة من الأرض لايهتدي اليها خيـال ، ولا تخطر من أحد على بال ، وأنشأنا هذه المدينة فسرنا في نظامها على آخر ماسمحت به العلوم من حيث البناء والرواء ، وجعلنا لها دستوراً مستمداً من القرآن والسنة السمحاء ، فقمنا على طريقة لم تقم عليها أمة الي اليوم ، لأنه ليس فينا الا من شغفته الحقيقة حبا ، وتيمته الكمالات عشقا ، فلم نجـد مشقة في القيام على أكمل الخطط الاجتماعية ، فبلغنا في سنين معدودة من الرقي الصوري والمعنوي ، مايعـد بجانبه أرقى ماوصل اليه متمدنوكم انحطاطا مخجلا ، فقـد بلغت لدينا العلوم الكونية الي حد فعلنا معه ماقررت علومكم استحالته المطلقة ، مما لو سردته عليك لاقتضى الوقت الطويل

قلت وهل راقت لـكم الحياة ، وبسم في وجوهكم الوجود ، فلم تعـد فيه تلك الجهامة التى تزعج من ينظر الي تصاريفه ، أو يفكر في تكاليفه؟

قال انا سيرنا على مقتضى معارفنا ، اتفقت سيرتنا مع النواميس التى وضعها الله لقيام العالم ، فزالت المصائب التي كان يجلبها الانسان على نفسه بعصيانه لمقتضيات وجوده ، انقطعت لدينا جراثيم الامراض والعلل ، وبلغ العمر عندنا حده الطبيعي فترى أحدنا يعمر من مئتين الى ثلاثمائة سنة ، وقلّت سطوات الخواطر والهواجس علينا ، فعمرت صـدورنا بالحكمة ، فرأينا الحياة كما أراد الله أن تكون باشة باسمة ، هنيئة غير متجهمة ، أما

(١) سعوم أي سريعة

أنتم فلأنكم لاتعملون بما تعلمون ، وتهيمون في كل واد تتخيلون . انقلبت المدنية عليكم شراً دونه كل شر ، أليس من المدهش أن ترق لديكم العلوم الي حد لا نسبة معه بينكم و بين سكان البوادي ، ومع ذلك فهم يتمتعون من لذة الحياة ، وصفاء العيش بما أصبحتم منه محرومين ، وعنه مبعدين ، فزادت فيكم نسبة الوفيات ، واحتوشتكم العاهات والآفات (١) ، وعمتكم الأخلاق الموبقة ، وطمت عليكم العوامل المهلكة حتى يخيل للناظرين انكم كلما خطوتم خطوة في المدنية ، جلبتم على أنفسكم رزية ، وتعرضتم لبلية ، وحتي قال قائلكم ما أحسن الجهل مع الرفاهية ، وأجمل السذاجة مع العافية

قال الوجدان : فقلت لمضيفي والله انه ليخيل لى أيها الهمام ، ان ما أراه وأسمعه فى المنام ، واني لأود أن أدرس نظامكم الاجتماعيّ ، وأقف علي مبلغ رقيكم العلميّ ، لأحصل علي ماينفعني في معاشي ومعادي ، ويمكنني من خدمة قومى و بلادي ، واني أستودعك الله اليوم فقد آذنت الشمس بالغروب ، واعداً اياك بأنى سأؤوب

قال لى الي أين ومن أى طريق و بينك و بين بلادك خمسة آلاف من الفراسخ ؟ فيها من الجبال الشوامخ ، والسهوب الشواسع ، والبحار الزواخر ، مالا يمكن قطعه الا في شهور ؟ هذا ان وجدت من يهديك السبيل ، ويجنبك مافيه من العراقيل

قال الوجدان : فكدت والله أن أصعق مكانى ، من شدة مادهاني ، وما تمالكت أن صحت قائلا : خمسة آلاف من الفراسخ ؟ اذن أنا فى أقصي الصين ؟ ثم أدركني طائف من الرجاء ، فقلت ان معي ناقتي الوجناء ، فانطلقت أهرول الي ظاهر المدينة ، أبحث عن ناقتى الأمينة ، فلم ألفها حيث عقلتها ، فسألت عنها من صادفته ، فلم أجد من رآها ، فأيقنت بالانقطاع عن الأهل والوطن ، فجمدت متأثراً باليأس والشجن ، و بينما أنا علي تلك الحال واذا بصوت لطيف انبعث من بين الأغصان ، وصائح يصيح بى هوّن عليك ياوجدان ، فالتفت الى مصدر الصوت ، فاذا بصديقي البلبل ، فصحت به أدركني أيها الاستاذ الوفيّ ، فأنت نعم الوليّ

فضحك وهو ينشد :

تريدون ادراك المعالي رخيصة ولا بدون الشهد من ابر النحل

ثم صاح ياعجيبة ، فحضرت النجيبة ، فقال لي هلم يا وجدان ، فقد نسفي مرادك وهان

قلت حياك الله و بيّاك ، ما أبرك وأوفاك ، ثم أنخت راحلتى وامتطيتها وما هى الا دقائق حتى رأيتني حيث كنت من صحراء الفيوم ، فنزلت عن الوجناء ، وعدت الي بيتى فى المساء (٢) فكانت رحلتى احدى الكبر ، وما رأيته فيها من أجل العبر

(١) احتوشتكم أحاطت بكم (٢) الوجناء الناقة العظيمة الوجنات

حل مسئلة الموت

تابع ماقبله من كتاب

(الموت وغامضته)

للعلامة الأشهر (كاميل فلاماريون) الفلكى

الفيلسوف الفرنسي

المذهب الذي يعتبر الفكر الانساني وظيفة من وظائف المخ أو الذى يرى توازيا وتوازنا بين عمل المخ وعمل الفكر ، نستطيع أن نعده مع البسيكولوجي (بيرغسون) مذهباً ناقصاً كل النقص

يقولون بأن الاشياء التى يتذكرها الانسان مختزنة في المخ على حالة تحولات مطبوعة في طوائف من العناصر التشريحية فاذا زالت من الذاكرة فما ذلك الا لأن تلك العناصر التشريحية التي هي مستقرها تكون قد فسدت أو دثرت . والتأثيرات التى تأتى من الاشياء الخارجية تبقى فى المخ كما تبقي على الزجاجة الفوتوغرافية الحساسة أو علي صفيحة الفونوغراف

لامشاحة في ان هذه التشبيهات سطحية فانه اذا كان التذكر النظري لشيء من الاشياء مثلا ناشئاً من تأثير هذا الشيء على المخ فلا يكون لهذا الشيء ذكرى واحدة بل ألوف من الذكريات أو ملايين لأن أبسط الاشياء وأثبتها يتغير في صورته وحجمه ولونه على حسب النقطة التى يُنظر اليه منها اللهم الا اذا قصرت نفسى علي حد معين كلما نظرت اليه ، واذا كانت عينك تجمد في حجاجها فترتسم على شبكيتها الواحدة بعد الاخرى ثم تنتقل الي المخ صور لايحصي لها عدد وغير قابلة لأن يرتسم بعضها علي بعض

فماذا تكون الحال اذا كان التأثير البصري واقع من شخص تتغير صورته وجسمه متحرك ويختلف لباساً وصحبا في كل مرة تنظر اليه فيها . فما لا نزاع فيه ان وجدانك يحفظ عنه صورة واحدة ، وتكاد تكون لك ذكرى غير قابلة للتغير عن كل شي أو شخص تقع عليه عينك . وهذا دليل واضح علي أن فى هذا الأمر شيأ غير الاختزان الميكانيكى الذي يعللون به قوة الذكر في الانسان

ويمكننا أن نسري ماقلناه أيضاً على الذكرى السمعية . فان الكلمة قد يلفظها أفراد مختلفون أو فرد واحد فى أوقات مختلفة . وفي حالات متباينة فتعطي نغمات لايشبه بعضها بعضا فكيف يصح بعد هذا تشبيه

الذكرى السمعية بنظرية الفونوغراف

هذا الاعتبار وحده يكفي لأن يشككنا في النظرية التي تعزو مرض نسيان الكلمات الى فساد أو الى دثور الذكريات المطبوعة تشريحياً في القشرة المخية

ولكن لنر مايحدث في هذه الامراض مع هذا المؤلف نفسه (يريد بالمؤلف ليتريه المتقدم ذكره) فقد قال:

« اذا كانت اصابة المخ خطيرة وذكرى الكلمات متأثرة بشدة فقد يحدث ان تهييجاً ما أو انفعالا ما يعيد فجأة لذكرى التي كان يظن انها ضاعت نهائياً

« أفيمكن هذا اذا كانت الذكرى مطبوعة في المادة المخية وقد فسدت هنا أو دثرت ؟ فالأمر يجري كما لو كان المخ أداة للذكر لا انه خازن له فالمريض يفقد الكلام يعجز عن وجود الكلمة متى احتاج اليها . ويظهر كأنه يدور حولها وليس له من القوة مايجعله يضع يده على النقطة المطلوبة، والعلامة الخارجية للقوة في المجال الفزيولوجي هي الضبط دائماً . ويظهر أن الذكر يسري عليه هذه القاعدة أيضاً . وأحيانا بابدال المريض الكلمة الضائعة بجمل متعددة يدخل تلك الكلمة في واحدة منها

« فلنعمل الفكرة الآن فيما يحصل في مرض فقد الكلمات الآخذ في التفاقم أعني لما يكون نسيان الكلمات متدرجاً في درجات الخطورة فنجد دائما ان الكلمات تزول من الذاكرة بترتيب محدد كما لو كان المرض ملماً بقواعد الاجرومية . فتزول أولا أسماء الاعلام . ثم تليها الكلمات العامة . ثم النعوت ثم الافعال طبقة بعد طبقة فيصيب المرض كل طبقة منها الواحدة بعد الأخرى

« نعم ولكن المرض يمكن أن يحدث من أسباب كثيرة الاختلاف . وأن يأخذ أشكالا شديدة التباين . وأن يبدأ في جهة ما من المخ ثم يمتد في أي اتجاه كان . ولكن نظام ضياع الذكر يبقى على ماوصفناه . فهل هذا يكون ممكناً اذا كان المرض في المحفوظات نفسها ؟

« واذا كانت المحفوظات ليست مختزنة في المخ ففي أي محل تختزن ؟ وهل لقولنا (أين) معنى اذا كان كلامنا عن شيء آخر غير الجسم ؟ اننا نعلم ان التوالب المطبوعة يمكن حفظها في علبة ، وان الاسطوانات الفونوغرافية يمكن ايداعها في بيوتها . ولكن كيف تحتاج المحفوظات التي ليست بأشياء مرئية ولا محسوسه لمكان يشملها وكيف يعقل أن يكون لها مكان ؟ هل هذه المحفوظات في شيء غير العقل . واذا كان العقل هو الوجدان نفسه فالوجدان معناه قبل كل شيء ذاكرة » انتهى .

(مناقشة كاميل فلامريون لليتريه)

قال كاميل فلامريون عقب ايراده هذا الكلام:

اننا نستطيع أن نقول مع هذا المفكر العظيم ان كل شيء في أجسادنا يحصل كما لو كان الجسم مسخراً للروح . ومن هنا فلا حق لأحد أن يفترض بأن الجسم والروح متلازمان بحيث لاينفك أحدهما عن الآخر

هذا مخ يعمل ، وهذا وجدان يحس ويفكر ويريد . فاذا كان عمل المخ يقابل مجموع عمل الوجدان أي اذا كان هناك توازن بين المخي والعقلي فيمكن أن يخضع الوجدان لما قدر على المخ ويكون الموت نهاية الاثنين ، وتكون التجربة على الأقل لاتثبت الضد ، ويستحيل أمر الفيلسوف الذي يثبت بقاء النفس في الاستناد على أصول من علم ماوراء الطبيعة وهي قاعدة واهنة على وجه عام . ولكن اذا كانت الحياة العقلية تطغي على الحياة المخية ، واذا كان المخ لايترجم بحركاته الا عن جزء صغير مما يحدث في الوجدان ، فالبقاء بعد الموت يكون من الرجوح بحيث يلقى عبء التدليل على المنكر لا على المثبت ، لأن الدليل الوحيد الذي لنا على تلاشي الوجدان بعد الموت هو أننا نرى الجسم يتحلل ، ولكن هذا الدليل لايكون له أقل قيمة اذا كان استقلال الوجدان ، ولو استقلاله الجزئي ، عن الجسم صار من الحوادث الداخلة في نطاق التجربة

وان (برغسون) على كونه من علماء ماوراء الطبيعة يظهر أنه أكثر اعتماداً على الحس من الطبيعي (ليتريه) نفسه

فالروح ليست المادة . ولم يثبت بدليل انها وظيفة من وظائف المخ أو خاصة من خواص المادة المخية قدر عليها أن تموت معه

وقد يسأل المتسائل كيف ان رجلا عاقلا في سعة ادراك (تين) مثلا ممن يقدرون ادراك وتأليف كتاب أو مشروع وتنفيذه حق قدره، وهو نفسه واضع كتابا خاصاً في الادراك، يستطيع أن يعزو ابتكار عمل فلسفي الى افراز تركيب ذري لاجزاء مادية مؤلفة لمخ . فان عمل العقل الشخصي ظاهر وهو من الوضوح والثبوت بحيث لايكسفه الا جمود مذهبي

المخ عضو الفكر ، لا مشاحة في ذلك ولا يمكن لأحد نكرانه ، ولكن المخ في جملته على عكس ما كانوا يسلمون به من قبل ليس ضروريا لوجود الفكر ولا الحياة

ويمكننا أن نضيف أمثالا كثيرة على الامثال التي أتينا بها من أمراض الذاكرة التي نوهنا بها وكلها تؤدي الى هذه النتيجه

قدم صديقي العلامة (ايدمون بيرييه) الى مجمع العلماء في جلسته المنعقدة في ٢٢ دسمبر سنة ١٩١٣ مشاهدة للدكتور (روسون) تتعلق بشخص عاش مدة سنة ويكاد يكون ذلك بلا ألم ولا أدنى اضطراب عقلي ظاهر مع ان مخه كان قد استحال الى عجينة مائعة وقد يسبب قرحة عظيمة ممدة (أى ذات مدة)

وفي يوليو سنة ١٩١٤ نقل الدكتور (هالوبو) الى الجمعية الجراحية حديث عمل جراحي عمل في مستشفي (نيكر) لشابة وقعت من المترو .

فشوهد بعد خرق جمجمتها ان جزءاً عظيما من المادة المخية قد استحال الى عجينة مائعة بكل معني هذه الكلمة فلما نظف الجرح وسحبت تلك العجينة منه وأقفل شفيت المريضة

وقد بيّن الدكتور (جيبان) للمجمع العلمي في ٢٤ مارس سنة ١٩١٧ بعمل جراحي على جندي بأن بتر جزء من المخ لايمنع بقاء الخواص العقلية ويمكننا أن نأتي على شواهد أخرى . فقد يبقى من المخ جزء قليل أحيانا فيستخدم منه العمل بمهارة مايستطيع استخدامه منه

فاذا كان الجراحون لم يجدوا الروح علي أطراف مشارطهم وهم يشرحون جسما فذلك لأنها ليست هنالك . واذا كان لايعتبر الاطباء والفيزيولوجيون خواصنا النفسية الا خواص للمادة المخيـة ، فانهم ضالون ضلالا بعيداً . فانه يوجد في الانسان شيء غير المادة البيضاء والمادة السنجابية للمخ

يمكن أن يعترض معترض بقوله ان خاصة الفكر تتبع حالة المخ وانها تضعف بتقدم السن كالمخ نفسه . ولكن أليس الآلة هي التي تضعف في هـذه الحالة أي الجسم وليس العقل ؟ قد يشاهد في أكثر الاحوال عند المشتغلين الكبار بأفكارهم ان عقلهم يبقى قويا الى آخر أيام حياتهم . فان كل المعاصرين لي يعرفون في باريز كتابا مثل فيكتور هوجو ، ولامارتين ، ولوجوفيه ، ومؤرخين مثل تيير س وميـنيه ، وهنري مارتان ، وجهابذة مثل بارتلمي سانتيلير (١٨٠٥ــ١٨٩٥) وعلماء مثل شيفرول (١٧٨٦ ــ ١٨٨٩) قد أظهروا الي سن متقدمة جداً رجولة تامة وشبيبه روحية بينة

يعرّف بعض الفيزيولوجيين النوع البشري منذ زمان بعيد بأنه الكائن المتعقل ، فهل الذي أوجد هذا الامتياز للانسان هي مجتمع الذرات المادية المكونة لمخه ؟ وهل التجمعات الكيماوية لذرات من الايدروجين والكربون والأزوت والأوكسيجين الخ يمكنها أن تعقل وأن تفكر ؟

البيولوجيا علم حديث الظهور . وهي في شكلها الجبري فلسفة لا علم. وخاصة هذه الفلسفة هي اعتبار الظواهر العقلية والنفسية نتائج للتفاعلات الفيزيولوجية . والتعليلات الفيزيولوجية اذا جاءت على صور تعبيرات مجازية كانت اعترافا صريحاً بالعجز . فانهم يعتبرون العثور علي كلمة جديدة اكتشافا علمياً ، والتفسير الظني لمشاهدة تعليلا طبيعيا

فالاحساس والأصل الحيوي لايزالان سرين مكنونين كما كانا عليه في القرون الخاليـة رغماً عن المكتشفات المصرية الدالة عـلى الأصل الفيزيولوجي المحض للحركات العضلية . ولا يستطيع واحـد منا أن يمتنع عن الاعتراف بأن فيـه بجانب ، وبعبارة أحسن ، فوق جميع الظواهر الفيزيولوجية أصلا عقلياً ، عاملا باستقلال ، بدونه لايمكن تعليل شيء وبه يمكن تعليل كل شيء

لنقل عقب هـذا بأن المظاهر الطبيعية المعروفة عن الروح وهي التي تكلمنا عنها هنا تنمحي أمام الظواهر التي سنأتي عليها في الفصول التالية

وكان يجب علي الطب أن يعتمد على هذه الاعتبارات فيؤثر لا على الجسد الطبيعي وحده بل وعلي الحركة العقلية أيضاً . فان عدداً من الامراض التي استعصت على الوسائل العلاجيه أمكن شفاؤها بالتأثير العقلي . ولدينا من الشواهد على ذلك الشفاءات التي تمت بالتنويم المغناطيسي والتلقين العقلي والمعجزات المزعومة للعقيدة الدينية من منذ وجود هيكل (ابيدور) وعبادة (اسكولاب) الي (لورد) ومنافساتها (١) والحبيبات المؤسسة علي العلاج بالامراض المتشابهة للمحلول العشري ألا تؤثر هذه الوسائل كلها بفضل الاقناع العقلي؟ نعم فان الاعتقاد يحرك الجبال

أجل . الروح ليست بالجسم . ولا هي مستفادة منه . بل هي تؤكد بأنها ممتازة عنه . وليس في الناس من لايعرف فضل الارادة . فالثبات في هذه الارادة سواء أكانت حسنة أم رديئة . وفكرة التضحية . والبطولة واحتقار الآلام . وعدم حس أعضاء الشهداء الذين كان يتكبدون أفظع التعذيبات ، ونكران الذات . والاخلاص . والفضائل والعيوب . والاحسان والحسد والحب والبغض . أليست كل هذه الصفات تدل على استقلال الروح عن المخ استقلالا نسبيا

من الناس من لايفكرون في شيء . واننا لنقابلهم بين الخلق . ولكن الانسان مهما انحط في علمه فانه يدرك بأنه يوجد شيء أعلى مقاماً من الأكل والشرب والتزاوج . وان هذا العالم الفاني للحواس ليس بحظه من الوجود ، وانه ليس الا مظهراً لأصل عال لانرى منه الا ظله مرتبكا . وقد جاءت الأديان محاولة أن تبل غلة هذه العاطفة

فاذا حللنا الجسم الانساني ووظائفه الطبيعية فلا يمكننا أن نمالك أنفسنا من الاعتراف بأنها رغماً عن كل هـذه اللذات التي يستطيع أن يمنحها لمشاعرنا فانها في الجملة أشياء تافهة اذا لم تعتبر فيها الا المادة وحدها. ولكن الكرامة الحقة هي للعقل والعاطفة والادراك وحب الصناعة والعلم . وان قيمة الانسان ليست بجثمانه السريع العطب الكثير التحول القليل المقاومة . ولكن بروحه التي تظهر منذ هذا الدور من الوجود متمتعة بخصائص غير قابلة للفناء

علي ان هذا الجسد ليس بكتلة جامدة متحركة بنفسها بل هو تركيب حي . ولا يخفى ان تركيب كائن أو انسان أو حيوان أو نبات يشهد بوجود

(١) ابيدور مدينة يونانية على بحر ايجيه كان بها هيكل لإله الطب اسكولاب كان يزورها المرضي ليشفون . ولورد قرية فرنسية بها هيكل للسيدة مريم يحج اليها المرضي فيبلون من أمراضهم، وقد شوهدت شفاءات غريبة حدثت بسببها فعزاها الباحثون لفعل التأثير الاعتقادي

قوة منظمة وعقل مدبر في الطبيعة وأصل مدرك يقود ذرات المادة ليس خاصة من خواصها . فان لم يكن في العالم الا ذرات مادية مجردة من التدبير لما استطاعت الخليقة أن تقوم ، وكان استحال العالم الى مجموع مرتبك من المواد مجردة من النواميس الرياضيه . وكان النظام ليس من حظ هذا الوجود

مؤدى النظرية الميكانيكية للوجود ان مجموع الاشياء هي الثمرة الجبريه للمركبات المجردة عن الشعور وان الخليقة أصلها عماية محضة تصبح شيأ يذكر بالتدريج وينتهي أمرها بالتحلي بفكر . أيستطيع الانسان أن يتخيل فرضاً أشد استحالة من هذا الفرض وأكثر مناقضة للمشاهدات ؟

ان الطبيعة الغامضة قد وضعت في كل شيء قسطا من العقل . وانها تظهر متمتعة بحيل لاتخطر على بال على وجه عام . فما معني غرسها حب الزينة والتبرج في البنت وهي العاطفة التي تقودها لأن تصير امرأة وأن تحصل أن تستبقي النوع بواسطة جسمها اللطيف . وأن تكبد آلام الأمومة وهي راضية مستبشرة ؟ وما هو العشق ؟ هذه الاحبولة المحبوبة . وما هي الآلام القلبية ، وما هي العاطفة ، أليس لهجة الطبيعة الصامتة يسمعها كل من له أذنان ؟ وما معني تعاون عصفورين لبناء عش ؟ وتغذية الذكر لأنثاه وهي جاثمة على البيض ؟ وإيتائهما بالطعام لصغارهما الجياع ؟ وما هي الدجاجة وفراخها ؟ أتفكرت قط في أول خفقة للقلب حدثت في بيضة وفي طفل . أحللت قط تلقيح الزهور ؟ فاذا لم تر في هذا كله نظاماً عقليا . وغرضاً . وبرنامجا . ومقصداً عاماً . وغاية . وتدبيراً يتسلط علينا جميعاً . واذا لم ترد أن ترى في (الحياة) الغاية العليا لنظام الدنيا واتـ فانك لاتريد أن ترى الشمس في رائعة النهار

الي أي غاية تسوقنا هذه القوة الخفية ؟ اننا لاندري ذلك . وبينما الحياة تفرض علينا قوانينها يندفع هذا الكوكب الذي نسكنه في الفضاء بسرعة ٧٠٠٠ ١ كيلومتر في الساعة وهو نفسه ألعوبة في يد القوى التابعه للمجموع الارضي ولأربع عشرة الحركات المختلفة . فنحن ذرات مفكرة على ذرة متحركة تعتبر جزءاً من مليون من حجم الشمس وهذه الشمس تعتبر جزءاً من مليون من (كانو بوس) وهو نفسه يعتبر ذرة في مجموعتنا الكوكبية الضخمة . وهذه المجموعة ليست الا عالماً محاطا بعوالم أخرى لاتنتهي الى حد . فما أوسع هذه اللانهاية ، وما أعجب هذه الحركات ، وما أدعى هذه السرعات للحيرة .

يظهر ان القوة ملازمة للذرة المادية لأنه لم تصادف قط ذرة ساكنة . وكل كائن حي ليس فيه قوة مدبرة لايستطيع أن يعيش ، بل يسقط منحطا كبناء ترك وشأنه

كان رينان و برتلو ، وهما الصديقان المتلازمان ، يتباحثان أحيانا في هذه المسئلة التي نحن بصددها . وقد مات كلاهما على غير أمل منهما في حياة أخرى ولكن كان لكل منهما عواطف متخالفة من بعض الوجوه . ففي ٢٥ أغسطس من سنة (١٨٩٢) كتب برتلو لرينان وهو ينحل يوماً بعد يوم (وذلك قبل موته بشهر واحد) يقول :

« لنتعز من رؤية أحفادنا يكبرون . فان هذا هو النوع الوحيد من الخلود الذي نعرفه بعلم محقق »

هذ النوع من الكلام لايستدعي أن يكون برتلو منكراً للخلود انكاراً مطلقا ، ولكنه كان يوافق بلا شك بعض آراء مولف حياة المسيح

وكان رينان قد كتب الي برتله في ٢٠ يوليو ماصورته :

« أهم حادث في أعمال حياتنا هو الموت ، وهذا الحادث يتم على وجه عام في أحوال غاية في الشناعة . ومذهبنا الذي أساسه أن لاتتمسك بأي خيال له عن تلك الساعة الخطيرة فوائد خاصة

« أنا أشتغل في هذه الساعة بتصحيح مسودات الجزئين الرابع والخامس من مؤلفي (اسرائيل) وأتمنى أن أراهما مطبوعين . فاذا كان أحد غيري بقسم الخطوط فسأستمر بقلة الصبر في قصر المطهر ، فمن أكثر الاصلاحات التي رميت اليها لايدريها أحد غير الله وغيري . فلتنفذ ارادة الله» انتهي

من هنا يري ان هذا الفيلسوف ، الذي كان لاهوتياً قبل ذلك ، قد أعد نفسه لما قدّر عليه . فان عقيدته بالله بقيت له . وقد يكون الانسان مضاداً للهيئة الكهنوتية ومؤمناً بالله معاً . فيحتمل أن رينان لم يكن بعيداً عن القول بالبقاء بعد الموت بقاء غير محدود

ولكنه ، على مارواه صهره المسيو بسيكاري الذي لازم سريره ساعة وفاته ، قال وهو يجود بنفسه : انه لن يبقي منه شيء بعد موته ، لاشيء ، لا شيء ، لاشيء .

هكذا كان شعوره في الساعة الأخيرة من حياته . ويشبهه في هذا الشك مئة من كبار العقول . مع أنهم كانوا يبحثون عن حقيقة البقاء بعد الموت مثله . هذا الشك لايستند الا علي جهلنا ليس الا . فقد كان بطليموس (الفلكي الأكبر) لايجد شيأ أسخف من افتراض الحركة الأرضية ، ولا أدعى منه للاستغراق في الضحك

﴿ ماهو الفكر ؟ ماهي الروح ؟ ﴾

ليس يوجد شيء وراء الطبيعة . والروح اذا كانت موجودة مستقلة فهي كالجسم طبيعية محضة

قد وصل العلم أخيراً الي قبول نظرية وحدة القوة ووحدة الهيولي

كل شيء في هذا العالم حركة ، فالحركة العالمية تدبر العوالم كلها ، وقد سماها (نيوتن) الجاذبة العامة . ولكن هذا التعليل ناقص . فمن قال لايوجد في الوجود غير القوة الجاذبة لاستحالت الكواكب الي كتلة واحدة لأنها تكون قد

جذبتها منذ زمان بعيد بل منذ الازل . ولكن توجد أيضا الحركة والحركة الحيوية تدبر الاحياء . وفي الانسان لراقي تشترك الحركة النفسية مع الحركة الحيوية . وأصل كل هذه الحركات في الحقيقة واحد ، وهو العقل المدبر في الطبيعة ، الذى يظهر أصم وأعمى في العالم المادى ، حتى في الهامات الحيوانات ، وغير شاعر بذاته في دهماء الخلق ، وشاعراً بذاته في عدد قليل من الناس

لقد كتبت في كتابي (أورانى) سنة ١٨٨٨ ما يأتي :

« ان مانسميه مادة تتلاشي متي أمكن ان يتناولها التحليل العلمي . وقد رأينا ان عماد الوجود واصل جميع الصور هي القوة وعنصر الحركة . وأصل الانسان الأصيل الروح والعالم مجموع حركات مدبرة بعقل لاعكن ادراكه »

وكتبت فى كتابي (القوى الطبيعية المجهولة) سنة ١٩٠٠ مايأتي :

« ان الظواهر النفسية تثبت لنا مانعلمه من جهة أخري بأن تعليل قيام الطبيعة بالحركة الآلية المحضة هو تعليل ناقص ، وأنه يوجد في الوجود شيء غير المادة المزعومة . فالمادة ليست هي المدبرة للعالم بل هي عنصر من الحركة والروح معا »

ومن منذ السنين التى كتبت فيها هذه الاسطر توالت المشاهدات النفسية التى تؤكدها عن سعة

توجد قوة عقلية تدبر ، وهى صامتة ومتسلطة الهامات الحشرات ضامنة وجودها واستمرارها ، كما تدبر ميلاد عصفور وتطور الحيوانات العليا وفيها الانسان نفسه . فهي هذه الحركة التى تقود الدودة لأن تستحيل الى عجينة مائعة لاشكل لها داخل شرنقتها ثم تقبلها الى فراش . وهي هي التى تخرج من جسم الوسطاء عيولى تستحيل الي أعضاء حية وقتية ولكنها حقيقية . وهذه الحركة هى التى توجد التجسدات الوقتية من طريق التولد الذاتى

لنؤكد بأن الوجود مجموعة حركات . وان فيها قوة غير مرئية مفكرة تدبر الدنياوات والذرات . أما المادة فعليها الطاعة والانقياد

ان تحليل الاشياء يدل علي تأثير عقل مدبر فيها وهذا العقل العام في كل شيء ، يدبر كل ذرة وكل جزيء وهما فى ذاتهما لايلمسان ولا يوزنان ومن الصغر بحيث لايريان ، يؤلفان بتجمعهما القائم على أصل الحركة الاشياء المرئية والكائنات . وهذا العقل العام المدبر لايقبل الفناء فهو أبدي

المذهب المادى ضال ناقص وغير واف ليس في وسعه ان يفسر لنا شيئاً تفسيراً مقنعا . فان عدم التسليم بشيء غير المادة المتمتعة بخصائص من الفروض التي لاتقاوم التحليل العلمي . والتابعون الفلسفة الوضعية ضالون كذلك ، فانه توجد براهين وضعية (حسية) على ان الافتراض القائل بأن المادة متسلطة على كل شيء ومدبرة لكل شيء بخواصها بمعزل عن الحقيقة . فأنهم لم يحلموا بوجود هذه الحركة العاقلة التي تمد الكائنات الحية والجمادات

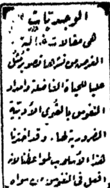
واننا لنستطيع ان نقول مع الدكتور (جوليه) بأن العوامل الرسمية تعجز عن حل المعضلة الفلسفية العامة الخاصة بالارتقاء من خروج الاكثر من الأقل

المذهب المادي المنتشر كل الانتشار عن شعور أولاشعور في جميع طبقات المجتمع ليس هو الا نظرية المظاهر ، فهو تقدير للأشياء غير المطابقة

(الوجديات) ثم نقل الاستاذ كامل فلاماريون بعد هذا عبارة العلامة الفلكي كوبرنيك باللاتينية ولم يترجمها للفرنسية . فأهملناها . ثم قال بعدها :

اننا سنشهد ضعف المذهب المادى بالاسلوب التجريبي نفسه ، وسنعمل علي بيان ضلاله المطلق . وكل الفزيولوجيا النفسية الرسمية قائمة على الخطأ ومناقضة للواقع . وانه ليوجد في الانسان شيء غير الجواهر الكياوية المتمتعة بخصائص . يوجد فيه عنصر غيرمادي أي أصل روحانى مما سيثبته الامتحان النزيه للحوادث. وسنرى هذا الاصل الروحاني يعمل وهو مستقل عن الحواس الطبيعية

(العدد ١٢ — في اول اغسطس سنة ١٩٢١)





(الوجــدية الثانية عشر)

روى الوجدان قال :

نشأت نشأة أهل الدعوة الى الاصلاح واتسمت بوسمهم ، فكنت كلما رأيت في قومي عوجا ، وآنست منهم مغمزا ، بذلت لهم النصيحة ، و بالغت لهم في الموعظة ، وتحريت فيما أقول مواطن الامكان ، ومقدور الانسان ، حتي لا أغلو فأعد خيالياً ، وتنبذ مواعظي ظهريا

لبثت علي هذا الحال سنين ، ما هنت ولا وهنت ، رابط العزيمة ، واثقا بفائدة التذكير لقوله تعالى « فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

فجلست ذات يوم أحاسب نفسي على ما أديت من واجب ، وما قصرت في حق ، فاستطردت الي معرفة نتيجة مسعاي ومسعى اخواني المصلحين فرأيت ما ملأني مضاضة ، وأوقر قلبي غماً

رأيت الرذائل شاعت ، والنقائص ذاعت ، والاعـراض هتكت ، والدماء سفكت ، والربا عم ، والزنا طم ، والبيوتات أُخربت ، وعروش المجد الأثيل هدمت

انحلت روابط الأخلاق فلم يحتشم الرجل أن يحسو الخمر علنا ، ويأتي المنكر جهرة .

بطلت الغيرة على الاعراض فلا يخجل أحدهم أن يغازل حريم صاحبه على قارعة الطريق ؟ ويزيد على إجرامه فيتبعها ليعرف دارها ، فلا تثور في الناظرين اليه حمية ، ولا تأخذهم على هذا الإثم نخوة الرجولية

فسدت نيات القادة فانقلب دفاعهم عن الوطن تشاتماً ، وتنافسهم علي خدمته تحاسداً ، فانصرفت الاقلام الى تصيد المخازي ، وتقوّل المثالب

كلت بصائر العلماء عن الهـدي فصاروا يشاركون العامة في باطلهم ، رجاء الاصابة من حطامهم

استحوذ المرابون على الاموال بطرق التدليس فارتهنت عقارات الأمة فأصبح جمهورهم خدماً لأولئك الماليين ، يصرفونهم تصريف السادة للعبدان ولم تبد منهم بادرة الرجعى عن المضـاربة ، أو جاهلية المنافسة الكاذبة ، وذهبت نصائح الاقتصاديين والأخلاقيين في هذا السبيل سدى

تأملت في ما كانت الأمة عليه منذ عشرين سنة ، ثم ما آلت اليـه اليوم فوجدت انها فقدت من مالها وأخلاقها وكرامتها وروابطها ما لا سبيل الي تعويضه لو وقف الحال عند حده هذا في خمسين سنة ، فما قولك ولم يبد من الأمة ميل الي اصلاحه ، ولم تنشأ فيها حمية للافاته ؟

طاف بي هذا الطائف فضاقت بي الأرض بما رحبت ، فاستعذت بالله من شر اليأس الذي كنت أحاربه

فقلت سبحانك اللهم ما أبلغ حكمتك ، وأعـدل فتنتك ، لقد كنت أهزأ باليائسين ، وأصغر من شأنهم ، فقد أصبحت لهـم اماماً ، وعليهم نقيبا ، وخيرت نفسي بين أن أتبع خطواتهم فأقنع بالعيش كما تعيش الانعام مكتفياً بما يتسني من الحطام ، معطياً نفسي جميع سؤلهـا ، تاركا الأمر لتصاريف القـدر ، ناظراً الي أمتي وهي تتنازعها عوامل التحليل ، وتتوزعها فواعل التمزيق ، وبين أن أعيش كما يعيش الغيورون

فقلت لا والله ! ان كان لابد من اليأس ، فلا أكون يائسا جبـان ، وان في الأرض لمضطربا عن المقام على الخسف والصبر علي الدون ، وقديماً اختار الاصفياء السياح ، وأنسوا بالقفار والبطاح ، فعمدت في الحال الي لومي فخلعته ، والى زيي فغيرته ، فتخيرت لبس الأعراب لما فيه من معني السذاجة والمناسبة لسكان البوادي التي عزمت أن أجوس خلالهـا ، وأتفيأ ظلالهـا

فلما تمت لي عدة السياحة ، تحريت ساعة السحر ، فخرجت من داري متسللا تسلل القطا ، حتي لا يشتبه بي فأقاد للمخفر ، ويفتح معي تحقيق فتسفر حقيقتي ، وأقطع عن وجهتي ، فما زلت أطوي شوارع المدينة طيـا ، حتي لمحت الضاحيـة ، فاندفعت فيها اندفاع الحوت الى البحر ، وجعلت وجهتي جهة الشمال ، غـير حاسب لقواطع الطريق حسابه وهو طيش كنت

لا أعرفه في نفسي من قبل ، فقد عهدتني وقافا مع الاسباب

اندفعت في تلك الصحراء، فسرت فيها أميالا، حتى أضعت آثار العمران، وصرت في وسط البيداء كالشعرة البيضاء في الجبهة الجلحاء ، فما عهدتني في يوم من أيام حياتي أكثر انقباضا في الصدر ، وأشد استصغاراً لقواي من ذلك اليوم

سرت ساعات ، فلما كان وقت الأصيل ، تراءت لى دوحة وارفة الظلال ، من اللواتي يدعى علماء النبات انهن في الارض من لدن آدم أمة من أممها ، فقلت أنتهي اليها فأستريح أو أبيت حتى اذا أصبحت عاودت السير حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا ، فما شارفتها حتى رأيت متفيأ ظلها اعرابي حسن السمت ، وضيء المحيا ، ناصع اللحية ، تدل غضون وجهه علي انه يناهز الستين من عمره ، قد ألبسه الوقار من حلله برداً يوجب له الاكبار والاعظام ، فتهيبته ، الا ان الأنس الذي استولي علي شعوري برؤية الإنسي في هذا القفر الموحش، قد غلبني فاقتربت منه وقلت السلام عليك أيها الأب الصالح

فقال وعليك السلام ، أهلا بالوجدان، هزيم كتيبة العاملين ، وشريد زمرة المجاهدين

فقلت في نفسي يالعجب ، أرجعت الكهانة الي العرب ، حتى يعلم اسمي ولقبي ومهنتي من غير تعريف ، فوالله ما كاد صدري يتردد بهذه الهواجس حتى نظر اليّ وقال :

أتدري علي من تنزّل الشياطين ، على كل أفاك أثيم

فقلت عفواً يامولاي فوالله ماقصدت ذلك ، وانما أردت أن أعلل علمك بالغيب بعلة أفهمها فذهب فكري هذا المذهب علي غير قصد

ثم التفت اليّ وقال : ما الذي دهاك حتى حرجت يائساً ، فوالله لولا اخلاص فيك لهلكت مع الهالكين ، ولحقّت عليك كلمة اليائسين

قلت والله مايئست من روح الله ، ولكني يئست من قيام أمتي علي سنن سواها ، وكل يوم هي في فتنة جديدة

قال لقد أجملت ففصل

قلت : شربت الخمر وقطعت الارحام ، وانتشر الربا ، وعم الفساد ، وهتكت المحارم، وهضمت الحقوق ، وطمت البدع

قال لقد زدت الأمر اجمالا، وأخشي أن تكون قد علقت بك فتنة مالت بك الى ما مالت بسواك من الذين انقطعوا في الطريق فهلكوا مع الهالكين

فقلت يامولاي لو كنت معنا لرأيت عجباً

فأدركته حمية سرت حمياها الى عينيه فزادتهما حياة ، واستوي قاعداً وكان متكئاً وقال :

أتمزقت أمتكم فصارت شيعاً ، وأخذت كل شيعة تشن الغارة علي جاراتها علي سنة القبائل المتبدية ؟

قلت لا

قال أوأد الرجال بناتهم خشية العار أو الاملاق؟

قلت لا

قال أنشت الفوضي ، وعم الاختلال واعتمد كل قبيل علي نفسه وناوأ العداوه سواه؟

قلت : لا

قال : أقتل المصلحون ، وأهين الهادون الراشدون ، وسيموا الصغار والخسف؟

قلت : لا

قال : وبم يئست اذن ياابن أخي ؟

قلت : أوكنت منتظراً بأمتي حتى تبلغ الي هذا الحد ، وهل يرجى لمن وصل اليه حياة؟

فضرب كفاً بكف ، وقال ياضيعة التاريخ ، وفقد التأسي والاقتداء ، ألا تذكر ان محمداً بن عبد الله خاتم المرسلين صلي الله عليه وسلم بعث الى العرب وهم علي أكثر مما وصفت لك، فوحد كلمتهم وجمع مشتتهم ، وهذب أخلاقهم ، وأشعرهم بمعني الاجتماع وسر الوحدة، فأسسوا أكبر وأعظم أمة في الأرض؟

قلت نعم أهل ذلك ولكن رسول الله أيده الله بملائكته ونصره بفضله

قال لعلك تريد أن تقول انه انتصر بطريق الاعجاز لا من طريق السنن الطبيعية

قلت : بلي

قال كلا ، ولقد أخطأتم النظر في أمر النبوات ففاتتكم الاستفادة منها وعددتموها فوق الطبيعة ففصلتم حوادثها عن حياتكم العملية

ألا يابن أخي تذكر ان رسول الله لبث في مكة ثلاث عشرة سنة مضطهداً من قومه ، مغلوباً علي أمره ، مقصوداً بالأذى من عشيرته مأذياً في شيعته

قلت : بلى

قال ألم يكن الله قادراً علي أن يذل له الجباه فتأتيه صاغرة ، ويلين له الشكائم فتطيعه منقادة ، ويجعله من السلطان بحيث لايعصى له قول ، ولا يؤتي له نهي ؟

قلت : بلى

قال فما الحكمة اذن في هذه الفتنة الطويلة، ان لم تكن لتعليم المصلحين كيف يرشدون ويجاهدون ، وكيف يصبرون ويصابرون ، وكيف يتدرجون

إلى مايرجون

ثم أخذ في ضرب آخر من القول فقال :

أنسيت يا ابن أخي انه لبث في المدينة عشر سنين يجاهد الكافرين ويجاهدونه، فينال منهم وينالون منه، قراعاً بالسيوف وطعاناً بالرماح ونضالا بالسهام؟

قلت : نعم

قال أولم يكن الله بقادر على أن يسخر معه الصواعق فتصعق مخالفيه فلا تبقي منهم باقية؟

قلت : بلي

قال الي هذا يشير الله تعالي بقوله « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة» فكيف تمكن الاسوة ان كانت الحوادث خرقا للسنن وتعطيلا للنواميس؟

قلت : والله لقد بلغ منا الجهاد مبلغه و . . . .

فقاطعني قائلا مه ! والله ما سمعت عن مصلحي أمم مثل سيرتكم، انكم تلبسون الخز، وتستخشنون الطنافس، وتتكاثرون في الأطعمة، وتتباهون باقتناء القصور، وتتحدون أولي الترف في ترفهم

تنصحون بالاقتصاد وتسرفون، تهدون للطاعة وتفسقون، ترشدون للاخشيشان وتتنعمون، اتخذتم الارشاد مهنة للكسب، فان أخصب ناديكم منها طالبتم بالحقوق، وناديتم بالشعور، وان أكدت مجهوداتكم رميتم الأمة بالموات، وعددتموها في الرفات

قلت يا مولاى اننا من هذه الوجهة على . . . .

قال مه، والله لقد وزنتكم ورزتكم، وأقمت فيكم دهراً فما رأيتكم تشبهون المصلحين الا في النداء بالاصلاح، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، ولو كان فيكم شية مما تنولون لفاض من قلوبكم علي جوارحكم، ولكنكم أعلام رشاد للدلالة، ومنار هدى للتائه، ولكنكم بفقدكم روح الاصلاح في نفوسكم لم تجدوه في سواكم، كمن ينثر القشور في الارض الخصبة متخيلا انها حنطة ثم ينتظر ثمرتها زمناً فلما لم يجد شيئاً رمى الارض بالموات وأتهمها بالعقم

قال الوجدان : فرأيتني والله أحق بالاصلاح ممن كنت أرميهم بالجمود، واضطربت نفسي تطلب المخرج من هذه الأقذار، فأكببت على يده أقبلها ضارعاً اليه أن يهديني للطريق الذي لو سلكته تخلصت من الشوائب، وعددت في زمرة المصلحين حقاً

فنظر الي نظرة المشفق المؤاسي، وقال هون عليك يا ابن أخي فما كتب لك فسوف يأتيك .

فقلت يا مولاي خير البر عاجله، وان من الخسارة علي الحر أن يضيع لحظة من حياته في ضلالة

فقال لو كان ذلك الأمر بيدي لدللتك، ولكني لا أستطيع اجتياز هذ

الحد في الموعظة فان قدر لك أن ترى امامنا الأكبر فقد قدرت لك منازل المقربين وعددت من العاملين العاملين

قلت وما السبيل اليه ؟

قال تأتي الي هذه الدوحة أصيل كل يوم طائفة من النسور البلق، تحمل من قدر له الوصول اليه على ظهرها حتى توصله الي مقره على بعد لا يقدر من هذا المكان

فقلت أو يستطيع الانسان أن يثبت علي ظهر النسر كل هذا الطريق؟

قال انه لو شاء أوصلك اليه في لمح البصر، فلا تحكم عقلك الا فيما يقع تحت مشاعرك من عالمك · أما في هذا العالم فصدق كل ماتسمع فهو منزه عن القيود

فما أتم كلامه حتى بصرت بسرب من النسور البلق كأنها زوارق فاتحة شرعها وهي على أكمل وأبدع شكل، فهوت الينا

فقال الشيخ : هاهي ركائب صاحبنا، فاعل ظهر أحدها اذا تأهبت للعودة ثم أمسك بيدي فبوأني ظهر نسر من تلك النسور

ثم قال استودعك الله، فما أتممت ردي عليه حتى ضربت النسور الهواء بأجنحتها فطارت، فنظرت الى الارض فاذا قصورها كالقبور ورياضها كالبقع على سطحها . وما هى الا لحظة حتى فقدت رؤية الارض وبقي لون كلون السماء فرأيتني معلقا فى الجو على حال ما كنت أتخيلها ولا في نومي، فاعتراني هلع فقدت معه القوة، فارتخت أعصاب يدي وكنت متعلقا بريشة من ريش النسر، وأفلتها فهويت من على ظهره، فأيقنت بالهلاك على صورة ماهلك عليها بشر قبلي، فأغمى علي ثم أفقت فرأيتني بين أظفار النسر كأني ممسوك بخطاطيف من حديد

فسمعت أحد النسور يقول للنسر الذي أنا في مخلبه

ان صاحبك كاد يهلك من شدة الهلع فهل لك أن تروح عنه قليلا

قل كلا، ان هذا من الذين ظنوا بأنفسهم الظنون، وتوهموا فيها مالا يتصور من صفات الكمال، فخله يذق حقارة قدره وضؤلة خطره

قال الوجدان : فاستسلمت للقدر، ولبثت في مخلب النسر نحو ساعتين، طالتا علي كسنتين، ثم شعرت بهويها الى الأرض حتى استقرت عليها، ووجدتني في خميلة لم تر عيني أشرح للصدر منها، واذا تحت سرحة منها شيخ قد جلله المشيب وتألقت حوله الأنوار، فوالله ان العين لتحسر عنه كليلة كما تحسر عن الشمس، فلما وقع بصره علي قال مرحباً بالولد الصالح هدئ روعك يابني فانما أنت بحضرة عبد من عباد الله فلا تجعل للوهم عليك سلطانا

فوالله لقد سرت هذه الكلمات الى ذاتي سريان الكهرباء فاستويت كما كنت ثم أقبلت عليه أقبل يده

فقال كلا ، يكفيني منك ما استكن بقلبك عني

فقلت ان للظواهر معني آخر

فقال قد طلقنا الظواهر ، وعجنا المظاهر ، فما شأنك يابني ، قلت ما المسؤل بأعلم من السائل أرجو أن يكون قد كشف لك الله رحلتي ، ولقد انتهيت الي شيخ صالح فاستدرجني في الكلام حتى أوقعني في حيرة لا أجد منها مخلصا ، اثبت لي في ذاتي النقص ، والمسَفيه بيدي ، فسألته عن العلاج فدلني عليك يامولاي

فتبسم وقال مرحبا مرحبا ، ثم نظر اليّ وقال أصدقتك عزيمتك في الاهتداء يابني ؟

فقلت كيف لا ، لأنا والله الي الهدي أشوق مني الى الملك الخالد، فلا خير في حياة لا حقيقة لها

فنظر اليّ نظرة متفرس، وقال ها أنا أعرض عليك الاسلام لأنه شرط أولي في الوصول الي الحق المطلق

فعرتني دهشة وقلت أولست مسلما يامولاى ، اني من أعرق الناس فيه أنا فلان بن فلان بن فلان وعددت له جملة من آبائي بين علي وابراهيم واسماعيل الخ

فتبسم وقال أعلم ذلك، ولكني أريد منك أن تسلم اسلام الخاصة

قلت ياسيدي أو هناك اسلامان

قال ان اسلام العامة هو أن يقنع الرجل من العقائد بما يرده عن الضلال . وأما اسلام الخاصة فأن يتحقق الرجل معني الاسلام ليستطيع أن يكون لغيره هاديا ، وبحجة الله قائما

قلت يامولاي وهل للاسلام معني غير ما يفهمه مثلي وقد قرأ ما بين دفتي المصحف؟

قال أتستطيع أن تفصح عن كنه ما فهمته منه؟

قلت الاسلام هو ان آخذ نفسي بما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق وجلائل الصفات ، وأن أعتقد ما نص عليه الكتاب من التوحيد والتنزيه والبعث والخلود والكتب والرسل والملائكة وأن أؤدي ماثبت من العبادات بالتواتر

قال يابني هذا اسلام العامة، وكفاهم به نوراً، ولكن عداك اسلام الخاصة وهو الذي ان لم تهتد اليه فلا يليق بك أن تكون هاديا لغيرك

قلت اهدني اليه زادك الله فضلا

فقال الاسلام هو أن تسلم وجهك لله لاتلحظ معه شيأ

قلت قد فعلت

فقال لو فعلت لاشرق سره علي صدرك ، ولما وجهت اليّ بعده سؤالا ، انك مافعلت الا أن تصورت معنى ماقلته لك ، ولكنك لم تسلم وجهك بالفعل ، وشتان بين تصور القول وتنفيذه

قلت أليس اسلام الوجه الى الله ، أن أقول ياوب قد أسلمت وجهي اليك

قال أواه ، لوكفى ذلك لما كانت دونه العزائم ، ولا اضمحلت الهمم ، ولأصبح الناس كلهم أعلام هدى ، وأراكين فضيلة ، ولما رأيت الشيطان صنما يعبد

قلت وكيف السبيل اليه رعاك الله؟

فتنفس الصعداء وقال :

فيادارها بالخيف ان مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

ثم نظر اليّ وقال:

ان أردت أن تسلم وتذوق طعم الحياة الانسانية الصحيحة ، وتتمتع بالحقيقة المطلقة الناصعة التى لايتطرق الغم الى قلب صاحبها ولو ألقى في النار، أو قذف به في اليم ، فاخلع من رأسك جميع ماعلمته وقرأته وسمعته واستحسنته واستقبحته ، وكن كأنك خلقت من ساعتك ، فلا تذكر ماضياً ولا مستقبلا ، ولا تشعر نفسك بحاضر

قلت وما فائدة هذا وأى سر فيه؟

قال يابني هذا أول شروط الهداية . وآخر مقامات الولاية

أما كونه أول شروط الهداية فلأن الرجل اذا شارف أمرا فلا يرى وجه الحق فيه الا اذا واجهه بهذه النفس الخالصة من الأكدار

أتدرى لِمَ كذب الكافرون الانبياء ؛ لأنهم نظروا اليهم من خلال ماعلموا وما ورثوا وما استحسنوا وما استقبحوا فخالف ماهم عليه قول الانبياء فكفروا به

أتدري لماذا يختلف الناس فيتشاكسون ويتقاتلون؟

لأن بعضهم ينظر لأعمال بعض من وراء خصوصياتهم وموروثاتهم وعاداتهم فيجدونها ضد ماهم عليه فيختصمون

وهكذا كل أمر سواء أكان مادياً أو معنوياً ان لم يتجرد الانسان في نظره اليه هذا التجرد فلا يرى وجه الحق فيه، وخليق بمن لا يسلم في جميع محاولاته أن يعيش طول حياته ضالا فى تيه أوهامه وعاداته ، ومحبوساً في قفص ذاته يغضب ويرضي ويحب ويبغض ويتحرك ويسكن لا بعوامل الحق ولكن مدفوعاً بدوافع اهوائه

أما كون هذا التجرد نهاية مقامات الولاية فلأن الحق جل شأنه ، وهو قيوم كل شيء لايشرق نوره على صدر فيه مثقال ذرة من شائبة ، ولو حل فيه وفيه شائبة لمحتها كما يمحق ضوء الشمس جميع آثار الظلمة

وما دام الخلق بعيدين عن هذا السر العظيم والناموس الكريم فلا يفتأون ويختصمون ويتقاتلون ، مثلهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا

قلت لقد حظيت اليوم بالسر الأقدس

قال لا ، حتى تعمل به ، فاذا لم تعمل به كان علماً عقليا لا أثر له علي أحوالك

قلت وما الحيلة في اجبار النفس عليه

قال ان من عرف الخير طلبه ، ومن أدرك الجمال سعى اليه . ان في الانسان خلقاً سماوياً وهو انه مدفوع للتكمل وقد دُللت علي الكمال فستدفعك طبيعتك اليه

فاذا ذقت طعم الكمال ودعوت اليه ، كانت أنفاسك كأشعة المغناطيس الحيواني تسري في الارواح فتخلع عنها غاشيات القذر ، وتميط عن طريق كمالها عوائق الفتن ، قم يابني فأدّ ماوجب عليك نحو أمتك ووطنك واياك أن تخوض مع الخائضين ، وأن تفتتن بالمافتنين ، قل الحق واصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين ، (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)

قال الوجدان : كان الامام يلقي عليّ هذه الدرر وأنا مطرق أصغي اليه ، فلما أتم كلامه ورفعت رأسي لشكره على أن هداني من ضلال ، لم أجد شيئاً ، ووجدتني في ضاحية بلدتي كساعة خرجت منها . فتحققت ان محدثي كان أستاذي الحكيم بن مرشد ، دبر لي هذه المقابلة ، لانقاذي من تيهور الحيرة ، فخررت ساجداً لله شكرا ، ثم عدت الي عملي بعزيمة لا تُفل وهمة لا تكل ، وثقة بالله لاتطاولها ثقة ، والحمد لله أولا وآخراً

(الوجديات)

ثمن العدد الواحد خمسة مليمات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩
(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « السعادة بدرب الجماميز
(٥) « الأهلية « «
(٦) « المليجي بالسكة الجديدة
(٧) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي (٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سدرة
(٣) المكتبة المليجية بشارع الشمرلي
(٤) حضرة آدم افندي كومي ببني سويف
(٥) افندي أحمد مراسل الأمة محمود بالمنيا
(٦) عبد الحميد افندي حسين بعمل سالم وخليفه بالمنصورة

(قاموس المكتب والبيت)

كنت أتمنى أن أضع لنفسي وللمشتغلين بعقولهم مذكرة (في مجلد واحد) للغة ولجميع المعارف الانسانية والاحصاآت الخ مرتبة ترتيب القواميس ليرجع اليها عند الحاجة بدون اضاعة وقت

وكنت أرجو أيضاً أن أضع لبيتي ولكل بيت مرشداً في كل مايحتاج اليه أهله من المعلومات عن الصحة وقوانينها والاغذية وقيمتها والامراض وعلاجاتها والاعراض واسعافاتها والعقاقير وتأثيرها والنباتات وخواصها والفوائد التي دلت التجارب علي نفعها الخ

فوفقت لذلك بوضع (قاموس المكتب والبيت) في ألف ومئتي صفحة كبيرة محلاة بالصور المتقنة فجاء أجمع مذكرة للكتابة والتأليف ، وأهدى مرشد لرب البيت وربته في كل أمر من الامور الحيوية فهو خلاصة العلم العصري في كلتا ناحيتيه العلمية والنفعية

أتممنا للآن طبع ربعه والهمة مبذولة لاتمام مابقي منه . وقد جعلنا ثمنه (مئة وعشرين قرشاً) والذي يطبع منه عدد قليل . فمن شاء أن يقتني منه نسخة فليطلب الربع الذي يجوز ثمنه (ثلاثون قرشاً) ثم يستمر علي دفع (خمسة قروش) كل شهر فنرسل له ماتم طبعه فيه أولا فأولا حتي يتم الثمن كله ويتم الكتاب

العنوان : محمد فريد وجدي

(علي اطلال المذهب المادي)

دخل العالم العلمي اليوم في عهد جديد باين به كل ما كان عليه من المدركات الالحادية ، ونقض كل مابناه السابقون من المذاهب المعطلة للوجود ، وهذا تطور ليس له مثيل في تاريخه ، فرأينا من واجبنا ان نعلنه في مصر لا بايراد خبره ، والاكتفاء برواية نتيجة هذه المعركة الكبرى بين القديم والحديث ، بل ببيان أدوار وقائعها ، وتتبع جميع حركات قادتها في كتاب أسميناه (علي اطلال المذهب المادي) ليقف القارئ علي اغرب مشهد من مشاهد المكافحات العقلية دامت نيرانها مشبوبة نحو خمسين سنة ثم انتهت بدخول العقل البشري في عهد جديد واستقام العلم على سنة لم تكن تدور بخلد ابعد الناس خيالا

تم طبع هذا الكتاب وثمنه عشرة قروش واجرة البريد قرشان

محمد فريد وجدي

حل مسئلة الموت

تابع ماقبله من كتاب

(الموت وغامضته)

للعلامة الأشهر (كاميل فلامريون) الفلكي

الفيلسوف الفرنسي

(ماهو الانسان ؟ هل الروح موجودة ؟)

« يجب علينا أن نبحث عن الحقيقة وعقلنا
« مطلق من كل تقييد ، وخالص من كل
« رأي سابق لا دليل عليه »

(ديكارت)

رأينا ان النظريات المادية لايقوم على صحتها دليل ، وليست قائمة على قاعدة هي من المتانة على الدرجة التي كان يتوهمها الناس . فان فيها جهات فراغ ، وقدع بجانبها مقادير من أشياء غير منشرة ، وهي أبعد من أن تشبه ، على ماتدعيه ، بالنظريات الهندسية ، أو باليقينيات الرياضية . فالمسألة والحالة هذه معروضة برمتها أمامنا لنبحثها بحثاً حرا

وقبل أن نبحث عما اذا كانت أرواحنا تبقى بعد تحلل أجسادنا يجب علينا أن نعلم ما اذا كانت موجودة في الواقع . فان المناقشة في الأمد الذي عكن أن يبقاه شيء ليس عوجود هو نفسه ، تعتبر مضيعة للوقت بشيء من البله . فاذا كان الفكر افرازاً مخياً فلا شك في انه يزول بزواله.

العلم بهذا الأمر لايمكن الحصول عليه الا بالمشاهدة العلمية المحضة وبعبارة أي بالاسلوب التجريبي . ولكن كيف السبيل الي ذلك وعلم النفس لايزال الى أيامنا هذه من المسائل الكلامية ، والتأملات النظرية ، والافتراضات الظنية . وان هذه لمن الأساطير التي يجب أن نتحاشي اتباعها هنا . انما سنحاول أن نحدد طبيعة الروح بمشاهدات عملية ، وأن نعرف خصائصها

وانه ليؤسفنا أن نرى ان هذه الخصائص لاتزال قريبة من أن تكون مجهولة . فعلم النفس الجديد يجب ان يكون مؤسساً على العلم ولنذكر دائماً أصل كلمة مابعد الطبيعة في ترتيب العلوم الذي وضعه مؤسسه ارسطو . لقد تمادى الناس في نسيان هذا الأصل(1)

لأجل أن يتحقق وجود الانسان بعد انحلال جسده يجب أن يكون الانسان له وجود روحاني . فهل لعقلنا وجود ذاتي مستقل ؟ هل لنا روح ؟ وبعبارة أضبط هل للانسان روح ؟ هذه هي المسئلة الأولى التي تتطلب الحل ، بل هذه النقطة الأولي التي يجب تقريرها

لقد علمنا مما تقدم بأن الماديين والحسيين والملاحدة والمنكرين لروح الطبيعة علي ضلال بعيد بذهابهم في تعاليمهم الى انه لايوجد في الكون غير المادة وخواصها ، وأن كل حوادث الانسانية يمكن تعليلها بنظريتهم العلمية العامية في آن واحد . فان افتراضهم هذا ليس بحق ولكن يجب أن نثبت لهم الموضوع المناقض لموضوعهم فنقول :

ماهي الروح ؟ ومن أين أتت هذه الكلمة ، وما معناها ؟

قامت العقيدة بوجود الروح الي الآن على ابحاث من علم ماوراء الطبيعة ، وعلى ايحاآت إلهية مزعومة لم يقم على صحتها دليل . فان الدين والايمان بالغيب والعاطفة والرغبة والخوف ليست بأدلة

كيف خطرت لعقل الانسان فكرة وجود الروح

كلمة روح ونظائرها ككلمة عقل مثلا في لغاتنا الراهنة وفي اللغات القديمة من يونانية وسانسكريتية تنم عن معني النفَس فليس مما يشك فيه اليوم ان فكرة الروح كانت تعني قديما ماتعنيه كلمة النفَس عند علماء النفس من أهل العهد الأول حتي ان كلمة (بسيشيه) اليونانية مشتقة من النفخ

فهؤلاء الناظرون يرون ان أصل الحياة والفكر وظاهرة التنفس شيء واحد . وهم من جهة أخرى لأجل أن يوفقوا بين هذا الحادث البيّن الذي لايمكن نقضه وهو انحلال الجسم الميت المحروم من النفَس ، أي المحروم من الروح ، و بين عقيدة ظهور الموتي أي استمرار حياة الذين اجسادهم همدت وصارت لا حراك بها أو تحللت واستحالت الى تراب ، قلنا لأجل أن يوفقوا بين هذين الأمرين تخيلوا ان النفَس شيء يغادر الجسم بالموت لأجل أن يذهب الي عالم آخر ليعيش فيه حياته الخاصة به

وقد يعبر القوم عن الموت بلفظ النفَس الأخير

فاذا كان بعض الناظرين قد سلموا ببقاء الحياة في صورة غير مرئية لنا فان بعضهم الآخر لم يرفيها الا أثراً من ميل الاحياء وأسفهم وعطفهم على موتاهم . فلقد تم من أول قيام الطوائف البشرية مذهبان على هذا الأمر متميزان بل متعارضان توزعا آراء الناس . وهما المذهب الروحاني من جهة والمذهب المادي من جهة أخرى . ولكن كلاً منهما قائم على أصول سطحية

---

(1) يشير العلامة كاميل فلامريون الى هذا الأمر ، وهو ان كلمة ميتافيزيك تعني باليونانية مابعد الطبيعة ، وهي تطلق على علم النفس والامور الروحانية ، وهي ماسميت بما بعد الطبيعة لأنها لاتخضع لاساليب علم الطبيعة بل لأنهم كتبوها بعد ما كتبوا علم الطبيعة فأطلقوا عليها هذا الاسم لهذا السبب ليس الا مع انها تخضع للاسلوب العلمي نفسه.

فمني كلة روح وعقل يجب أن يتغير وأن يتناقش فيه وأن يمتحن . لأنه توجد تموات أساسية يجب تقريرها . فخواص التركيب الحي تخالف العناصر النفسية كل المخالفة

يعتقد الناس على وجه عام باقتناع تاء بأنه لايوجد في العالم الا حقيقة واحدة لايجوز النزاع فيها وهي الاشياء الخارجية أو المادة أعني الشيء الذي يُرى ويُلمس ويخضع لتقدير الحواس وكل ماعداها عندهم فأمور تجريدية وأوهام أى عدم محض

. من الذين يرون هذا الرأى الغالبية العظمى من العلماء ومن الدهماء، ولكن السواد الأعظم والعلماء أيضاً يجوز عليهم الانخداع ، وهذا حالهم في هذا الموطن

أقول كما قال صديق المأسوف عليه دوران دوغرو ، العالم الطبيعي، العلم الطبيعي نفسه يقرر لنا ان شهادة المظاهر ، حتي فى الحين الذى تلوح فيه انها حاصلة على قوة الوضوح التي لاتقاوم، يجب أن تعتبر مريبة وأن تمحص تمحيصاً صارما

أي شيء أوضح من دوران الشمس والسماء كلها فوق رؤوسنا . أما شهدت هذا الوضوح أعين الناس أجمعين فى كل زمان ومكان ؟ وهل لهذا الوضوح مثيل في العظم والجلالة ؟ لا . وهو مع ذلك وهم محض كما أثبته علم الفلك بالدليل القاطع

فما أشد ما يظهر أشياع المذاهب سطحيين كلما اعتمدوا علي المشاهدة الظاهرية وحدها في تقدم المعلومات عندما يعتقدون انهم حيال أمر تجريبي فى الحيز الذي يُروننا اياه فيه

الشمس سطح لماع يدور فوق رؤوسنا من الشرق الي الغرب ، في شروقه وغروبه » هذه حقيقة شهودية قد أيدتها شهادة الناس بالاجماع ألوفا من السنين . فكيف يتجاسر العلم مع ذلك أن يؤكد لنا بأن هذه الحقيقة المقررة بالمشاهدة من الضلالات التي لانزاع فيها ؟ وكيف اتفق ان العالم كله اليوم تحقق من انها ضلالة في الواقع ؟

فالشيء المحقق كل التحقيق ، والذى هو من المشاهدات الصحيحة ليس هو مانعبر عنه بقولنا : « الشمس سطح الخ » ولكنه هو الذي يجب أن يعبر عنه هكذا: «أشعرُ بوجود سطح لماع أطلق عليه اسم شمس ، وهذا السطح يظهر لي انه متحرك من الشرق الي الغرب » الخ

هذا هو مايجب علي المتبع المذهب التجريبي أن يحصره فى تأكيده التجريبي ان أراد أن يبقى فى الحدود المضبوطة للمقررات التجريبية ، أى فى علم التحقيق المطلق

وهذا السطح نفسه ليس الا مظهراً كاذباً ، فان الشمس في شكلها الحقيقي كرة لا سطح مستو

فلنمط الشعور والمدركات حقها ولا نخلط بينها وبين الواقع . فان الواقع في حاجة الي أن يثبت بدليل . فاذا رأيت برقا يلمع ، وطرقت أذني جلبة انطلاق مدفع ، وجب علينا ان كنا مدققين أن نفكر هكذا : « أنا أشعر بأني أرى برقا ، وأشعر بأنى سمعت جلبة انطلاق مدفع » ولكن الفزيولوجيين يهملون غالباً الجرى على هذا التمييز الأساسي . فالذي يقدمونه لنا باعتبار انه حوادث مشاهدة ليس في الغالب الى أموراً ظنية ، أى انها ليست مشاهدات ولكنها استنتاجات من المشاهدات، يفعلون ذلك بدون أن يتنبهوا لهذا العمل من عقولهم .

فاذا قلت : انى أحس بأني اري سطحاً لماعاً يظهر ان طول قطره كذا وكذا ، سابحاً في السماء من الشرق الى الغرب .

فما تقوله صحيح صحة مطلقة ، ولك الحق في الادلاء به الى غيرك بتأكيد ، وتكون جاريا علي سُنة المذهب التجريبي لادراك الحقيقة

ولكنى لو قلت : ان سطحاً لماعاً يجري في السماء الخ كنت مؤكداً شيأ هو أكثر مما أعلم ، وأكون متعرضاً للانخداع ، والدليل علي ذلك اني انخدعت حقيقة في نوع ذلك الجرم

مما لا فائدة فيه الاكثار من الامثلة فى هذا الباب . فاننا نحس بشعور مّا مثلا او يكون لنا فكر مّا ، او انفعال نفساني مّا ، فهذا كله من المعارف المباشرة الاكيدة ، وهى حقيقة تجريبية جديرة بالثقة المطلقة

فالاحساس بالشيء يقتضي شعوراً او ادراكا او فهما ، ولكن ماهي كل هذه المسميات ؟ اهى خصائص لذلك الشيء ؟ لا . فان هذا الشعور وهذا الادراك يدلان بأنه يوجد إزاء الشيء المشعور به والمدرك والمفهوم شيء يشعر ويدرك ويفهم

فان اردنا الكلام بتدقيق قلنا ان حادث الشعور والادراك والفهم هو وحده حدث اصلي مطلق ، وهو وحده الحادث الذي تفرضه علينا المشاهدة المباشرة

اننا ندرك هذا الامر منذ عهد مناقشات « بركلى » سنة (١٧١٠) بل منذ عهد (مالبرانش) سنة (١٦٧٤) وليس من امس فقط

اننا لانحكم على الوجود والاشياء والكائنات الحية والقوى والمكان والزمان لا بشعورنا ، وكل مايمكننا أن نراه عن حقائق الاشياء هو في فكرنا وعقلنا ومخنا ، فيكون من التعقل الغريب أن نستنتج من ذلك ان افكارنا هى عين الواقع . وهذه التأثرات لها سبب يولدها ، وهذا السبب خارج عن اعيننا ومشاعرنا فنحن مرايا تعكس صور الاشياء المقابلة لها !

نعم ان المذهب المثالي (لبركلى) و (مالبرانش) و (كانت) و (بوانكاريه) يذهب الى مدى بعيد من التشكك (لانهم ينكرون الوجود المادي) ، ولكن لايذهبن عن نظرنا الاصل الذي يقوم عليه

وقد أصبح من الضروري الآن أن نثور علي هذا الاعتماد العامي على المظاهر وأن نعلن علي رؤوس الاشهاد ان العالم الخارجي ليس في حقيقته على مايعطيه هذا الظاهر. فاننا ان لم نكن حاصلين علي أعين وآذان ، لكان ظهر لنا الوجود علي حال غير ماهو عليه الآن . وقد كان من الممكن أن تكون شبكية أعيننا مركبة تركيباً يخالف ماهي عليه اليوم ، وكان يمكن أن يتذبذب عصبنا البصري وأن يدرك الذبذبات التي ليست فقط بين ٣٨٠ الي ٧٦٠ ترليون في الثانية أي من الأحمر المتطرف الي البنفسجي المتطرف بل يدرك ماهو بعد ذلك من الأشعة الحمراء المعتمة الي الاشعة البنفسجية المعتمة ، أو يكون مركباً من اعصاب تدرك معه الاشعاعات الكهربائية ، أو الامواج المغناطيسية أو القوى غير المنظورة التي نجهلها . والوجود بالنسبة للكائنات (التي يمكن ان توجد على كواكب أخرى) يظهر علي حال غير ماهو مقرر في نظامنا العلمي . وعليه فاننا نكون ضالين إن اعتقدنا ان شعوراتنا هي عين الواقع . فالطبيعة في الواقع هي على غير ما ندركه منها . فنحن نجهلها ولكن علي العقل أن يدرسها

أنا أحس وأفكر ، هذه هي حقيقتنا الوحيدة المؤكدة ، الحقيقة المباشرة التجريبية الجديرة وحدها بهذا الوصف . وانه ليستنتج من هذه الحقيقة الأولية، بل من هذه الحقيقة الشهودية الوحيدة التي لايمكن الشك في حقيتها ، حقيقة أخرى ثانوية كبيرة وهي وجود سبب صدر منه هذا الشعور وهذا الفكر

وهذا السبب ينشطر الى عاملين وهما القابل والشيء ، أعنى الشيء الذي يشعر ويفكر ، والشيء الذي يُشعر به ويفكر فيه

بعض الفلاسفة من شيعة المذهب المثالي مثل (بركلي) في القرن السابع عشر و(هنري بوانكاريه) في القرن العشرين ذهبوا الى ان الموجود بحق هو الشيء المفكر ، وان شعوراتنا وحدها هي الثابتة في نظرنا ، وأما الشيء المشعور به أي العالم الخارجي فيمكن أن لايكون موجوداً . ولكن هذا غلو يقابل غلو الماديين المتطرفين وكلاهما يستويان في الضلال

فالمحقق الذي لايمكن رده هو اننا نعلم بأننا نفكر ، واننا نجهل حقيقة الواقع ، وأصل الاشياء والعالم الخارجي الذي لاتصلنا حواسنا الا بظاهره فقط

أما الافتراض بأننا ندرك حقيقة الواقع فليس من العلم في شيء . لأننا متحققون ان مشاعرنا لاتكشف لنا الا جزءاً منه ، وهي لا تكشف لنا هذا الجزء الأ على طريقة المناشير التي تغير حقيقة الواقع فاذا كانت كرتنا الارضية محاطة بالسحب باستمرار كنا جهلنا الشمس والقمر والكواكب والنجوم ، وكان المجموع العالمي بقي مجهولا عندنا الى حد كان معه العلم الانساني يستحيل الى ضلالات لا علاج لها اذا تقرر هذا فالذي نعلمه ليس بشيء في جانب مانجهله . وعصبنا البصري نفسه ترجمان ليس علي شيء من الأمانة

فالانخداع بالمظاهر هو القاعدة الواهية لافكارنا وشعوراتنا وعواطفنا وعقائدنا . فأول مظهر من مظاهر هذا الانخداع وأكثرها اصالة هي شعورنا بسكون الارض . فتخيل الانسان بأنه قائم في مركز العالم وبنى على ذلك كل خيالاته من طريق الاستنتاج . ورغماً عن الادلة الفلكية فاننا نحاول أن نرى وأن نلمس الحقيقة ، ولا نستطيع ذلك . فاذا كنا في أصيل يوم من أيام الصيف ، نُخيل الينا ان الهواء ساكن ، والسماء صافية ، وكل شيء حولنا في هدوء مطلق ، والواقع بالفعل اننا فوق ظهر أوتوموبيل يجري بنا في بحبوحة السماوات بسرعة توجب الدُوار لمن يفكر فيها

فالانسانية تعيش في جهالة بعيدة الغور وهي لاتدري إن تركيبنا الجثماني الطبيعي لايعرفنا بحقيقة الواقع . فان حواسنا تخدعنا في كل شيء . والتحليل العلمي وحده هو الذي يؤتي عقولنا ببصيص من النور

من أمثلة ذلك اننا لانشعر بشيء من الحركات الهائلة للكوكب الذي نحن عليه . فانه يظهر ثابتاً ذا اتجاهات محددة الى فوق وتحت ويمنة ويسرة الخ ومع هذا فهو يسبح في الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلومتر في الساعة في تطوافه السنوي حول الشمس ، وهي نفسها تنتقل في خلال اللانهاية السماوية بحيث ان خط سير الارض ليس خطا منحنياً مقفلا ولكن حلزونيا مفتوحا دائما ، وان كرتنا الهائمة لم تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ وجدت الي اليوم

وفي الوقت نفسه تدور هذه الكرة على نفسها دورة في كل أربع وعشرين ساعة بحيث ان مانسميه (فوق) في ساعة من الساعات يكون (تحت) بعد اثنتي عشرة ساعة . واننا نجري في هذه الحركة النهارية بمعدل ٣٠٥ أمتار في الثانية في خط عرض باريز و ٤٦٥ متراً في خط الاستواء

هذا وكوكبنا الارضي تلعب به أربع عشرة حركة مختلفة فلا نشعر بواحدة منها حتى التي تمسنا من قرب كالمد والجزر للقشرة الارضية ، وهي ظاهرة طبيعية ترتفع معها القشرة الارضية دفعتين في اليوم تحت أرجلنا الى علو ٣٠ سنتيمترا ولا توجد أي علامة ثابتة تجعلنا نلحظ هذا الأمر مباشرة . ولولا وجود الشواطيء لما أدركنا وجود المد والجزر في الاوقيانوس كذلك

وهل نحن نشعر بالهواء الذي نستنشقه أو ندرك ثقله؟ ان سطح جسم الانسان يحمل منه ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلي . وما كان أحد يتخيل ان الهواء ثقيل قبل (غاليليه) و(باسكال) و(تورسلي) هذا ما يُشهدنا اياه العلم ، ولكن الطبيعة لاتشعرنا به

« وهذا الهواء مخترق بتيارات مختلفة نجهلها كل الجهل ، فالكهرباء تلعب فيه دوراً لا ينقطع ولكننا لا نشعر بها الا وقت الأعاصير أي وقت اختلال التوازن بشدة .

«البقية بعد»

الوجـديات

الغرض منها تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الادبية . وقد اخترنا هذا الاسلوب لانه افعل في النفوس



الوجـديات

الامم لا يستقيم امرها الا بشكائم أدبية تتنزل من عقولها وتتحكم في اهوائها وقد ثبت ان الاباحة كانت دائما السبب لانحلال الامم

(الوجدية الثالثة عشرة)

قال الوجدان :

رانت على صدري الهموم يوماً ، وضاق بها ذرعي ، فكنت كلما عالجتها بملحة من كتاب ، أو طرفة من ديوان ، ازددت شدة على شدة حتى رأيت الدنيا في عيني أضيق من سم الخياط . فقلت في نفسي ان لهذه النفوس جمحات يرد بها لها الباطر ، ويجنبها عليها الاشر ، وقد ورد في الاثر المشهور . ان زيارة القبور تشرح الصدور ، وما كنت الى ذلك الحين أخذت نفسي بهذا العلاج ، فخرجت الي محلة الموتي وحدي ، فلما انتهيت اليها وأشرفت عليها . جال فكري في الانسان وتكوينه ، والجسد ومصيره . والاعمال وتلاقيها ، والآمال وبواعثها ، والروح وعالمها ، والفضائل ومعالمها ، ولم أدع شيئاً مما يتعلق بهذه الامور الا جلت فيه

ثم تقدمت الى سفح الجبل فاذا أنا بفجوة تشبه فوهة الكهف . فمشيت فيها خطوات . فرأيت في أحد جوانبها عربياً نائماً وهو ممنطق بسيف ، ومعتقل برمح ، وبجانبه ترس قد علاه الصدأ وأخذ منه الزمن . فاشككت في أن الرجل ميت ، فقربت منه لأتحقق من حالته ، فآنست فيه حركة الاحياء ، ولم تمض برهة حتي رأيته يتهيأ لليقظة ، فاستوي قاعداً وأخذ ينفض التراب عن رأسه ، وحانت منه التفاتة فرآني ، فوقف على قدميه دهشاً من رؤيتي ، وصاح بي من أنت ، فقلت سلام عليك أنا واحد من قومك . فرأيته ازداد عجباً وسوء ظن ، وظل يحدق بنظره الي ، فعل من رأي أمراً غير مألوف له

فقلت مالك ياهذا قد برح بك الهلع ، وظننت انه قد خاف مني فأقبلت اليه أهدىء روعه

فما خطوت اليه خطوة حتي صاح بي ، مكانك يا عدو الله ، و رع الي رمحه

فازددت عجباً على عجب ، وتأملت في لهجته وهيئته ، فلم أر فيه شبهاً بالاعراب الذين الفنا رؤيتهم في بلادنا . فما وسعني الآن قلت له :

لا تعجل يرحمك الله واني أتوسم من لهجتك ومن سمتك انك على شيء من الفضل والنبل ، فهل لك أن تخبرني عن حقيقة أمرك ؟

قال والله لا أخبرك عني بشيء حتى تخبرني عن شأنك أمن جيش الرومان أم من جند القبط أنت ؟

قلت له لست من هؤلاء ولا أولئك ، أنا مسلم مصري عريق في الاسلام

قال ومتي انتشر في مصر الاسلام حتي تصبح عريقاً فيه . انك لتهذي أيها الرجل

قال الوجدان فازداد عجبي منه فقلت له يا ابن أخي ، قوم ما تقول ما ذا تريد بقولك جيش الرومان وجند القبط .

فشرع يضحك قائلا : أراك كثير الهذر . أتكون ياهذا في مصر ولا تدرى من الرومان ومن القبط ؟

قلت الرومان أمة من أمم التاريخ القديم . قرأنا تاريخها في المدارس ، ونحن صغار . والقبط مصريون شأنهم شأننا لهم مالنا وعليهم ما علينا

قال عجباً لك ، لقد والله رأيت منك رجل شديد الهزل

قال الوجدان : فزاد دهشي منه وتحققت ان له لشأنا وكنت كلما سمعت جزالة الفاظه ، وفصاحة منطقه ، ازددت حباً لاستطلاع أمره

فقلت له أرحني يرحمك الله . بتعريفي بأمرك فقد أدهشني وأشغلني قولك

فقال والله يا أخي أنا أشد منك دهشاً . أما أنا فالمغيرة بن الحتمة من بني غفار جئت محاربا الرومانيين في جيش عمرو بن العاص وقد أويت الى هذا الكهف لأقيل فيه فنمت ، وان قومي معسكرون في داخل هذا الكهف وأظنني الا اصطحبك حذائك بمحدى هذه الأرض

قال الوجدان : فما سمعت قوله حتي غشيتني حيرة ، فقلت له رأيك الآن تنتظر أن تخرج من هذا الكهف فتنضم الي قومك من جيش عمرو

أين العاص ؟

قال نعم ، وانه لبالفسطاط

قلت أرني حصانك ؟

فقمنا اليه فوجدناه عظاما نخرة على الحال التي تكون عليها الجثة بعد الف وثلاثمائة سنة ، فلمسنا عظامه فاذا بها تستحيل بين أصابعنا رمادا

فبهت الرجل وكاد يفقد رشده

فقلت هون عليك ، ان لله فيك شأنا عظيما أخبرني ماعهدك بالطريق التي مررت منها من الفسطاط الى هنا ؟

قال عهدي بها بيداء خالية ، وصحراء قاحلة

قلت تعال معي الى باب الكهف فانظر هل الأمر على ما تعهد ؟

فنظر فازداد دهشاً ، اذ رأى قبوراً ومدافن وقباباً ومساكن

والتفت الي حائراً لايدري ماذا يقول

قلت هون عليك فليتني كنت مكانك لاطلع بين الحالين ، فقد شهدت الزمانين

فقال يا أخي ماهذا الحال؟ وكيف تبدلت هذه الشئون بهذه السرعة؟ وأين عمرو بن العاص الآن ؟ وكم مضى على وأنا نائم ؟

قلت أما عمرو بن العاص فقد مضى لسبيله ، وأما المدة التي نمتها فأخشى أن أفاجئك بها

قال أذهب عمرو لفتح الاسكندرية ؟

قلت قد تم فتحها ودخلها المسلمون عنوة بعد حصار دام أربعة عشر شهراً

قال وهل استتب الامر لعمرو ووفى له المقوقس ؟

قلت نعم

قال لعله الآن أميراً على مصر فقد كان يتمنى ذلك ؟

قال الوجعان : فخشيت أن أفاجئه بالامر خوفاً عليه من نتائج الدهش المفرط

فقلت له نعم ، تولاها وعزل عنها

قال أنقم عليه عمر بن الخطاب ؟

قلت لا ، وانما عزله عثمان

فصاح متأثراً أمات أمير المؤمنين الفاروق ؟

قلت نعم

قال أواه لقد كان والله للاسلام عزاً وللمسلمين ركناً ، وللحق مناراً وللعدل علما

قال وما شأن عثمان بعده ؟

قلت قتل في ثورة أهلية

قال وي قتل ذو النورين ، ومن قتله ؟

قلت قتله جماعة من جهات شتى

فقال ما أفظع هذه الحوادث ، يقتل أمير المؤمنين بغير محكمة ، وأين كان طلحة والزبير وعلي وابن عمر وابن عباس ؟

قلت منهم من ألب عليه ومنهم من لزم بيته

قال ومن انتخب للخلافة بعده ؟

قلت علي بن أبي طالب

قال عذيقها المرجب ، وبطلها المجرب ، وهو سيد قريش وفتاها ولعله القائم بالأمر اليوم

قلت قد قتل من يد عبد الرحمن بن ملجم وحكيت له القصة .

قال يالله ؟ ومن انتخب للامارة بعده ؟ كأني بالحسن بن علي اليوم وهو أمير المؤمنين

قلت تولاها معاوية ومات

قال معاوية ؟

قلت نعم

قال لقد تحولت الامور عن نصابها ، وأسندت الشئون لغير أربابها ، وكأني بالعرب اليوم في أمر مريج

قلت قد ذهب لسبيله وتولاها ابنه يزيد

قال لا أعرفه

فقلت : ومات يزيد وتولاها معاوية ابنه ومات وتولاها مروان بن الحكم

قال . مروان ! وضرب كفاً بكف

قلت نعم مروان

قال ويح بني أمية ! لقد وطئت لهم أكتاف المنابر ، وتمهدت لهم سبل المفاخر ، ولا أراهم لهذا الامر أهلا ، وفي الناس مثل الحسن والحسين والعبادلة أبناء عمر ومسعود والعباس .

ثم التفت الي وقال كيف سيرته فيكم ؟

قلت انتقل الى رحمة ربه

قال فهل رجع الحق الى أهله ؟

قلت تولاها ابنه عبد الملك

قال عهدي بمروان شاباً ، فتي السن فتي كان له ولد يستحق الخلافة فما سيرته في الناس ؟

قال لقد ذهب الي شأنه ، وتولى الامر أبناؤه الأربعة وابن عم لهم يدعى عمر بن عبد العزيز وذهبوا جميعاً

فحلق بعينيه الي وقال دهشاً ، ماذا تقول؟ في أي زمان نحن ؟

فقلت هون عليك وما يمنع أن تكون في القرن الخامس والعشرين ؟

فصاح وحماك . تمت الفين وخمسمائة سنة ، اذن قد تبدلت الارض غير الارض ،وبحول الناس غير الناس ، وصرت في العالم آية

قلت أتكره أن يجعلك الله لخلقه آية ناطقة ، وحجة بينة كما فعل بأهل الكهف ؛

قال ان لله في خلقه شئوناً فاصدقني في أي قرن نحن ؟

قلت له أنت في القرن الرابع عشر من الهجرة

فصمت دهشاً ساعة حتي خشيت عليه ، ثم رفع الي رأسه وقال: وما حال الاسلام اليوم؟

قلت ان المسلمين اليوم يبلغ عددهم أربعمائة الف الف نسمة ، وأما بلادهم فلا تغرب عنها الشمس

قال الوجدان : فاستعظم مني حتي هوي ساجداً شكراً لله ثم رفع رأسه وقال: أما وقد حقق الله وعده ، ونصر جنده فلا أبالي بما انتهيت اليه

قلت أتسمح أن تكون في ضيافتي ؟

قال هلم باسم الله ، فخرجنا من الكهف نخترق شوارع المدافن ، وما عليها من مقاصير وعلالى ، فقال انكم تسكنون الجبانات ؟

قلت : لا ، وانما يأوي النساء اليها في المواسم والأعياد فيبتن فيها ذكرى لموتاهم

قال بئست الذكرى بعصيان الشارع ، ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لعن الله زائرات القبور . فان كان اللعن لمجرد الزيارة فما بالك بالمبيت

قلت : هو ما ترى

قال أين علماؤكم . أين خطباؤكم . أيعصي الله ورسوله وهم ساكتون ؟

قلت ياسيدي انهم يشاركوننا في هذا العمل

فصاح بي ارجع الى الكهف . أموت فيه خير من مساكنة قوم أجمعوا على مصارحة الله بالمعصية

قلت أرجو حلمك حتي تصل الى منزلى فأجالسك لحظة

فنكس رأسه وسار . فلما توسطنا بعض الطرق اذا بجلبة جنازة قادمة من بعيد . فرفع رأسه وقال ألا تسمع وترى ؛

قلت هذه جنازة

فنظر الي وضرب كفاً بكف ، وقال أي قوم أنتم ، أيدفن موتا كم بين هذا اللغط؟ ثم وقف حتي مرت أمامنا كتائب الفقهاء المتعارجين . والمعممين المتصاحبين

فنظر الي وقال من هؤلاء وماذا يقولون :

قلت هؤلاء فقراء يشيعون الجنازات و يتلون بعض الادعية وهم سائرون

ثم نظر الي صغار المكاتب صفوفاً وهم حفاة تصهر رؤوسهم الشمس فقال وما بال هؤلاء يغنون ويترنمون ، وماذا يقولون ؟

قلت : انهم ينشدون شعراً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

قال أواه أواه ، لقد اشتدت المصيبة لله أنا وما لقيت ؟

ثم مرت طائفة يحملون قماقم الفضة ومباخر الزينة . وقد لفوا نصفهم الاسفل بفوط حمراء

قال وما بال هؤلاء ؟

فلم أحر والله جواباً من شدة مالحق بي من الخجل

فتبيغ دمه . وظهر علي وجهه أثر الكدر ، وقال عد بنا عن هذا الطريق فقد فقدت صوابي من هول ما أري

فمررت به من شارع الصليبة حتى انتهينا الي المسجد الزينبي وكان المولد منعقداً

فقال لم تألبت هذه الجموع من الاخلاط حول هذا البناء وعلام يرقصون ويتمايلون ، وبأي شيء يلغطون ؟

قلت ان هذا البناء مسجد السيدة زينب بنت الحسين ابن على

قال رحم الله بضعة الرسول

قلت وقد جرت عادة العامة بأن يحتفلوا لها سبعة أيام في العام احتفالا يحيونه بالذكر والقرآن

فحدق بنظره الي وقال ، لستم من الاسلام على شيء ولقد ندمت على خروجي من الكهف

ثم قال ولم يتمايلون ، وبماذا يلغطون ، ومن هذه النسوة الجالسات في أحضان الرجال ؟

قلت انهم يتمايلون تواجداً بذكر الله ، وهم لا يلغطون وانما يقولون الله الله ، وأما هذه النسوة فوليات ، يلتمس العامة منهن البركات

قال الوجدان . فسكت هنيهة ثم نظر الي وعينه تدمع تأثراً واضطراباً وقال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (من رأي منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه) وأنا أستطيع تغييره بيدي ثم هجم على أولئك المتمايلين فأنحي عليهم ضرباً وزجراً . وأهاب بأولئك النسوة فشتتهن شذر مذر ، فعلا صياح أولئك العاطلين فجاء الشرطة وكنت بجانب صاحبي فقادونا الي دار الشرطة بين لغط اللاغطين، وصخب الصاخبين

فلما دخلنا على الضابط الموكل بضبط الوقائع بدأ بسؤال الشاكين فلما استوفي أخذ أقوالهم، نظر الى صاحبي الغطفاني وبدأ يسأله

فقال له من الرجل ؟

قال المغيرة بن علقمة الغطفانى

قال ما صناعتك ؟

قال جندى في جيش عمرو بن العاص

قال الوجدان : فما أتم صاحبي جوابه حتى أخذ الضابط يضحك

وينظر اليه ثم عاد الي سؤاله فقال :

ومتي خرجت من بلدك ؟

قال خرجت عام (١٨) من الهجرة باذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فأغرق الضابط في ضحكه وضحك كل من حوله

فاشتد حنق القطقاني فصاح بملء فيه ما يضحككم أيها الناس والله

في لأراكم خاف العقول ، لا تصلحون الفصل بين المتقاضين

ولم يأبه بما قاله أحد ومضي الضابط في مسائلته فقال : ولماذا جئت مصر ؟

قال لغزو الرومان بمساعدة المقوقس

فتصاعدت أصوات القهقهة ، وخشيت أن يزداد حنق القطقاني فينحي

عليهم ضربا فأردت أن أضع حداً لهذه الحالة

فاستأذنت الضابط في الكلام فأذن لي ، فقلت ان لهذا العربي

قصة تعد من مدهشات العبر بل تعد من آيات الله الكبير

قال وما هي ؟

قال الوجدان : فما شرعت أحدثه بخبره حتى وقف أوتوموبيل علي باب

القسم فحدثت فيه حركة تؤذن بقدوم قادم خطير وما هي الالحظة حتى دخل

جندي وهمس في أذن الضابط بأن حكمدار المدينة قد أقبل

فنظر الضابط الي الشاكين وقال لهم يظهر ان الذي تشكونه مصاب

بقواه العقلية ، وانه رجل غريب ، والذي أراه ان صرف هذه القضية أولي

فاذهبوا لما كنتم فيه

ثم نظر الي وقال ان تكفلت بايوائه سلمناه اليك ، والا أرسلناه الي

المستشفى . فتكفلت له بايوائه وخرجنا وأنا أحمد الله علي وصول الامر الي هذه

النتيجة

فلما اجتزنا تلك الساحة ، وما اجتازها صاحبي الا واجماً يكاد يتميز

من الغيظ والاسف ، قلت له رجوتك أن لا تعجل بعدها بعمل لئلا يصيبنا

اعنات الحاكمين

قال أليس فيكم علماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

قلت عندنا منهم مائة الف أو يزيدون

قال فكيف تقوم لهذه البدع قائمة مع وجود هذا العدد العديد من العلماء

قال الوجدان : فخشيت أن أزيده بيانا فيزداد أسفا ، لأني رأيته بعد

استعراضه كل هذه المنكرات على أشد ما يكون عليه من يناجيا بما يكره ،

فقلت له بصوت المتلطف ! اذا صرنا في المنزل أنفضت لك الشرح ، فان

جلبة الطريق تحول دون السماع ، وسرنا فوقع نظره على سرب من النساء

الخالعات العذار يتهادين بين أترابهن ، وتفوح من أردانهن ريح الاعطار

فشخص اليهن باهتمام وقال أمسلمات هؤلاء ؟

ثم نظر يمينا ويساراً فوجد الباعة في الحوانيت تشخصوا الي تلك

النسوة بأبصارهم فرفعوا وخفضوا وأخذوا يشيعوهن بما اعتادوه من الفحش وسقط

الكلام

فنظر الي شزراً وقال أتسير بنا في محلة الفسوق ؟ أما كانت لنا

مندوحة من طريق آخر ؟

قال الوجدان : فظن ان الشارع الذي مررنا فيه محلة الفسوق وهو أعظم

شوارع القاهرة ، فتأملته فاذا جبينه وكأنه يندي عرقاً ونحن في صميم الشتاء

فقلت في نفسي لقد برحت هذه المناظر لرجل ليتني لم أخرجه من كهفه

وصلنا الى الدار فقلت آتيك ياسيدي بغذاء ، قال آتني بوضوء .

فأتيته به فتوضأ أحسن وضوء وأعدله ، ثم طلب الي أن أدله علي القبلة

فملت به فاستوى واقفا وشرع يصلي ، فكان يقف حتى أخاله لا يركع ، ويركع

حتى أحسبه لا يرفع ، وأمر علي خشوعه واخباته حتى سد كدت أشكانى متأدبا

كأني بحضرة قوي روحانية محيط بي من كل جانب ، فلما أتم صلاته وسلم

استدعاني فجلست بين يديه ، ثم نظرت اليه فوجدت وجهه يشع نورا ، وقد

أحاطت به هالة من الضياء ماعهدتها عمري لغير الشمس والقمر

فلما اطمأن بي الجلوس وجه الى بصره وقال :

لقد ألقي في روعي انك علي شيء من الخير وانك أهل لأن تأخذ العهد

عن رجل شهد المشاهد ، وحضر المصادر والموارد ومجالس الغر الاماجد

· لقد رأيت من جملة ماوقع عليه بصري في بلادكم ان الاسلام أصبح

فيكم غريباً ، وانكم على ما تكون عليه الناس قبل بعثة الرسل اليهم ،

ولا رسول بعد خاتم النبيين الا عالم يستن بسنته . فيؤدي ما استحفظ

عليه من ودائع العلم وأمانات التذكير ، فكن ذلك الرجل ان شئت

أري فتنا قد قامت علي ساقها ، وغفلة قد نشبت بأظفارها ، وأري الناس

مستسلمين مستنيمين ، كأنهم قد أمنوا سوء المنقلب ، ووثقوا من سلامة

العقبي

اعلم ان الرذيلة وباء الامم ، لا تقوم بها جماعة ، ولا يلتئم بها شمل

طائفة فهي روح محال ، وعامل مفرق ، قد مضت بذلك السنن وسبقت النذر

والحوادث ، فلا يغرنك قيام أمة وهي متلبسة بقذرها فان البناء يقوم على

أوهي الأسس حيناً ، فاذا عصفت به عاصفة سقط علي نفسه .

ألا انه لا خير في الحياة الا لفاضل يضع مواهبه مواضعها ويصرف قواه

لما خلقت له ، والحياة دار هموم وأكدار ، دار بلاء وانقطاع ، دار بؤس وضر ،

دار موت وفناء ، فلا يكن همك مصروفاً اليها بل عنها ، ولا يكن جهادك

موجهاً فيها لغير بناء كرامة ، أو هداية طائفة

الناس أمامك يتساقطون علي الهلاك تساقط الفراش على النار ، فارحم

منهم ماترحم من أهلك فهم قبيلك ومعشرك ، وما يصيبهم من الضيم

يلحق بك ، فلا تن في وعظهم وتذكيرهم ، واصبر علي مكرهم ومكروههم

وثق ان الفضيلة تكافي صاحبها نفعاً لا نسيئه ، وما عند الله خير للصادقين

ثم قال اليك عني ، ورفع يديه الي السما ، وقال :

اللهم انك قد أمتني وأحييتني فأشهدني مالم يشهده سواي من عبادك ،

اللهم اني قد فقدت أهلي ومعشري ، ونبوت عن حيلي وقبيلي . وقد لحقتني شدة الغربة ، وفدحتني الكربة ، فردني اللهم لي رحمتك ان كنت لها أهلا

قال الوجدان : ثم خر سـ جداً وأنا انظر اليه ، فأطال اطالة لم أعهدها . فنظرت فاذا به قد مات وبينما انا أتهيأ لاضجاعه واذا بسقف المسكن قد ارتفع وهوت منه طيور خضر لم تقع عيني على مثلها فحملته بين أجنحتها وطارت به الى السماء وأنا أنظر اليها حتى غابت عن بصري ، ثم التأم السقف والتحم مكانه أعجب مما رأيت ، ثم قمت شاعرا بحياة صالحة ضمت على كياني ، وأصابت جناني ، آليت أن لا أقصر في الامر بالمعروف ما حييت ، واولقيت في سبيله ما لقيت

❋

انه في يوم الاثنين والثلاث ٢٣ و ٢٤ ابريل سنة ٩٢٣ من الساعه ٩ افرنكي صباحاً والايام التالية له اذا اقتضي الحال بناحية اطفيح مركز الصف

سيباع بطريق المزاد العمومي عدد ١ جاموسه شعله بقرون غزالي سن ٦ سنوات سليمه وعدد حماره بيضه حصاوي ركوب سن ٨ سنوات سليمه وعدد ٣ أرادب أذره شامي ملك محمد درويش علي خليل من ناحية اطفيح مركز الصف جيزه السابق توقيع الحجز التنفيذي عليهم بتاريخ ٢٢ مارس سنة ٩٢٣ نفاذا للحكم الصادر من محكمة الصف الجزئيـة بتاريخ ٣ فبراير سنه ٩٢٣ القضية نمرة ١١٣ سنة ٩٢٣ لصالح الشيخ عبد الواحد خليـل من الكدايه مركز الصف وفاء لمبلغ ٤٤ جنيهاً و ١٠٠ مليما خلاف رسم هذا النشر وما يستجد من المصاريف لغاية يوم البيع

انه في يوم السبت ٢١ ابريل سنة ٩٢٣ الساعه ٩ افرنكي صباحا بناحية عزبة الشقرا بزمام حرارة عيسى مرصفا المدانجات بحره واليوم التالي اذا لزم الحال

سيباع بطريق المزاد العلني نورج حديد افرنكي سليم مستعمل ذات اربعة مراود . كطلب عبد المقصود افندي علي بكر نفاذا للحكم الصادر من محكمة اسكندرية الابتدائيه الاهليه في القضيه المدنيه نمرة ٢٨٩ سنة ٩٢٢ ووفاء لمبلغ ١٠٠ قرش صاغ قيمة الغرامة المحكوم بها في القضيه المذكورة بخلاف رسم التنفيذ واجرة النشر

وهـذا النورج تعلق ابراهيم سالم الشقرا وسالم ابراهيم الشقرا السابق توقيع الحجز التنفيذي عليه بتاريخ ٢٥ مارس سنة ٩٢٣

انه في يوم الاحد ٢٩ ابريل سنة ٩٢٣ الساعة ٨ افرنكي صباحا بناحية مصطاي مركز قويسنا منوفيه

وهذا البيع بناء على طلب محمد ابراهيم الحاق من الرمالي مركز قويسنا منوفيه

ضد) فرماوي عبده وسليمان سالم عبده من ناحية مصطاي المذكوره تنفيذاً للحكم الصادر ضدهما من محكمة قويسنا الاهليه في يوم ٢٠ ديسمبر سنة ٩٢١

سيباع بطريق المزاد العلني عدد ثلاثة أرادب قمح هندي ملك فرماوي عبده و ٥ أرادب أذره بخلافه ملك سليمان سالم عبده من ناحية مصطاي المذكوره وفاء لمبلغ ٨٧٣ قرش صاغ المحكوم به مع المصاريف واعادة النشر ثلاثة دفعات وكان محدد للبيع يوم ١٥ اكتوبر سنة ٩٢٢ واوقف البيع بناء على طلب الدين بمحضر على يد المحضر للوعد من المدينين بالسداد ولم يدفعوا لي شيء لغاية الآن

محكمة السنطه الجزئيه

انه في يوم الثلاث والاربع ٢٤ و٢٥ ابريل سنة ٩٢٣ لساعة ٨ افرنكي صباحاً بناحية مسهله

سيباع بطريق المزاد العمومى عدد ٢ قمط و ٥٠ن بذره سكلاريدي ملك بسيوني محمد وتيا من مسهله السابق توقيع الحجز عليه نفاذاً للحكم نمرة ٩٤٥ سنة ٩٢١

وهذا البيع بناء على طلب الشيخ ابراهيم الشريف من السنطه

فعلى راغب المشتري الحضور

انه في يوم الاثنين ٢٣ ابريل سنة ٩٢٣ الساعه ٨ افرنكي صباحاً بناحية تنا مركز ببا مديرية بنى سويف

سيباع بالمزاد العلنى زراعة ٧ فدن منها اربعة افدنه ونصف ذره شتوى واثنين ونصف ذره شامى تعلق ابراهيم احمد عيد وعبد الغنى عيد الشهير باحمد عيد المزارعين من ناحية تنا المذكورة حجز عليها تحفظيا بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ٩٢٢

وهذا البيع بناء على طلب سيدافندى بيرم غاظا صاحب ملك ومقيم بمطرية مصر ومتخذ له محلا مختاراً مكتب الافوكاتيه سليم بك وحبيب افندي رطل بمصر بشارع ازبك تنفيذاً للحكم الصادر من محكمة عابدين الجزئية بتاريخ ١٠ يناير سنة ٩٢٣ في القضيه نمرة ٢٧١ سنة ٩٢٣ وقاضى بالايجاب وبملحقاته وتثبيت الحجز التحفظى

فعلى من يرغب المشتري الحضور

انه في يوم الاثنين ٢٣ ابريل سنة ٩٢٣ الساعة ٨ افرنكي صباحاً بناحية جريس والايام التاليه اذا لزم الحال لذلك

سيباع بطريق المزاد العمومي عدد ٤ أفدنه فول المبينه بمحضر الحجز التنفيذى المؤرخ ٢٠ فبراير سنة ٩٢٣ ملك ابراهيم افندي محمد اسماعيل من جريس نفاذاً للحكم نمرة ١٠٧٤ سنة ٩٢٢ ابوقرقاص

وهذا البيع بطلب احمد عثمان من جريس مركز ابوقرقاص وفاء لمبلغ ٢٣٩٢ قرش صاغ بخلاف النشر

فعلى كل من له رغبة في المشتري الحضور

انه في يوم السبت ٢١ ابريل سنة ٩٢٣ من الساعه ٦ افرنكي صباحاً لغاية الساعة ٦ افرنكي مساء والايام التاليه له اذا لزم الحال ببني سويف

سيباع بطريق المزاد العمومي عدد ١ خروف ابيض ببوز احمر سن سنه واحده تقريبا ملك ابراهيم محمد القماش ببني سويف السابق توقيع الحجز التنفيذي عليه بتاريخ ٧ يونيه سنة ٩٢٢ وسبق رفع عنه دعوي استرداد وحكم برفضها تنفيذاً للحكم الصادر من محكمة بني سويف الجزئيه الاهليه بتاريخ ٣١ مايو سنة ٩٢٠ في القضية نمرة ٢٣٩٢ سنة ٩٢١ وذلك وفاء لمبلغ ٧٨٠ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وما يستجد

وهذا البيع بطلب عبد المجيد غانى التاجر ببني سويف

انه في يوم الخميس ١٩ ابريل سنة ٩٢٣ الساعة ٨ افرنكي صباحا بسوق بندر كفر الشيخ

بناء على طلب احمد افندي محمد بمصر ومتخذ له محلا مختارا مكتب حضرة عمر افندي عمر المحامى بكفر الشيخ

ضد محمد عطيه حسانين بكفر الشيخ

سيباع بالمزاد العلني دولاب خشب مبينة بمحضر الحجز تنفيذاً لحكم محكمة كفر الشيخ الجزئية نمرة ٧٩٨ سنة ٩٢٣

انه في يوم السبت ٢٨ ابريل سنة ٩٢٣ الساعه ٩ افرنكي صباحاً بشارع الجلادين قسم بولاق مصر

سيباع بطريق المزاد العلني الاشياء الاتيه وهي سرير حديد اسود بوصه وربع او بوصه ونصف وباروه خشب جوزي برخامه واربعة ادراج فرعلي جرايد بالود بكرش ارتفاع متر تقريبا وحله نحاس بغطاها ٨ رطل ملك الحرمه نبيهه بنت الريس محمد ابو سلامه المحجوز عليها بتاريخ ٢٤ مارس سنة ٩٢٣

وهذا البيع بناً على طلب متولي السيد من كفر محمود مركز منوف نفاذاً للحكم الصادر من محكمة بولاق الجزئيه في القضيه المدنيه نمرة ٢ الصادر بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ٩٢٢ وفاء مبلغ ٣٨٠ قرش صاغ بخلاف رسم هذا النشر

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة

انه في يوم الاثنين والثلاث ٢٣ و ٢٤ ابريل سنة ٩٢٣ من الساعه ٩ افرنكي صباحاً والايام التالية له اذا اقتضى الحال بناحية اطفيح مركز الصف

سيباع بطريق المزاد العمومي عدد ١ جاموسه شمله بقرون غزالي سن ٦ سنوات سليمه وعدد حماره بيضه حصاوي ركوب سن ٨ سنوات سليمه وعدد ٣ أرادب أذره شامي ملك محمد درويش علي خليل من ناحية اطفيح مركز الصف جيزه السابق توقيع الحجز التنفيذي عليهم بتاريخ ٢٢ مارس سنة ٩٢٣ نفاذا للحكم الصادر من محكمة الصف الجزئية بتاريخ ٣ فبراير سنه ٩٢٣ القضية نمرة ١١٣ سنة ٩٢٣ لصالح الشيخ عبد الواحد خليل من الكدايه مركز الصف وفاء لمبلغ ٤٤ جنيهاً و ١٠٠ مليما خلاف رسم هذا النشر وما يستجد من المصاريف لغاية يوم البيع

انه في يوم السبت ٢١ ابريل سنة ٩٢٣ الساعه ٩ افرنكي صباحا بناحية عزبة الشقرا بزمام جزائر عيسى مركز الدلنجات بحيره واليوم التالى اذا لزم الحال

سيباع بطريق المزاد العلني نورج حديد افرنكي سليم مستعمل ذات اربعة فراود.

كطلب عبد المقصود افندي علي بكر نفاذاً للحكم الصادر من محكمة اسكندرية الابتدائيه الاهليه في القضيه المدنيه نمرة ٧٨٩ سنة ٩٢٢ ووفاء لمبلغ ١٠٠ قرش صاغ قيمة الغرامة المحكوم بها في القضيه المذكورة بخلاف رسم التنفيذ واجرة النشر

وهذا النورج تعلق ابراهيم سالم الشقرا وسالم ابراهيم الشقرا السابق توقيع الحجز التنفيذي عليه بتاريخ ٢٥ مارس سنة ٩٢٣

انه في يوم الاحد ٢٩ ابريل سنة ٩٢٣ الساعة ٨ افرنكي صباحا بناحية مصطاي مركز قويسنا منوفيه

وهذا البيع بناء على طلب محمد ابراهيم الحاقي من الرمالى مركز قويسنا منوفيه

ضد) فرماوي عبده وسليمان سالم عبده من ناحية مصطاي المذكوره تنفيذاً للحكم الصادر ضدهما من محكمة قويسنا الاهليه في يوم ٢٠ ديسمبر سنة ٩٢١

سيباع بطريق المزاد العلني عدد ثلاثة أرادب قمح هندي ملك فرماوي عبده و ٥ أرادب أذره بغلافه ملك سليمان سالم عبده من ناحية مصطاي المذكوره وفاء لمبلغ ٨٧٢ قرش صاغ المحكوم به مع المصاريف واعادة النشر ثلاثة دفعات وكان محدد للبيع يوم ١٥ اكتوبر سنة ٩٢٢ واوقف البيع بناء على طلب الدين بمحضر على يد المحضر للوعد من المدنين بالسداد ولم يدفعوا لي شيء لغاية الآن

محكمة السنطه الجزئيه

انه في يوم الثلاث والاربع ٢٤ و٢٥ ابريل سنة ٩٢٣ الساعة ٨ افرنكي صباحا بناحية مسهله

سيباع بطريق المزاد العمومي عدد ٤ قطرقون بذره مكلاريدي ملك بسيوني محمد دنيا من مسهله السابق توقيع الحجز عليه نفاذاً للحكم نمرة ٩٤٥ سنة ٩٢١

وهذا البيع بناء على طلب الشيخ ابراهيم الشريف من السنطه

فعلى راغب المشتري الحضور

انه في يوم الاثنين ٢٣ ابريل سنة ٩٢٣ الساعه ٨ افرنكي صباحاً بناحية ننا مركز ببا مديرية بني سويف

سيباع بالمزاد العلني زراعة ٧ فدن منها اربعة افدنه ونصف ذره شتوي واثنين ونصف ذره شامي تعلق ابراهيم احمد عيد وعبد الغني عيد الشهير باحمد عيد المزارعين من ناحية ننا المذكورة حجز عليها تحفظيا بتاريخ ٢٢ نوفبر سنة ٩٢٢

وهذا البيع بناء على طلب سيد افندي بيرم ظاظا صاحب ملك ومقيم بطريه مصر ومتخذ له محلا مختارا مكتب الافوكاتيه سليم ملوحبيب افندي رطل بمصر بشارع ازبك تنفيذاً للحكم الصادر من محكمة عابدين الجزئية بتاريخ ١٠ يناير سنة ٩٢٣ في القضيه نمرة ٢٧١ سنة ٩٢٣ وقاضي بالايجاب وبالحقاته وتثبيت الحجز التحفظي

فعلى من يرغب المشتري الحضور

انه في يوم الاثنين ٢٣ ابريل سنة ٩٢٣ الساعة ٨ افرنكي صباحاً بناحية جريس والايام التاليه اذا لزم الحال لذلك

سيباع بطريق المزاد العمومي عدد ٤ مدن فول المبينه بمحضر الحجز التنفيذي المؤرخ ٢٠ فبراير سنة ٩٢٣ ملك ابراهيم افندي محمد اسماعيل من جريس نفاذاً للحكم نمرة ١٠٧٤ سنة ٩٢٢ ابوقرقاص

وهذا البيع كطلب احمد ثاني من جريس مركز ابوقرقاص وفاء لمبلغ ٢٣٩٢ قرش صاغ بخلاف النشر

فعلي كل من له رغبة في المشتري الحضور

انه في يوم السبت ٢١ أبريل سنة ٩٢٣ من الساعه ٦ افرنكي صباحاً لغاية الساعة ٦ افرنكي مساء والايام التاليه له اذا لزم الحال ببني سويف

سيباع بطريق المزاد العمومي عدد ١ حروف ابيض ببوز احمر سن سنه واحده تقريبا ملك ابراهيم محمد القماش ببني سويف السابق توقيع الحجز التنفيذي عليه بتاريخ ٧ يونيه سنة ٩٢٢ وسبق رفع عنه دعوي استرداد وحكم برفضها تنفيذاً للحكم الصادر من محكمة بني سويف الجزئيه الاهليه بتاريخ ٣١ مايو سنة ٩٢٠ في القضية نمرة ٢٣٩٣ سنة ٩٢١ وذلك وفاء لمبلغ ٧٨٠ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وما يستجد

وهذا البيع كطلب عبد المجيد غاذي التاجر ببني سويف

انه في يوم الخميس ١٩ ابريل سنة ٩٢٣ الساعة ٨ افرنكي صباحا بسوق بندر كفر الشيخ

بناء على طلب احمد افندي محمد بمصر ومتخذ له محلا مختارا مكتب حضرة عمر افندي عمر المحامى بكفر الشيخ

ضد محمد عطيه حسانين بكفر الشيخ

سيباع بالمزاد العلني دولاب خشب مبينة بمحضر الحجز تنفيذاً لحكم محكمة كفر الشيخ الجزئية نمرة ٧٩٨ سنة ٩٢٣





الوجدانيات
هي مقالات خيالية
الغرض من نشرها تصوير شكل
عليا للحياة الفاضلة وامداد
النفوس بالقوى الادبية
الضرورية لها . وقد اخترنا
لهذا الاسلوب لانه اعظم
فعل في النفوس من سواه

(الوجدية الرابعة عشرة)

قال الوجدان :

اخذت نفسي بعادة صحية ماتخلفت عنها الا لعذر ، وهي ان اختم مجهوداتي العقلية ، برياضة جسدية

فخرجت يوما من مكتبي وقد أجهدني البحث والتنقيب، وكدني التفكر والتقليب ، الى شاطئ البحر الابيض ، فوقفت على ساحله ساعة ، ارمي ببصري الى مداه ، وأجيله فيما حوله، وكان هادئا كأن سطحه بساط بلور ملون بزرقة السماء، فتاقت نفسي لركوبه وحدي ، فيممت الى نوتي في قارب له فساومته على اخذه بقية اليوم ، فقبل مسرورا فنزلت القارب ، وقلت باسم الله ، وأمسكت المجدافين بيدي واتجهت الى عرض البحر ، فكنت كلما سمعت صوت الماء في اصطدامه بحيزوم الزورق ، ورأيت بيوت المدينة كأنها متنقلة امامي ، أرتاح لهذا المنظر وأستجيش قواي للاستمرار في التجذيف

فما راعني الا الرياح انفك قيادها ، هبت على البحر فهاجته ، وصار قاربي وسط اليم كقطعة من نشارة الخشب وسط الحوض العظيم المضطرب ، فكنت كلما اتقيت جانبا من السفينة مال جانب ، وما هي الا لحظة اخرى حتى ازداد انطلاق الريح ، واشتد هياج اللجة ، فبدأت أشعر بدوار البحر وتراخت اعصاب يدي فأفلت المجدافان منهما وسقطا في اليم ، واستولت الامواج على الزورق تتدافعه بسرعة حتى غابت عني المدينة فأيقنت بالهلاك ، ولكني تجلدت وتشبثت بخشب القارب ، ولكن الرياح كانت تشتد شدة مطردة فدفعت الامواج الى داخله ، وزاد الامر خطورة سقوط مطر مدرار ملأ السفينة . فأيقنت بالفوت ووالله ماشاهدت هولا أشد من ذلك الهول .

فبينما انا وسط هذه الشدة الفادحة واذا بحركة في البحر ماعهدتها في حياتي ، ارتفع بها الماء الى نحو اربعين متراً . وتشقق فكان كسلسلة الجبال فالتفت مذعوراً فاذا حوت في حجم السفينة الضخمة هوى الي بفمه فاجتذبني وقاربي الى جوفه . فدخلت الى عالم من الظلام والوحشة مادخله قبلي غير يونس عليه السلام اذ ابتلعه الحوت وهو مُليم .

فقلت الله اكبر . اللهم قد عظمت البلية ، واشتدت النازلة ، وعز الخلاص وانت ارحم الراحمين

وبينما انا دهش مما وصلت اليه ، ومتوقع الفناء في هذا الجسد الجسيم اذا بشئ يهوي الي من بلعوم الحوت، فاصغيت فاذا رجل يولول، قد أوقعه الى هذا الموطن مثل الحادث الذي دفعني فيه

فقلت من الرجل ؟

فصاح بي وقد زاد ذعراً على ذعره قائلا ما انت

قلت انا رجل مثلك دفعني القدر الى مادفعك اليه

فقال أوفيك بقية من نفس تسألني بها من انا ؟

فقلت ياهذا نحن في هذا المأزق الخطر احوج ما نكون الى استعمال العقل والروية

فوالله مازاد على ان استرسل في الانين وما شككت في انه ملاق حتفه هلعا قبل ان يقتله الحوت هضما

فصحت به قائلا :

ان كان لابد من الموت ايها الرجل فلنمت كما يموت الكرام بنفوس هادئة ، وقلوب رابطة ، ولكني اربأ بنفسي ان اموت قبل ان استنفد كل حيلة

فقال لعلك قد اصبت بجنون من عظم المصيبة . فأي حيلة تنفعك أيها الرجل وانت في جوف حوت يمخر في قاع البحر ؟

فقلت والله لا أيأس من روح الله مادام فيّ رمق امعك سلاح ؟

قال معي سيفي ولكني لا استطيع ان أتناوله من شدة الدوار

الذي سلقني

قال ابن هيان فتحاملت نحوه وأمسكت بمنطقته بعد جهد جهيد واستللت سيفه . وقلت باسم الله وأخذت امزق ما تصل اليه يدي من احشاء الحوت

فما هي الا لحظة سري فيها الالم اليه حتى اعتراه اضطراب كدنا تحطم منه في جوفه من شدة ما اصابنا من مخضه

ثم عدا واسرع في سيره ، ثم شعرنا انه وقف وتراءي لنا من خلال جلده نور فما شككت انه رمى على الارض ، وانه مات ، فأسرعت بتمزيق احشائه لنخرج ، وسري الامل الى رفيقي فأخذ يعاونني وسوائل الحوت تسيل على رؤوسنا . وما زلنا نجاهد حتى خرجنا من جنبه . وعجبت كيف لم نختنق في بطنه من عدم الهواء

قال جزاك الله عني خير ما يجزي به اهله . وأكب على يدي يقبلها ثم شخص الى ببصره وقال : بم حصلت هذا التبصر عند الشدة ، فانه خير مايقتني المرء من العدد في هذه الحياة الملوءة بالمعاطب

قلت بالعقل

قال الناس كلهم عقلاء فلماذا يتفاوتون في هذه الخاصة ؟

قلت ان من عقل انه لامحالة ميت ، وانه ان لم يمت طوعا مات كرها، تدبر ذلك وعقله ورده في نفسه كلما عرض له ذكر الموت ، هانت عليه الشدائد وزايله هلع الاطفال ، وذعر الحمر الوحشية ، وملك قياد نفسه عند نزول المصيبة ، واتسعت له وجوه الحيل ، وانبسطت له وسائل النجاة الممكنة، فان قدرت له نجاة وفقه الله لاستخدام احدي تلك الوسائل ، والا اسلم وديعته لباريها وعليه سكينة الصالحين ، ورزانة الصديقين

قال صدقت وكأني بك بدلا من ابدال الله في الارض، او قطباً من اقطاب الحكمة فيها

ثم التفت الى وقال :

اننا نتهادي تحيات السلامة ولكننا نسينا اننا قد وقعنا في خطر قد لا يقل عما كان في بطن الحوت

قلت وما ذاك ؟

قال اننا الساعة على جزيرة جرداء ، لا عشب فيها ولا ماء ، وكأني بها خالية من السكان

قلت سر معي نضرب في هذه الصحراء فلعلنا نصادف ما يكون سببا في نجاتنا

قال الوجدان فسرنا اميالا فلاحت لنا شارة حياة ، زروع وضروع، وخيام وآطام ، وطيور محومة في الجو . فقلت أبشر بالفرج

ثم سرنا حتى قربنا من خيام مضروبة لا يحصى لها عدد ، وفي ساحاتها رجال ونساء وولدان ؟ وقد اجتمع كل فريق مع مشاكله سناً وجنساً ، وقد افترشوا من الاعشاب ابسطة سندسية ، قد حلاها نثار الزهور بمثل النقوش الحريرية المختلفة الالوان ، وفي خلال تلك الطنافس غدران ولا جريان مياهها ظللتها اعمدة بلورية وضعت بين تلك البسط الخضراء ، وتأملت وجوه القوم فاذا بها ناصعة البياض ، وردية الاهاب ، تحيط بها لحي فاحمة السواد ، تفتر ثغورهم عن اسنان كالدر المنظوم

فما وقعت اعينهم علينا حتى قاموا يتلقوننا كما يتلقى الاهل ابناءهم الآتين من سفر بعيد ، فبادرناهم بالسلام فردوا أحسن رد . ثم تلطفوا في ادخالنا الي خيمة من تلك الخيام وثيابنا تقطر دما وصديداً من احشاء الحوت . فأرشدونا لمعين ماء غسلنا فيها جسمنا ولبسنا ما أهدوه لنا من الاردية الصوفية. فلما فرغنا قادونا الي خيمة من تلك الخيام ، وهنالك قدم الينا طعام مافيه والله الا ثمر الاشجار ، وشهد الازهار ، وحليب الابقار ، فلما أتممنا الاكل ، وشمرنا بحرارة الحياة ، تقدم لنا اكبر القوم سناً ، وقال من أين الضيفان الكريمان ؟

فقصصنا عليهم اخبارنا فكان التعجب يرتسم على محياهم كما يرتسم النسيم على صفحة الماء ، وكنا كلما اوغلنا في القول فذكرنا القارب والسفينة والسيف والمدينة ، زاد عجبهم ، واقبلوا علينا بآذانهم

فلما فرغنا من ذكر قصتنا نظر الينا كبيرهم وقال : مرحباً بكما كيف تجدان نفسيكما في الداوة ولستما من اهلها ؟

قلنا على خير ما يكون عليه الغريب اللاجئ الي كرام ، وقد اكرمتم المثوي واجملتم المواساة ، وما بقي في النفس شئ سوي ان تعرفونا بخبركم في هذه الجزيرة المنعزلة عن العمران

قال نعم ، كان أبونا الحكيم بن عاقل من سكان اليمن ايام مدنيتها في ولاية سيف بن ذي يزن البمي ، وكان كثير التأمل في السكون، شديد الميل الي البساطة الاولى ، معتقداً ان الانسان ماقاده الى ذمائم الصفات وحطه الي حضيض الحيوانية ، فاستخدم الكذب والخداع والسعاية والسفك في سبيل اغراضه السافلة الا لانغماسه في الترف ، وجريه وراء البذخ والزخرف ، فحدثه عقله بأن يصلح بني قومه، فقام فيهم خطيباً سنين ، فتبين له بعد طول جهاد ان المدنية متى نشبت في قوم صعب تطهيرهم من مقاذرها، ورأي انها لاتزال بأهلها تغمسهم في الحيوانية ، حتى تحق عليها كلمة التلاشي والزوال ، وتقوم على انقاضها امة سواها

فقادته هذه تأملات الي وجوب اعتزال بني نوعه، والاكتفاء بأهله ليجعل منهم امة يأخذها بالادب الذي تخيله اليق بحياة الانسان. فاصطنع له سفينة واخذ فيها اهله ومن كل حيوان نافع زوجين تمزج بنفسه في البحر تحت رحمة الامواج فقذفته الرياح وأهله بعد مئة يوم الى هذه الجزيرة ،

فرآها جرداء مرداء ، لاسكن بها ولا أنيس ، فنزل اليها حامداً مولاه على ان هداه الي ما يريد من العزلة واخذ يعمل بما يعلم من ضروب الزرع والاستعمار ليعيش هو واهله بسلام

وقد بذل وسعه مذ حل هذه الارض في ان يربي اهله و بنيه على الفضيلة الصحيحة معتقداً انها هي السعادة التي ينشدها النوع البشري، وماعداها من زخارف الصنائع ، ومموهات الاشياء ، فأباطيل اصطلح عليها لاتزيد الآخذ بها الا بعداً عن لذته الحقيقية التي مقرها روحه لاجسده

قلت وهل انتم سعداء بالمعنى الذي كان يريده جدكم الاول ؟

قال ان كانت السعادة صحة الجسم والعقل ، وراحة البال وطول العمر ومشارفة عجائب الروح وجلالتها والعيش مع امثالنا اخواننا متراحمين بلا ظلم ولا انظلام، فنحن سعداء بالمعنى الذي كان يتخيله جدنا الاول

واما ان كان فوق هذا سعادة ، فذلك مما تعلمونه انتم وفي وسعكم ان تهدونا اليه

قلت يؤخذ من قولكم انكم لاتمرضون ، ولا تحزنون ولا تتزاحمون فتعتدون

قال كان جدنا يقول ان الجسد آلة حية وهبها الله لصاحبها فان احسن استعمالها فلم يدفعها فوق طاقتها ولم يقصر بها عن حدها ، بقيت له ماقدر لها ان تبقى دون ان يصيبها أقل عارض . وان عوملت بالطيش ، وعوجلت بالعنف ، وردت الموارد ، وتعرضت للموبقات ، وربما بادت قبل بلوغ حدها . فنتش في اذهاننا هذا الادب حتي جعله فينا طبيعة ، ولذلك ترانا لانأكل حتى نجوع ، وان أكلنا لانشبع ، وقد علمنا ان الله لم يوجد في حواسنا الشعور بالمحاب والمكاره عبثاً ، من بمنزلة الادلة لنا على الافراط أو التفريط ، وعلي الفعل أو الترك ، فصيرنا حواسنا حراساً علينا ، فان شممنا ما نكره ازلناه حتي لانشم الا مانحب ، وان أحسسنا بما نستنكر ، تحولنا عنه الي ما نستلطف ، وان شعرنا ببرد تدثرنا، أو بحر خففنا ، وان طلبنا النوم نمنا ، أو المشى مشينا ، لانحمل اعضاءنا على ماتكره فكانت نتيجة اعطاء كل عضو حقه في جسدنا ان فاضت على مجموعها صحة لامرض معها ، وفاض عن ملمنا منها ارتياح لاضجر فيه

قلت أليس فيكم من يعبث بالامن ، و يخل بنظام الجماعة؟

فقال لقد عشت من العمر مائة وخمسين عاما فما اعتدي في قرارجال على رجل بما قل أو كثر

قلت أولا يغضب أحدكم على اخيه فيشتمه ، فيؤدي ذلك الي قتال ؟

قال يا ابن اخي الغضب بلا سبب عرض من عراض فساد المزاج ، وفساد المزاج عرض من اعراض اختلال المعيشة وقد ذكرت لك ان معيشتنا على أكمل مايكون من نظام فكيف يتطرق الفساد الي المزاج ، ومتى كان المزاج سليماً فكيف يعتري صاحبه الغضب ؟

أما ان كان هناك سبب يحمل الشخص على المدافعة عن نفسه فلا تسمى هذه المدافعة غضبا ، أما العدوان فقد قلت لك انه اسم لانعرف مسماه

قلت ألا يحدث ان أحدكم يحسد أخاه على ما عنده فيحدث نفسه بسلبه أو باغتياله؟

قال انا قطعنا ذرائع هذه الشرور بأن جعلنا مال الله مشتركا بين عباد الله . فترانا جميعاً نعمل في مزارعنا فما حصلناه من خيرات الارض أودعناه في خزائن عامة ، ولكل منا الحرية التامة في ان يأخذ منها ما يريد في أي وقت يريده وبذلك بطل فينا الميل للادخار ، و بطل ماينجم عنه من الغنى والفقر وعلو البعض على البعض ، وما يجر اليه ذلك من التعادى والتزاحم والتسافك

قلت : والي أي مدي بلغت قوتكم الروحية ؟

قال : الى حيث يكفي أحدنا ان يغمض عينيه و يقطع خواطره ليسرى مع الارواح المجردة في عالمها

فنظرت الي وجه صاحبي في الحوت فقلت له ألا تسمع ؟

فقال : يخيل اليّ انهم في الجنة

قلت ألا تمر بكم السفائن ولو في كل عام مرة ؟

قالوا مارأينا السفن عمرنا

فقال صاحبي في بطن الحوت : لقد ضعنا ياوجدان ، فما الحيلة ؟ فقلت هون عليك سيجعل الله بعد عسر يسرا

فاشرت على رجال من تلك الامة ان يقطعوا جذع شجرة غليظة . ففعلوا . فأخذت منهم الادة وظللت أحولها الى شكل زورق . واستعنت بهم على حفر باطنها فما مضي أسبوع حتي أصبح لدينا قارب يبلغ طوله بضعة أمتار ويؤمن علينا فيه من الغرق

ثم اخذنا من القوم ذخيرة من الثمار الجافة تكفينا اياما كاملا وودعناهم وداع الاصفياء .

نزلنا الي الزورق وما كدنا نستقر به حتي اندفع كأنه مسير بالبخار و بعد ان قضينا أياما فيه تراءت لنا سفينة فما زلنا نصيح بها حتي التقطتنا باعتبار انا غرقي وعلمنا انها تقصد سيسيليا

فدارت السفينة أياما حتى وصلنا الجزيرة فنزلنا مع النازلين ، فوجدنا عالما غير الذي كنا فيه ، عالم حركة ونشاط ولكنه مشوب [illegible] التزاحم الحيواني ، والتنافس الجنوني ، حتى ليكاد الاب ينكر [illegible] هذا العالم .

رأينا معالم المدنية باهرة ، وأعلام الزخارف ظاهرة ، ولكنا لم تتنسم فيها نسمة ارتياح وطمأنينة ، كأن تلك المعالم قامت على دماء الناس ومهجاتهم

تلفت يمينا ويساراً فنري الناس على أجمل زي ، وأبهي مظهر ، ولكنا نقرأ في وجوههم آية الحزن والكمد . كأنهم قد أشعروا بأن ماهم فيه محال كاذبة ، وخيال باطل

نري المادة الصماء قد أخذت حياتها وازّينت ، حتى لتكاد تنطق للناظر ، ولكنها حياة تميت الفضيلة ، وتطفي مجذوة الشعور العالي ، ولا تبعث الا الحيوانية الصرفة

سرنا فى باحات الميناء قليلا فلم نصادف من القوم رجلا يدعونا الى قِري أو يعطف علينا بكلمة تؤاسي الغريب ، وتزيل عنه الوحشة ، بل كنا نري القوم يسيرون سكوتا لكل امريء منهم شأن يغنيه عن غيره ، ولقد رأيت شيخاً ماداً يده يستعطف الناس ويستجديهم فما امتدت اليه يد بعبرة ، حتى خيل لي انه مائت من ليلته ، لشدة ما أخذ الحرمان من صحته

فقلت لصاحبي ماتري؟

قال أري حياة حيوانية ، خدمتها عقول انسانية

قلت ما أقسى حكمك ، أتحتقر كل هذه المظاهر الباهرة ؟

قال ما احتقرتها ولكني وددت لو كان بجانبها للروح مظهر ، أما وهي على ماتري فكالشبح بلا حياة

قلت لاتسرع في الحكم حتي تخبر القوم

فما انتهيت من قولي حتى شارفنا باب الميناء . فطلب الينا العامل جواز السفر ، فحكينا له قصتنا ، فما كاد يرفع يده باشارة حتى انقض علينا جنديان وساقانا الى الضابطة . وهناك شرع محقق في استطلاع أحوالنا فلم يدع صغيرة ولا كبيرة حتى سالنا عنها

وما راعنا الا قوله انه اشتبه في أمرنا ، ولابد من استيفاء التحقيق معنا . فأمر بنا فادخلنا الى السجن فظللنا فيه أياما

ثم ظهرت له نزاهتنا فأمر باخلاء سبيلنا ، فخرجنا حامدين الله على السلامة . فقضي اليوم وشطر من الليل ، فقال لى صاحبي قد أمضني الجوع فما الحيلة الى الغذاء ؟

قلت هلم بنا نبيت الليلة تحت ظلة المحطة فاذا أسفر الصباح بحثنا لنا عن عمل يحصل منه القوت .

فبينا نحن جلوس واذا برجل جاء على بعد منا فوضع رأسه على القضيب الذي يمر عليه القطار ، فظننته سقط مغشياً عليه وخشيت ان يداهمه القطار فيميته ، فأسرعت اليه فرفعته ، فأخذ يجاذبني نفسه ، ويدافعني عنها

فقلت له : الا تدري ان القطار يوشك ان يمر على رأسك فيحطمها ؟

فقال ياهذا انصرف عني بسلام ، وهل غير هذا قصدت ؟

فأخذتني عليه عاطفة الاشفاق ، فقلت له وما دهاك حتي اعينك عليه ؟

قال مضى على اسبوع لم اذق فيه طعاماً ؟

فقلت له ولم لاتعمل فتكفي نفسك المسغبة ؟

قال انني ابذل نفسى على المعامل منذ شهر فلا ا تدعو ضما خالياً

فلما آنس اقتراب القطار سعى فى التخلص مني و ... فى ذلك وأنا أنازعه ، حتي نشبت بيني وبينه شبه مصارعة وشاركني صاحبي فما راعنا الا شرطي على رأسنا يجاذبنا خناقنا ، فأراد الرجل التخلص من الشرطي حتى لايفوته القطار الآتي ، فظنه الشرطي يحاول ضربه ، فصفر مستغيثاً . ماهي الا كغمضة العين ، حتي احتاط بنا شرذمة من الجند فقادونا لدار الشرطة

فقضينا ليلتنا في سؤال وجواب ، حتى كدنا نهلك جوعا واعياء . وتبين لمدير الشرطة اننا غرباء بلا عمل . فأمر بترحيلنا الي مصر وأنزل معنا في هذه المرة نحو الخمسين متشرداً ، من أمم مختلفة ، وفيهم الشاب الضليع ، والشيخ الظليم وما بينهما

فلما شارفنا مدينة الاسكندرية قال صاحبي وكان من المغرب ، تري بماذا تقابل في مصر هذه الطغمة المفسدة ؟

قلت بالترحيب والحفاوة . . . . فدعك من هذا وقل لي مارأيك في جملة ماوقع لنا ؟

قال خذها في كلمتين

قلت لا والله الاشعرا ، فاندفع ينشد :

حيت المخاوف والمخاطر   فرويت مالم يرو شاعر
وجمعت ما بين السدا   وة والحضاة والمظاهر
وشهدت مالوا قلته   عدوه من عبث الخواطر
وخرجت من ذا كله   بحقيقة تغني المكابر
هي ان هذا الناس قد   سحرتهم فتن سواحر
ظنوا السعادة فى التأ   نق والتظرف والتفاخر
واقامة الدور الشوا   هق والعلالى والمقاصر
والجري اعقاب اللذا   ئذ والتورط فى الكبائر
وهو افتتان بالقشو   ر ووقفة حول الظواهر
اما السعادة فهي في   ان تفتق الحجب السواتر
وتحصل السر الذي   شقت لمطلبه السرائر
وتنال من معناك ما   حرمته هات قواصر

أن ترتقي بالروح حيـ	ـث الحق عالي القدر سافر
حيث الفضائل تزدهي	بثيابها القشب البواهر
فهناك فانشد قول من	علم الحقيقة علم خابر
هذي السعادة فارجها	واظفر بها ان كنت ظافر

فقلت أجدت فعلام عولت ان رجعك الله الى وطنك سالما ؟

قال محاربة المدنية بجهدي ، فخير للامة ان تعيش سعيدة محرومة من زخارف الصناعات ، من ان تعيش شقية مغمورة في المموهات

قلت هب انك استطعت بقوة البيان ، ان تصد امتك عن سبيل المدنية ، فبأي وسيلة تحميها شر الغازات الاجنبية ؟ ألا ترى انه لو هاجمت افسق امة جزيرة بني حكيم لتغلبت على أهلها ، ولم تغن عنهم فضائلهم شيئاً ؟

قال صدقت

قلت فعلام عولت ؟

قال على لزوم بيتي ، والاكتفاء بنفسي ، حتى القى الله خالصاً مخلصاً ولا أشارك أمة تتورط في مخازي هذه المدنية الحيوانية

قلت تعيش بين ظهرانيها وتزعم انك لست منها ؟ الاولى بك بطون الكهوف ، أو قلل الجبال ، ثم لا تكون اتيت بفضيلة غير حبك لذاتك ، حباً قطعك عن بني جنسك

قال فما العمل يا ابا البحث ؟

قلت خذها في كلمة

قال لا والله الا شعراً كما شرطت عليّ :

فأخذت أنشده :

ضل اهل الالمعية	*	في علاج المدنية
هي من اقدم عهد	*	عضلة السلم القوية
هي الجثمان غنم	*	وهي للروح بلية
والذي قرعليه الر	*	أي من أهل الروية
انها شر ضرو	*	ري لخير البشرية

فقال اصبت والله ، وكم في الحياة من شر ضروري

قال ابن هيان ثم مكث في ضيافتي اياماً حتى تهيأ له السفر الى وطنه فودعني ورحل ، واصبح من رجال الفكر والعمل

حل مسئلة الموت

تابع ماقبله من كتاب

(الموت وغامضته)

للعلامة الأشهر (كامي فلامريون) الفلكي

الفيلسوف الفرنسي

فلننظر الآن في الانسان قوته المفكرة على الخصوص . فانها الدليل المستمر على وجود الروح . فاذا تأملنا تاملا أوقلنا فى أنفسنا (انا فكر) أو (انا اريد) أو اذا حاولنا حل مسألة أو اذا استخدمنا قوتنا في التجريد والتعميم فاننا بهذه الاعمال كلها تثبت فينا وجود الروح

فالفكر هو أعز مايملكه الانسان وهو أشد الاشياء تميزاً بشخصيته واكثرها استقلالا عن غيره حريته لايمكن العدوان عليها . فانك تستطيع أن تعذب الجسد وان تحبسه وان تقتاده بالقوة المادية ، ولكنك لاتستطيع ان تعمل شيأ ضد القوة الفكرية . فكل ما تعمله أو تقوله لا يؤثر عليه . فهو يهزأ بكل شيء ، ويحتقر كل شيء ، ويتسلط على كل شيء . فاذا لعب دوراً هزليا ، أو حمله النفاق المالي أو الديني على الكذب ، أو ألبسه الطمع السياسي أو التجاري وجهاً مستعاراً خداعا بقي هو على ماكان عليه في جانب كل شيء وضد كل شيء ملما بما يريده . اليس هذا كله شهادة واقعية على وجود الكائن النفساني مستقلا عن المخ ؟

فليست المادة ، وليست مجموعة الذرات هي التي تفكر . والقول بأن المخ يحس ويفكر ، يعتبر من هذيان الطفولة ودرجة الاضحاك بمنزلة نسبة تعميم الآراء المحوية في رسالة تلغرافية الى الاعمدة المولدة للكهربائية من الآلة الموضوعة لذلك

فالعقل والفكر والاتجاه النفسي ليس من المادة ولا من القوة في شيء . فالكرة الارضية التي تدور حول الشمس ، والحجر الذي يسقط ، والماء الذي يجري ، والحرارة التي تمدد أو تقصر المسافات بين ذرات الاجسام هذه كلها تمثل لنا المادة من جهة ، وتمثل القوة من جهة أخرى . ولكن التفكر والتعقل والاتجاه ورء مقصد معين فانها شيء آخر ، وفيها دلالة على وجود أصل مخالف لغيره كل المخالفة

لم ينس أحد تلك الابيات المقررة لفرجيل في أغنيته السادسة من قصيدته

(الاثيد) حيث يقول :

« كل ما يوجد في الكون مبثوث فيه أصل واحد هي الروح المحيية للمادة وذلك بامتزاجها بهذا الجسم العالمي الكبير »

لقد أعرب الشاعر عن الحقيقة . فان الكون مقود بالروح واذا درسنا هذه الروح في الانسان تبين لنا أنها ليست القوة الطبيعية ولا المادة بل هي التي تستخدمهما وتسيطر عليهما بارادتها

البراهين على وجود الشخصية الانسانية لا يحصى لها عدد وتحتاج في سردها الى كتاب خاص . وقد قدّرها قدرها كل منا مرات عديدة

هذه البراهين ماثلة امام اعيننا كل يوم . فاحتقار الشدائد ، والقدرة على التخلص من انياب الحاجة ، والاخلاص للأغراض الشريفة ، وتضحية الحياة في سبيل سلامة الوطن ، وارادة التغلب والقهر ، والتجرد للدعوة العلمية أو الدينية ، وتحمل آلام التعذيب لنصرة ما يعتقده الانسان حقا ، أليست هذه الصفات كلها مظاهر لوجود الروح . فكيف يعقل ان تؤكد مفرزات مخية ما يشبهها كما يزعمون بمفرزات الكلي أو الكبد شخصيات عقلية على ما نري ؟

وقد قدم منذ زمان طويل (سنة ١٨٦٨) عالم مشهور عرفته في ذلك الوقت اسمه المسيو (رامون دولاساغا) العضو بالمجمع العلمي برهانا جديداً على وجود الروح تحت عنوان «صحة وجود الروح بدرس تأثير الكلوروفورم والكورار على البنية الحيوانية » وقد توفى هذا العالم في سنة ١٨٧١ في جزيرة كوبا

قال العالم المذكور :

« ان استنشاق ابخرة الاثير او الكلوروفورم يبطل الحس العام بحيث يمكن ان تخضع الاشخاص الذين يقعون في تلك الحالة الفيزيولوجية العجيبة لتحمل الاعمال الجراحية الخطيرة دون ان يشعروا بها . والاشخاص الواقعون تحت تأثير الاتير او الكلوروفورم لا تقتصر حالتهم على عدم الشعور بألم بينما تمزق الآلات انسجة اجسامهم وتقطعها وتعصبها ، وعلى بقائهم غير شاعرين بجروحهم وقروحهم التي لو حدثت لهم وهم في حالة يقظة لحملتهم على الصياح من الألم والذعر ، بل يحدث غالبا انهم يتأثرون بشعورات لطيفة ولذيذة بأرواحهم وهم في هذه الحالة من النوم العميق »

رامون دولاسارغا قدم هذه الظاهرة معتبراً اياها دليلا علمياً على وجود الروح . لأنه يتضح منها ان الروح والجسم ليسا شيأ واحداً وقد رأينا ان الروح تستمر على الفكر شخصياً بينما الجسم تحت تأثير الاتير او الكلوروفورم خاضع لفعل الآلات الحديدية . فهذان العنصران من المجموع الانساني قد ظهرا هنا منفصلين بفعل العامل المبطل للحس .

وقد دهش هذا العالم الاسباني مما حدث لامرأته وهي تحت تأثير الكلوروفورم لانها حفظت فكرها سليما وقت ما كانت متخدرة واثبتت له ان عقلها لم يصب بأقل تأثر في ذلك الحين . فكانت تتكلم بهدوء وسكينة مع الجراح بينما كان يشق لحمها واعصابها بمشرطه . وقالت لزوجها ان افكارها وهي في تلك الحالة كانت لذيذة

ولنتذكر ايضا ان الالم امكن حذفه في الاعمال الجراحية بالتنويم المغناطيسي في جامعة نانسي (بفرنسا)

فالتمايز بين الروح والجسم بل تفاصلهما قد شوهد في احوال غير هذه كثيرة ، فشوهد في حالة النوم المغناطيسي وحالة الانتقال النومي ، وانقسام الشخصية الخ . والافتراضات الفيزيولوجية التي تخيلت لتفسير هذه الظواهر الدالة على الشخصية النفسية المستقلة عن الجسم كلها غير كافية في التعليل . فمعلوماتنا الراهنة عن الحياة والفكر على وشك الانهيار والزوال .

كل شيء يثبت لنا ان الروح الانسانية جوهر متميز عن الجسم . فالروح رغماً عن مؤداها اللغوي ليست نَفَساً بل هي أنية عقلية . فما اكثر الكلمات التي تغيرت مدلولاتها . ومن امثلة ذلك كلمة الكهرباء المشتقة من كلمة كهرمان

اما نحن فنؤسس هنا وجود شخصية الروح على خصائصها التي تظهر الطبيعية وليس بينها و بين خصائص المادة اية صلة .

(يتبع)

(كيف تري الحيونات)

﴿ كيف تهتدي النحل لخلاياها اذا أبعدت عنها ؟ ﴾

(يقول بعض العلماء ان لها حاسة سادسة)

(حشرة لها ١٧٠٠٠ عين)

ان عجائب المخلوقات لا تنتهي عند حد . وما الجزء الذى درسناه منها الاقطرة من بحر لا ساحل له .

اليك واحدة من عجائبها التي حارت فيها العلماء

كيف تهتدى الحيوانات لمواطنها اذا أبعدت عنها ؟

خذ هرة واحبسها في جوالق يمنع عنها كل علاقة بالوجود الخارج عنه . ثم اذهب بها بعيدا بعد ان تجتاز عشرات من الشوارع والازقة ثم دعها هناك وعد الى دارك . فلا يمضى يوم أو يومان حتي تجد الهرة تجوس خلال

حجيرات الدار كعادتها . كيف أتت تلك المرة ؟ وبأي دليل اهتدت ؟ هل عرفت الطريق وهي محجوبة عنه ؟ هل اهتدت بحاسة الشم من ذلك البعيد ؟ هل هداها البصر وبينها و بين الدار الف حائل ؟

وقد شاهد العلماء من اهتداء الطيور الي مصائدها ما هو أعجب من هذا . نري جماعات كثيرة من بعض الطيور ترحل عن مواطنها زمن الشتاء هربا من البرد القارس لتصيف في البلاد المعتدلة فتطير في الجو أياما وليالي مخترقة الصحاري الفيحي ، والبحار المترامية الشواطئ لا تضل عن البلد الذي تنوي الرحلة اليه . كيف اهتدت في ظلمات البحار التي يعجز الانسان عن المخاطرة فيها بنفسه بغير بوصلة وخريطة ؟

أما الحشرات فهي أعرب من هذه الوجهة وقد اشتغل بالبحث في أمرها الاستاذان الطبيعيان (ويسمن) الالماني و (فابر) الفرنسي . فكان نتيجة مشاهداتهما تقضي بالعجب العجاب

أخذ العلامة (فابر) جماعة من النحل وصبغ بعضها باللون الازرق وآخر بالاحمر و بعضها بغيرها من الالوان ووضع الجميع في حقة (علبة) وقفلها من الخارج وذهب بها الى مكان يبعد عن خليتها عدة كيلومترات، ولم يقصر في أثناء الطريق من ادارة الحقة ليتغير اتجاه النحل في كل لحظة ثم أطلق سراحها وعاد فوجد ان النحل قد عاد منه الي خليته نحو ٤٠ في المائة

فلما أعلن مشاهداته هذه عجب منها رجال العلم وظنوا انها تهتدي لمواطنها بواسطة خاصة مغناطيسية متمتعة بها فكتب العلامة (شارل داروين) الي الاستاذ (فابر) بأن يجعل على ظهر كل نحلة قضيباً صغيراً ممغطسا ثم يتركها بعد ان يذهب بها الى محل بعيد . ففعل فظهرت النحل اضطراباً شديداً لتخلص من عبئها ثم رآها ارتفعت في الجو وسارت فلما عاد وجدها قد عادت، ولكن بعد ان تملصت من حملها المغناطيسي . فظن ان اضطرابها ذلك كان من تأثير المغناطيس على جسدها فقويت شبهة القائلين بتمتعها بقوة مغناطيسية فعاود التجربة ولكنه أبدل فيها الابرة الممغطسة بقطعة من القش ثم أطلقها فاضطربت اضطرابها الاول ثم هدأت وسارت فلما عاد لخليتها وجدها قد ألقت القش عن ظهورها فعلم ان اضطرابها الاول كان من تبرمها من الحمل لا من تمتعها بقوة مغناطيسية فرجع المشكك بذلك لحالته الاولى

ثم لاح للعلامة (فابر) ان يخترق بأسراب من النحل سلسلة تلال ويجتمع ادلة ل فعل وأطلقها خلف تلك التلال بحيث لا تري المدينة فحومت قليلا ثم علت في الجو فلاحت لها المدينة فاتجهت نحوها . وأتت الي خليتها فعلم انها تهتدي بحاسة النظر . وان صح ذلك فهو من أعجب ما يعرف في العلم لان للنظر مجال محدود فهو يري الاشياء من ابعاد متفاوتة ولكن كيف يهتدي النحل لخلاياه وهو وسط ما لا يحصى من بيوت

هذه التجربة حولت نظر العلماء لزيادة البحث في أعين الحشرات فوجد ان عين الحشرة الواحدة قد تتألف من ألوف عديدة من الاعين المتميزة متلاصقة بعضها بجانب بعض تتضامن كلها في رسم المرئيات .
ومن أغرب ما شوهد انهم وجدوا الحشرة المسماة ليبلول (Libellule) وهي نوع من النحل من اثني عشر الفا الي سبعة عشر الف عين متميزة محصورة كلها في محجري عينيها اللتين يظنهما الرائي عينين اثنتين وهما في الحقيقة الوف مؤلفة من الاعين . وقد قاس العلماء قطر كل عين من تلك الاعين فوجدوه لا يجاوز جزءين من مائتي جزء من المليمتر

فتأمل بارعاك الله في هذه المدهشات ثم قل اذا كان كل هذا الابداع ينتجه محض الاتفاق ام هو تقدير خالق حكيم ، ومدبر عليم



(علي اطلال المذهب المادي)

دخل العالم العلمي اليوم في عهد جديد باين به كل ما كان عليه من المدركات الالحادية ، ونقض كل مابناه السابقون من المذاهب المعللة للوجود ، وهذا تطور ليس له مثيل في تاريخه ، فرأينا من واجبنا ان نعلنه في مصر لا بايراد خبره ، والاكتفاء برواية نتيجة هذه المعركة الكبري بين القديم والحديث ، بل ببيان أدوار وقائعها ، وتتبع بجميع حركات قادتها في كتاب أسميناه (علي اطلال المذهب المادي) ليقف القارئ علي اغرب مشهد من مشاهد المكافحات العقلية دامت نيرانها مشبوبة نحو خمسين سنة ثم انتهت بدخول العقل البشري في عهد جديد واستقام العلم علي سنة لم تكن تدور بخلد ابعد الناس خيالا

تم طبع هذا الكتاب وثمنه عشرة قروش واجرة البريد قرشان

محمد فريد وجدي

(الوحديات)

ثمن العدد الواحد خمسة مليمات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩
(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « الأهلية بشارع عبد العزيز
(٥) « المليجي بالسكة الجديدة
(٦) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي بالاسكندرية
(٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سدرة باسكندرية
(٣) حضرة آدم افندي كومي ببني سويف
(٤) افندي أحمد مراسل الأمة محمود بالمنيا
(٥) عبد الحميد افندي حسين بعمل سالم وخليفه بالمنصورة

(قاموس المكتب والبيت)

كنت أتمنى أن أضع لنفسي وللمشتغلين بعقولهم مذكرة (في مجلد واحد) للغة ولجميع المعارف الانسانية والاحصاآت الخ مرتبة ترتيب القواميس ليرجع اليها عند الحاجة بدون اضاعة وقت

وكنت أرجو أيضاً أن أضع لبيتي ولكل بيت مرشداً في كل مايحتاج اليه أهله من المعلومات عن الصحة وقوانينها والاغذية وقيمتها والامراض وعلاجاتها والاعراض واسعافاتها والعقاقير وتأثيرها والنباتات وخواصها والفوائد التي دلت التجارب علي نفعها الخ

فوفقت لذلك بوضع (قاموس المكتب والبيت) في ألف ومئتي صفحة كبيرة محلاة بالصور المتقنة فجاء أجمع مذكرة للكتابة والتأليف ، وأهدى مرشد لرب البيت وربته في كل أمر من الامور الحيوية فهو خلاصة العلم العصري في كلتا ناحيتيه العلمية والنفعية

أتممنا للآن طبع ربعه والهمة مبذولة لاتمام مابقي منه . وقد جعلنا ثمنه (مئة وعشرين قرشاً) والذي يطبع منه عدد قليل . فمن شاء أن يقتني منه نسخة فليطلب الربع الذي نجز وثمنه (ثلاثون قرشاً) ثم يستمر على دفع (خمسة قروش) كل شهر فنرسل له ماتم طبعه فيه أولا فأولا حتي يتم الثمن كله ويتم الكتاب

العنوان : محمد فريد وجدي

﴿ صفوة العرفان في تفسير القرآن ﴾

هو مصحف مكتوب بخط اليد على ورق نباتي صقيل في أسفل كل صحفة تفسيرها وقد راعينا فيه تفهيم معانى الكتاب الكريم لمن لايتسع وقته لمراجعة المطولات وقد عنينا باللغة فأحسنا شرحها وبأسباب نزول الآيات فأتينا عليها من مصادرها . فهذا الكتاب يصلح أن يكون مصحفاً للتلاوة وتفسيراً في آن واحد . ثمنه غير مجلد ٤٠ قرشاً ومجلداً ٥٠ قرشاً

(العدد ١٥ – ل ٣١ اكتوبر سنة ١٩٢١)

الوجدانيات
هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير شكل علويا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الادبية المشهورة بها . وقد اخترنا لها الاسلوب الوعظي لانه اوقع في النفوس من سواه



محمد فريد وجدي

الوجدانيات
لانكم لن تستقيم امورها الا بتكامل ادبيات تعتدل معها عقولها وتتحكم في اهوائها وقد اثبت العلم ان الاخلاق كانت دائما السبب الرئيسي لكل انحطاط او اعلاء للمدنيات القائمة

(الوجدية الخامسة عشرة)

قال الوجدان :

خرجت من داري أصيل يوم صح جوه ، واعتدل نسيمه ، رجاء صديق أقابله فأزامله ، أو عمل يبدو لى فأزاوله ، فارخيت لرجلى العنان تحملاني الي حيث اتفق ، حتى انتهيت الى خارج المدينة ، وهنالك استقبلني النسيم بما حمل من اريج يفغم الانف ، وحياة تنبه الشعور ، فاندفعت أسيره ، وكانت الشمس على بعد رمحين من سطح البحر ، وقد أرخت ذوائبها الذهبية تتألق على مرآة ذلك الخضم الساكن ، والاشجار عن يساري و بين يدي تتراوح افنانها مندفعة بانفاس ذلك النسيم الرطب ، فحلا لى السير وأمعنت فيه ، وبينما أنا أتهادي بين تلك الربي والادواح ، واذا برجل قد التحف رداءه ، وتوسد ذراعه ، تحت دوحة من تلك الدوح وقد أخذته عينه فنام ، وقريب منه أفعوان فاحم اللون ، يلوح على عينيه الشر وقد رفع رأسه يُطل على وجه النائم إطلال الشؤم على وجه اليائس ، فقلت في نفسي لقد ضاع الرجل ، اذ لا يبعد ان يرفع يده ، او ينقلب على جنبه فيخاله ذلك الارقم قاصداً اياه بشر فيلسعه فيرديه ، ونازعتني نفسى بين أن ادع الرجل تحت رحمة القدر ، وبين ان ارد عنه عادية ذلك الثعبان ، فأمالني طبع غذّته النجدة ، ونمّته المروءة والنخوة ، الي الامر الثاني ، ولم يك في يدي الا عصى اتخذتها الهيبة في السير لا تدفع عن حاملها عادية ، فعمدت في الحال الى شجرة فعلوتها اسرع ما استطعت ، واقتضبت منها غصناً يصلح ان اتخذه سلاحاً اخيف به ذلك الصل المميت ، ثم تقصدته فما وقعت عينه على حتي رفع من جثمانه مايقارب متراً وفتح حنكاً اوسع من فُوّهة القربة ، احاطت به اسنان كاطراف الاسنة قد علاها نابان اشبه بلهزمَىْ الرمحين الحادين يخيل لرائيهما انهما يقطران موتا زؤاما .

فكدت والله ان ارجع ادراجي ، وما كنت قبل ذلك نازلت وحشاً ، ولا قارعت كاسراً ، ولكن تداركتني نجدة انسانية ، وهمة عربية فعز على ان اولى الدُّبُرَ حيواناً يريد ان يفترس رجلا قد يكون ابا عيلة ، او صاحب شأن ، فأمعنت في الاقدام ، فما ادرك والله ثبات جناني حتي وقف على ذنبه فكان أشبه بسارية السفينة ، وصفر صفيراً دل على مبلغ الحقد الذي يدفعه لمقابلتي ، كل هذا وانا ممعن في التقدم اليه فلما آنس مني الاصرار جمع قوته واندفع علي فناولته ضربة راغ منها والتوى اسرع من البرق الخاطف فصار خلفي ، فناولته ضربة اخري ماشككت في انها قد اصابته فاذا هو قد احاط بي احاطة السوار بالمعصم ، وكنت اعرف من قبل ان الثعبان اذا التوي بانسان وضغط عليه قصمه ، فما جالت هذه الفكرة السوداء في خاطري حتي سمعت قائلا يصيح دعه يا (جلجل) فوالله ما كاد يصل اليه الصوت حتي ارتخت اعصابه وسقط كأنه تخدر ، فالتفت الي الصائت فاذا به ذلك النائم وقد استيقظ مذعوراً ، فأقبل عليّ وقال ما اصابك ؟ فحكيت له الخبر ، فضحك وهدأ خاطري والتفت الي ذلك الافعوان وقال له انطلق ، فانطلق كأنه قد تكهرب لا يلوي على شيء . ثم امسك بيدي واجلسني بجانبه ، وضرب بيده على ظهري وقال الي هذا الحد تبلغ النجدة بأهلها ؟

قلت والله مادفعني الي ما تري الا اني خفت ان يخونك ذلك الكاسر وانت نائم ، اما وقد رأيت من طاعته لك مارأيت فقد صار عجبي منك اكثر من عجبي من نجاتي ، ولقد انسيتني بهذه السلطة الروحانية ، ماعلق بنفسي من آثار الذعر والدهش

فتبسم وتلا قوله تعالى « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »

ثم التفت الى وقال والله يا ابن اخي اني معجب بنجدتك كل الاعجاب ، ولقد كان يخيل الى ان الناس قد شملهم داء الاثرة فلا

يبق فيهم من يعطف على سواه ، فجئت انت بما فعلت شاهداً على ان الله في خلقه لشأناً ، وان الفضيلة لاتزال قائمة بأهلها حتى تقوم الساعة

قال الوجدان فتركته ينادي في اطرائي رجاء ان اصيب منه علماً ببعض ماعنده من أسرار الروح ، فلما فرغ شكرته ثم قلت له بلسان المتخاضع الطالب :

والله لقد دافعت عنك ولم اعلم انك من القوة الروحية حيث رأيت ، وما فعلت ذلك الا مضطراً بدافع من طبيعتي لااستحق عليه شكوراً . ولقد رأيت منك ما كنت انكره اذا قرأته . فالحمد لله الذي جعلك سبب خلاص فكري من السجن الحسي الذي كان فيه ، فان رأيت ان تعلمني مما آتاك الله شيئاً اذكر به هذه الساعة المباركة كان ذلك من فضلك ان شاء الله

فضرب على كتفي وضحك حتى بدت نواجذه ، ثم استوى وقال لقد برّحت بكم العلوم المادية يانشء المدارس ، اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، وركب أمشاج هذا الجسد الناطق ، ان وراء هذا العالم المحسوس لعالماً سبحت الارواح في جماله سبحاً ، واستنامت قلوب الكاملين الى بدائعه استنامة ، ووالله مابين الاحياء وبينه الاحجاب من هذا الجسد الكثيف الفاني ، فالله الله في انفسكم فلا تسجنوا عقولكم في اقفاص هذه المادة الطينية فتقطعوا عليها طريق الحياة الراقية وتكونوا من المحرومين

ثم قال ان كان ولا بد فسألقنك كلمات يسهل عليك حفظها في هذه اللحظة تمكنك من ان تنقلب نسراً متى شئت فاني اراك مغرما بالرياضات ، واستنشاق النسمات

قلت ذلك اليك ، وكل ماجدت به فبفضل منك

قال اعلى وضوء انت ؟

قلت نعم

قال هات يدك ، فناولته اياها فعاهدني على تقوى الله وطاعته وان لا ابغي بما سآخذه عنه محرما ثم لقنني كلمات فحفظتها . ثم تركني . وقال اتلها . فتلوتها فانقلبت نسراً في حجم النسور الضخمة فنظر الي وضحك ثم حرك شفتيه بكلمات فانقلب ليثاً ، فأشار الى برأسه علامة السلام ، وتركني ومضى وبقيت انا اتأمل في نفسي واعجب حتى خفت ان افقد عقلي من كثرة الدهش المشوب بالفرح

فتلوت الدعوة فعدت انساناً ، ثم تلوتها فانقلبت نسراً . فأنست بحالتي بعض الانس ، فحاولت ان اطير وكنت لا اصدق ذلك . فوالله ماحركت جناحي حتى رأيتني على بعد عظيم من الارض . فعرتني خشية واضطرب قلبي ، وتوهمت اني هالك ولكني بسطت اجنحتي فنزلت على اهدأ مايكون ، فعلمت ان لاخطر علي ، فطرت ثم عدت ، فعلت ذلك مراراً حتى وثقت بذاتي ثم طرت وامعنت في الطيران حتى انتهيت الى ضاحية مدينة عظيمة ، وهنالك وجدت دوحة وارفة الظلال ، طويلة الافنان فنزلت عليها ، وما استقر بي المكان حتى وجدت تحتها اربعة شبان يدل مظهرهم على انهم من ارقى افراد النشء الحي وقد اخذوا في موضوع هام يتجادلون فيه ، فقلت لاصغين اليهم ، فلعل من وراء ما يقولون حكمة التقطها ، فسمعت احدهم يقول :

والله يامعشر الاخوان ان حالة النساء لدينا قد اصبحت شر حال ، لايؤجر الصابر عليها ، ويأثم المدافع عنها

فقال الثاني اصمت وماذا تنتظر من مخلوق لم ينل من العناية ماتناله بعض الحيوانات المنزلية في اوروبا وامريكا

فقال الثالث نحن الشبيبة المتعلمة التي يلقى على عاتقها وظيفة كل انقلاب اجتماعي ، فمنا يطلب دون سوانا احداث الانقلاب الذي نوده في حالة المرأة

فقال الرابع المرأة المصرية لاينقصها شيء الا التربية فهي بما احيطت به من شريعتها الحكيمة ، وتقاليد قومها في مأمن من جميع ادواء المرأة ، تلك الادواء الاجتماعية التي صارت في اوروبا وامريكا الآن خطراً يخشى من نتائجه على بناء جامعتهم

فقال الاول وقد عرته دهشة : ماذا تقول ياحضرة الاخ كأني بك من اهل العصر الماضي ان المرأة المصرية ينقصها كل شيء اقلها رفع الحجاب ومساواة الرجال في الاعمال

فقال له صديقه وهو يحاوره : ماذا اضر المرأة حجابها حتى تطلب رفعه ، وماذا آنست من خير حل بأوروبا وامريكا من تعاطي النساء لاعمال الرجال ، وقد سلختهن المعامل عن البيوت وقوضت دعائم الاسر ، واقلت اجر العمال كما ينادى بذلك علماؤهم ومشرعوهم

فصاح به الصاحب الثاني محتدا : قائلا اما الحجاب فيمنع المرأة عن التعلم ويحجبها عن الاختلاط بالرجال في المجالس والحضور مع زوجها في المنتديات واما ماتذكره من ان عمل المرأة خارج بيتها يسلخها من عائلتها الى آخر ماذهبت اليه فيظهر لي انك سحرت بمباحث كتاب المرأة المسلمة وغرك ما قاله مؤلفه من اقوال المؤلفين والفلاسفة

قال صاحبه وهو هادىء الضمير ساكن الى الحقيقة . نعم قرأت كتاب المرأة المسلمة ، واقتنعت بما ورد فيه من الحجج الحسية فهل تقوى على دحضه بنفس اسلحته ؟

قال الصديق الثالث ، وقد ظهر بمظهر من يريد حسم النزاع ، هونوا عليكم ايها الاخوان ، فلا تذهب بكم المناقشة مذاهب الحدة ، فنضيع ثمرة

الرياضة . وانت ايها الصديق المعارض آخر ما تقوله ان المدنية تقتضي كثيراً من الشرور وهذا من الشر الضروري الذي لابد منه لتكميل بنائها ، وزخرفة رواقها

فقال له محاوره ، هذا خطأ عظيم لا يقع فيه الا من يجهل عوامل الحياة الاجتماعية فما الذي عزمتم عليه بعد اليوم ؟

قال امثلهم عزمنا على ان لا نترك الجهاد لانالة المرأة حريتها المسلوبة ، واخراجها من سجنها المظلم الى عالم الظهور ومجال الاعمال

فقال اصغرهم هذا امر قد تعاقدنا عليه ولكن ما الرأي وقد اوشكنا على الزواج ؟

قال اكبرهم اما انا فيستحيل على ان اتزوج بعصرية لا تناسب معلوماتي ، ولا اجد فيها الشريك الراقي لحياتي ، وقد آليت من عظم ما استحوذ على فؤادي من حب المدنية وحريتها المطلقة ان اتزوج بامرأة حقوقية ممن يتعاطين المحاماة ، فواهاً واهاً لمن يظفر بواحدة من اولئك الكاملات انها لاشك تملأ العين والقلب معاً

فقال الثاني اما انا فميلي كله ان اتزوج بطبيبة فاني اميل الى المباحث الحسية ، فتكون لي خير شريك في حياتي العلمية

فقال الثالث اما انا فسأبذل قصاري جهدي للتزوج بامرأة سياسية فعساي ان اجد فيها المثال الجميل الذي اتخيله طول حياتي عن المرأة الراقية

ثم نظروا الى الرابع وقالوا وانت على م عولت ، وضحكوا طويلا

فقال لهم أما انا فوالله لا اتزوج الا واحدة من بنات قومي وغاية ما اتحراه فيها ان تكون متعلمة مهذبة لا اشترط فيها كما يشترط اهل البطالة مالا ولا حطاما ويكفيني منها اصل كريم ومنبت طاهر ، فاني ارجو ان اعيش معها على اهنأ ما يرمي اليه خيالي في هذه الحياة وادعو الله لكم التوفيق

فقال له احدهم هيهات هيهات لما تطلبه من الهناء مع من لم تعرف معنى الوجود ، ولا تخرج من بيتها الا في مثل لفائف الطفل القاصر

ثم نظروا الى بعضهم وقالوا هلم نتعاهد على هذا العمل ونجتمع هنا بعد اربع سنين ليصف كل منا ما عسى ان يكون صادفه في عيشه من هذا ... المدة كافية للتجربة وللاوبة من رحلتنا

ثم قالوا قضى الامر ، وبطل الجدال ، فلنستودع الله انفسنا الى نية الاجتماع تحت هذه السرحة بمدار بسنوات كاملة تمضي من هذا اليوم ثم انطلقوا وهم يتضاحكون

قال الباحث ابن هيان فعجبت مما سمعت وكتبت في اطلال يوم الموعد وساعته بمذكرتي لاحضر مجلسهم بعد عودتهم من تجاربهم ، وكانت الشمس قد غابت ، فطرت حتى قربت من المساكن فتلوت الدعوة فعدت شرآ سويا ، وقصدت بيتي فرحاً بما اوتيت من هذه الخاصية العجيبة وظللت استطيل الايام شوقا الى ذلك الموعد حتى كان يوم الجمعة الماضي فخرجت الى الخلاء ، فلما توسطت البيداء ، تلوت الدعاء فانقلبت نسراً فطرت حتى وصلت الى السرحة المعهودة فحططت عليها ، فوالله ما جاءت الساعة المحدودة حتى جاء الاول ولاح الثاني والثالث من بعيد ، فما تلاحقا حتى ظهر الرابع ، فما وقعت الاعين على الاعين حتى أخذوا يتهادون التحايا ، ويتبادلون التسليات وتخلل ذلك قولهم متى سافرت ومتى جئت ، وبماذا كنت تشتغل الخ

ثم بدأ صاحب الزوجة الوطنية الكلام فقال باسم الله فتتح الجلسة المعهودة ، فليؤد كل منا أمانته التي عاهد الله عليها تحت هذه الشجرة ، ثم تضاحكوا ونظر بعضهم الى بعض نظرات تنم عن معان كثيرة ، فقال أحدهم ليتكلم اكبرنا سنا ثم من يليه ثم من يليه على الترتيب

فشخصت الابصار للاكبر واحدق به رفاقه ، وبدت على وجوههم آثار الشوق لاستطلاع ما عنده فاندفع يقول .

والله ايها الاخوان الاوفياء لقد دفعتني فيما اندفعت اليه عاطفة ليست من الهوى ولا من التقليد ، ولئن كنت لم اصب فلم يعدني الاجر على اى حال ولعلي بما فعلت اصبح حجة على سواي ممن يودون انتهاج نفس الطريق الذى انتهجته

فقال صاحب الزوجة الوطنية ، انما يعرف الكتاب من عنوانه ، اللهم طارقا يطرق بخير

فملا صوتهم بالضحك حتى كادوا يستلقون على الارض ثم قال واحد منهم يظهر لي من اجماعكم على الضحك ان البلوي عامة حتى عم المصاب فلنتكلم على اطمئنان ، وأخذ الاول يتم حديثه فقال :

تعلمتم اني كنت اتوق منذ عزمت على الزواج ان اقترن بنابغة من [illegible] الحقوق لتحيل [illegible] المرأة اذا درست كلما تستلزمه تلك المهنة الشريفة [illegible] اكمل [illegible] عقلا ، وا[illegible] لاسعاد نفسها وزوجها واولادها ، وكنت كلما تخيلت بعد مداركها وسعة اطلاعها ، احسبني انتقل بخيالاتها الى عالم يغبطني عليه سواي ممن لم ينل مثل هذه الحظوة

[illegible] اعرض على نفسي نساء المحاماة فكنت كاني اعرض عليها كتيبة من اهل الدمامة والطعون في السن . فلم اصادف

يجهن واحدة عمرها اقل من الخمسة والثلاثين ، فما زلت ابحث حتى عثرت بواحدة تناسب سنها سني ، فأخذت ابذل قصاري جهدي في امالتها للاقتران بي وهي تأبي محتجة بأن ذلك لايكون الا اذا حصلت عـلى مركز يليق بمعلوماتها في الهيئة الاجتماعية ، وقدرت له امداً يبلغ العشر سنين

فما زلت اتوسل اليها بالوسائل المختلفة حتي قبلت ولكنها اشترطت ان يكون المقعد دنياً لادينياً ليكون لها القدرة على حل عقدة الزواج متي لاح لها وجوب ذلك واخذت علىّ من الشروط ما لا يرضاه الا صاحب هوى ، فلم اعارض في كل ذلك

ثم العقد وحصل الاقتران فهيأت نفسي للرتوع في حقائق خيالاتي السابقة فرأيتني أبعد خلق الله عنها ، بل ابعـد خلق الله عن معنى الحياة البيتية

مضت الثلاثة الايام الاولي في هدوء وسكون وكان مدار احاديثنا بل احاديثها على القضاء والحقوق ، والقوانين والشرائع ، ومن من المحامين بذ مناظره في المرافعة ، ومن منهم شهد لخصمه بالسبق ، وانا لااشعر بثقل هذه المواضيع لانها جديدة ولكل جديد لذة وما مضت الايام الثلاث وسلمنا انفسنا من حجرة العشاء حتى ناولتني كتاباً وقالت تَـلّه بهذا ودعني في حجرة الاعمال فان ورائي غداً قضية قتل دعيت للمرافعة فيها وعلىّ ان استجمع اسانيدها بامعان

فدهشت اولا لهذه المفاجأة ولـكني لم استثقلها كما يجب ان يكون لانها كانت اول الوقائع من قبيلها ، فجلست والكتاب حتى اتيت على آخره فأطللت على صاحبتي من الباب فاذا بها بين اسفار دالوز وكار بنتييه في شغل شاغل ، فما لاح لها شبحي حتى صاحت بي راجية مني الابتعاد زاعمة ان الامر الذي يشغلها لايحتمل المقاطعة

فانثنيت وفي قلبي شيء

دقت الساعـة احد عشر ثم اثـني عشر وناهزت الواحـدة فاذا بصاحبتي مقبلة تتصبب عرقا فاستلقت علي المنضدة لاتبدي حراكا ، ثم عمدت الى قليـل من ماء الـكولونيا فأصابت منه نشقة ، ثم آذنتني بالنوم فنمنا

فما راعني الا حركة في الحجرة قبيل الساعة السابعة واذا بها تبحث عن بعض ملابسها ، فقلت ماذا تبغـين ؟ فقالت أتراني أزعجتك ؟ قلت لا بأس ، قالت لا تؤاخـذني فان الامر يقتضي الاسراع ، وسيكون لي اليوم في المحكمة شـأن عظيم ، وقد أوصيت الخادمة بأن تصنع لك ما تريد

قلت لاضـير ، وفي القلب أثر سيء ، وسرعان ما انفلتت بمحفظتها وخرجت فقمت وأصلحت شأني وخرجت الى عملي حتي كانت الساعـة الثانية عشرة فأبت الي داري لاتغدي ولم تعـد ، فأسرعت الي التليفون وسألت عنها ، فأجابتني بأن المرافعة ستمتد الى مابعد الظهر وانها مضطرة للغداء مع بعض الزملاء . . . للمناقشة في موضوع القضية . . .

فـكدت أفقد صوابي ، وادركتني الغيرة الشرقية ، ولـكن هواي أوهمني بأن هذه الغيرة بقية من بقايا أسر المرأة ، تعلق في نفوسنا ولا محل له في عصر المدنية

أمضيت بالمنزل ساعتين وحدي ثم انصرفت الى عملي وابت بعد الساعة الثامنة فوجدت صاحبتي واجمة لاتبدى حراكا ، وقد اخذ الاكتئاب منها مأخذه ، فتلطفت في السؤال منها ، فأخبرتني بأنها خسرت القضية ولم تتمكن من تجليتها للمحكمة كما كان يجب ، فقلت لا بأس عليك ، امامك الاستئناف

قالت نعم ولـكن خسارة القضية تؤثر علي سمعتي وقد كان في وسعي أن أبدد كل المغالطات لو كنت احسنت تحضير القضيـة ليلا ، وما أخرني عن الاحفاء في درسها الا اني راعيت انك ضجرت من انتظاري

قلت في نفسي والله حسن ، اليوم تعرّض بأني سبب فشلها تعريضاً وغداً تصرح به تصريحا ، فوجمت ، وحضر العشاء ونحن صامتان ، هي تفكر في شأنها وانا افكر في مصيبتي بها ، و بينا نحن نتناول الغذاء واذا بالجرس يرن ودخل الخادم يقول المسيو شارل المحامي يريد مقابلة السيدة ، فبدرته بقولها أدخله الي قاعة الاستقبال ، ونظرت الي بتلطف وقالت هذا زميلي في مرافعة اليوم وهو من اكبر المحامين شأنا

فأجبتها بما يناسب المقام وقلبي يكاد يتمزق غيظا ، وأسرعت في الطعام ثم قامت تهرول له ، و بعد هنيهة دعتني لتقدمني اليه ، فتبعتها اسحب رجلي سحبا من شدة ما اخذ مني التأثر ، و بعـد تناول القهوة اخذا في المناقشة واستمرا فيها حتى رأيتني مهملا بينهما ، ولولا الغيرة لتركتهما وشأنهما ، وارحت نفسي من تصاخبهما ، وكنت كلما مرت ساعة أمني نفسي بانقضاء المجلس في تاليتها وما زلت كذلك حتي دقت الساعة الواحدة ، فقطع ما ألم بي من التبرم فخف المسيو شارل للقيام مواعداً السيدة على مقابلتها غدا في نادي المحامين . . . . ؟

مضت تلك الليلة على ما وصفت فما لاح الصباح حتى اسرعت صاحبتي لايقاظي متحامية ان تعيد ما فعلته بالامس من الانسلال من البيت قبلي ، وأسرعت في تهيئة كل شيء ناظرة الى الساعة بين كل لحظة واخري وما كدنا نفرغ من الافطار حتي دفعتني دفعاً للنزول وما توسطنا شارع البيت حتى انطلقت هي ذات اليمين وانطلقت انا ذات الشمال ، فأتبعتها بصري فلم تسر عشرات قليلة من الامتار حتي صادفها زميل من زملائها فسارا معاً

جنبيا لجنب

مضت على هذه الحالة ايام ، وماراعني الا قولها لي ذات يوم انها مضطرة للسفر الي بوردو للمرافعة في قضية هناك فلم املك منعها فذهبت وعادت بعد ثلاث وصار يتكرر سفرها كل شهر ثلاث اوار بع مرات

مضت سنتنا الاولي وهلت الثانية فكانت الشهرة التي نالتها صاحبتي زيادة في تنغيص حياتي المنزلية حيث صار البيت قطعة من المحكمة ومثابة لزملائها في الصناعة فكنت أحرق الارم ولا املك لردها عن ذلك حولا ولا حيلة

في هذه الاثناء احست السيدة بوحام فلا تسل عما قاسته في عملها من المشاق فكم جاءت من المرافعة وهي على شفا الاجهاض وأمضت من نتائج هذا الاضطراب اياما وليالي في مرض يكاد يودي بها ولا تسل في اثناء انقطاعها عن تردد اصحاب الدعاوي على البيت واظهارهم التأثر من مرضها تأثرا مشوبا بالخبرم من فوت مصالحهم

فلما اثقلت كانت وظيفتها عليها عبئا ثقيلا ، وكانت تلفت انظار الناس في الجلسة ، وكثيرا ما كان ينقطع صوتها في اثناء المرافعة فيأذن لها القضاة بالاستراحة

جاء دور الوضع واضطرت لتمضية مدة النفاس بالبيت فكانت تلك المدة اثقل عليها من ايام السجن على المظلوم ، فامضت ايامها حتى اسرعت باستحضار مرضع لطفلها واخذت في شأنها على ماوصفت لك ، ولا تسل عما اتى الولد من اهمال المرضع وسوء اسلوبها في التغذية والتربية فأصيب الطفل بنزلة معدية معوية اسهرتنا من جرائها ليالي فكانت تضطر بحكم وظيفتها ان تترك الولد بين يدي مربيته ويدي وتذهب الي غرفة عملها تمضي ساعات والطفل يصيح ولا مغيث له

فكنت أتأمل في وجهها في تلك الاثناء فأراه فقد حنان الامومة ، واراها كلما امعنت في عمل الخارج اكتسب شكلا رجليا ينفر الطبيعة بتأثير خاص

مضت على ذلك ثلاث سنين مات في اثنائها الولد بعد ان كابد آلاما لا تطاق وجاء شهر مايو فأخبرتها عن عزمي على السفر الي مصر لارى اهلي وخلاني فوالله ما رأيت في وجهها حنان الزوجات ولا عطفهن وجاءت تودعني على الميناء كأني ضيف مسافر لا اليف مفارق

هذه قصتي ايها الاخوان والله لقد اصبحت افضل العزوبة بعلمي ما انا فيه ، وقد عاهدت الله ان لا يجمعني واياها بعد اليوم جامعة وكفاني ما كابدته في الثلاث السنين معها

فنظر زوج المصرية الى الثاني وقال هلم يا حضرة الاخ شنف اسماعنا بخبرك السار خبرا اللهم خيرا

فقال والله يا اخواني ما مصابي باخف من مصاب صاحبي ولقد علمتم اني ملت للتزوج بطبيبة فبعد ان وقعت فيما وقع فيه أخي من فقد التمثل في السن والصورة عثرت على احدى قيل انها متخرجة في الفنون الجراحية ، فعمدت لامالتها لى لاقترانها بي وبذلت في ذلك السبيل مالا جما فكان حديثها الطب والعقاقير ، وذكر المباضع والمكاسير ، وهذا ليس بشيء في جانب قولهم ان السيدة مدعوة الى قونسولتو فتذهب مع عدة زملاء الى حيث لا أعلم

وقد رضيت بهذا كله وماراعني بعد ان امضيت معها أياما الا بدقات متوالية على الباب في ساعة متأخرة جدا في ليلة ليلاء ، من ليالي الشتاء ، فقمت من الفراش يكاد جسمي يجمد من شدة البرد واذا بالطارق رجل يدعو الطبيبة لاسعاف محروق حالته تستدعي الاغاثة ، فاضطرت ان تقوم في وسط الليل الدامس لتلبي دعوة الداعي واضطررت ان انزل معها فأمضينا في بيت المصاب ساعة كانت اشد من جميع تكاليف حياتي ، فعدنا وما مضت ليلتان حتى طرق الباب طارق على نحو الليلة السابقة واشتهرت صاحبتي بالاسعاف فصار لا يدعى لهم ليلي سواها حتى اتفق انها دعيت في شهر فبراير الماضي احدي عشرة مرة بعد الساعة الثانية من الليل

وكانت كلما اشتهرت بالحذق كثر عليها الطلب ، وملئت اوقاتها بالزيارات والعيادات فصار البيت أشبه بمستشفى وأكثر من هذه الصفة تأثيرا عليّ ان السيدة من شدة شغفها بالطب ، أو حذقها في التشريح جعلت بدل التحف التي يحرص عليها النساء فوق الموائد والرفارف قحوفا بالية وأضلاعا متآكلة ، وجماجم نخرة ، ويزيد على ذلك رائحة حمض الفنيك التي كانت تهب من ثيابها بدل الاعطار الزكية فكان هولي بها اشد هول وناهيك بمن يري نفسه في مستشفى ابدي

أما اللذة الزوجية وما كنا نتخيله من الحنان والانعطاف بين الزوج وزوجه فكان خيالا عفت الحقيقة المرة على أثره من ذهني ، وصرت اغبط حياة الجاهلين لاعتقادي الراسخ انها أقرب الى جمال الفطرة من هذه الحال المتكلفة

قال الوجدان : كل هذا والثالث ساكت واجم ينم وجهه على ان مصابه اشد من مصاب صاحبيه وما انتهى الثاني من حكايته حتى ابتدر الثالث وقال :

ان مصابي ايها الاخوان اشد مما اصابهما وهو السبب الذي ... وحديث الذي يعاش ولا يستطاب

ذهبت الي الغرب شغفا بالمرأة السياسية فلم اجد المشتغلات بها شغلا جديا الا كل عجوز شمطاء ، ودردبيس درداء ، ولم اجد فيهن غير اثنتين ممن لا يجاوز سن الواحدة منهما الاربعين فرضت نفسي على اولاهما فأبت

هازئة بالزواج والمتزوجين ، علامة تلك الرابطة بقية من بقايا الاولين

ورضيت بي الثانية بعد ان تحققت من عظم ثروتي فاخذتها فرحاً قرير العين وكنت كلما اراها معتلية منبر الخطابة في مجلس النواب اكاد اطير فرحاً ، وكانت داري مثابة للسياسيين ورجال الاقلام ، فكنت على ذلك اياما أخيل لي اني في نعيم مقيم

حتي اذا قرب ينا ير وحان عرض الميزانية على المجلس قالت زوجتي هيء نفسك لمنظر مدهش فقد اعددت حملة منكرة ضد الاشتراكيين ، فظللت انتظر اليوم الموعود بصبر نافد حتي اذا ازف اليوم بكرنا الى المجلس فدارت رحى المناقشة فلما آن لصاحبتي ان تتكلم ارهفت اذني للسماع فرأيتها تحمل علي الاشتراكيين والاشتراكية حملات شعواء ، وما كادت تجلس حتي استأذن زعيم الاشتراكيين في الكلام واخذ ينقض حججها حجة حجة ، ويدحض ادلتها دليلا دليلا ، وحشا كل ذلك من ضروب التهزيء والتضحيك بما كدت ان أنزل اليه فادعوه للبراز

وما كاد يجلس حتي وقفت صاحبتي وقد بلغ الاضطراب منها مبلغه وظهر أثره على اعضائها فحملت علي خصمها من جنس حملته ، فصفر لها حزب الشمال وساعدهم المتطرفون وعلا ضحكهم عليها وتهزيئهم بها ، وانتصر لها عدد من المجلس وبح صوت الرئيس لاعادة النظام ، وما هي الا ثوان حتي حمي الوطيس واستحال الجدال الي ملاكمة ، وعلا صياح النساء فما شككت في ان زوجتي قتلت فنزلت كالمجنون ابحث عنها فأخذ بيدي رجلان من بوليس المجلس فكنت اسمع الملاكمة والتصايح داخل المكان واكاد اذوب كمدا ولم ازل واقفا حتي خرج الاعضاء وخرجت معهم فبادرت الى يدها فوجدتها بحمد الله لم تصب بضرر ولكنها لم تستقر في البيت هنيهة حتى اجهضت وكانت حاملا في سبعة اشهر

ولا تسل عما اصابني من تمريضها مدة عشرة أشهر من السهر والقلق حتي شفيت ، فحمدت الله علي ماحصل ولكني ادركت من ذلك اليوم سوء اختياري وعلمت اني كنت في ضلال مبين حينما تمنيت ان أتزوج من غير قومي

قال ابن هيان فلم يبق في المجلس واحد الا واظهر له الاسف وشاركه في التأثر »

فنظر اليوم وقال مهلا ايها الاخوان أن الذى سأحدثكم به ادهي وامر

ذلك ان الحكومة اصدرت قرارا ماسا بحقوق بعض الطوائف فاضطرت الاحزاب الى اظهار استيائها بواسطة مظاهرة عامة فودعت امرأتي لتخطب القوم لتحمسهم

فقلت لها ياسيدتي كفى مالقيته من يوم الملاكمة والزمي بيتك لان النساء لم يخلقن لامثال هذه المعركات العنيفة ، فأرتني صعوبة التخلف واحتجت بكل حجة فلم يسعني الامتثال لها ، فما وافى يوم التظاهر حتى رأيتها محمولة على باب فوق الرؤس وهي تخطب الناس تحمسهم والبوليس محتشد في كل مكان يدعو الناس لعدم التطرف ، ولكن الحماسة كانت بلغت حدها فضرب بعضهم البوليس فاضطر الجنود للحملة عليهم فتبودل الرصاص وحدثت موقعة ذات شأن فقدت فيها كل من اعرفه ، واختلط الحابل بالنابل ، واخذ الشرطة بسكون الناس وزجوهم الي السجن فهرولت الى البيت فلما هدأت الفتنة وعاد النظام أخذت أبحث عن صاحبتي فعلمت أنها اصيبت برصاصة في فخذها فذهبت لاراها فرأيتها في حالة يرثي لها قد تمزقت ثيابها ، وتهدل شعرها ، وظهرت عليها علامات الضعف والذهول فهدأت بالها من خلال باب السجن وذهبت على أسوأ مايكون

ثم امر بها فسيقت الى المستشفى وحكم عليها بثلاثة اشهر سجناً بسيطاً امضت نصفها بالمستشفي والنصف في غرفة السجن ، فانتظرتها حتي خرجت ومكثت معها شهرا على أسوأ حال فاقدا كل لذة بيتية ، وماهل مايو حتي استأذنتها في السفر الى اهلي، وجئت أقص عليكم مارأيت

فما انتهي من حديثه حتى نظر الثلاثة الى رابعهم نظر استطلاع وتلهف وسألوه ان يسرد عليهم حالته العائلية فاندفع يقول :

لما هممت بالزواج عرضت علي نفسي جميع الاصول ، وحشرت الى عقلي كل ماقيل في هذا الموضوع ، وجلت فيه بنظرة انتقادية فما رأيت اجمع لشروط الزوجية ، ولا اضمن لكمال الحياة البيتية ، الاما فيه قومى

تحققت ان في المرأة المصرية نقصاً في التربية ، نقصا في العلم ، نقصا في ادراك حقيقة الحياة . ولكني رأيت ان جميع هذه العلل ممكنة العلاج بقليل من المجهودات اذا اتفق ووقع احدنا مع من لم تستكمل شروط الكمال النسوي

قرأت كل ما كتبه الكاتبون على المرأة فطفقت من الاقاصيص الخيالية الي المقررات العلمية فأدركت حقيقة كلية هي ان المرأة خلقت للحياة الداخلية ، لا المكافحات الخارجية ، وجعلت شريكا له الغنم وليس عليه الغرم ، وعلمت ان الرجل في خشونته وصلابته وبما اكتسبه في المزاحمات من الخلق الوعر ، والقياد الصعب في حاجة تامة لمخلوق علي ضده يأوي اليه يكون جامعا لكل مايتصور من صفات اللين والرقة والعطف ، ولا يمكن ان يحرز هذه الصفات الا مخلوق رقيق القلب رقيق الجسم رقيق الشعور وهي خلال لاتتوفر الا لكائن يحجب عن قساوات العالم الخارجي وضراوات الحياة العملية

وأبقني بعد كفاح الابطال ومناظرة الاقران ، ومقارعة الخصوم في السياسة او في العلم أو الاعمال في حاجة الى مخلوق خيالي بالغ اقصى درجات اللطف والدعة ليلطف من شرتي ويهدىء من جيشاني ، ويجتذبني بما اودع فيه من الجواذب من عالم المخاصمات والمقارعات ، الي عالم الهدوء والسكينة لافرغ الى ذاتي ولو سواد ليلتي لاعود الي اعمالي في اليوم التالي بأكثر قوة واكبر نشاط

تحققت ذلك من نفسي ومن العلم فأدركت فساد مذاهب الذين يدعون المرأة لتخرج من خدرها لتاتي بنفسها بين احضان المزاحمات الدنيوية ووالله ما الحوت يقذف الى البيداء بأشد ذهولا من وجوده ، وابعد مكانا عن عالمه من مخلوق لطيف الجسم والشعور هي المرأة يقذف بها الى مزدحم التنافر ، ومضطرب العدد والمراجل

تحققت من هذا كله فعمدت الى اسرة تناسب اسرتي مكانة وادبا فخطبت اليها عقيلة من عقائلها فما مضت شهور حتى انقلبت الى نفس العالم الذي يحمله احدنا في خياله ، فما رأيتني مخدوعا بأوهامي ، ولا مغرورا بأحلامي

نعم آنست مخلوقا لم يبلغ اقصي درجات الكمال الانساني ولكنه قابل للتكمل ، اذ لم يعدم حسن التعلم

فان سألتموني اليوم عن مبلغ ارتياحي قلت يكفيكم مني اني لا اريد المزيد والحمد لله على ما منح ، حمدا يبلغ مداه و يوجب رضاه

قال الوجدان فوالله لقد غبطه اخوانه حتى كادوا يحسدونه ، وما زالوا ينثرون عليه من درر التهاني حتي استعفاهم ثم قال لهم :

اخواني لقد وضح الصبح لذي عينين واصبحتم بحمد الله جامعين من هذا الامر بين العلم والتجربة ، وليس بعد هذه المرتبة درجة في الايقان ، وها هي البلاد على باب فتنة عمياء من هذه الوجهة فهل لكم ان تقدعوا بتجاربكم هذه انوف المكابرين الذين يتجرون بهذه السفسطة الشنيعة ، مستخفين تحت ستار المدنية الكاذبة والفلسفة الباطلة؟

قال اكبرهم والله يا ابن اخي الفتنة غالبة والابصار كليلة والحقيقة تضيع ما تكون بين الهوي والتقاليد

وقال الاوسط : أراني والله الآن وقد رفعت عني غشاوة الفتنة بهذه المحنة الصارمة كأني كنت مسحورا بمؤثر يغلب الارادة و يفوق الطبيعة ، والا فكيف كان يغيب عني حقيقة ما ستنتهي اليه حالنا مما ألقينا بأنفسنا فيه بارادتنا

قال الثالث لعل الله بما حكم علينا بهذا الابتلاء الشديد قد هيأنا الان نكون حججاً دامغة تؤيد الحقيقة بحالنا وقالنا وان لم يكن لنا الا هذه الدرجة العليا لمكفانا بها مغنما بعد جهاد اربع سنين

﴿ علي اطلال المذهب المادي ﴾

(الجزء الاول)

دخل العالم العلمي اليوم في عهد جديد باين به كل ما كان عليه من المدركات الالحادية ، ونقض كل مابناه السابقون من المذاهب المادية الوجود ، وهذا تطور ليس له مثيل في تاريخه ، فرأينا من واجبنا ان نعلنه في مصر لا بإيراد خبره ، والاكتفاء برواية نتيجة هذه الحركة الكبري بين القديم والحديث ، بل ببيان أدوار وقائعها ، وتتبع جميع حركات قادتها في كتاب أسميناه (علي اطلال المذهب المادي) ليقف القارئ علي اغرب مشهد من مشاهد المكافحات العقلية دامت نيرانها مشبوبة نحو خمسين سنة ثم انتهت بدخول العقل البشري في عهد جديد واستقام العلم على سنة لم تكن تدور بخلد ابعد الناس خيالا

تم طبع هذا الكتاب وثمنه عشرة قروش واجرة البريد قرشان
محمد فريد وجدي

﴿ الوحديات ﴾

ثمن العدد الواحد خمسة مليات القاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩
(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « الأهلية بشارع عبد العزيز
(٥) « المليجي بالسكة الجديدة
(٦) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٨) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي بالاسكندرية
(٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سدرة باسكندرية
(٣) حضرة آدم افندي كومي ببني سويف
(٤) محمود افندى احمد مراسل الامة
(٥) عبد الحميد افندي حسين بمحل سالم وخليفه بالمنصورة

﴿ قاموس المكتب والبيت ﴾

كنت أعني أن أضع لنفسي والمشتغلين بما ولهم مذكرة (في مجلد واحد) للغة ولجميع المعارف الانسانية والاحصاآت الخ مرتبة ترتيب القواميس ليرجع اليها عند الحاجة بدون اضاعة وقت

وكنت أرجو أيضاً أن أضع لبيتي ولكل بيت مرشداً في كل مايحتاج اليه أهله من المعلومات عن الصحة وقوانينها والاغذية وقيمتها والامراض وعلاجاتها والاعراض و سعافاتها والعقاقير وتأثيرها والنباتات وخواصها والفوائد التي دلت التجارب علي نفعها الخ

فوفقت لذلك بوضع (قاموس المكتب والبيت) في ألف ومئتي صفحة كبيرة محلاة بالصور المتقنة فجاء أجمع مذكرة للكتابة والتأليف ، وأهدى مرشد لرب البيت وربته في كل أمر من الامور الحيوية فهو خلاصة العلم العصري في كلتا ناحيتيه العلمية والنفعية

أتممنا للآن طبع ربعه والهمة مبذولة لاتمام مابقي منه . وقد جعلنا ثمنه (مئة وعشرين قرشاً) والذي يطبع منه عدد قليل فمن شاء أن يقتني منه نسخة فليطلب الربع الذي تجز ونعنه (ثلاثون قرشاً) ثم يستمر على دفع (خمسة قروش) كل شهر فنرسل له ماتم طبعه فيه أولا فأولا حتي يتم الثمن كله ويتم الكتاب

العنوان : محمد فريد وجدي

﴿ دائرة المعارف ﴾

هي دائرة معارف كاملة فيها كل مايسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم علي احتلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل مايهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد على حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة في عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشا ومجلدة ٦٤٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا في أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فيمكننا بيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر بحوالة شهرية على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ في كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

الوجدانيات

هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الادبية الضرورية لها . وقد اخترنا لها هذا الاسلوب لمواعظنا لانه اقوى في النفوس من سواه



الوجدانيات

الامم لا يستقيم امرها الا بشكائم ادبية تحتذيك من عقولها وتتحكم في اهوائها . وقد ثبت للعالم ان الاديان كانت دائماً السبب الرئيسي لتقويمها واطرادها على المدنية الفاضلة

(الوجدية السادسة عشرة)

قال الوجدان :

فُطرت علي حب الغريب من كل شيء ، فكنت أتحري الغرائب فيما أقرأ وفيما ابصر مغتبطا بهذا الميل في نفسى لانه دفعني الي الوقوف على ماستر عن الاكثرين ، وحجب عن غير الافراد الممتازين ، فطالبتني نفسي برؤية شيء مما اتوق اليه ، ولكن أنّي لى ذلك واعا الأعاجيب لاتجيء الا اتفاقا ، فلما لم اجد لغلتي مَنقعا ، ولا لاهوائي مرتعا ، (١) ضاقت نفسى وجاشت (٢) فاندفعت الى الشارع رجاء ان تلهيني ضوضاء السُوقة ، وجلبة الباعة والمارة ، وتوقي خطر المركبات المتنوعة ، عن تلك الرغيبة التي تنازع نفسى ، فاستدرجني السير من طريق الي طريق ، حتى انتهيت لى زقاق ليس به احد غير شيخ عليه عباء ، وكانه من الغرباء ، فلم يُلفت لى نظرا علما مني انه قروي جاء الى القاهرة لبعض شؤنه ، فوالله ماحاذيته وانا ساقل عنه حتي بدرني بقوله :

أأقل من السلام ، يا كاتب الاسلام ؟

فالتفت دهشا وقلت سلام الله عليك ورحمته وبركاته

قال وعليك مثل ذلك يا وجدان :

قلت لاتؤاخذني بما اهملت ، كأنك تعرفني وما اذكرك ، فهل لك ان تذكّرني بسابق العهد ايدك الله

قال كنت جارك في عالم الروح قبل ان نسكن في هذه الاجساد

قلت أو تذكر ذلك العهد ؟

قال ان قشطت من ذهنك ركام الاهواء والرغبات ، وخلصت جوهرك من ادران الهموم والرعونات ، تذكرت ماوراء ذلك (١)

قلت اهدني لطريقه ، اكرم الله وجودك ، وأدام تأييدك

قال لست من اهله الآن ، فامض لما انت بصدده من تطلب الغرائب وتلمس العجائب

قلت والله كأني بك مطلوبي اليوم

قال لا ولكن ان شئت ان تشهد مشهدا من اغرب ما يروي لاهل هذا الجيل فانطلق حتى تنتهي الي آخر الشارع ، ثم مل جهة اليمين تجد عطفة فقف هنا لك هنيهة فسيمر بك شيخ طويل اللحية ، قويم المشية ، ممسك بيده هراوة ، ومعلق في جنبه إداواة (٢) فسر خلفه من بعد ولاتكلمه ، ثم انظر مايكون بعد ذلك

قال الباحث ففعلت كما قال ، ووقفت حيث اشار ، فما هي الا هنيهة حتى اقبل ذلك الشيخ الطويل اللحية يمشي لايلوي على شيء ، كأن له غرضاً يسعى اليه ، فتبعته من بعيد حتى شارفنا الخلاء ، وانعزلنا عن الدهماء فالتفت وراءه فرآني

فقال ايه ياوجدان ؟

فأقبلت اليه مسلما ، فرد علي متبسما ، ومددت اليه يدي فصافحته ، ثم أملت رأسي لاقبل يده ، فجذبها بشيء من الشدة وأخذ يضحك ثم قال :

ما الذي دفعك لتقبيل يدي ياهذا ؟ أطول لحيتي ام ضخامة هراوتي ؟ ألا يمكن أن تكون يد محتال ، أو مدلس دجال ؟

قلت بل لعرفانك اسمي ولم تخبرعني

قال عجبا لك ! الا يحتمل اني رأيتك في المدينة قبل اليوم فسألت

(١) منقعا من نقع ظمأه اي بله (٢) جاشت اضطربت

(١) الركام الشيء المركوم بعضه فوق بعض . والأدران هي الاقذار جمع درن

(٢) الهراوة العكازة . والاداوة اناء صغير من جلد

منك من يعرفك ؟

قلت يجوز ذلك ولكن سياك تدل على نفس زكية ، وحال مرضية .

قال لشدَّ ما بلغت منكم سرعة التصديق يا بني مصر ، فكم حسن المظهر قبيح المخبر

قلت وان الذي تقوله لأدل دليل على صدق فراستي

فضحك مقهقها ثم قال ما اكثر مايكون التواضع حبالة لصيد ، ومقدمة لكيد

قلت لقد انشرح صدري لك والسلام

فصاح قائلا أواه أواه ما أبعد شمائل الاسلام عنكم يا بني مصر ، الا يقول دستوركم « وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شرلكم »

قلت الخلاصة اني أويد ان اصاحبك اليوم

قال لا والله حتى تقر بالخطيئة ، وتعزم علي ان لا تعود الي هذه السذاجة

قلت قد اقررت وعزمت

قال اذن طابت الصحبة ، فأغمض عينيك

فما كدت افعل حتي شعرت بهزة كهربائية ، كأن تياراً كهربائياً انساب في جسمي ، ثم قال افتح عينيك

ففعلت فرأيتني في أرض غير أرض مصر ، بين جبال شاهقة ، وسهوب مترامية (١) ووديان وعيون لم أعهدها ، فقلت لصاحبي أين نحن ؟

قال في جزيرة الغرائب

قلت اين موقعها من الكرة ؟

قال كرتنا ام كرتكم ؟

قلت أو هناك كرتان ؟

قال سبحان الله ياوجدان

قلت من كرتنا ؟

قال في محيط العجائب

قلت ماسمعت به قبل اليوم

قال معذور فانك لم تقرأ الجغرافيا

قلت والله لقد نلت فيها أرقي الشهادات في مصر

قال ولكنك لم تقرأ سطرا من جغرافية القوم

قلت ومن هم أولئك القوم ؟

قال هؤلاء ، واشار ذات اليمين

فالتفت فاذا برجال كامثال الكواكب ، يقبلون جماعات ومثني ، في

(١) السهوب جمع سُهب وهو المستوي البعيد من الارض

ابهة الملوك وفخامة الاقيال (١) عليهم أردية بيضاء ، ومطارف زهراء ، فتداخلتني منهم خشية ، فقلت لصاحبي : أملوك هؤلاء ؟

فضحك صاحبي وقال : بل عبيد وأنشد :

عبيد ولكن الملوك عبيدهم
وعبدهم اضحي له الكون خادما

قلت لعلهم الابدال ، قال انتظر فسوف تعرفهم

قال الوجدان فمروا بنا مسلمين ، واقبلوا على صاحبي محيين ، فشممت لهم أريجا ماعهدت مثله طيبا ، ولا آنست له ضريبا

فالتفت بعضهم الى صاحبي وقالوا من الذي معك ، وكيف سمحت له ان يتبعك ؟

فقال لهم متبسما هذا فتي من فتيان المعاني ، يوشك ان يَدْرُج من عش حكتكم فيلتحق بكم

قالوا ماشاء الله واقبلوا اليّ ، يدعون لي ويباركون عليّ

ثم قال قائل هلموا فقد جاء الموعد ، فمشينا الهوينا حتي وصلنا الي سهل فسيح من الارض قد احدقت به ربوات معشبة مزهرة ، قامت حواليه كأنها ارائك سندسية اعدت مقاعد للمتفرجين . فصعد القوم عليها واخذ كل منهم مكانا منها يشرف على البسيط الذي بينها . ثم التفتنا فاذا في وسط هذا المجال رجلان كأنهما يتأهبان للبراز ، أحدهما شيخ قد حني الدهر صعدته ، وبيض لحيته ، والآخر شاب يفيض قوة ، ويتيه فتوة

فكانت اسلحة الشيخ رمح طويل ، وسيف صقيل ، وقوس موتورة ، ومجن عريض ، وقد لبس درعا سابغة ، وتقلنس بخوذة من حديد ، وعلى يمينه مجانيق كبار ، وركام من احجار

أما الشاب فكانت آلاته عضب جُراز ، وسدس من آخر طراز ، وعلى يمينه مدفع مكسيم ، وبين يديه آلات الكهرباء ، وعدد مختلفة الأشكال

فما هي الا هُنية ، حتي صاح الشيخ بقرنه صيحة شموخ وجبرية (٢) قائلا هلم الي البراز أيها المغرور بنفسه ، المفتون بباطله ، المدل بنوائله (٣) تفاخرني بالظواهر المزوقة ، والقشور المنمقة ، وتساميني بالاكاذيب المزخرفة ، والاباطيل المفوّفة (٤) وتحدث نفسك بزعامة الانسانية دوني ، وقيادة

(١) الاقيال جمع قَيْل وهو الملك . وقيل لا يطلق الا على الملك من ملوك حِمْيَر خاصة

(٢) الهنيهة اصلها الهَنَ وهو كل اسم جنس معناه شيء يقال هذا هنك اي شيئك . والانثي هَنَة وتصغر على هُنيهة ومنه يقال (امكث هنيهة او هُنية) اى ساعة يسيرة . والجبرية الكبر

(٣) المدل اي المتدلل (٤) المفوفة اي المخططة يقال (ثوب مفوف) والأباطيل المفوفة هي المزخرفة .

الارواح وحدي ، لكنت كمن يحاول ان يقود الجوزاء ، ويحال من هوا (١) فرك يا هذا ما جاءني من الشيب ، وقوس ظهري من الاعاجيب (٢) وخدعتك نفسك بنزالي ، والخلوف لقتالي ، ولم تدران بين جوانحي قلبا لا تزعزعه الاهوال ، وفي ذراعي حولا يستنزل العصم من الجبال (٣) الا انك مني على حد ما قيل :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها واوهى قرنه الوعل (٤)

فقال الشاب :

ايها الشيخ الفاني ، والهرم العاني (٥) لست والله مغرورا بنفسي ، ولا مفتونا بباطلي ، ولا مدلا بعوالي ، وانما هو الحق الصراح ، والرأي الرجاح ، فلقد اديت ما عهد اليك ، وقمت بما وجب عليك ، في زمان كنت به اولى ، وباهله اشبه ، فسعدوا بك السعادة التي قدرت لهم ، ثم انقضى دورك ودورهم وهذا زمان جديد ، له شؤون ومقتضيات ، وامور وحاجات ، لست منها في مراح ولا مغدى ، فاترك لي سلطان الارواح وقيادة الاشباح ، عن طيب نفس وسماحة قلب ، والا اصليتك نار القتال ، واذقتك منه شر نكال

فقال الشيخ وقد بدت عليه دلائل الانف ، ولوائح الصلف ، تزعم ان زماني قد ولي ، وان تركي الزعامة لك اولى ، وغفلت عن اني الروح الخالد والاثر التالد

فتزيدني من الليالي جدة

وتقادم الايام حسن شباب

لقد توليت الانسانية منذ نشأتها ، فربيتها في طفولتها ، وهيمنت عليها في شبيبتها ، فأنا روحها المحرك لها ، وحياتها التي تحيا بها ، فما انت ومن اين نشأت ، وما هذه الحقوق الذي اليها طمحت ، وفيها طمعت ، فخفض من غلوائك ، واعرف حقيقة ذاتك ، والا جعلتك مثلا للآخرين وعبرة للمعتبرين

قال الشاب ، تخف ايها الشيخ لقتالي ، ويغرك قلة احتفالي ، ولو كنت تدري ان اقل ما لدي فيه القضاء المبرم ، والبلاء المحتم ، لاشفقت على نفسك ، ولنجوت برأسك . فتنازل عن هذه المزاعم ، وخل لي القيادة وانت راغم

هنا هاج الشيخ وثار ، وعمد الي سيفه البتار ، وتقدم الي الفتى بقلب يتقد حقدا ، وعين تشع وقدا

(١) الجوزاء برج في السماء (٢) جلاني غطاني (٣) العصم جمع اعصم وهو من الظباء والوعل ما في احدي يديه او كلتيهما بياض وسائره احمر او اسود (٤) الوعل تيس الجبل (٥) العاني الاسير

فلما آنس الفتى منه هذه النزعة ، امسك بيده بكتبه ، قال الوجدان فتحققت ان الشيخ هالك ، وكدت اصيح على من هنالك ، ان يتداركوا امره قبل الفوت ، وينقذوه من مخالب الموت ، وما كاد هذا الخاطر يطوف برأسي ، حتى رأيت شابا قد كللته الاريحية ، ووسمته النجدة الاسلامية ، اسرع من بين الجماعة الى الميدان ، وهو يصيح مهلا ايها الرجلان ، فأمسك كل منهما عن الاسترسال ، ووقفا على طرفي المجال ، وجاء هو فوقف بينهما ، ثم نظر الي الشاب بامعان ، والى الشيخ بعطف وحنان ، ثم انشد والدموع تذرف من عينيه ، والجموع تنصت اليه وقال :

رجلان يقتتلان في ميدان

شيخ الشيوخ وصفوة الفتيان

وكلاهما يبغي لصاحبه الردي

يخطو له بعنف وعناني

يرنو اليه بمقلة تنبي عن الا

حقد الوري وجاحم الاضغان (١)

ويريد ان يقضي عليه ولو دري

من قرنه لقضى من الاشجان

ثم نظر الي الشيخ وقال : ايها الشيخ الست التليد بن عتيق ؟

قال نعم

ثم نظر الي الشاب وقال : ايها الشاب الست الطريف بن تليد ؟

قال نعم

فقال الحكم بينهما ياسبحان الله فعلام تتنازعان ، وكيف تختلفان فتقتتلان ، ثم نظر الي الشيخ وقال :

ايها الشيخ ان هذا ولدك بضعة منك ، انفصلت عنك فهي انت ، فان رأيت لها استقلالا ذاتيا ، وتميزا شخصيا ، فما ذلك الا لتبقى في شخصه الي امد ، ولتحيا بعد حياتك به الى حين

فاحتفاظك به هو احتفاظك بوجودك ، والاقرار له بخلافتك هو اقرارك بخلودك ، ولو كان الخالق مخيرا احدا في وسائل البقاء بعد الموت في هذا العالم ، لما اختار غير ولد يحيا به ، فاعرفه معرفة الابوة ، وافرح بما رزقه الله من قوة ، واعلم ان ما بين يديه من هذه العدد المهلكة والآلات المدمرة ، وان دقت عن الفهم وعلت عن المدارك الا انها ثمرة ما لديك ونتيجة لعمل يديك

قال الوجدان : فرأينا والله وجه الشيخ قد تهلل سرورا ، وتألق حبورا ، وكاد ... بنفسه ... لا ان ذاك الحكم التفت الي الشاب

(١) الوري اي التقد . والجاحم الجمر الشديد الاشتعال من جحم النار بحجم جحما اوقدها

وقال :

ايها الشاب علام تقاتل اباك ، وترصد له الهلاك ، وانما انت للآن ثمرة لم تنضج ، وزهرة لم تتفتح ، اغرك ما لديك من عدد وآلات ، واجهزة ومعدات ، فقمت تنازعه القيادة ، وتجاذبه السيادة ، وانما الملك لا ينال غصبا ، ولا يستقر لصاحبه نهبا . لقد كنت تستطيع ان تقتل قرنك في مثل لمح البصر ، وقبل ان يتحرك ليصل اليك ، فيموت بما حمل في صدره من اسرار الانسانية ، وتاريخ ادوارها في المدنية ، ولو علمت ان المستقبل مرتبط بالماضي ، بل هو نتيجة مقدماته ، وثمرة مغروساته ، لتحققت انك بقتل والدك ، كنت قاتلا نفسك ، لان الارواح لا تنقاد الا لمثل حياتها ، ومشخص تاريخها ، الجامع بين يومها وامسها ، فمن اين لك هذه المكانة ان لم تجمع الي ما عندك ما عنده من تليد المعارف ، وعتيق التقاليد ، وقديم العادات حتي تصل بين حلقات الاحوال الانسانية ، وتربط بين اطرافها برباط الوحدة التاريخية

الآن وقد تحققت ان قرنك اباك ، وتحقق هو ايضاً ذاك ، فيجب عليك ان تتقدم اليه مستغفراً ، وبجهلك اياه معتذراً ، ثم تقبل يديه ، وتنضوي اليه ، لا تنازعه في حكم ، ولا تزاحمه في غاية ، وهو متي آنس انك اقدر على الاداء ، وأجلد على العناء ، قدمك واستعانك ، ووكلك في شؤونه واثابك ، وامدك من حكمته وتجاربه بما يعودك على السير في المناهج ، ويرشدك في المخالج

قال الوجدان : فوالله لقد خر الولد صعقا حين علم انه يقاتل اباه ، واخذ الشيخ ينشج في بكاه ، ثم افاق الفتى من غشيته وتقدم لصاحب ابوته ، وانحني امامه متواضعا ، ثم اخذ يقبل يديه خاضعاً ، فضمه الشيخ الي حضنيه ، وقبله بين عينيه ، ثم انطلقا مثنيين على ذلك الانسان ، داعيين له باحسان

قال الوجدان : فوقف ذلك الوجيه وسط الميدان ، وقال اسمعوا ايها الاخوان :

ان للقديم فضلا لا ينكر ، وللحديث شأنا يؤثر ، وخطراً يجب ان يذكر

في القديم اصولنا وتقاليدنا وعقائدنا ولغاتنا وخيالاتنا ، فهو مهد الانسانية ، وعش الحقائق الاولية ، منه درجت شخصيتنا ، وبه تمثلت انسانيتنا ، ففي نسيانه نسيان الاصول ، وهجر العقائد ، واماتة اللغة ، وفقد لصورة الماضي التي لا مسرح لنفس انسانية الا فيها ، ولا مرتاض لعواطفها الا بها ، فنكون كأننا خلقنا الساعة كهولا بغير طفولة ، او شيوخا بغير كهولة ، لا يرتبط الحاضر بالماضي في اذهاننا برابط ، ولا يجمع بين آثار انفسنا جامع ، فنكون كأننا سقطنا من السماء بغتة او نبتنا من الارض بغتة ، والانسانية لا تحيا الا بأولياء ، ولا ترقى الا بتاريخ نجباء

ولقد حدث ان تناكر القديم والحديث ، وهما والد وولد ، وطريف وتالد ، وكاد تناكرهما يفضي الي ازهاق احدهما روح صاحبه ، فان بقي القديم وحده رجعت الانسانية القهقري ، وان تمرد الجديد بالسلطان اركبها مراكب الهوي ، فكان الحق ان يتعارفا فيصطلحا ليستقيم الحال ، ويحسن المآل ، وقد تم ذلك والحمد لله

قال الوجدان : فآنست من تلك الجماهير هزة ارتياح ، ونشوة انشراح ، ثم اخذوا يعودون الي حيث ثواء ، فأردت ان اتعقبهم لاعلم مستقرهم ، فقال لي صاحبي الي اين ؟ قلت الي حيث يذهب الناس

قال مهلا مهلا ، اغمض عينيك

ففعلت ممتثلا ، ثم فتحتهما فرأيتني وحدي على اول المعانة التي وجدت بها صاحبي وليس معي احد ، فعدت الي البيت ، متعجباً مما رأيت .

حل مسئلة الموت

تابع ماقبله من كتاب

(الموت وغامضته)

للعلامة الأشهر (كاميل فلامريون) الفلكى

(الخصائص الروحية الخارقة للمادة من مجهولة)

« اوغير ممحصة تمام التمحيص »

المثبتة وجود الروح مستقلة عن التركيب المادى

من السذاجة أن يتوهم الانسان انه يستطيم ان يصل الى درجة اليقين التام في اي مجال من مجالات العرفان . فلسنا على يقين من شيء . لان حواسنا واساليب ملاحظاتنا وادراكنا ليست كافية لكشف الحقيقة المطلقة وليس امام العلم العريق في تحري الاسلوب الحسى الا مرجحات قد تكون ذات قيمة عالية حتى تساوى ما يسمى في اللغة المتعارف عليها باليقين . فعلم الهندسة نفسه يقوم على احد المسلمات ، ولايوجد شيء يثبت لنا انه لايوجد غير ثلاثة ابعاد في الفضاء . والقول في علم الحساب بأن اثنين واثنين تساوي اربعة لايعني شيأ كبيراً اللهم الا اصطلاحا كلاميا اوتعبيراً عن عمل اضافي ومع هذا فان العلوم الرياضية تمثل لدينا المعارف اليقينية . ولكن يتعذر الوصول الي هذا الحد في علم النفس

كل المعارف النفسية المذهبية وجميع المباحث الرسمية المدرسية فيها يعوزها التكميل بل التغيير والتنقيح

وبما ان الخصائص الطبيعية للنفس والادراك والعقل والارادة التى هي مرمى التعاليم المدرسية الرسمية والتي مظاهرها عادية ومستمرة لم تثبت استقلال الروح عن المخ اثباتا لايمكن النزاع فيه ولم تحصل لنا اليقين عن البقاء بعد الموت رأينا ان ننظر الى هذه المسئلة من وجهة جديدة وان نذهب الى مدي ابعد مما وقف البحث عنده الي اليوم

فالانسان قبل كل شيء كائن مفكر ، فالفكر امر عملي محقق . افلا يمكننا بجانب هذا الأمر العملي الأولى ان نبحث فيما اذا كانت بعض الخصائص الروحية المجهولة والتي لم تدرس الا قليلا ، تستطيع ان تؤتينا بموضوعات جديدة للبحث يساعدنا تحليلها الدقيق على تمزيق غشاوات من جهالة طال عليها الأمد ، واثارة مسئلة تركيبنا النفساني ، وزيادة معارفنا المحدودة ، وتأسيس علم روحاني

يمكن قبوله يكون محققاً لأ ماننا بعد كل هـذه المجادلات العقيمة في موضوع واحد ، و بعد هذه التمحيصات المديمة الجدوي التي لا تخـرج عن دائرة محدودة ؟ . . .

لقد رأينا من الاعتبارات السابقة في الفصل السالف ترجيح الوجود المستقل للروح بشهادة الفزيولوجيا نفسها . فنستطيع الآن ان نذهب الى مدي أبعد من هذا وان نزيد هذا الوجود المستقل للروح بمظاهر خصائصه التي لايمكن ان تعزي الي الخواص المادية للمخ ولا الى تركيبات عضـوية أو كيماوية أوميكانيكية أوصفات ذاتية . . .

فشعور الانسان مقدما بما سيقع مما سيطلع عليه قرائي هنامن الامور الجديرة بالتفات خاص . فادعوا اشدهم عناداان يمحصوه ويقلبوه علي كل وجه . . .

مثال ذلك ما رويناني محل آخر من ان (ديالونيه) مدير مرصـد باريس كان يشعر في نفسه دائما ان ركوب البحر سيجر عليـه مصيبة وكان يرفض ان يمتطي صهوته لهذا السبب ، حتي حضر اليه احد اقربائه وهو المسيو (ميتو) في اغسطس سنة ١٨٧٢ ورجاه ان يمضي معه اسبوعا من الرياضة فقصدا شسيربورغ فنزلا الاثنين معـا وهما عائدان من زيارة مرفئها بتأثير ريح شديدة

فالشعور بالحوادث المستقبلة والانذارات النفسية التي من هذا القبيل هي من الكثرة بحيث تخرج عن حد الامور الاتفاقية ، ولا يدهشنا ان يهتم الباحثون بالتنقيب عن علتها فانها جزء من الحوادث الواجب دراستها . فقد تكون حادثة واحدة يمكن تفسيرها بالاتفاق المحض ، ولكن تفسير عشرة حوادث أو عشرين أومئة أوالف بالاتفاق فذلك مما لاسبيل اليه

وقد كتب الدكتور (مينوسافاج) في مجلة (اينفسليزجازين) الامريكية في مارس سنة ٩٢ ١ ما يأتي :

« كان في احدي ضواحي نيو يورك شاب اسمه دورمسه في البلاد الأجنبية بجامعة (هيدلبرج) وكان ابعد ما يكون عن المزاج التصوري الوهمي . وكان لطول قامته وقوة عضلاته اشتهر بين قومه بالمصارع . وكانت العلوم التي آثرها على سواها هي الرياضيات والطبيعيات والكهربائية . ولما عاد من البلاد الاجنبية لم يعرف عن صحته الا انها جيدة للغاية . وكان يقيم مع امه في دار منعزلة [illegible] في تلك الانحاء . وكان من عاداته ان يذهب كل يوم بعد العشاء فيمشي خطوات وهو يدخن في (بيته) ففي ذات ليلة عاد الي بيته هادئا لم يكلم احدا [illegible] مخدعه . فلما اسفر الصباح دخل الي حجرة والدته قبل ان [illegible] من [illegible] ومسح [illegible] بيده [illegible] بعد ايقاظها [illegible] لها :

[illegible] سأخبرك بشيء محزن جدا [illegible]

قوية [illegible] معاه

« فدهشت [illegible] مما سمعت وسألته عما يقصده من قوله هذا ،

« فأجابها بقوله : يا اماه اني عالم بما اقول ، اني سأموت قريباً »

« فألم بالام ما ألم من الكرب والاضطراب كما يعهد من كل ام في مثل هذه الحال وسألته ان يزيدها بيانا

« فقال لها : بينما كنت أمشي امس مساء في الميدان ظهر لي روح ومشي بجانبي وأخبرني بأني سأموت ، فلابد من اني سأموت

« فتأثرت الأم مما سمعت اشد تأثر واستدعت طبيباً وكاشفته بما سمعته من ابنها

« فقرر الطبيب بعد اطالة فحص الابن بأنه لم يجد عنده شيأ غير طبيعي وهدأ بال الام بقوله لها ان ماحـدثك ابنك به لم يكن سوى حلم رديء وهذيان محض ، وانه لايجوز لها ان تفكر فيه ، وانه لن تمضي الا ايام معدودة حتي تضحك هي وولدها من خوفهما الوهمي

« فلما أصبح الولد في اليوم التالي شكا بوعكة خفيفة فاستدعي الطبيب ثانية فوزن ، وسوستهما

« فاشتد المرض في اليـوم الثالث على الشاب واحضر الطبيب فرأي التهاباً حدث في الزائدة الدودية . فقرر ان تستأصل بعمل جراحي . فلم يعش بعد العمل غير يومين اثنين ولم يمض بين مارآه و بين يوم موته غير خمسة ايام » انتهي

امثال هذه الروايات اعتاد الناس ان يسلوها بطيش بكلمة (هذيان) ويخيل اليهم انهم يحلون المسألة بحذفها علي هذا النحو . وليس هذا من الجد في شيء

فليس علي هنا الا ان استمد من الاسانيد التي لا تحصى من بحثي الذي عملته لأزيد علي ماقدمت اسانيد جديدة مختلفات الطبيعة ، وللدلالة بذلك علي سعة المجال المجهول الذي علينا اكتشافه . وقد وقعت الآن بدي عـلى الكتاب الآتي وهو يخالف الكتاب السالف ولا يقل عنه في الغرابة .

وقد ارسل الىّ من الآستانة في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٠٠ فاليك :

سيدي الاستاذ

« في سبيل البحث العلمي التجريبي الذي تبذلون فيه باخلاص عظيم [illegible] ات كثيرة [illegible] اعداء العلم العام اري من واجبي ان افضي اليكم بحادثتين شاهدتهما بنفسي

« قابلني [illegible] في ذات يوم بالآستانة في نحو منتصف [illegible] الثانية عشرة صباحا وقال لي :

لا [illegible] صاحب هذا اليوم مشغول الفكر بان عمتي قد [illegible] ان عمته مريضة فأجابني [illegible] اقل خبر . و بينما نحن [illegible] ان شعوره هذا وهمي اذ أقبل خادمه

حاملا اليه تلغرافا من مدينة (جنوا) وفيه ان عمته توفيت فجأة في تلك الصبيحة عينها

«وهذا الرجل نفسه هب من نومه فجأة في ليلة ٣١ يوليو الماضي وقال لزوجته بأن ملك ايطاليا قد قتل . فلم تعارضه زوجته اعتقاداً منها انه يحلم . فلما اصبحت اخبرته بما رآه في الحلم . فقال لها ان ذلك لم يكن حلماً ولكن تلك العبارة خرجت من فمي وانا لم اعلم لماذا ولا كيف خرجت

«وكان بيتهما مطلاً على الميناء فقال لزوجته ان أدل دليل على ان ملك ايطاليا لم يمت هو ان السفن الراسية رافعة اعلامها

«وبعد مضي ساعة عاد الى النافذة فرأى في هذه المرة ان تلك السفن قد خفضت راياتها الى انصاف سواريها (علامة الحزن) . فدهش من هذا التغيير فأسرع الى الاستعلام فقيل له ان ملك ايطاليا قد قتل غيلة في الليل

«خاف صاحبي من هذا التوافق العجيب فجاء يستشيرني باعتباري طبيباً للامراض العقلية ويسألني عما اذا كان ماحدث له يدل على عرض خطير لاصابة مخية . فهدأت باله ولكني دونت هذه الحالة لاسيما وصاحبنا كما قلت عنه آنفاً رزين للغاية وجدير بالثقة من كل وجه

«فارجوكم وانا في انتظار جوابكم ان تتفضلوا بالعفو عن جراءتي بالكتابة اليكم قبل ان اتشرف بمعرفتكم شخصياً . وتكرموا بقبول شكري واحترامي »

الدكتور ل . موغيرى

طبيب الامراض العقلية بالمستشفى الملكي الايطالى

شارع كارديسنان ، رقم ٢٠ بالآستانه

لقد شكرت هذا الدكتور الكريم على كتابه هذا الذي ضممته الى امثاله الكثيرة . فمن الجنون اعتبار كل هذا من الاوهام اذ يكون ذلك بمثابة انكار الشمس وقت الزوال . فالسكائن الانساني لايزال بالنسبة الينا مر آغامضاً وعلم المدارس قد ضل سبيل الرشاد الى الآن ، ولكن العلم الذي اخذ على نفسه البحث عن الحقيقة ، يجب بعد الآن ان يقتنع بأن هنالك خصائص للروح لاتزال مجهولة وهي اهم الاشياء التي يجب كشفها وتحديدها وتفسيرها . . .

واليك حادثة قديمة تدل على الشعور عن بعد بالحوادث حصلت لامرأة عن زوجها . وهي مستخرجة من مجموعة (الفانتاسمس اوف ذى ليفنج) (١) وهذه الحادثة تتعلق بالدكتور (اوليفيه) الطبيب بمدينة هويلجوت (فينستر) :

« في ١٠ اكتوبر من سنة ١٨٨١ دعيت لاداء عيادة طبية في الريف على بعد ثلاثة فراسخ من داري وكان ذلك في وسط ليل دامس . فسرت في طريق اجوف تحفه اشجار قد قدمت حافيه وصارت عليه كالقبة . وكان الظلام شديداً الى حد اني لم ادر كيف اقود حصاني فتركت الحيوان يسير بفطرته وكانت الساعة حينذاك تسعه . وكانت الطريق التي سلكتها يعلوها حجارة غليظة مستديرة مكونة لانحدار شديد . فكان الحصان ينحدر منها ببطء عظيم . فما راعني الا انثناء يدي الحصان ثم وقوعه فجأة مادا فمه على الارض ، واستلزم ذلك سقوطي من فوق رأسه ماساً الارض بكتفي فانكسرت احد ترقوتي

« في هذه اللحظة كانت امرأتي تخلع ثيابها في الدار وتستعد لدخول سرير فشعرت بأني قد أصبت بأذى واعترتها رعدة عصبية وأخذت تبكي ثم استدعت الخادمة قائلة لها : أسرعي الي فاني خائفة ، فقد حدث لزوجي سوء ، فهو اما ميت أو مجروح

وظلت طول غيبتي عنها ممسكة بالخادمة عندها ولم تفتر عن البكاء . وارادت ان ترسل رجلا ليبحث عني ، ولكنها لم تدر الى اي قرية قصدت . اما انا فعدت الى داري في الساعة الاولى بعد نصف الليل وناديت على الخادمة لتؤتيني بمصباح وترفع السرج عن حصاني قائلا : اني قد جرحت ولا استطيع ان احرك كتفي .

« فتحقق بذلك شعور امرأتي »

الدكتور اوليفيه

طبيب هويلجوت ، فينستر

وقد كتب لي العلامة المدرس المسيو سابيللي من كوستا (جزيرة كورس) في سنه ١٩١٢ يقول :

« المشاهد ان هذه المسائل اصبحت في نظر القارئين في الدرجة العليا من الافادة . واني متحقق بأني اعبر لكم عن رأيهم في رجائي اياكم بمتابعة مباحثكم فيها

«ان مسألة حقيقة الزمان صعبة الفهم للغاية . وقد اجاب احد الرياضيين المشهورين باحثاً سأله اسئلة الفصل فيها بقوله : « لنتكلم في شيء آخر » رغم ذلك فاني اري من واجبي ان ارسل اليكم بمشاهدات توجب الحيرة المدهشة ولايمكن ان يتسرب اليها الشك اصلا

«بينما كان ابن عائداً الى داره ذات ليلة يصحبه احد اصدقائه اذ طرق آذانهما صيحات انزعاج منبعثة من نساء يبكين ويرثين متقدماً من طرود نازلة عليهن ، وظننا ان احداً قد قتل عندهن . فوقفا امام الدار التي تنبعث منها هذه الصيحات يستطلعا جلية الخبر فكان نصيبهما ان انقطعت الاصوات فجأة ثم يعودا يسمعان شيئاً . فلما كانت الليلة التالية ومر ابني ازاء هذه الدار سمع مثل الصيحات التي سمعها في الليلة السابقة تماما ولكنها في هذه المدة لم تكن وهمية . وعلم ان طفلا لم يكن به مرض في الليلة الفارطة صيب فجأة في اثناء النهار بالخناق ومات من ساعته بما يشبه موت الفجأة.

(١) هذه مجموعة الحوادث الروحية التى حققتها بنفسها جمعية المباحث النفسية المشكلة في لوندرة من جماعة من العلماء منذ سنة ١٨٨٢ ولا تزال موجودة للآن

حدثت الحادثة في مدينة باراوز وهي مجاورة المدنية التي أودى فيها وظيفتي التدريسية

(الكتاب ٢٢٣٠)

فالذي يجب علينا التسليم به بدون ان نتأثر بأدني شك هو ان علم المستقبل سيبحث في تعليل الخصائص الروحية المجهولة للآن في العلم العصري والتي لم تدرس الي اليوم الا دراسة ضئيلة جداً

والصحف الآتية ستزج بنا في معمعان هذه المباحث بادخالها ضمن هذه التقاسيم الضرورية وهي: الارادة المؤثرة بمحض التلقين العقلي . — والتأثر والتأثير عن بعد ، والانتقالات النفسية الي مدي بعيد . — والنظر بدون واسطة الاعين اي بالروح . — ورؤية المستقبل

هذه الحوادث الحسية تثبت كلها الوجود الروحاني للنفس مستقلاً عن الخصائص الطبيعية للحواس

فالروح والجسد هما شيأن متميزان لكل منهما خصائص خاصة بها

﴿علي اطلال المذهب المادي﴾

(الجزء الاول)

دخل العالم العلمي اليوم في عهد جديد باين به كل ما كان عليه من المدركات الالحادية ، ونقض كل ما بناه السابقون من المذاهب المادية الوجود ، وهذا تطور ليس له مثيل في تاريخه ، فرأينا من واجبنا ان نعلنه في مصر لا بايراد خبره، لا بالاكتفاء برواية نتيجة هذه المعركة الكبري بين القديم والحديث ، بل ببيان أدوار وقائعها ، وتتبع جميع حركات قادتها في كتاب أسميناه (علي اطلال المذهب المادي) ليقف القاريء علي اقرب مشهد من مشاهد المكافحات العقلية دامت نيرانها مشبوبة نحو خمسين سنة ثم انتهت بدخول العقل البشري في عهد جديد، واستقام العلم على سنة لم تكن تدور بخلد ابعد الناس خيالا

تم طبع هذا الكتاب وثمنه عشرة قروش واجرة البريد قرشان

محمد فريد وجدي

﴿الوجديات﴾

ثمن العدد الواحد خمسة مليات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قرشاً وهي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ١٢٩
(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « الأهلية بشارع عبد العزيز
(٥) « المليجي بالسكة الجديدة
(٦) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٧) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي بالاسكندرية
(٢) المكتبة التوفيقية شارع جامع سلطان بيسابسدرة بالاسكندرية
(٣) حضرة آدم افندي كومي ببني سويف
(٤) محمود افندي احمد مراسل الامة
(٥) عبد الحميد افندي حسين بمحل سالم وخليفه بالمنصورة

﴿قاموس المكتب والبيت﴾

كنت أتمنى أن أضع لنفسي وللمشتغلين بعقولهم مذكرة (في مجلد واحد) للغة ولجميع المعارف الانسانية والاحصاآت الخ مرتبة ترتيب القواميس ليرجع اليها عند الحاجة بدون اضاعة وقت

وكنت أرجو أيضاً أن أضع لبيتي ولكل بيت مرشداً في كل مايحتاج اليه أهله من المعلومات عن الصحة وقوانينها والاغذية وقيمتها والامراض وعلاجاتها والاعراض واسعافاتها والعقاقير وتأثيرها والنباتات وخواصها والفوائد التي دلت التجارب علي نفعها الخ

فوفقت لذلك بوضع (قاموس المكتب والبيت) في ألف ومئتي صفحة كبيرة محلاة بالصور المتقنة فجاء أجمع مذكرة للكتابة والتأليف ، وأهدى مرشد لرب البيت وربته في كل أمر من الامور الحيوية فهو خلاصة العلم العصري في كلتا ناحيتيه العلمية والنفعية

أتممنا للآن طبع ربعه والهمة مبذولة لاتمام مابقي منه . وقد جعلنا ثمنه (مئة وعشرين قرشاً) والذي يطبع منه عدد قليل. فمن شاء أن يقتني منه نسخة فليطلب الربع الذي يجزو ثمنه (ثلاثون قرشاً) ثم يستمر على دفع (خمسة قروش) كل شهر فترسل له ماتم طبعه فيه أولا فأولا حتي يتم الثمن كله ويتم الكتاب

العنوان : محمد فريد وجدي

(العدد ١٧ — في ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢)

الوجدانيات
هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير شئ عن الحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الادبية الضرورية لها . وقد اخترنا لهذا الاسلوب لمواعظنا لانه افعل في النفوس من سواه

الوجدانيات

محمد فريد وجدي

الوجدانيات
الامم لا يستقيم امرها الا بكمالات ادبية تتنزل من عقولها وتحكم في اهوائها . وقد اثبت العلم ان الاخلاق كانت دائما السبب الرئيسي لكل انحطاط اعتور المدنيات القائمة

(الوجدية السابعة عشرة)

قال الوجدان :

دخلت يوما الى عالم الخيال استعرض مجاليه ، واستشرف مراميه فبينما انا أسير في مواميه ، واسلك في معاميه ، اذ ظهر لي بيت رفيع البناء ، حسن الرواء ، يشف ظاهره عن ثروة بانيه ، وينم حاله على شرف ساكنيه . وكان التعب قد ملك مني فلت الي جداره لأتفيأ من ظلاله ، فلحظني صديق لي كان سامرا مع رفقة له في حضرة صاحب تلك الدار ، فخرج الى مسرعا وسألني عن سبب الوقوف فأخبرته ، فرجاني ان ادخل معه فأجبته ، فحياني صاحب الدار وحياني ، وبذل من البشر ما استوجب شكراني . وبينما نحن جلوس نتهادي درر الكلام ، اذ دخل علينا احد الخدام يبتسم ، وقال بالباب رجل ذو اطمار يقول انه عابر سبيل ويستأذن علي مولاي في الدخول فقال له صاحب الدار : ليدخل . فدخل رجل يناهز الستين ، عليه سيما الصالحين ، وبيده هراوة السائحين ، فقال بصوت جهير (السلام عليكم !) فرد عليه صاحب المنزل من طرفي شفتيه ، وتنحنح بعض من في المجلس غميزة عليه ، ولم يأمره احد بالجلوس ، فجلس حيث انتهى به المجلس ثابت الجأش حاضر الحواس . فتركه الحاضرون وشأنه فما منهم احد حياه بتحية ، أو نفحه بعبارة مرضية ، وكان هذا المجلس حاويا من وجوه الناس من يشار اليهم بالبنان ، ويعدون من سروات الاعيان ، عرفني بهم ذلك الصديق واحدا بعد واحد ، وذكر لي نبذة من تاريخ كل منهم وسيرته ، وكشف لي عن مجهل ثروته . وكنت ادركت ذلك مما كان يلوح عليهم من كبر وجبرية ، حتى كانوا وهم من طبقة واحدة لايتكلمون الا تصنعا ، ولا يتحركون الا تكلفا . تزاحموا على صدر المكان حتى تراصوا فيه تراص الاحجار في البناء ، وحرص كل منهم علي مركزه حرص البخيل على درهمه ، وهما منهم ان من عداه هذا المحل فقد عدته الابهة ، وفاتته العظمة .

قال (الوجدان) فبينما نحن جلوس وقد دار بيننا الكلام دوره اذ تراكض الخدم وترصوا متأهبين لاستقبال عظيم من العظماء واسرع مقدمهم الينا يخبر بتشريف السري فلان ، فخف صاحب الدار لاستقباله ، وأخذ كل من في المجلس يستعد لاقباله بتعديل سرباله ، وتسريح سباله . فما كانت الا لحظة حتى اقبل يتبختر عن يمين صاحب الدار ، فنهض كل من في المجلس وتسارعوا لمصافحته ، وأحلوه من بينهم محل الواسطة من العقد وهو من التعاظم بحيث ما كان يتنفس الا تصنعا من شدة ما أخذ حب الابهة باكظامه .

قال (الوجدان) كل ذلك حاصل وذلك الغريب يلحظنا من طرف خفي ، ويسارقنا النظر بقلب شجي ، ولكنه في جميع حركاته وسكناته لم يتعد حد الادب ، ولم يأت بما يلام عليه الفقير امام اصحاب الرتب ، ثم جاءت القهوة فتناول كل من بالمجلس فنجانه ، الا ذلك الغريب فلم يلتفت اليه بالكرامة احد . فلما مضى دور القهوة ، التفت ذلك السري الى صاحب الدار وسأله عن شأن ذلك الغريب ، فأخبره بأنه عابر سبيل استأذن فادخل ، فاعرض ذلك السري بجانبه اشارة عدم الرضي بما سمعه ولحظ ذلك منه صاحبه فتطلب مراضيه باغضاب الفضيلة ، والتفت لذلك الفقير وقال له : ايها الرجل اخرج فاجلس مع الخدم فان لك معهم مجالا ليس لك هنا ، واملك قد ضاق صدرك من ادمانك الصمت . فقال الرجل : اما الصمت فليس عن حصر ، وان شئت أسهبت في البيان وأغرقت ، وسلكت من مهايعه ماسلكت ، ولكني اصغي لأتعلم ، واصمت لاسلم ، ولو حدث لي معكم موجب للكلام لتكلمت من غير ابلاس ، وهل انتم الا من بعض الناس ؟ اما الخروج عن حضرتكم . . . . فقاطعه صاحب الدار وقد آلمته جرأته : أيها الرجل ان محض حصولك على البيان ، لا يسمو بك لمجالسة الاعيان ، فان لكل رتبة رجالا ، ولكل فريق اشكالا ، فلا تكثر الكلام ، واخرج بسلام . فصاح الجميع اخرج اخرج فقد خرجت

عن حدود الادب، وترفعت امام اصحاب الرتب فالتفت اليهم وقدتبيم دمه ، وظهرت عليه سمات الحمية وقال : بئس القوم انتم اتجعلون الاموال موازين الرجال ؟ فيقول الله (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وتقولون انتم ان اكرمكم عندنا اغناكم ؟ أحكم الجاهلية تبغون ، ام طريق الجبابرة تسلكون ؟ اف لكم ! قد اصطلح الاحياء على جعل التفضل بالاعمال، والتمايز بالجد في تحقيق الآمال . وجعلتم انتم التمايز بالحطام الفاني ، والعرض الزائل . فلقد ارحتم انفسكم من حيث تعب الكرام !

ايه ! أبالاكل تفخرون يا اساري البطون ، واحلاس المطلب الدون، انظروا وتدبروا في أحوال الحياة لتدركوا مايجب على الاعلين امام ممهم، وأي شيء من كبريات الاعمال يناط بهم . اتحسبون أنكم تدعون كبارا ولم تفعلوا فعل الاكابر ، وتعظمون في نظر الناس وانتم اقل نفعا لهم من الاصاغر ؟ ماذا يعود على الامة منكم ان اكلتم من الالوان عشرين ، أو لبستم من الحرير الثمين، أوركبتم من الخيول الجياد ، أو سكنتم في السبع الشداد ، مادمتم ابعد الناس عن برها، وأقصرهم باعا في نفعها ؟

اوي الكبر قد سقاكم من شرابه كأسا رمت اعناقكم بالصعور ، وخدودكم بالصعر ، وانفسكم بالبطر ، فأثقلت اجفانكم ، وعقدت ألسنتكم واضعفت حركتكم ، حتى صرتم بالاشباح اشبه ، والى التماثيل اقرب . فرحماكم انفسكم ايها الاسري ففكوها من هذه القيود الوهمية ، واخلعوا عن اعناقكم هذه الانيار الشيطانية ، وخلصوا عقولكم من هذه الغواشي الجاهلية ، ولينظر كل منكم لنفسه ، وليقس غده على امسه ، وليلق بنفسه بين يدي العارفين بدائه ، الواقفين على سر بلائه ، بتواضع المريض لاطبائه ، والقاصر لاوليائه ، وليستشعر الرفق بنفسه ، والرحمة بذاته ، فلقد لقيت منكم بالجهل مالم تلق من اعدائها ، وشقيت بكم مالم تشق بأهوائها .

ايها المكثيرون في السفاسف ، القليلون في العوارف ، الشجعاء امام الحرمات، الجبناء حيال المكرمات، السراع للدنيات، البطاء في الكمالات، التقال عن الاعمال ، الخفاف في القيل والقال . هم أحدكم بيت يزخرفه ، ومال يتلفه . وعرض ينتهك حماه ، وخزية يعصى بها مولاه ، حتى شقيت بكم بلاد انتم من سادتها ، وذات امم انتم من قادتها ، فأصبحتم جراثيم الداء الدفين، وحقت عليكم آية المترفين « واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

قال (الوجدان) فرأيت الحاضرين قد حاروا في أمر هذا الرجل الجريء وأخذ بعضهم ينظر الي بعض ، فأردت ان احمسه ليزيد، وأهيجه لنستفيد ، فقلت ايها الرجل لقد غلوت في الانتصار لنفسك ، واغرقت في الحط من مقام هؤلاء السريين. فقال بصوت جهوري ، ولسان جرئي : انما السري من عمل لامن اكل ، ومن نفع لامن جمع ، ومن تكرم لامن تجرم ، ومن لانت خلائقه ، لامن توالت بو ثقه ، فمن ادعى السيادة بماله فليتضع ، ومن زعم انه نور فليتألق ، ومن ظن في نفسه مزية فليجد ، فكل اناء بالذي فيه ينضح ، اما التطاول الى مقامات السراة بمحض جمع الدنانير ، وتجهم الفقير ، وتصعير الخد تكبرا ، وامالة العنق تجبرا ، وجعل المشية تبخترا ، وعدم الاختلاط الا بأهل الثروة ، وصرف العمر بين الملاهي والقهوة ، فليس من صفات السريين ، ولا من سمات الاسلين ، ولو كان سراة الامم على هذه الشاكلة لهلك الفقراء ، وعمت الجاهلية الجهلاء ، وذهبت ثروة الامة في اهواء الاغنياء ، ثم التفت لاهل المجلس ورفع عقيرته بينهم منشدا :

يا ايها النفر الغالون في السرف ... رفقا بأنفسكم من هوة التلف

قوموا انظروا لسراة العالمين وما ... يأتونه من خصال المجد والشرف

لم يجعلوا همهم حشو البطون ولا ... حسو الكؤوس ولا الاغراق في الصلف

بل هاجهم لبناء المجد افئدة ... عطشى الي المجد لم تفسد من الترف

نمتم فهنتم فما اغنت مطابخكم ... عنكم ولا عاليات الدور والنجف

ورب ساحب وشي لو تخاطبه ... وجدته من ظلام الجهل في سدف

ليس السري الذي للبطن حيلته ... بل السري اخو المهمات والشظف

كانت اوائلكم اعلام اعصرهم ... علما وفضلا وكانوا اكرم السلف

فلم نكصتم على الاعقاب بعدهم ... وختنتموهم فكنتم اسوأ الخلف

قال (الوجدان) فالتفت للقوم فاذا بهم صموت بهوت لايحيرون جوابا ، ولا يستطيعون خطابا ، قد عرتهم غشية الحيرة ، وعلتهم خشية الحسرة . فجرأت نفسي وقلت له : ايها الرجل من انت ومن أين اقبلت والي أي جهة قصدت ، اعطنا مجملا من أمرك ، وأطلعنا على حقيقة سرك واتخذنا تلاميذ نسترشد بهديك ، ونستضيء برأيك ، فقال: اما انا فانسان قد ابلت من عالم لا اعرفه الي وجود ليس المسئول عنه بأعلم من السائل، اما اتخاذي اياكم تلاميذ تسترشدون بهديي فهل كنت اهدى لكم من القرآن ، واوعظ من طوارق الحدثان ؟ قلت فما نريد الا ان تعرفنا نفسك على حسب العرف فتذكر اسمك واسم ابيك و بلدك وعشيرتك ، وتبين لنا كنه حقيقتك . فقال هبوا ان اسمي هيان بن بيان، من اذربيجان ، من بني ساسان ، او افرضوا اني فلان بن فلان من بني فلان ، ثم سلم وخرج. فعز لي ان تفوتني مرافقته ، فهممت ان امسكه لامنعه الخروج ، فما كدت احتضنه بين ذراعي حتى انقلب عصفورا ، وطار فوقف على النافذة ، وهز رأسه الي بالتحية ، وصفر صفرة بلبلية . ثم رفرف بجناحيه ، وتركني اتحرق عليه . فتحققت عند ذلك انه صديقي ملك البلابل ، وخطيب الخمائل ، فضاع رشدي من كثرة العجب ، فاستأذنت رفقتي في الانصراف اقدم عزائمهم من الدهش ماعراني ، وعمت انا ابكي الي بعودة فوصلتها فوجدت

صديق البابل في انتظاري . فقلت ما أعجب ما أرأيتني منذ اليوم. قال وما ذلك ؟ قلت ما كنت احال أن أراك رجلا وقد كنت عصفورا . قال وما يمنعك أن تصير عصفورا وقد كنت رجلا . قلت لا أستطيع ذلك قال: متى تمكنت في مرتبة الانسانية ، وقشرت عن نفسك هذه القلف الطينية، غلت هذه الدرجة السنية — قلت لم أفهم ماقلت — قال لله درك ما أحسن اقرارك بالحق — قلت اشرح لي ماقلت وقاك الله الضير — قال هذا كلام يذاق ولا يشرح فان لم تجد شرحه في نفسك فلا تطمع ان تفهمه من أحد بعدك — قلت لقد بالغت القوم في النصيحة ، فهل رأيت أبلغ منك؟ قال نعم — قلت ومن هو ؟ قال الحوادث ـ قلت او للحوادث لسان؟ قال نعم يسمعه من له قلب ـ قلت أو تنفع النصائح لمن قضى الله عليهم بالاضلال ؟ ـ قال ومن أين لنا العلم بهذا القضاء؟ ـ قلت ظواهر الاحوال قال وهل الظواهر تورث اليقين وقد شوهد تخلفها في كثير من الاحايين ـ قلت ماتقول في البائسين ؟ ـ قال قد حكم عليهم رب العالمين ، في كتابه المبين . ثم قال ياوجدان ان في كتاب الله آية يجب ان يحتج بها المصلحون، ان هزيء بهم القانطون وهي قوله تعالي : « وقالت طائفة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة الي ربهم ولعلهم يرجعون » فيجب على المصلحين ان يدعوا الى الخير مااستطاعوا فان أجدى جدهم ، كانت لهم المثوبة في الآخرة ، وان اكدى كدهم كانت لهم عند الله المعذرة ـ قلت عظني ـ قال كفاك ماسمعت فان للقلوب سآمة فاحذرها، وان آنست منها نشاطا في موضوع فلا تستنفده كله فيوشك ان تطلبه بعد ذلك فلا تجده ـ فقلت أتأذن لي في الانصراف ـ قال لاحق انا كهتك بقدر ما وعظتك فاني اكره ان يثقل عليك الوعظ فلا تجد في نفسك مايخفف يلك الينا فان الانسان شديد النفور من الحقائق وان ادعى انه يحبها ـ قلت الرأي ماتراه ـ قال صفني شعرا ففكرت قليلا ثم انشدته :

و بلبل من ملوك الجولانت به ... فلم ترق بعده لي صحبة الناس

كأنه بحر علم لاقرار له ... مع انه لم يزد في الحجم عن كاس

فضحك وقال شكرا لك ولكن اراك قد قارنتني بالكاس وشتان بين جامد وحي . فهذا ضرب من المفارقات ؟

قلت لما ذكرت انك بحر علم لاقرار له اردت ان استنزل عجب الناس من انك كذلك مع ان جسمك صغير لايزيد عن القدح الصغير فكيف وسع البحر الكبير . فضحك حتى اغرق، ثم قال لقد أردت التشبيه فعداك الانسجام ، وفاتك الطلاوة ، وجانبت الصراحة فقلت ما لا يجيش في صدرك عني . فهلا قلت :

و بلبل من ملوك الجو همت به ... ياحبذا لو بدت في صيده فرص

فانه وان استعلت مواهبه ... طير واولى به من ايكة قفص

ثم قهقه قهقهة بلبلية ، وقال اليس كذلك يا اخا البشرية ؟ ـ فقلت كلا لا يعز على ان اجعلك اسيرا ، وقد اتخذتك سميرا ، ولكنك لو اتخذت داري عشا ، ومغناي وكرا ، لوجدت مني ماتعرف به قدر وفائي ، وحقيقة اخائي ـ فقال الحق لا امان للانسان ، مادام متقلب الجنان ، ومتعرضا لدواعي الحدثان فخلنا احبابا من بعيد ، لنستديم بالوفاء ودنا الاكيد

(الجزء الثاني)

على اطلال المذهب المادى

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو اكبر حجما من الاول وفيه تاريخ المباحث النفسية وتجارب العلماء فيها وشهادة قادة العلم لها وجملة صالحة من الخوارق التى ثبتت صحتها ثبوتا علميا لايحوم حوله شك تدل على وجود العالم الروحاني بشهادة المشاعر وقد كنا نشرنا هذه المباحث في مجلة المقتطف في خمس عشرة مقالة فجمعناها في هذا الكتاب ، وهي تعطي القاريء فكرة تامة على حقيقة الحركة الروحانية في أوروبا وأمريكا وهي تلك الحركة التى قضت على المذهب المادي قضاء علميا لاقيام له بعده

(ثمن هذا الجزء ١٢ قرشا واجرة البريد قرشان)

(دستور التغذي)

هو كتاب جديد استخلصناه من احسن ما كتب في امر التغذي في دوائر المعارف الفرنسية وكتب الاخصائيين فيه وهو يحتوى على فلسفة التغذي ومقادير المواد المغذية الموجودة في كل نوع من انواع الاطعمة ومباحث جليلة في الهضم وما يتعلق به وعلاج الامراض بالحمية والاقتصار على النافع من الصنوف ويليها بحث في المذهب النباتي وتأثيره في دفع الامراض وشفاء العلل المستعصية الخ الخ مما لاسبيل الي حصره هنا . وهو أول كتاب باللغة العربية في هذا الباب ؟

(ثمن هذا الجزء ٦ قروش ونصف واجرة البريد قرش ونصف قرش)

(الوجدية الثامنة عشرة)

قال الوجدان :

لعبت بي الهموم يوما فلم ار حيلة في ذيادها عني انجع من دخول عالم الخيال ، فالقيت بنفسي فيه أجول بواديه ، وأجوب بواديه . فبينما أنا أقطع تلك المهامه الفيحاء ، اذ سنحت لي روضة وارقة الافياء ، نثيرة العشب والماء ، فقصدتها حتي وصلتها فرأيت تحت سرحة من سرحاتها شيخين جالسين ، أحدهما ذو وجه كالبدر وضاءة ، ولحية كالهالة اضاءة ، تلوح عليه سمات الكمال ، وتتألق في وجهه بوارق الجمال ، والثاني له سحنة وحشية ، وحركات شيطانية ، تنطبق عليه صفات الشرور ، وتشهد حاله بالفجور ، فقربت منهما ، بحيث اسمعهما وأراهما ، فسمعت الشيخ الوسيم يقول الشيخ الدميم ، اخبرني ماذا تفعل بالامم ان حلت بها ؟ — فتنفس الصعداء كمن ذكر بهوي ، أو ريع بجوي ، وكان مضطجعا فاستوي . ثم قال ، اني اذا حلت بأمة ضللتها في مذاهبها ، وصرفتها عن مراشدها ، واقحمتها مخالج اهوائها ، وهجمت بها على مفاوزادوائها ، وعرضتها لفواعل التحليل ، وأسلمتها لفتنة الاضاليل ، ثم انشد :

دفعتها للبلي يجتاح زهرتها	ويستفيض مزاياها ويسحتها
حتي تراها وقدهام الفناء بها	قدبدلت بسوادالعيش نضرتها

فاستعاذ الشيخ الوسيم ، من الشيطان الرجيم ، وقال أما أنا فاحللت بأمة الاهديتها للمناهج ، وصرفتها عن المخالج ، وذدت عنها سطوة الاهواء ، وحميتها من فواعل الفناء ، واقمتها على سمة الاحياء ، ثم انشد :

ارشدتها للمعالي من طرائقها الا	مثلي وابعدت عنها سطوة الفتن
حتي تراها وقد دام السعود لها	تزهو وترفل في ثوب من المنن

ثم قال لمناظره ما اشد ماتكون متسلطا . الي لامم اذا ل حيث لاتوجد انت ولا يرجي مجيئك . — قال فما يكون من شأنك اذ جئت ؟ — قال اناصبك العداء ، واجاهرك الهيجاء ، ولا ازال اصاولك حتي ينالني الاعياء ، ثم عمد الي الخديعة ، واسلك طريق الوقيعة ، ولا ادع مسربا لصدودك الا سددته ، ولا مدخلا الا دخلته ، فان عجزت سلكت من الافئدة مسالك خواطرها ، ونفذت من النفوس الي ضمائرها ، نفثا للوساوس ، وبذرا للدسائس ، وهذ آخر اسلحتي ، فان اعجزتني صولتك ، تركت لك الجو ووليت ، وغادرتك وما توليت ، علي اني لا اعدم كما تعلم مجالا اردك عنه مهزوما ، ولست في ذلك ملوما ، فلكل مناد اثرة نفوذ يدافع عنها ، ومادة وجودية يستقي القوة منها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، ليقوم الكون على هذا الشكل القويم .

قال الوجدان فقام الشيخ الوسيم يتمشي مطرقا رأسه ، وبينما هو بعيد اذ اقبل شيخ ثالث تجسدت فيه معاني القبح كلها ، يرتد عنه النظر ، ولا ارتداده عن القذر ، فما كاد يري رفيقه في الروضة حتي قهقه بصوت دوت له ارجاء البستان ، وقال كن ابا البطلان مخرب البلدان ، ومشيب الولدان ، ما الذي ساقك هذا المكان ، وعهدي بك اليف الخراب ، وحليف اليباب ، وقال ؟ و نت ماحدابك الي هذا المكان فأنت رجل المضائك ، وبطل المضايق ، وصديق الظلمات ، وخليل الدركات ؟ قال : حداني مقتفي طريقه من هناء ودع اللوم ياشيخنا . وبينما هما كذلك واذا بشيخ ثالث يحاكي قبح الاثنين ، ويمتاز عنهما بغشاوة في العينين . فقال لهما : وي ! ما الذي دهاكما ؟ حتي صرفكما عن اعمالكما . قالا لاتخف هذه نهزة تلاق بعد فراق ، وأنت ما الذي اخرجك من المسارب ، وامشاك في السباسب ، وعهدنا بك شديد الحذر ، عظيم الخور ؟ قال حاجة عرت ، ومهام عرضت . وفيما الثلاثة على هذه الحالة اذا بشيخ رابع يضاهيهم في القبح الا انه يمتاز عنهم بتقلبه كالحرباء وتلونه كالاهواء ، فما وقع نظرهم عليه حتي ابتدروه قائلين : ما الذي اخرجك من السرائر ، وهاجك من الضمائر ، حتي برزت للجواهر ؟ قال ليس هذا اوان التساؤل أما ترون (ابا الفتح) الد اعدائنا يتهادي بين الادواح يفكر لكم في وقيعة ، يهزمكم بها هزيمة مريعة ، فالتفتوا جميعا فارتاعوا ، فقال لهم الاول لاتراعوا ان هذه لحظة هدنة ، وصاحبنا لاينقض عهدا ولا يخلف وعدا

قال الوجدان فبينما هم كذلك واذا بالشيخ الوسيم اقبل اليهم يتهادي رابط الجأش ، فلما حاذاهم قال : من أين اتيتها العوامل الفتاكة ، والفواعل السفاكة ، قالوا من لدن قوم من الاقوام ، اغرينا بينهم عوامل الشحناء ، واشعلنا فيهم نار البغضاء ، وزينا لهم الباطل والفحشاء ثم تركناهم يموجون ويصطرخون ، ويتنازعون ويتآكلون ، ونحن لهم بمرصد حتي اذا هدأت فيهم الثائرة ، وسكنت عنهم الثائرة ، امددناهم بعوامل الفساد ، وشحذنا لهم نصال العناد ، حتي يكونوا كان لم يغنوا بالامس . فتأوه تأوه المدنفين ، ونظر اليهم نظر الحزين ، وقال : والله لو دعوني لنجدتهم لاصليتكم حربا فظيعة ، تتحدث بها سائر فواعل الطبيعة ، وان الخالق الحكيم قد خلقكم لحكمة ، وسلطكم على عباده لاغراض جمة ، الا ان سطوتي عليكم اقدر كم واجاهدكم ، فلا تزالون ترحلون امامي من محلة الي محلة حتي تضيق عليكم الارض بما رحبت ، ثم تنزحون الي حيث لاترجعون ، ولله في خلقه شؤون ، ثم انشد :

الا أيها الانسان ما اجهلك	وأجراك في خطة من قد هلك
تعطي قيادك هينا لينا	في يد مرديك فما أغفلك
كأنك من جهلك في سكرة	تقاد ولا تعرف ما كيد لك
فكم أمة ذهبت طعمة	لفتنة الجهل لم تمهلك

وجاءت • في آثرها سنة … فلم تتوانظ بمن قد سلك

فيا أيها المنيب الذي … وجعلت نفسك لا أم لك

وانظر لذاتك في ضعفها … واصلح هواك فقد ضلك

واعلم بأنك شيء كبير … ولكن حسك قد سفلك

فؤادك مشرق نور الجلا … ل وذلك مهبط سر الملك

فان تلتفت عشت في نعمة … والا هلكت ولا عذر لك

ثم قام الشيخ وقصد ذات اليمين ، في طريق محفوف بالرياحين ، ونحوت أنا نحو اليسار ، قاصداً مليك الاطيار ، ومازلت سائراً حتى وصلتها ، فوجدت صديقي البلبل في انتظاري ، فلما رآني صعر صفرة الطرب ، وقال مرحباً أخا العرب ، فقلت رحب ناديك ، واعشب واديك . قال تلوح عليك امارات الدهش ، فهل صادفك أمر في الطريق ؟ قلت نعم وسردت عليه ما رأيت.

فقال ذلك الشيخ الوسيم هو صورة العلم الذي يحل بالامم فيرشدها الهدي ، ويزعها عن الردي ، وأما تلك الصور المشوهة فهي الجهل وأعوانه من البخل والجبن والهوي ، وهي العوامل المحللة للشعوب ، المفضية بهم الي شعوب .

قلت وارحمتا لهذا الانسان ما أضعفه بين امثال هذه العوالم السفلية ، والعوامل المردية !! فانتصب البلبل على ساقيه وكان ثانياً ركبتيه . وقال : يا أخا الانسانية خلق الله الانسان عالماً وسطاً بين الملك والحيوان ، شركه مع هذا في الجثمان ، وقرنه بذلك في الروح والوجدان ، ثم قذف به الي هذه الطبيعة ، ولم يحرمه من الوحي بما يقيم وجوده ، ويهديه حدوده ، ووالى اليه الرسل بالبيان ، وانزل عليه الكتب بالتبيان . وصرح له بأنه ضعيف مسكين ، ان لم يأو الي ركنه الركين ، ويعتصم بحبله المتين . فأبي الان يستبد برأيه ، ويأتم بأهوائه ، فكيف لايلاقي مايستهدف اليه ، ويرمي بنفسه عليه ، من لوازم الافراط والتفريط ، ومتعلقات الغلو والتقصير ؟ ثم لتعلم ان هذا عالم النقص والخدع ، وقد رمى بالانسان فيه ليجاهد عوالمه ويقارع عوامله ، ويسلك مسالكه ، ويحتك بنواميسه ، ويتكمل بقوانينه ، ليخرج عن سلطان الطبيعة الطينية ، الي عالم الانوار الملكوتية ، وهذا كما لاينفي يستدعي من الجهاد ، ماينهك الفؤاد ، فمن جاهد خلص وانتهي ، واستظل بسدرة المنتهى ، ومن عاند وحاد ، وجمح عن مناهج الرشاد ، هرباً من الجهاد ، ناله من متاعب الحياة اشد مما هرب منه تارة بالآلام الحسية ، واخرى بالاوجاع الضميرية ، حتى ينتهي وجوده بين طيب اليأس ، وزقوم الاسى . لى حل لنرج الف رنعوذ بالله من زيغ الفؤاد ، وعدم السداد

قلت ما الدنيا ؟ قال هي ممر الي دار البقاء ، فمن اعتبرها داراً ، واتخذها قراراً ، كان كمن جلس في الطريق ، فلا يلبث ان يتململ عن لرفقة فيموت ميتة التائه نعوذ بالله من الغفلة . قلت كلامك هذا يقضي ان لايبقي البانون ، ولايؤسس المؤسسون . قال وهل منعت الحصون من بناها ، ام حمت القصور من اواها ؟ — قلت ليس مراد البانين الخلود وانما اقامة معالم العمران ، ورفع المدنية على اجمل البنيان . — قال ليس مقصود البانين ماتقول وانما يبني الباني ليرضي هواه ، ويتمتع ببناه ، ولو قلت لاحد المنهمكين على عمل انك لن تتمتع في دنياك ، بل ستتركه بعد تتميمه لابنائك ، لترك العمل من ساعته ، وصعد الي الجبال يبكي على خطيئته . فان قلت له وهو في تلك الحالة : ياهذا الا تبقي لابنائك ، الا تشيد لورثائك ، قال لك اذ ذاك بفلسفة أخذ بالاعناق الي الزهد ، وتحبب المترف لسكني الجبال . — قلت هذا حق لامراء فيه . — قال نعم ولقد قضي الله ان يكون الامل ، محرضاً على العمل ، الى اجل ، فمن اراد به خيراً بصره بالعبر ، وادبه بالغير ، وجعل حمله في هذه الحياة خفيفاً ليلقى الله نظيفاً لم يدنس يداً ، ولم يجدله خصماً غداً ، ولقد فاز الانبياء والمرسلون ، بهذا السر المكنون ، فعاشوا فقراء ، وماتوا على المحجة البيضاء

قلت وما معني قولهم ان الدين يأمر بالاخذ من هذه وهذه ؟ قال أو معني ذلك ان يجاوز في الاخذ حد الطبيعة ، فيملك عشرين الف فدان ، وبجانبه مائة الف انسان ، عاري الابدان ، قد ربطهم الفقر بأشطان ؟ — قلت ان الآية مطلقة لم تنص على غاية . — قال هذا اسلوب القرآن الكريم في اصوله الاولية ، يدع القيود لسنن الوجود ، تنزله على الانسان بحد محدود ، فاذا كانت الانسانية اليوم لم تزل تسمح للفرد بأن يمتلك مالا يحصي ، ويختزن مالا ينفق ، ويبني مالا يسكن ، ويكون بجانبه مئات الملايين لايجدون قوتاً ولا مسكناً ، فسيأتي يوم حينما تتغلب تعاليم الاشتراكيين لاتجد فيه لهذه السنن الجائرة رسماً ، فلا تسمح الهيئة الاجتماعية لفرد من من افرادها بأن يدخر مالا ياكل أو يمسك مالا ينتفع به مع وجود المستحقين لذلك . اذ ذاك تجد الانسانية قد تجلت بمعناها الحق ، وقد حدثت ام تعيد دولة القرآن ، على النحو الذي يربي الايمان ، ويبني المدنية على أقوي دعائم العمران .

— قلت أو يأتي ذلك والانسان شديد النهم ، محب للاستئثار ، بعيد غور المطامع ؟

— قال لقد اودع الله في فؤاد الانسان من ذخائر القوي ودرر الصفات ، مالا يمكن اظهاره الا المستقبل . اين الانسان العصري الراقي في علمه وانسانيته من الانسان الهمجي في جهله وبطشه وبهيميته ، وقد تدرج الانسان ووصل من الرقي الى هذا الحد ، فامامه معارج لايتصورها العقل ، سيصل منها الي حد من الرقي لايمكن تخيلها الآن تخيلا .

قلت لقد نشلتني من وهدة اليأس الي ذروة الرجاء ، فهل لك ان تبسط لي مبادىء هؤلاء الاشتراكيين وتشرح لي مبلغ جهادهم في العالمين ، قال حباً وكرامة في الزيارة المقبلة .

قلت لقد هجتني لطلب السعادة فهل لك ان ترشدني اليها بقول حاسم؟

فقال اسمع ثم اندفع يغني :

هي السعادة لا تخفي فنشقه	ولا تقوم على اخفائها الشبه
اسبابها لجميع الخلق ظاهرة	وانما الى من ينحو و يتجه
لكل شيء طريق من يحاوله	من غيره خاب مسعاه واخطأه
يشكو الجهول خفوق السعي في امل	وما دري انه ضل الطريق له
لا تشتك الدهر في حالي تصرفه	فانما الدهر وقت انت تملكه
وللهوي جمحات لو تركت له	مابين جنبيك ارداه واهلكه
فاملك هواك ولا تركن لزخرفه	فكم اضل الهوي من بات يعبده
والجهل اصل بلاء العالمين فان	وجدت شرا فهذا الجهل مصدره
فانما رجل الدنيا وسيدها	من كان في الناس هذا العلم سيده

ثم قال احفظ هذا مني ، وارو لاخوانك عني .

(قاموس المكتب والبيت)

كنت أعني أن أضع لنفسي والمشتغلين بعتولهم مذكرة (في مجلد واحد) للغة ولجميع المعارف الانسانية والاحصاآت الخ مرتبة ترتيب القواميس ليرجع اليها عند الحاجة بدون اضاعة وقت

وكنت أرجو أيضاً أن أضع لبيتي ولكل بيت مرشداً في كل مايحتاج اليه أهله من المعلومات عن الصحة وقوانينها والاغذية وقيمتها والامراض وعلاجاتها والاعراض واسعافاتها والعقاقير وتأثيرها والنباتات وخواصها والفوائد التى دلت التجارب علي نفعها الخ

فوفقت لذلك بوضع (قاموس المكتب والبيت) في ألف ومئتي صفحة كبيرة محلاة بالصور المتقنة فجاء أجمع مذكرة للكتابة والتأليف ، وأهدى مرشد لرب البيت وربته في كل أمر من الامور الحيوية فهو خلاصة العلم العصري في كلتا ناحيتيه العلمية والنفعية

أتممنا للآن طبع ربعه والهمة مبذولة لاتمام مابقي منه . وقد جعلنا ثمنه (مئة وعشرين قرشاً) والذي يطبع منه عدد قليل ـ فمن شاء أن يقتني منه نسخة فليطلب الربع الذي نجز وثمنه (ثلاثون قرشاً) ثم يستمر على دفع (خمسة قروش) كل شهر فنرسل له ماتم طبعه فيه أولا فأولا حتي يتم الثمن كله ويتم الكتاب

العنوان : محمد فريد وجدي

متفرقات فوائد شتى

عجائب غريبة

غارات الفيران

منيت مملكة البريزيل من امريكا بغارات الفيران حينا بعد حين هذه الفيران لاتسكن البيوت ولكنها تعيش بجانب الغيطان الخضراء وتتغذي من الحبوب والحشائش واللحوم وهي شديدة الروغان لا يتحصل عليها العلماء الا بصعوبة ولاتظهر في الايام العادية الا نادرا ولكن متى جاء وقت غاراتها احتشدت بالملايين وهو من عجب ماعهد الناس من امرها ومما لايزال سببه مجهولا

ومما شوهد من غاراتها بالدقة كان في سنة ١٨٧٦ وذلك ان من شهر مايو الي يونيو شوهدت في لورنسو من البريزيل جموع كثيفة من الفيران هجمت على غيطان الذرة فأتت عليها في ايام معدودة ومنها عرجت على حقول البطاطس فنبشت الارض واستخرجتها فأكلت ماقدرت عليه وذهبت بالباقي ذخيرة للمستقبل ومرت من هنالك على الاراضي المنزرعة فأخربتها ثم هجمت على البيوت فهزمت الهرر اولاشر هزيمة وقاومت الناس مقاومة عنيفة رغما عن انهم قتلوا منها مآت في كل بيت . وتمتعت بثمرات انتصارها فقرضت كل مايمكن قرضه من ثياب وشبابيك وابواب واخشاب و برانيط واحذية . وغلت فقرضت حوافر البقر وابادت الخنازير وزادت حتي اكلت شعور النائمين من الناس

هذه الحيوانات تتكاثر بسرعة مدهشة حتى حسب ان الزوجين منها ينتجان (٢٣٠٠٠) فارة في السنة الواحدة فاذا اتبع نمو هذه الفيران هذه النسبة ولم تصادف في ادوارها ما يعوقها عن النسل وما يمنع نسلها من بلوغ اشده لكثرت حتى اضطرت كل ذي روح من الناس والدواب لاخلاء البلاد لها .

ومما يروي من اخبار الفيران ان عاملا من عمال (كيركالدي) احدي قري اكوسيا من بلاد الانجليز استعمل الفيران في غزل القطن وذلك انه تخيل آلة تتحرك بعجلة مصنوعة صنعا خاصا بحيث تستطيع ان تديرها الفأرة بمشيها عليها .

لاحظ هذا العامل ان الفارة تمشى في اليوم ذهابا وجيئة ما يبلغ نحو الثانية عشر كيلومترا فلو مشت هذا القدر على عجلة تدير آلة بمناسبة ثقل الفأرة لأمكن استغلال هذا المجهود واستنتاج الربح الطائل من ورائه

وقد حسب هذا العامل غذاء الفأرة الواحدة في السنة فوجده لا يجاوز السنين سنتيما وحسب اجرة عمارة الآلة في السنة فاذا هي لا تربو على فرنك وربع ثم حسب مقدار ماتغزله تلك الآلة التي تديرها الفأرة من القطن فوجد قيمته تبلغ ثمانية فرنكات ونصفاً وبطرح ماسبق من هذا المبلغ ينتج ستة فرنكات وربع وهو ربح صاف يحصل عليه من عمل الفأرة الواحدة

فبادر احد اصحاب الفابريقات بالاستفادة من هذا الاكتشاف ووضع في معمله الف آلة من هذه الآلات الصغيرة واتى بالعمال من الفيران فاكتسب في السنة الاولى بعد اسقاط اكل العمال واتلاف الآلات (٥٠٠٠٠) فرنك

بمناسبة ذكرنا لسرعة توالد الفيران نذكر احصاء عن مواليد الحيوانات كما ورد في (الدروس البيولوجية بالمقارنة) لدولونيه فقد قال ان الانواع المنحطة من الحيوانات هي عادة اخصب من الحيوانات الاعلى منها ويلاحظ ان الخصوبة الحيوانية تتناقص على نسبة الصعود في سلم الارتقاء النوعي للحيوانات

ان خصوبة النباتات كبيرة جداً حتي ان جذع الذرة ليحمل (٢٠٠٠) حبة والخشخاشة (٣٧٠٠٠) والتبغ (٤٠٠٠٠) والنبات المسمي بلاتان (١٠٠٠٠٠) وشجرة الدبخ (٣٠٠٠٠٠)

وكذلك الحال عند الحيوانات الدنيا فان خصوبتها لاحد لها فان الحيوان الدنيء المسمي (باراميسى) يلد (٤٢٦ و ٣٦٤ و ٣٠؟) شخصا في ٤٢ يوما . هذا الحيوان الدنيء الذي لا يزيد طوله عن اثنين من عشرة من المليمتر يلد ما لو وضع بجانب بعضه لبلغ طوله ٢٧٧ مترا

والفراش يضع عادة ٤٠٠ بيضة . وانثي النمليت تضع في الدقيقة الواحدة ٦٠ بيضة . والذبابة الواحدة تنتج في مدة حياتها (٢٠٩٦، ٢٠، ٧٤) ذبابة مثلها . وانثي البعوض تستطيع ان تلد ٤١١٢٠٠٠٠ و ٤٠ في جيلها الثامن

اما عند ذوات الفقرات الدنيا من الحيوانات فالخصوبة التناسلية كبيرة أيضاً . فان السمكة المسماة (موره) تضع (٩٠٠٠) بيضة والسمكة المسماة الرنجة تضع (١٣٠٠٠٠) بيضة . والسمكة المسماة (كارب) التي يبلغ طولها اربعين سنتيمترا تضع (٢٤، ٠٧٢٠٠) والمسماة (برش) تضع (٣٨٠٠٠٠) بيضة . واما السمكة المسماة استورجون فتضع (٧٦٥٣٢٢٠٠) بيضة . فسبحان رب العالمين .

غذاء المتوحشين

من طبع المتوحش عدم حساب المستقبل مثله فى ذلك كمثل بعض الكواسر فتراه يقتل الفريسة و يبددها لهوا ولعباً . ولما كان يجهل صناعة تدبير اللحوم وتمليحها فلا يستطيع ان يدخر ليوم المجاعة شيئاً

اضف الي هذا وساوس علقت بذهنه تزيد حالته خطورة وذلك انه يعتقد التقديس في بعض الحيوانات و يعتبرها اسلاف قبيلته فيتخذ صورها طلاسم يحملها لحفظ شخصه ويحسب قتلها كفرا

ثم ان المتوحش يتحرج كل التحرج من تعاطي كل مالم يعتده من الاطعمة فاذا كانت عادته المعيشة من القنص كبر عليه ان يأكل السمك، واذا كانت عادته اكل السمك حرم على نفسه تناول اللحوم الاخري

ومع هذا فهو لاجل دفع عادية الجوع عنه لا يأنف من تعاطى اغلظ الاغذية مثل الفواكه الوحشية وجذور بعض الاشجار ولا تشمئز نفسه من اكل الهوام والديدان والقمل التى تسرح في جسم بني جلدته

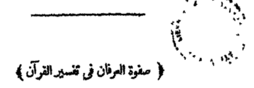
وربما ظن بنا المغالاة في هذا القول ولذلك فنحن لا نتأخر عن عزو هذا الخبر الي ناقله وهو (نيردنسكيولد) فقد روي ان قبائل التشوكس من سيبريا يجمع آحادها القمل في وعاء ثم يأكلونه . وافراد قبائل (روكيين) من جيانا يأخذ الزوج والزوجة في التفلية عن قملهما واكله كالقردة . وقد شوهد ان متسولى الصينيين يأتون هذا العمل الفظيع ايضاً

ومن المتوحشين من يألف الشودة فى تعاطى الطين فتعجز المعدة عن هضمه فتنتفخ منه البطن ويعقب ذلك التهاب الامعاء ثم الموت

وقد روي ان المتوحشين متي اصطادوا حيوانا ضخماً او سمكة كبيرة اجتمعوا عليها كالبهائم الجائعة ونهشوها وقد حكي السواح عن بعض المتوحشين ان البوشمان من افريقيا متي اصطادوا وحشا فتحوا بطنه واجتمعوا حول جثته يأكلون احشاءه ساخنة كالكلاب سواء بسواء .

وقد روي ان متوحشي استراليا متي وقعت في يدهم هائشة كبيرة اجتمعوا حولها واخذوا يلتهمون لحمها نيئا بلا مضغ ثم ينسحبون يبطون ما اكلوا وينامون بعد هذا الغذاء الدسم .

ثم قال ويفضل المتوحشون ان يأكلوا اكثر الاطعمة نيئة كالديدان والهوام والاسماك ويسحقون نوى الفواكه تحت ضروسهم الصلبة



﴿ صفوة العرفان في تفسير القرآن ﴾

هو مصحف مكتوب بخط اليد على ورق نباتي صقيل في أسفل كل صفحة تفسيرها وقد راعينا فيه تفهيم معاني الكتاب الكريم لمن لا يتسع وقته لمراجعة المطولات وقد عنينا باللغة فأحسنا شرحها وبأسباب نزول الآيات فأتينا عليها من مصادرها . فهذا الكتاب يصلح أن يكون مصحفاً تلاوة وتفسيراً في آن واحد ثمنه غير مجلد ٤٠ قرشاً ومجلداً ٥٠ قرشاً



هي دائرة معارف كاملة فيها كل ما يسأل عنه الباحث والمستطلع والعالم والمتعلم في اللغة وآدابها والعلم على اختلاف فروعه من فلك وطبيعة وكيمياء وطب ومادة طبية الخ الخ والفلسفة بجميع مذاهبها ، والتاريخ العام والخاص . وتراجم المشهورين من العلماء والفلاسفة والأدباء في كل جيل ، والجغرافيا الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، والاحصاآت وكل ما يهم الانسان الاطلاع عليه . مرتبة كل هذه المواد على حروف المعجم ليسهل البحث عنها . فهي تقوم مقام مكتبة كاملة في عشرة مجلدات ضخام

ثمنها غير مجلدة ٥٤٠ قرشاً ومجلدة ٦٤٠ قرشاً

وبما انها كانت تصدر شهريا في أجزاء صغيرة ثمن كل منها ٥ قروش فمكتبتنا يبيعها مجزأة لمن يريدها بارسال خمسة أو عشرة أجزاء منها كل شهر محولة بثمنها على البريد بزيادة ثلاثة قروش صاغ في كل دفعة هي نفقات التحويل . وعدد هذه الاجزاء الشهرية ١٠٨

﴿ على اطلال المذهب المادي ﴾

(الجزء الاول)

دخل العالم العلمي اليوم في عهد جديد باين به كل ما كان عليه ... المدركات الالحادية ، ونقض كل ما بناه السابقون من المذاهب الـ... الوجود ، وهذا تطور ليس له مثيل في تاريخه ، فرأينا من واجبنا ان نـ... في مصر لا بايراد خبره، لا بالاكتفاء برواية نتيجة هذه المعركة الكبرى بـ... القديم والحديث ، بل ببيان أدوار وقائعها ، وتتبع جميع حركات قادة... في كتاب أسميناه (على اطلال المذهب المادي) ليقف القارئ عـ... اغرب مشهد من مشاهد المكافحات العقلية دامت نيرانها مشبوبة ... خمسين سنة ثم انتهت بدخول العقل البشري في عهد جديد، واستقام الـ... على سنة لم تكن تدور بخلد ابعد الناس خيالا

تم طبع هذا الكتاب وثمنه عشرة قروش واجرة البريد قرشان

محمد فريد وجدي

الوحديات

ثمن العدد الواحد خمسة مليمات بالقاهرة . واشتراكها السنوي ١٥ قر... هي تظهر أول كل شهر ومنتصفه

(محلات بيعها بالقاهرة)

(١) بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بشارع الخليج رقم ٢٩
(٢) حضرة محمد افندي عثمان الكاتب العمومي بجوار بوستة السيدة زينب
(٣) مكتبة الهلال بالفجالة
(٤) « الأهلية بشارع عبد العزيز
(٥) « المليجي بالسكة الجديدة
(٦) مكتبة المؤيد بباب الخلق (٧) مكتبة الوفد بشارع الفلكي

(محلات بيعها بالجهات)

(١) حضرة عبد الوهاب افندي علي بالاسكندرية
(٢) المكتبة التوفيقية بشارع جامع سلطان بباب سدرة بالأسكندرية
(٣) حضرة آدم افندي كومي ببني سويف
(٤) محمود افندي احمد مراسل الامة
(٥) عبد الحميد افندي حسين بمعمل سالم وخليفه بالمنصورة